سلسلة نصوص تراثية للباحثين (٥٤٦)

من ادعى أنه المهدي

عبر التاريخ

من كتب التراث

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٤هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

"خروجه، وإذا قلنا عن صنف أنهم يسوقون الإمامة إلى علي بن الحسين فإنما نعني الذين يقولون أن النبي صلى الله عليه وسلم نص على إمامة علي وأن علياً نص على إمامة الحسن وأن الحسن نص على إمامة الحسين وأن الحسين نص على إمامة علي بن الحسين.

والصنف الرابع عشر من الرافضة يسوقون الإمامة من علي بن أبي طالب حتى ينتهوا بها إلى علي بن الحسين ثم يزعمون أن الإمام بعد علي بن الحسين أبو

جعفر محمد بن علي وأن الإمام بعد أبي جعفر محمد بن عبد الله بن الحسن الخارج بالمدينة وزعموا أنه المهدي وأنكروا إمامة المغيرة بن سعد.

والصنف الخامس عشر من الرافضة يسوقون الإمامة من علي حتى ينتهوا بها إلى علي بن الحسين ويزعمون أن علي بن الحسين نص على إمامة أبي جعفر محمد بن علي وأن أبا جعفر محمد بن علي أوصى إلى أبي منصور ثم اختلفوا فرقتين: فرقة يقال لها الحسينية يزعمون أن أبا منصور أوصى إلى ابنه الحسين بن أبي منصور وهو الإمام بعده، وفرقة أخرى يقال لها المحمدية مالت إلى تثبيت أمر محمد بن عبد الله بن الحسن وإلى القول بإمامته وقالوا: إنما أوصى أبو جعفر." (١)

"المغرب والحسن بن مهران المسمى بالمقنع الخارج فيما وراء النهر من خرسان ومحمد بن زكريا الخارج في الكوفة. ولا بد أن أذكر أصح خبر كل منهم مختصرا إن شاء الله تعالى.

باب في ذكر أبي سعيد الجنابي لعنه الله

كان فيلسوفا ملعونا ملك البحرين واليمامة والأحساء وادعى فيها أنه المهدي القائم بدين الله فاستفتح ودخل مكة وقتل الناس في المسجد الحرام ومنع الناس من الحج واقتلع الركن وراح به إلى الأحساء وقال في ذلك شعرا:

ولو كان هذا البيت لله ربنا ... لصب علينا النار من فوقنا صبا

لأنا حججنا حجة جاهلية ... مجللة لم نبق شرقا ولا غربا." (٢)

"١٢٠ - محمد بن عبد الله بن تومرت، أبو عبد الله الملقب نفسه بالمهدي المصمودي، الهرغي، المغربي، [المتوفى: ٥٢٤ هـ]

صاحب دعوة السلطان عبد المؤمن ملك المغرب.

كان يدعي أنه حسني علوي، وهو من جبل السوس في أقصي المغرب. نشأ هناك، ثم رحل إلى المشرق لطلب العلم، ولقي أبا حامد الغزالي، وإلكيا أبا الحسن الهراسي، وأبا بكر الطرطوشي، وجاور بمكة، وحصل طرفا جيدا من العلم.

---

(١) مقالات الإسلاميين ت ريتر، أبو الحسن الأشعري ص/٢٤

(٢) كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة، محمد بن مالك الحمادي ص/٣٨

وكان متورعا، متنسكا، مهيبا، متقشفا، مخشوشنا، أمارا بالمعروف، كثير الإطراق، متعبدا، يتبسم إلى من لقيه، ولا يصحبه من الدنيا إلا عصا وركوة، وكان شجاعا، جريئا، عاقلا، بعيد الغور، فصيحا في العربي والمغربي، قد طبع على النهي عن المنكر، متلذذا به، متحملا المشقة والأذية فيه، أوذي بمكة لذلك، فخرج إلى مصر، وبالغ في الإنكار، فزادوا في أذاه -[٤٠٩]- وطرده، وكان إذا خاف من البطش وإيقاع الفعل به خلط في كلامه ليظنوه مجنونا، فخرج إلى الإسكندرية، فأقام بها مدة، وركب البحر إلى بلاده.

وكان قد رأى في منامه وهو بالمشرق كأنه قد شرب ماء البحر جميعه كرتين، فلما ركب السفينة شرع ينكر، وألزمهم بالصلاة والتلاوة، فلما انتهى إلى المهدية، وصاحبها يومئذ يحيى بن تميم الصنهاجي، وذلك في سنة خمس وخمسمائة، فنزل بها في مسجد معلق على الطريق، وكان يجلس في طاقته، فلا يرى منكرا من آلة الملاهي أو أواني الخمور إلا نزل وكسرها، فتسامع به الناس، وجاءوا إليه، وقرأوا عليه كتبا في أصول الديانة، وبلغ خبره الأمير يحيى، فاستدعاه مع جماعة من الفقهاء، فلما رأى سمته وسمع كلامه أكرمه، وسأله الدعاء، فقال له: أصلحك الله لرعيتك.

ثم نزح عن البلد إلى بجاية، فأقام بها ينكر كدأبه، فأخرج منها إلى قرية ملالة، فوجد بها عبد المؤمن بن علي القيسي، فيقال: إن ابن تومرت كان قد وقع بكتاب فيه صفة عبد المؤمن وصفة رجل يظهر بالمغرب الأقصى من ذرية النبي صلى الله عليه وسلم، يدعو إلى الله يكون مقامه ومدفنه بموضع من المغرب، يسمى " ت ي ن م ل "، ويجاوز وقته المائة الخامسة، فألقي في ذهنه أنه هو، وأخذ يتطلب صفة عبد المؤمن فرأى في الطريق شابا قد بلغ أشده على الصفة التي معه، فقال: يا شاب ما أسمك؟ قال: عبد المؤمن، فقال: الله أكبر، أنت بغيتي، فأين مقصدك؟ قال: المشرق لطلب العلم، قال: قد وجدت علما وشرفا اصحبني تنله، ثم نظر في حليته فوافقت، وقال: ممن أنت؟ قال: من كومية، فربط الشاب، وألقي إليه سره.

وكان ابن تومرت قد صحبه عبد الله الونشريسي ممن تهذب وتفقه، وكان جميلا، فصيحا في العربية، فتحدثا يوما في كيفية الوصول إلى الأمر المطلوب، فقال لعبد الله: أرى أن تستر ما أنت عليه من العلم والفصاحة عن الناس، وتظهر من العي واللكن والجهل ما تشتهر به، لتتخذ الخروج عن ذلك، وإظهار العلم دفعة واحدة، فيكون ذلك معجزة، ففعل ذلك، ثم استدنى محمد أشخاصا أجلادا في القوى الجسمانية، أغمارا، فاجتمع له ستة، فتوجهوا إلى -[٤١٠]- مراكش، وملكها علي بن يوسف بن تاشفين، وكان ملكا حليما، عادلا، متواضعا، وكان بحضرته مالك بن وهيب الأندلسي الفقيه، فأخذ ابن تومرت في الإنكار، حتى أنكر على ابنه الملك، وذلك في قصة طويلة، فبلغ خبره الملك، وأنه يحدث في تغيير الدولة، فكلم مالك بن وهيب في أمره، وقال: نخاف من فتح باب يعسر علينا سده، وكان محمد وأصحابه مقيمين في مسجد خراب بظاهر البلد، فأحضروهم في محفل من العلماء، فقال الملك علي: سلوا هذا ما يبغي، فكلموه، وقال: ما الذي يذكر عنك من القول في حق الملك العادل الحليم المنقاد إلى الحق؟ فقال: أما ما نقل عني، فقد قلته، ولي من ورائه أقوال، وأما قولك: إنه يؤثر طاعة الله على هواه، وينقاد إلى الحق، فقد حضر اعتبار صحة هذا القول عليه، ليعلم بتعريه عن هذه الصفة إنه مغرور بما تقولون له وتطرونه به، مع علمكم أن الحجة عليه متوجهة، فهل بلغك يا قاضي أن الخمر تباع جهارا، وتمشي الخنازير بين المسلمين، وتؤخذ أموال اليتامى؟ وعدد من ذلك أشياء، حتى ذرفت عينا الملك، وأطرق حياء، ففهم الدهاة من كلامه طمعه في الملك، ولما رأوا سكوت الملك وانخداعه له لم يتكلموا، فقال مالك بن وهيب: إن عندي نصيحة، إن

قبلها الملك حمد عاقبتها، وإن تركها لم آمن عليه، قال: وما هي؟ قال: إني خائف عليك من هذا الرجل، وأرى أن تسجنه وأصحابه، وتنفق عليهم كل يوم دينارا، وإلا أنفقت عليه خزائنك، فوافقه الملك، فقال الوزير: أيها الملك، يقبح أن تبكي من موعظة هذا، ثم تسيء إليه في مجلس واحد، وأن يظهر منك الخوف مع عظم ملكك، وهو رجل فقير لا يملك سد جوعه، فأخذت الملك العزة، واستهون أمره وصرفه، وسأله الدعاء.

وقيل: إنه لما خرج من عنده لم يزل وجهه تلقاء وجهه، إلى أن فارقه، فقيل له: نراك تأدبت مع الملك، فقال: أردت أن لا يفارق وجهي الباطل حتى أغيره ما استطعت.

ولما خرج قال لأصحابه: لا مقام لنا بمراكش مع وجود مالك بن وهيب، فإنا نخاف مكره، وإن لنا بأغمات أخا في الله فنقصده، فلن نعدم منه رأيا ودعاء، وهو الفقيه عبد الحق بن إبراهيم المصمودي، فسافروا أليه فأنزلهم، وبثوا إليه سرهم، وما جرى لهم، فقال: هذا الموضع لا يحميكم، وإن أحصن -[٤١١]- الأماكن المجاورة لهذا البلد تين مل، وهي مسيرة يوم في هذا الجبل، فانقطعوا فيه برهة ريثما ينسى ذكركم، فلما سمع ابن تومرت بهذا الاسم تجدد له ذكر اسم الموضع الذي رآه في الكتاب، فقصده مع أصحابه، فلما أتوه رآهم أهل ذلك المكان على تلك الصورة، فعلموا أنهم طلاب علم، فتلقوهم وأكرموهم وأنزلوهم، وبلغ الملك سفرهم، فسر بذلك.

وتسامع أهل الجبل بوصول ابن تومرت، فجاؤوه من النواحي يتبركون به، وكان كل من أتاه استدناه، وعرض عليه ما في نفسه من الخروج، فإن أجابه أضافه إلى خواصه، وإن خالفه أعرض عنه.

وكان يستميل الشباب الأغمار، وكان ذوو الحلم والعقل من أهاليهم ينهونهم ويحذرونهم من أتباعه خوفا عليهم من الملك، فكان لا يتم له مع ذلك حال، وطالت المدة، وكثرت أتباعه من أهل جبال درن، وهو جبل لا يفارقه الثلج، وطريقه ضيق وعر.

قال اليسع بن حزم: لا أعلم مدينة أحصن من تينملل، لأنها بين جبلين، ولا يسع الطريق إليها إلا الفارس، وقد ينزل عن فرسه في أماكن صعبة، وفيها مواضع لا يعبر فيها إلا علي خشب، فإذا أزيلت خشبة لم يمر أحد، وهذه الطريق مسافة يوم، فأخذ أتباعه يغيرون على النواحي سبيا وقتلا، وتقووا وكثروا، ثم إنه غدر بأهل تينملل الذين آووه ونصروه، وأمر أصحابه، فقتلوا فيهم مقتلة عظيمة، قاتله الله، فقال له الفقيه الإفريقي، وهو أحد العشرة، عندما فعل بأهل تينملل: قوم أكرمونا وأنزلونا دورهم قتلتهم؟ فقال لأصحابه: هذا شك في عصمتي، خذوه، فقتلوه وعلقوه على جذع.

قال: وكل ما أذكره من حال المصامدة فمنه ما شاهدته، ومنه ما أخذته بنقل التواتر.

وكان في وصيته إلى قومه إذا ظفروا بمرابط أو أحد من تلمسان أن يحرقوه، فلما كان في عام تسعة عشر خرج إليهم يوما، فقال: تعلمون أن البشير الذي هو الونشريسي، إنه أمي لا يقرأ ولا يكتب، وإنه لا يثبت على -[٤١٢]- دابة، وقد جعله الله مبشرا لكم مطلعا على أسراركم، وهو آية لكم، فإنه حفظ القرآن، وتعلم الركوب، ثم استعرضه القرآن، فقرأه لهم في أربعة أيام، وركب حصانا وساقه، فتعجبوا وعدوا ذلك آية، وصح لابن تومرت بذلك ما أطراه على نفوس سليمة لا يعرفون بواطن الأمور، فتحقق تصديقهم إياه، فقام خطيبا، وقال: قال الله تعالى: ﴿ليميز الله الخبيث من الطيب﴾، وقال: ﴿منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون﴾، وهذا البشير مطلع على الأنفس، محدث، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: " إن في أمتي

محدثين، وإن عمر منهم ".
وقد صحبنا أقوام أطلعه الله على سرهم ونفاقهم، ولابد من النظر فيهم، ويتمم العدل فيهم، ثم نودي في جبال المصامدة: من كان مطيعا للإمام فليقبل، فكانوا يأتون قبائل قبائل، فيعرضون عليه، فيخرجون قوما على يمينه، ويعدهم من أهل الجنة، وقوما على يساره، ويقول: هؤلاء شاكون في الأمر، حتى كان يؤتى بالرجل فيقول: ردوا هذا على اليمين، فإنه تائب، وقد كان قبل كافرا، ثم أحدث البارحة توبة، فيعترف بما أخبر به، واتفقت له فيهم عجائب، وكان يطلق أهل اليسار وهم يعلمون أن مآلهم إلى القتل، فلا يفر منهم أحد، وكان إذا اجتمع منهم كثير قتلهم قراباتهم، يقتل الأب ابنه، والأخ أخاه، وابن العم ابن العم، فالذي صح عندي إنه قتل منهم سبعون ألفا على هذه الصفة، ويسمونها التمييز.

ولما كمل التمييز وجه جموعه مع البشير نحو أغمات، فالتقوا المرابطين فهزموهم، وقتل خلق من المصامدة لكونهم ثبتوا، وجرح عمر الهنتاتي جراحات، فحملوه على أعناقهم، وهو كالميت، لا ينبض له عرق، فقال لهم البشير: إنه لا يموت حتى يفتح البلاد، ويغزو في الأندلس، وبعد مدة من استماتته فتح عينيه، فزادهم ذلك إيمانا بأمرهم، ولما أتوا عزاهم ابن تومرت وقال: يوم بيوم، وكذلك حرب الرسل.

نقل عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي في كتاب " المعجب " الذي -[٤١٣]- اختصرته، أن ابن تومرت رحل إلى بغداد، فأخذ الأصول عن أبي بكر الأصولي الشاشي، وسمع من المبارك بن عبد الجبار ابن الطيوري، وقال: إن أمير الإسكندرية نفاه منها، فبلغني أنه استمر ينكر في المركب إلى أن ألقوه في البحر، فأقام نصف يوم يجري في ماء السفينة ولم يغرق، فأنزلوا إليه من أطلعه وعظموه، إلى أن نزل بجاية، ووعظ بها، ودرس، وحصل له القبول، فأمره صاحبها بالخروج منها خوفا منه، فخرج، ووقع بعبد المؤمن، وكان بارعا في خط الرمل، ووقع بجفر فيما قيل، وصحبهما من ملالة عبد الواحد الشرقي، فتوجه الثلاثة إلى أقصى المغرب.

وقيل: إنه لقي عبد المؤمن ببلاد متيجة، فرآه يعلم الصبيان، فأسر إليه، وعرفه بالعلامات، وكان عبد المؤمن قد رأى رؤيا، وهي أنه يأكل مع أمير المسلمين علي بن يوسف في صحفة، قال: ثم زاد أكلي على أكله، ثم اختطفت الصحفة منه، فقصها على عابر فقال: هذه لا ينبغي أن تكون لك، إنما هي لرجل ثائر يثور على أمير المسلمين، إلى أن يغلب على بلاده، وسار ابن تومرت إلى أن نزل في مسجد بظاهر تلمسان، وكان قد وضع له هيبة في النفوس، وكان طويل الصمت، كثير الانقباض، إذا انفصل عن مجلس العلم لا يكاد يتكلم، أخبرني شيخ عن رجل من الصالحين كان معتكفا في ذاك المسجد أن ابن تومرت خرج ليلة فقال: أين فلان؟ قالوا: مسجون، فمضى من وقته ومعه رجل، حتى أتى باب المدينة، فدق على البواب دقا عنيفا، ففتح له بسرعة، فدخل حتى أتى الحبس، فابتدر إليه السجانون يتمسحون به، ونادى: يا فلان، فأجابه، فقال: أخرج، فخرج والسجانون باهتون لا يمنعونه، وخرج به حتى أتى المسجد، وكانت هذه عادته في كل ما يريد، لا يتعذر عليه، قد سخرت له الرجال.

وعظم شانه بتلمسان إلى أن انفصل عنها، وقد استحوذ على قلوب كبرائها، فأتى فاس، وأظهر الأمر بالمعروف، وكان جل ما يدعو إليه علم الاعتقاد على طريقة الأشعرية، وكان أهل المغرب ينافرون هذه العلوم، ويعادون من ظهرت عليه، فجمع والي فاس الفقهاء له، فناظرهم، فظهر عليهم لأنه وجد جوا خاليا وناسا لا علم لهم بالكلام، فأشاروا على المتولي بإخراجه،

فسار إلى مراكش، وكتبوا بخبره إلى ابن تاشفين، فجمع له الفقهاء، -[٤١٤]- فلم يكن فيهم من يعرف المناظرة إلا مالك بن وهيب، وكان متفننا قد نظر في الفلسفة، فلما سمع كلامه استشعر حدته وذكاءه، فأشار على أمير المسلمين ابن تاشفين بقتله، وقال: هذا لا تؤمن غائلته، وإن وقع في بلاد المصامدة قوي شره، فتوقف عن قتله دينا، فأشار عليه بحبسه، فقال: علام أسجن مسلما لم يتعين لنا عليه حق، ولكن يخرج عنا، فذهب هو وأصحابه إلى السوس، ونزل تينملل، ومن هذا الموضع قام أمره، وبه قبره، فلما نزله اجتمع إليه وجوه المصامدة، فشرع في بث العلم والدعاء إلى الخير، وكتم أمره، وصنف لهم عقيدة بلسانهم، وعظم في أعينهم، وأحبته قلوبهم، فلما استوثق منهم دعا إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونهاهم عن سفك الدماء، فأقاموا على ذلك مدة، وأمر رجالا منهم ممن استصلح عقولهم بنصب الدعوة، واستمالة رؤساء القبائل.
وأخذ يذكر المهدي ويشوق إليه، وجمع الأحاديث التي جاءت في فضله، فلما قرر عندهم عظمة المهدي ونسبه ونعته، ادعى ذلك لنفسه، وقال: أنا محمد بن عبد الله، وسرد له نسبا إلى علي عليه السلام، وصرح بدعوى العصمة لنفسه، وأنه المهدي المعصوم، وبسط يده للمبايعة فبايعوه، فقال: أبايعكم على ما بايع عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم صنف لهم تصانيف في العلم، منها كتاب سماه: " أعز ما يطلب "، وعقائد على مذهب الأشعري في أكثر المسائل، إلا في إثبات الصفات، فإنه وافق المعتزلة في نفيها، وفي مسائل قليلة غيرها.
وكان يبطن شيئا من التشيع، ورتب أصحابه طبقات، فجعل منهم العشرة، وهم الأولون السابقون إلى إجابته، وهم الملقبون بالجماعة، وجعل منهم الخمسين، وهم الطبقة الثانية، وهذه الطبقات لا تجمعها قبيلة، بل هم من قبائل متفرقة، وكان يسميهم المؤمنين، ويقول لهم: ما على وجه الأرض من يؤمن إيمانكم، وأنتم العصابة المعنيون بقوله صلى الله عليه وسلم: " لا تزال طائفة بالغرب ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله "، وأنتم الذين يفتح الله بكم الروم، ويقتل بكم الدجال، ومنكم الأمير الذي يصلي بعيسى ابن مريم، هذا مع جزئيات كان يخبرهم بها وقع -[٤١٥]- أكثرها، وكان يقول: لو شئت أن أعد خلفاءكم خليفة خليفة لعددت، فعظمت فتنة القوم به، وبالغوا في طاعته، إلى أن بلغوا حدا لو أمر أحدهم بقتل أبيه أو أخيه أو ابنه لقتله، وسهل ذلك عليهم ما في طباعهم من القسوة المعهودة في أهل الجبال، لا سيما المغاربة البربر، فإنهم جبلوا على الإقدام على الدماء، واقتضاه إقليمهم، حتى قيل: إن الإسكندر أهديت له فرس لا تسبق، لكنها لا تصهل، فلما حل بجبال درن، وهي بلاد المصامدة هذه، وشربت تلك الفرس من مياهها صهلت، فكتب الإسكندر إلى الحكيم يخبره، فكتب إليه: هذه بلاد شر وقسوة، فعجل الخروج منها، وأنا فقد شاهدت من إقدامهم على القتل لما كنت بالسوس ما قضيت منه العجب.
قال: وقوي أمر ابن تومرت في سنة خمس عشرة وخمسمائة، فلما كان في سنة سبع عشرة جهز جيشا من المصامدة، جلهم من أهل تينملل والسوس، وقال لهم: اقصدوا هؤلاء المارقين المبدلين الذين تسموا بالمرابطين، فادعوهم إلى إماتة المنكر، وإزالة البدع، والإقرار بالإمام المهدي المعصوم، فإن أجابوكم فهم إخوانكم، وإلا فقاتلوهم، وقد أباحت لكم السنة قتالهم، وقدم عليهم عبد المؤمن، فسار بهم قاصدا مراكش، فخرج لقتالهم الزبير ابن أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين، فلما تراءى الجمعان كلموا المرابطين بما أمرهم به ابن تومرت، فردوا عليهم أسوأ رد، ووقع القتال، فانهزم المصامدة، وقتل منهم مقتلة كبيرة، ونجا عبد المؤمن، فلما بلغ الخبر ابن تومرت قال: أليس قد نجا عبد المؤمن؟ قيل: نعم، قال: لم يفقد أحد، ثم أخذ

يهون عليهم، ويقرر عندهم أن قتلاهم شهداء، فزادهم حرصا على الحرب.

وقال الأمير عزيز في كتاب " الجمع والبيان في أخبار القيروان ": إن ابن تومرت أقام بتينملل، وسمى أصحابه وأتباعه بالموحدين، والمخالفين أمره: مجسمين، وأقام على ذلك نحو العام، فاشتهر أمره سنة خمس عشرة، وبايعته هرغة على أنه المهدي، فجهز له علي بن يوسف جيشا من الملثمين، فقال ابن تومرت لأصحابه الذين بايعوه: إن هؤلاء قد جاءوا في طلبي، وأخاف عليكم -[٤١٦]- منهم، والرأي أن أخرج عنكم بنفسي إلى غير هذه البلاد لتسلموا أنتم، فقام بين يديه ابن توفيان، من مشايخ هرغة، وقال له: تخاف شيئا من السماء؟ قال: لا، بل من السماء تنصرون، فقال ابن توفيان: فدع كل من في الأرض يأتينا، ووافقه جميع قبيلته على ذلك القول، فقال: إنما أردت أن أختبر صبركم وثباتكم، وأما الآن فأبشروا بالنصر، وأنكم تغلبون هؤلاء الشرذمة، وبعد قليل تستأصلون دولتهم، وترثون أرضهم، فالتقوا جيش الملثمين فهزموهم، وأخذوا الغنيمة، ووثقت نفوسهم بالمهدي، وأقبلت إليه أفواج القبائل من النواحي ووحدت قبيلة هنتاتة، وهي من أقوى القبائل، إلى أن قال: ثم نهج لهم طريق التودد والآداب، فلا يخاطبون الواحد منهم إلا بضمير الجمع في وقار وبشاشة، ولا يلبسون إلا الثياب القصيرة الرخيصة، ولا يخلون يوما من طراد ومثاقفة ونضال، وكان في كل قبيلة قوم أشرار مفسدون، فنظر ابن تومرت في ذلك، فطلب مشايخ القبائل ووعظهم، وقال: لا يصح دينكم إلا بالنهي عن المنكر، فابحثوا عن كل مفسد وانهوه، فإن لم ينته فاكتبوا أسماءهم، وارفعوها إلي، ففعلوا ذلك ثم أمرهم بذلك ثانيا وثالثا.

ثم جمع الأوراق، فأخذ ما تكرر من الأسماء، فأفردها عنده، ثم جمع القبائل كلها وحضهم على أن لا يغيب منهم أحد، ودفع الأسماء التي أفردها إلى عبد الله الونشريسي، الملقب بالبشير، ثم جعل يعرضهم رجلا رجلا، فمن وجد اسمه أفرده في جهة الشمال، ومن لم يجده جعله في جهة اليمين، إلى أن عرض القبائل جميعها، ثم أمر بتكتيف جهة الشمال، وقال لقبائلهم: هؤلاء أشقياء من أهل النار قد وجب قتلهم، ثم أمر كل قبيلة أن تقتل أشقياءها، فقتلوا كلهم، وكانت واقعة عجيبة، وقال: بهذا الفعل يصح لكم دينكم ويقوى أمركم، وعلى ذلك استمرت الحالة في جميع بلادهم، ويسمونه: التمييز.

وكان له أصحاب عشرة يسمون أهل عشرة، وأصحاب من رؤوس القبائل سماهم أهل خمسين، كانوا ملازمين مجلسه.

فأما العشرة: فعبد المؤمن، والشيخ أبو إبراهيم الهزرجي، والشيخ أبو حفص عمر بن يحيى الهنتاتي المعروف بعمرآينتي، والشيخ أبو محمد عبد الله -[٤١٧]- البشير، والشيخ أبو محمد عبد الواحد الزواوي، وكان يعرف بطير الجنة، والشيخ أبو محمد عبد الله بن أبي بكر، والشيخ أبو حفص عمر بن أرناق، والشيخ أبو محمد واسنار الأغماتي، والشيخ أبو إسحاق إبراهيم بن جامع، وآخر، فهؤلاء الذين سبقوا وتعرفوا به لأخذ العلم عنه، وكان اجتماعهم به أفذاذا في حال تطوافه في البلاد، فآثرهم واختصهم.

وفي أول سنة أربع وعشرين جهز جيشا زهاء عشرين ألف مقاتل، قدم عليهم البشير، ثم دونه عبد المؤمن، بعد أمور وحروب، فساروا إلى مراكش، وحاصروها عشرين يوما، فأرسل علي بن يوسف بن تاشفين إلى عامله على سجلماسة، فجمع جيشا وجاء من جهة، وخرج ابن تاشفين من البلد من جهة، ووقع الحرب، واستحر يومئذ القتل بجيش المصامدة، فقتل أميرهم عبد الله البشير، فالتفوا على عبد المؤمن، ودام القتال إلى الليل، وصلى بهم عبد المؤمن يومئذ صلاة الخوف والحرب قائمة، وتكاثر الملثمون، وتحيز المصامدة إلى بستان هناك ملتف الشجر يعرف بالبحيرة، فلذا قيل وقعة البحيرة، وبلغت قتلاهم

ثلاثة عشر ألفا، وأنهي الخبر إلى المهدي فقال: عبد المؤمن سالم؟ قيل: نعم، قال: ما مات أحد، الأمر قائم، وكان مريضا، فأوصى بأتباع عبد المؤمن، وعقد له من بعده، وسماه أمير المؤمنين، وقال لهم: هذا الذي يفتح الله البلاد على يديه، فلا تشكوا فيه، وأعضدوه بأموالكم وأنفسكم، ثم مات في آخر سنة أربع وعشرين.

قال اليسع بن حزم: سمى ابن تومرت أتباع المرابطين مجسمين، وما كان أهل المغرب يدينون إلا بتنزيه الله تعالى عما لا يجب له، وصفته بما يجب له، وترك الخوض فيما تقصر العقول عن فهمه، وكان علماء المغرب يعلمون العامة أن اللازم لهم أن الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، إلى أن قال: فكفرهم ابن تومرت بوجهين، بجهل العرض والجوهر، وأن من لا يعرف ذلك لا يعرف المخلوق، ولم يعرف الخالق، الوجه الثاني: إن من لم يهاجر إليه ولم يقاتل المرابطين معه فهو كافر، حلال الدم والحريم، وذكر أن غضبه لله، وإنما قام حسبة على قوم أغرموا الناس ما لا يجب عليهم، وهذا تناقض، لأنه كفرهم، وإن كانوا مسلمين، فأخذ المرابطين منهم النزر اليسير أشبه من قتلهم -[٤١٨]- ونهبهم، وحصل له في نفوس أتباعه من التصديق والبركة ما لا يحوزه الوصف.

وقال القاضي شمس الدين: طالت المدة على ابن تومرت، فشرع في حيلة، وذلك أنه رأى أولاد المصامدة شقرا زرقا، ولون الآباء سمر، فسألهم عن ذلك، فلم يجيبوه، ثم ألح عليهم فقالوا: نحن من رعية أمير المسلمين علي، وله علينا خراج، وفي كل سنة تصعد مماليكه إلينا، وينزلون في بيوتنا، ويخرجونا عنها، ويخلون بنسائنا وما لنا قدرة على دفع ذلك، فقال ابن تومرت: والله، الموت خير من هذه الحياة، كيف رضيتم بهذا، وأنتم أضرب خلق الله بالسيف وأطعنهم بالرمح؟ قالوا: بالرغم منا، قال: أرأيتم لو أن ناصرا نصركم على هؤلاء، ما كنتم تصنعون؟ قالوا: كنا نقدم أنفسنا بين يديه للموت، فمن هو؟ قال: ضيفكم، فقالوا: السمع والطاعة، فبايعهم، ثم قال: استعدوا لحضور هؤلاء بالسلاح، فإذا جاؤوكم فأجروهم على عادتهم، ثم ميلوا عليهم بالخمور، فإذا سكروا فآذنوني بهم، فلما جاءوهم ففعلوا ذلك بهم وأعلموه، فأمر بقتلهم، فلم تمض ساعة من الليل حتى أتوا على آخرهم، وأفلت منهم واحد، فلحق بمراكش، فأخبر الملك، فندم على فوات محمد من يده حيث لا ينفعه الندم، وجهز جيشا، وعرف ابن تومرت أنه لابد من عسكر يفجؤهم، فأمر أهل الجبل بالقعود على أنقاب الوادي، فلما وصلت إليهم الخيل نزلت عليهم الحجارة من جانبي الوادي كالمطر، ودام القتال إلى الليل، فرجع العسكر، وأخبروا الملك، فعلم أنه لا طاقة له بأهل الجبل لتحصنهم، فأعرض عنهم.

ثم قال ابن تومرت لعبد الله الونشريسي: هذا أوان إظهار فضائلك وفصاحتك دفعة واحدة، ثم اتفقا على أن يصلي الصبح، ويقول بلسان فصيح: إني رأيت في النوم أنه نزل بي ملكان من السماء، وشقا فؤادي، وغسلاه، وحشياه علما وحكمة، فلما أصبح فعل ذلك، فدهشوا وعجبوا منه، وانقادوا له كل الانقياد، فقال ابن تومرت له: فعجل لنا البشرى في أنفسنا، وعرفنا أسعداء نحن أم أشقياء؟ فقال له: أما أنت فإنك المهدي القائم بأمر الله، من تبعك سعد، ومن خالفك شقي. -[٤١٩]-

ثم قال: أعرض أصحابك حتى أميز أهل الجنة من أهل النار، وعمل في ذلك حيلة، قتل فيها من خالف أمر ابن تومرت، ثم لم يزل إلى أن جهز بعد فصول طويلة عشرة آلاف مقاتل، وأقام هو في الجبل، فنزلوا لحصار مراكش، فأقاموا عليها شهرا، ثم كسروا كسرة شنيعة، وهرب من سلم من القتل، وقتل الونشريسي المذكور.

وقال عبد الواحد بن علي المراكشي: ثم جعلوا يشنون الغارات على قرى مراكش، ويقطعون عنها الجلب، ويقتلون ويسبون الحريم، وكثر الداخلون في دعوتهم والمنحاشون إليهم، وابن تومرت في ذلك كله يكثر الزهد والتقلل والعبادة، أخبرني من رآه يضرب على الخمر بالأكمام والنعال وعسب النخل كفعل الصحابة، وأخبرني من شهده وقد أتي برجل سكران فحده، فقال يوسف بن سليمان، أحد الأعيان: لو شددنا عليه حتى يخبرنا من أين شربها، فأعرض عنه، فأعاد قوله، فقال: أرأيت لو قال شربتها في دار يوسف بن سليمان ما كنا نصنع؟ فاستحيى وسكت، ثم ظهر أن عبيد يوسف بن سليمان سقوه، فزادهم هذا ونحوه فتنة بابن تومرت.

قال اليسع بن حزم: ألف ابن تومرت كتاب " القواعد "، مما فيه: وأن التمادي على ذرة من الباطل كالتمادي على الباطل كله، وألف لهم كتاب " الإمامة "، يقول فيه: حتى جاء الله بالمهدي، يعني نفسه، وطاعته صافية نقية، لا ضد له ولا مثل له، ولا ند في الورى، وإن به قامت السماوات والأرض.

قال اليسع: هذا نص قوله في الإمامة، وهذا نص تلقيته من قراءة عبد المؤمن بن علي، دون لهم هذا بالعربي وبالبربري، فلما قرؤوا هذين الكتابين زادهم ذلك شدة في مذهبهم من تكفير الناس بالذنوب، وتكفيرهم بالتأخر عن طاعة المهدي الذي قامت به السماوات والأرض.

هذا نص ما قاله اليسع.

قال: وأمرهم بجمع العساكر، فخرجوا إلى ناحية مراكش، فوجدوا جيشا للمرابطين، فالتقوا، فانهزم المرابطون هزيمة مات فيها أكثر من شهدها، وصبر فيها الموحدون، فلما كان في سنة إحدى وعشرين تألفوا في أربعين ألف راجل -[٤٢٠]- وأربعمائة فارس، ونزلوا يريدون حصر مراكش، فحدثني جماعة أنهم نزلوا على باب أغمات بعد أن خرج إليهم المرابطون في أكثر من مائة ألف، بين فارس وراجل، فخذلوا ودخلوا المدينة على أسوأ حالة، فجاء من الأندلس ابن همشك في مائة فارس، فشجع أمير المسلمين، وخرج فقاتل، فانتصر المرابطون، وقتل من المصامدة نحو من أربعين ألفا، فما سلم منهم إلا نحو أربعمائة نفس، كذا قال اليسع.

وقال ابن خلكان: حضرت ابن تومرت الوفاة، فأوصى أصحابه وشجعهم، وقال: العاقبة لكم، ومات في سنة أربع وعشرين إثر الوقعة التي قتل فيها الونشريسي، ودفن بالجبل، وقبره مشهور معظم، ومات كهلا، وكان ربعة، أسمر، عظيم الهامة، حديد النظر، مهيبا.

وقيل فيه:

آثاره تغنيك عن أخباره ... حتى كأنك بالعيان تراه

قدم في الثرى وهامة في الثريا، ونفس ترى إراقة ماء الحياة دون ماء المحيا، أغفل المرابطون حله وربطه حتى دب دبيب الفلق في الغسق، وترك في الدنيا دويا، وكان قوته من غزل أخته رغيفا في كل يوم، بقليل سمن أو زيت، ولم ينتقل عن ذلك حين كثرت عليه الدنيا، ورأى أصحابه يوما وقد مالت نفوسهم إلى كثرة ما غنموه، فأمر بإحراق جميعه، وقال: من كان يبتغي الدنيا فما له عندي إلا ما أرى، ومن كان يبغي الآخرة فجزاؤه عند الله.

ومن شعره:

أخذت بأعضادهم إذ نأوا ... وخلفك القوم إذ ودعوا

فكم أنت تنهى ولا تنتهي ... وتسمع وعظا ولا تسمع

فيا حجر الشحذ حتى متى ... تسن الحديد ولا تقطع؟

وكان يتمثل كثيرا:

تجرد من الدنيا فإنك إنما ... خرجت إلى الدنيا وأنت مجرد

ولم يتملك شيئا من البلاد، وإنما قرر القواعد ومهدها، وبغته الموت، وكانت الفتوحات على يد عبد المؤمن. -[٤٢١]-

وقد كان الملك أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن في أيامه، قد زار قبر ابن تومرت بمحضر من الموحدين، فقام شاعر وانشد هذه القصيدة، وفيها جمل مما كان يعتقده ابن تومرت ويخبر به:

سلام على قبر الإمام الممجد ... سلالة خير العالمين محمد

ومشبهه في خلقه ثم في اسمه ... وفي اسم أبيه والقضاء المسدد

أتتنا به البشرى بأن يملا الدنيا ... بقسط وعدل في الأنام مخلد

ويفتتح الأمصار شرقا ومغربا ... ويملك عربا من مغير ومنجد

فمن وصفه أقنى وأجلى وأنه ... علاماته خمس تبين لمهتدي

زمان واسم والمكان ونسبة ... وفعل له في عصمة وتأيد

ويلبث سبعا أو فتسعا يعيشها ... كذا جاء في نص من النقل مسند

فقد عاش تسعا مثل قول نبينا ... فذلكم المهدي بالله يهتدي

وخرج إلى مدح عبد المؤمن وبنيه، ولابن تومرت أخبار طويلة عجيبة.." (١)

"٢٥٥ - ع: موسى بن طلحة بن عبيد الله، أبو عيسى القرشي التيمي المدني [الوفاة: ١٠١ - ١١٠ هـ] نزيل الكوفة.

روى عن: أبيه: وعثمان، وعلي، وأبي ذر، وأبي أيوب، وعائشة، وأبي هريرة.

وعنه: ابنه عمران، وحفيده سليمان بن عيسى، وبنو إخوته معاوية، وموسى ابنا إسحاق بن طلحة، وطلحة، وإسحاق ابنا يحيى، وسماك بن حرب، وبيان بن بشر، وعبد الملك بن عمير، وعثمان بن عبد الله بن موهب، وولداه محمد، وعمرو ابنا عثمان، وآخرون.

قال أبو حاتم الرازي: هو أفضل ولد طلحة بعد محمد.

قلت: ولد لطلحة جماعة أولاد، فأجلهم محمد، وقد قتل مع أبيه يوم الجمل، ثم أفضلهم موسى، ثم عيسى، وقد مر سنة مائة، وأخوهم يحيى وله عدة بنين، ويعقوب كان أحد الأجواد قتل يوم الحرة، وزكريا وهو ابن أم كلثوم بنت الصديق، وإسحاق وله عدة أولاد بالكوفة، وعمران وكان له أولاد انقرضوا. ذكر ذلك ابن سعد بعد ترجمة موسى بن طلحة، ويقال:

---

(١) تاريخ الإسلام ت بشار، الذهبي، شمس الدين ١١/٤٠٨

كان يسمى المهدي.
وثقه أحمد العجلي وغيره.
وقال الأسود بن شيبان، عن خالد بن سمير قال: لما ظهر المختار الكذاب بالكوفة هرب منه ناس، فقدموا علينا البصرة، فكان منهم موسى بن -[١٧٣]- طلحة، وكان في زمانه يرون أنه المهدي فغشيناه، فإذا هو رجل طويل السكوت شديد الكآبة والحزن إلى أن رفع رأسه فقال: والله لأن اعلم أنها فتنة لها انقضاء أحب إلي من كذا وكذا وأعظم الخطر! فقال له رجل: يا أبا محمد، وما الذي ترهب أن يكون أعظم من الفتنة؟ قال: الهرج، قالوا: وما الهرج؟ قال: الذي كان أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يحدثوننا القتل القتل حتى تقوم الساعة وهم على ذلك.
وروى صالح بن موسى الطلحي، عن عاصم بن أبي النجود قال: فصحاء الناس ثلاثة: موسى بن طلحة التيمي، وقبيصة بن جابر الأسدي، ويحيى بن يعمر، وقال مثل ذلك عبد الملك بن عمير.
وعن موسى بن طلحة قال: صحبت عثمان - رضي الله عنه - ثنتي عشرة سنة.
وقال ابن موهب: رأيت موسى بن طلحة يخضب بالسواد.
وقال عيسى بن عبد الرحمن: رأيت على موسى بن طلحة برنس خز.
توفي آخر سنة ثلاث ومائة على الصحيح.." (١)

"-سنة خمس وأربعين ومائة.

توفي فيها محمد بن عبد الله بن حسن، وأخوه إبراهيم قتلا، والأجلح الكندي، وإسماعيل بن أبي خالد، وإسماعيل بن عبد الله بن جعفر، وأنيس بن أبي يحيى الأسلمي، وحبيب بن الشهيد، وحجاج بن أرطأة، والحسن بن ثوبان، والحسن بن الحسن بن الحسن في سجن المنصور، ورؤبة بن -[٧٨٢]- العجاج التميمي، وعبد الرحمن بن حرملة الأسلمي، وعبد الملك بن أبي سليمان الكوفي، وعمر بن عبد الله مولى عفرة، وعمرو بن ميمون بن مهران الجزري، ومحمد بن عبد الله الديباج، ومحمد بن عمرو بن علقمة، وهشام بن عروة في قول، ويحيى بن الحارث الذماري، ونصر بن حاجب الخراساني، ويحيى بن سعيد أبو حيان التيمي.
وفيها بالغ رياح والي المدينة في طلب محمد بن عبد الله حتى أحرجه. فعزم على الظهور، فدخل مرة المدينة خفية. فعن الفضل بن دكين قال: بلغني أن عبيد الله بن عمر، وابن أبي ذئب، وعبد الحميد بن جعفر قد دخلوا عليه فقالوا: ما تنتظر بالخروج، والله ما نجد في هذه البلدة أشأم عليها منك، ما يمنعك أن تخرج، أخرج وحدك، فكان من قصته أن رياحا طلب جعفر بن محمد وبني عمه وجماعة من وجوه قريش ليلة، قال راوي القصة: إنا لعنده، إذ سمعنا التكبير فقام رياح فاختفى وخرجنا نحن فكان ظهور محمد بالمدينة في مائتي رجل وخمسين رجلا، فمر بالسوق، ثم مر بالسجن، فأخرج من فيه، ودخل داره وأتى على حماره وذلك في أول رجب، ثم أمر برياح، وابني مسلم فحبسوا بعد أن مانع أصحاب رياح بعض الشيء.
ولما خطب محمد حمد الله تعالى، ثم قال: أما بعد، فإنه كان من أمر هذا الطاغية عدو الله أبي جعفر ما لم يخف عليكم من

---

(١) تاريخ الإسلام ت بشار، الذهبي، شمس الدين ١٧٢/٣

بنائه القبة الخضراء التي بناها معاندة لله في ملكه وتصغيرا لكعبة الله، وإنما أخذ الله فرعون حين قال: ﴿أنا ربكم الأعلى﴾ إن أحق الناس بالقيام في هذا الدين أبناء المهاجرين، والأنصار، اللهم إنهم قد فعلوا وفعلوا فاحصهم عددا واقتلهم بددا ولا تغادر منهم أحدا.

قال علي بن الجعد: كان المنصور يكتب إلى محمد بن عبد الله عن ألسن قواده يدعونه إلى الظهور ويخبرونه أنهم معه فكان محمد يقول: لو التقينا لمال إلي القواد كلهم، وقد خرج معه مثل ابن عجلان، وعبد الحميد بن جعفر.

وقال محمد بن سعد: خرج ابن عجلان معه فلما قتل، وولي المدينة -[٧٨٣]- جعفر بن سليمان أتوه بابن عجلان فكلمه جعفر كلاما شديدا وقال: خرجت مع الكذاب وأمر بقطع يده. فلم ينطق إلا أنه حرك شفتيه، فقام من حضر من العلماء فقالوا: أصلح الله الأمير، إن ابن عجلان فقيه المدينة وعابدها، وإنما شبه عليه وظن أنه المهدي الذي جاءت فيه الرواية، ولم يزالوا يرغبون إليه حتى تركه.

ولزم عبيد الله بن عمر ضيعة له واعتزل فيها، وخرج أخواه عبد الله، وأبو بكر مع محمد بن عبد الله ولم يقتلا، عفا عنهما المنصور. واختفى جعفر الصادق وذهب إلى مال له بالفرع معتزلا للفتنة رحمه الله، ثم إن محمدا استعمل عماله على المدينة ولم يتخلف عنه من الوجوه إلا نفر، منهم الضحاك بن عثمان، وعبد الله بن منذر الحزاميان، وخبيب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير.

قال سعد بن عبد الحميد بن جعفر: أخبرني غير واحد أن مالكا استفتي في الخروج مع محمد وقيل له: إن في أعناقنا بيعة للمنصور، فقال: إنما بايعتم مكرهين وليس على مكره يمين، فأسرع الناس إلى محمد ولزم مالك بيته.

قال أبو داود السجستاني: كان سفيان الثوري يتكلم في عبد الحميد بن جعفر لخروجه مع محمد ويقول: إن مر بك المهدي وأنت في البيت فلا تخرج إليه حتى يجتمع عليه الناس. وذكر سفيان صفين فقال: ما أدري أخطأوا أم أصابوا.

وقيل: أرسل محمد إلى إسماعيل بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وقد شاخ ليبايعه فقال: يا ابن أخي، أنت والله مقتول، كيف أبايعك؟ فارتدع الناس عنه قليلا، فأتته حمادة بنت معاوية بن عبد الله فقالت: يا عم، إن إخوتي قد أسرعوا إلى ابن خالهم فلا تثبط عنه الناس فتقتل ابن خالي وإخوتي، فأبى إلا أن ينهى عنه، فيقال: إنها قتلته، فأراد محمد الصلاة عليه، فقال ابنه عبد الله: تقتل أبي وتصلي عليه؟ فنحاه الحرس وصلى محمد. ثم إنه استعمل على مكة الحسن بن معاوية بن عبد الله بن جعفر، وعلى اليمن القاسم بن إسحاق، فقتل القاسم قبل أن يصل إليها، واستعمل -[٧٨٤]- على الشام موسى بن عبدة ليذهب إليها ويدعو إلى محمد فقتل محمد قبل أن يصل موسى. وكان محمد شديد الأدمة جسيما فيه تمتمة.

وروى عباس بن سفيان عن أشياخ له قالوا: لما ظهر محمد قال المنصور لإخوته: إن هذا الأحمق يعني عبد الله بن علي، وكان في سجنه لا يزال يطلع له الرأي الجيد في الحرب فادخلوا عليه فشاوروه ولا تعلموه أني أمرتكم، فدخلوا عليه جميعا، فلما رآهم قال: لأمر ما جئتم وما جاء بكم جميعا وقد هجرتموني من دهر؟ قالوا: استأذنا أمير المؤمنين فأذن لنا. قال: ليس هذا بشيء فما الخبر؟ قالوا: خرج محمد. قال: فما ترون ابن سلامة صانعا، يعني المنصور، قالوا: لا ندري. قال: إن البخل قد قتله فمروه أن يخرج الأموال ويعط الأجناد فإن غلب فما أوشك أن يعود إليه ماله.

قال: وجهز المنصور عيسى بن موسى لحرب محمد وكتب إليه: ﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض

فسادا﴾ إلى قوله: ﴿إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم﴾ الآية. ولك عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسوله إن تبت ورجعت أؤمنك وجميع أهل بيتك وأفعل لك وأعطيك ألف ألف درهم وما سألت من الحوائج، فكتب جوابه إلى المنصور: من المهدي محمد بن عبد الله أبي عبد الله: ﴿طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلو عليك﴾ إلى قوله ﴿ما كانوا يحذرون﴾ وأنا أعرض عليك من الأمان مثل ما عرضت علي، فإن الحق حقنا، وإنما ادعيتم هذا الأمر بنا، ثم ذكر شرفه، وأبوته حتى إنه قال: فأنا ابن أرفع الناس درجة في الجنة، وابن أهونهم عذابا في النار، وأنا ابن خير الأخيار، وابن خير الأشرار، وابن خير أهل الجنة، وابن خير أهل النار، وأنا أوفى بالعهد منك لأنك أعطيتني من العهد والأمان ما أعطيته رجالا قبلي، فأي الأمانات تعطيني! أمان ابن هبيرة، أم أمان عمك عبد الله بن علي، أم أمان أبي مسلم. -[٧٨٥]-

فأجابه المنصور: جل فخرك بقرابة النساء، لتضل به الغوغاء، لم يجعل الله النساء كالعمومة، بل جعل العم أبا، وأما ما ذكرت من كذا، فأمره كذا، ولقد بعث الله محمدا - صلى الله عليه وسلم - وله أعمام أربعة، فأجاب اثنان، أحدهما أبي، وأبى اثنان، أحدهما أبوك، فقطع الله ولايتهما منه، ولا ينبغي لك ولا لمؤمن أن يفخر بالنار. وفخرك بأنك لم تلدك أمة فتعديت طورك وفخرت على من هو خير منك، إبراهيم ابن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وما خيار بني أبيك إلا بنو إماء، ما ولد فيكم بعد وفاة النبي - صلى الله عليه وسلم - أفضل من علي بن الحسين، وهو لأم ولد، وهو خير من جدك، وما كان فيكم بعده مثل ابنه محمد بن علي، وجدته أم ولد، وهو خير من أبيك، ولا مثل ابنه جعفر بن محمد، وهو خير منك، وأما قولك إنكم بنو رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فإن الله قال في كتابه ﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم﴾، ولكنكم بنو ابنته، وأما ما فخرت به من علي، وسابقته، فقد حضرت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الوفاة فأمر غيره بالصلاة، ثم أخذ الناس رجلا بعد رجل فلم يأخذوه، وكان في ستة أهل الشورى فتركوه، ثم قتل عثمان، وهو به متهم، وقاتله طلحة والزبير، وأبى سعد بيعته وأغلق دونه بابه، ثم طلبها بكل وجه، وقاتل عليها، وتفرق عنه عسكره، وشك فيه شيعته قبل الحكومة، ثم حكم حكمين رضي بهما وأعطاهما عهده وميثاقه، فاجتمعا على خلعه، ثم قام بعده حسن فباعها من معاوية بدراهم وثياب ولحق بالحجاز، وأسلم شيعته بيد معاوية ودفع الأمر إلى غير أهله، وأخذ مالا من غير ولاته، فإن كان لكم فيها شيء فقد بعتموه. ثم خرج الحسين بن علي على ابن مرجانة فكان الناس معه عليه حتى قتلوه، ثم خرجتم على بني أمية فقتلوكم وصلبوكم حتى قتل يحيى بن زيد بن علي بخراسان، وقتلوا رجالكم وأسروا الصبية والنساء، وحملوكم بلا وطاء في المحامل إلى الشام حتى خرجنا على بني أمية فطلبنا بثأركم وأدركنا بدمائكم وفضلنا سلفكم فاتخذت ذلك علينا حجة، وظننت إنما ذكرنا أباك وفضلناه للتقدمة منا له على حمزة والعباس، وجعفر، وليس -[٧٨٦]- كما ظننت، ولقد خرج هؤلاء من الدنيا سالمين، مجتمع عليهم بالفضل، وابتلي أبوكم بالقتال والحرب، فكانت بنو أمية تلعنه كما تلعن الكفرة في الصلاة المكتوبة، فاحتججنا له وذكرنا فضله - رضي الله عنه -.

وكان محمد قد أخرج من السجن بالمدينة محمد بن خالد القسري، فرأى القسري أن الأمر ضعيف، فكتب إلى المنصور في أمره فبلغ محمدا فحبسه.

قال ابن عساكر: ذبح ابن خضير أحد أعوان محمد رياح بن عثمان في هذه السنة.

وأما ابن معاوية فلما مضى إلى مكة كان في سبعين راكبا وسبعة أفراس فقاتل السري أمير مكة فقتل سبعة من أصحاب

السري، فانهزم السري ودخل ابن معاوية مكة فخطب ونعى إليهم المنصور، ودعا لمحمد، ثم بعد أيام أتاه كتاب محمد يأمره باللحاق به، فجمع جموعا تقدم بها على محمد، فلما كان بقديد بلغه مصرع محمد فانهزم إلى البصرة فلحق بإبراهيم بن عبد الله حتى قتل إبراهيم.

وندب المنصور لقتال محمد ابن عمه عيسى بن موسى وقال في نفسه: لا أبالي أيهما قتل صاحبه، فجهز مع عيسى أربعة آلاف فارس، وفيهم محمد ابن السفاح، فلما وصل إلى فند كتب إلى أهل المدينة في خرق الحرير يتألفهم، فتفرق عن محمد خلق، وسار منهم طائفة لتلقي عيسى والتحيز إليه، فاستشار محمد عبد الحميد بن جعفر فقال: أنت أعلم بضعف جمعك وقلتهم، وبقوة خصمك وكثرة جنده، والرأي أن تلحق بمصر، فوالله لا يردك عنها راد فيقاتل الرجل بمثل رجاله وسلاحه، فصاح جبير بن عبد الله: أعوذ بالله أن تخرج من المدينة وقد ورد أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: " رأيتني في درع حصينة فأولتها المدينة ". ثم إن محمدا استشار: هل يخندق على نفسه، فاختلف عليه رأي أصحابه، فلما تيقن قرب عيسى بن موسى منه، حفر خندق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وحفر فيه بيده تأسيا بالنبي - صلى الله عليه وسلم -. -[٧٨٧]-

وعن عثمان الزبيري قال: اجتمع مع محمد جمع لم أر أكثر منه، إني لأحسبنا قد كنا مائة ألف، فلما دنا منا عيسى خطبنا محمد فقال: إن هذا الرجل قد قرب منكم في عدد وعدد، وقد حللتكم من بيعتي، فمن أحب فلينصرف، قال: فتسللوا حتى بقي في شرذمة. وخرج الناس من المدينة بأولادهم إلى الأعوص والجبال، فلم يتعرض لهم عيسى، بل جهز خمس مائة إلى ذي الحليفة يمسكون طريق مكة على محمد، ثم راسله يدعوه إلى الطاعة وأن المنصور قد أمنه، فأرسل إليه: إياك أن يقتلك من يدعوك إلى الله فتكون شر قتيل، أو تقتله فيكون أعظم لوزرك. فأرسل إليه عيسى: ليس بيننا إلا القتال، فإن أبيت إلا القتال نقاتلك على ما قاتل عليه خير آبائك، علي طلحة والزبير على نكث بيعتهم له.

وعن ماهان مولى قحطبة قال: لما صرنا إلى المدينة أتانا إبراهيم بن جعفر بن مصعب طليعة فطاف بعسكرنا حتى حزره، ثم ذهب عنا فرعبنا منه، حتى جعل عيسى، وحميد بن قحطبة يقولان: فارس واحد يكون طليعة لأصحابه! فلما كان عنا مد البصر نظرنا إليه مقيما لا يزول، فقال حميد: ويحكم انظروا، فوجه إليه فارسين، فوجدا دابته قد عثرت به فتقوس الجوشن في عنقه فقتله، فأخذا سلبه ورجعا بتنور مذهب لم ير مثله. قيل: كان لمصعب جده أمير العراق. ثم إن عيسى أحاط بالمدينة في أثناء شهر رمضان، ثم دعا محمدا إلى الطاعة ثلاثة أيام، ثم ساق بنفسه في خمسمائة فوقف بقرب السور فنادى: يا أهل المدينة إن الله قد حرم دماء بعضنا على بعض، فهلموا إلى الأمان، فمن جاء إلينا فهو آمن، ومن دخل داره أو المسجد أو ألقى سلاحه فهو آمن، خلوا بيننا وبين صاحبنا فإما لنا وإما له، قال: فشتموه، فانصرف يومئذ ففعل من الغد كذلك، ثم عبأ جيشه في اليوم الثالث، وزحف فلم يلبث أن ظهر على المدينة، ولما التحم الحرب نادى: يا محمد إن أمير المؤمنين أمرني أن لا أقاتل حتى أعرض عليك الأمان، فلك الأمان على نفسك ومن اتبعك، وتعطى من المال كذا وكذا، فصاح: أله عن هذا، فقد علمت أنه لا يثنيني عنكم فزع، ولا يقربني منكم طمع، ثم ترجل. قال عثمان بن محمد بن خالد: فإني لأحسبه قتل يومئذ بيده سبعين رجلا. -[٧٨٨]-

وروى محمد بن زيد قال: دعا عيسى عشرة من آل أبي طالب منهم القاسم بن حسن بن زيد بن حسن بن علي، قال:

فجئنا سوق الحطابين، فدعوناهم فسبونا ورشقونا بالنبل، وقالوا: هذا ابن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – معنا ونحن معه، فقال لهم القاسم: وأنا ابن رسول الله، وأكثر من ترون معي بنو رسول الله، ونحن ندعوكم إلى كتاب الله وحقن دمائكم، ورجعنا، فأرسل عيسى حميد بن قحطبة في مائة. وجعل محمد ستور المسجد دراريع لأصحابه، وكان مع الأفطس علم أصفر فيه صورة حية.

وقال عبد الحميد بن جعفر: كنا يومئذ مع محمد بن علي عدة أصحاب بدر، ثم لقينا عيسى فتبارز جماعة.

وعن مسعود الرحال قال: شهدت مقتل محمد بالمدينة، فإني لأنظر إليهم عند أحجار الزيت، وأنا مشرف من سلع، إذ نظرت إلى رجل من أصحاب عيسى قد أقبل على فرس فدعا إلى البراز، فخرج إليه راجل عليه قباء أبيض، فنزل إليه الفارس، فقتله الراجل ورجع، ثم برز آخر من أصحاب عيسى، فبرز له ذلك الرجل، فقتله، ثم برز ثالث فقتله، فاعتوره أصحاب عيسى يرمونه، فأثبتوه، فأسرع فما وصل إلى أصحابه حتى خر صريعا، ودام القتال من بكرة إلى العصر، وطم أصحاب عيسى الخندق، وجازت الخيل، وذهب محمد يومئذ قبل الظهر، فاغتسل وتحنط، ثم جاء. قال عبد الله بن جعفر، فقلت له: بأبي أنت وأمي، ما لك بما ترى طاقة، فاخرج تلحق بالحسن بن معاوية بمكة، فإن معه جل أصحابك، فقال: لو رحت لقتل هؤلاء، فوالله لا أرجع حتى أقتل أو أقتل، وأنت مني في سعة فاذهب حيث شئت.

وقال إبراهيم بن محمد: رأيت محمدا عليه جبة ممشقة، وهو على برذون، وابن خضير يناشده الله إلا مضى إلى البصرة، ومحمد يقول: والله لا تبلون بي مرتين، ولكن اذهب فأنت في حل. فقال: وأين المذهب عنك؟ ثم مضى فأحرق الديوان وقتل رياحا في الحبس، ثم لحق محمدا بالثنية، فقاتل حتى قتل. -[٧٨٩]-

وقيل: قتل مع رياح أخاه عباس بن عثمان، وكان مستقيم الطريقة، فعاب الناس ذلك عليه، ثم إن محمدا صلى العصر وعرقب فرسه، وعرقب بنو شجاع دوابهم، وكسروا أجفان سيوفهم، فقال لهم: قد بايعتموني ولست ببائع حتى أقتل، ثم أنه حمل وهزم أصحاب عيسى مرتين، ثم جاء أصحاب عيسى من ناحية بني غفار، وجاؤوا من خلف محمد وأصحابه، فنادى محمد حميد بن قحطبة: إن كنت فارسا فابرز، فلم يبرز له، وجعل حميد يدعو ابن خضير إلى الأمان، ويشح به عن الموت، وهو يشد على الناس بسيفه مترجلا، وخالط الناس، فجاءته ضربة على أليته، وأخرى على عينه فخر، وقاتل محمد على جثته حتى قتل، وعهد الذين دخلوا المدينة من ناحية بني غفار فنصبوا علما أسود على المنارة، ودخل حميد بن قحطبة في زقاق أشجع، فهجم على محمد فقتله وهو غافل، وأخذ رأسه، وقتل معه جماعة.

وقيل: جاءت محمدا ضربة على أذنه، فبرك وجعل يذب عن نفسه بسيفه ويقول: ويحكم ابن نبيكم مظلوم، فنزل حميد فحز رأسه.

وقيل: كان مع محمد سيف رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ذو الفقار، فقد الناس به، وجعل لا يقاربه أحد إلا قتله، فجاءه سهم فوجد الموت، فكسر السيف.

وروى عمرو مولى المتوكل، وكانت أمه تخدم فاطمة بنت الحسين، قال: كان مع محمد يومئذ ذو الفقار، فلما أحس الموت أعطى السيف رجلا كان له عليه أربع مائة دينار، وقال: خذ هذا السيف فإنك لا تلقى أحدا من آل أبي طالب إلا أخذه منك وأعطاك حقك، فبقي السيف عنده حتى ولي جعفر بن سليمان المدينة فأخبر عنه، فدعاه وأعطاه أربع مائة دينار

وأخذ السيف، ثم صار إلى موسى فجرب به على كلب، فانقطع السيف.
وقال الأصمعي: رأيت الرشيد بطوس متقلدا سيفا فقال: ألا أريك -[٧٩٠]- ذا الفقار؟ قلت: بلى، قال: أسلل سيفي هذا قال: فرأيت فيه ثماني عشرة فقارة.
وكان مصرع محمد عند أحجار الزيت بعد العصر يوم الإثنين في رابع عشر رمضان سنة خمس هذه.
وقال الواقدي: عاش ثلاثا وخمسين سنة.
وقيل: أذن عيسى في دفنه، وأمر بأصحابه فصلبوا ما بين ثنية الوداع إلى دار عمر بن عبد العزيز.
وقيل: لما خرج حمزة بن عبد الله بن محمد بن علي بن أبي طالب مع محمد، كان جعفر الصادق ينهاه، وكان من أشد الناس مع محمد، وكان جعفر يقول له: هو والله مقتول.
وبعث عيسى بن موسى بالرأس إلى العراق، ثم طيف به في البلدان، وقبض عيسى على أموال بني الحسن.
وحدث أيوب بن عمر قال: لقي جعفر بن محمد أبا جعفر المنصور، فقال: يا أمير المؤمنين رد علي قطيعتي عين أبي زياد آكل منها، قال: إياي تكلم هذا الكلام! والله لأزهقن نفسك. قال: فلا تعجل علي، فقد بلغت ثلاثا وستين سنة، وفيها مات أبي وجدي، وعلي بن أبي طالب - رضي الله عنه -، فرق له، فلما مات المنصور رد المهدي على أولاد أبي جعفر عين أبي زياد.
وقال محمد بن عثمان الزبيري: لما قتل محمد، مضى أخوه موسى، وأبي وأنا ورجل من مزينة، فأتينا مكة، ثم سرنا إلى البصرة، فدخلناها ليلا، فمسكنا وأرسلنا إلى المنصور، فلما نظر إلى أبي قال: هيه أخرجت مع محمد؟ قال: قد كان ذلك، فأمر به، فضربت عنقه، وهو عثمان بن محمد بن خالد بن الزبير، ثم أمر بموسى فضرب بالسياط، ثم أمر بضرب عنقي، فكلمه في عمه عيسى بن علي وقال: ما أحسبه بلغ، فقلت: يا أمير المؤمنين، كنت غلاما تبعا لأبي، فضربت خمسين سوطا، ثم حبست حتى أخرجني المهدي. -[٧٩١]-
وقيل: بل قتل عثمان لأنه سأله أين المال؟ قال: دفعته إلى أمير المؤمنين محمد رحمه الله، فسبه، فجاوبه عثمان، فضرب عنقه.
وقيل: قال له: أنت الخارج علي؟ قال: بايعت أنا وأنت رجلا بمكة، فوفيت أنا، وغدرت أنت.
واستعمل المنصور على المدينة عبد الله بن الربيع الحارثي، فثارت عليه السودان بالمدينة. وسبب ذلك أن بعض جنده انتهب شيئا من السوق، فاجتمع الرؤساء إلى ابن الربيع وكلموه، فلم ينكر ولا غير، ثم اشترى جندي من لحام وأبى أن يوفيه الثمن، وشهر سيفه على اللحام، فطعنه اللحام بشفرته في خاصرته فسقط، فتنادى الجزارون والسودان على الجند وهم يذهبون إلى الجمعة، فقتلوهم بالعمد، فهرب ابن الربيع بالليل، وهذا تم في آخر العام.
وكان رؤوس السودان ثلاثة: وثيق، ومعقل، وربيعة، فخرج ابن أبي سبرة من السجن، فخطب ودعا الناس إلى الطاعة، فسكن الناس، ورجع ابن الربيع وقطع يد وثيق وأيدي ثلاثة معه.." (١)

---

(١) تاريخ الإسلام ت بشار، الذهبي، شمس الدين ٧٨١/٣

"٣٩٢ - ٤ م متابعة: محمد بن عجلان. مولى فاطمة بنت الوليد بن عتبة بن ربيعة، القرشي، أبو عبد الله المدني، الفقيه، [الوفاة: ١٤١ - ١٥٠ هـ]

أحد الأعلام.

روى عن: أنس بن مالك شيئا، وعن أبيه، ونافع، ومحمد بن كعب القرظي، وسعيد المقبري، وعمرو بن شعيب، وغيرهم.

وعنه: السفيانان، وبكر بن مضر، وبشر بن المفضل، وعبد الله بن إدريس، ويحيى القطان، وأبو عاصم والواقدي، وخلق سواهم.

وثقه ابن عيينة، وغيره، وكان أحد من جمع بين العلم والعمل، وكان له حلقة في مسجد النبي - صلى الله عليه وسلم -، وقد خرج مع محمد بن عبد الله بن حسن، فهم والي المدينة جعفر بن سليمان الهاشمي أن يجلده، فقالوا له: أصلحك الله، لو رأيت الحسن البصري فعل مثل هذا أكنت تضربه؟ قال: لا، قيل: فابن عجلان في أهل المدينة مثل الحسن في أهل البصرة، فعفا عنه.

وروى عباس بن نصر البغدادي عن صفوان بن عيسى قال: مكث ابن عجلان في بطن أمه ثلاث سنين فشق بطنها فأخرج وقد نبتت أسنانه. سمعها عبد العزيز بن أحمد الغافقي من عباس.

وقال يعقوب بن شيبة في " مسند علي ": حدثنا إبراهيم بن موسى الفراء، قال: حدثنا الوليد بن مسلم قال: قلت لمالك: إني حدثت عن عائشة أنها قالت: لا تحمل المرأة فوق سنتين قدر ظل مغزل، فقال: من يقول هذا؟ هذه امرأة ابن عجلان جارتنا امرأة صدق ولدت ثلاثة أولاد في ثنتي عشرة سنة تحمل أربع سنين قبل أن تلد.

وقال سعيد بن داود الزنبري: أخبرني محمد بن محمد بن عجلان قال: أنا ولدت في أربع سنين في حياة أبي.

وقال الواقدي: سمعت عبد الله بن محمد بن عجلان يقول: حمل بأبي أكثر من ثلاث سنين.

قال الواقدي: وسمعت مالكا يقول: قد يكون الحمل سنتين وأكثر -[٩٧٢]- أعرف من حمل به كذلك، يعني نفسه.

وروى أبو حاتم الرازي عن شيخ له عن ابن المبارك، قال: لم يكن بالمدينة أحد أشبه بأهل العلم من ابن عجلان كنت أشبهه بالياقوته بين العلماء - رحمة الله عليه -.

وقال يعقوب بن شيبة: ذكر مصعب الزبيري محمد بن عجلان فقال: كان له قدر وفضل بالمدينة، وكان ممن خرج مع محمد، فأراد جعفر بن سليمان قطع يده فسمع ضجة، وكان عنده الأكابر، فقال: ما هذا؟ قالوا: هذه ضجة أهل المدينة يدعون لابن عجلان فلو عفوت عنه، وإنما غر وأخطأ في الرواية، ظن أنه المهدي، فعفا عنه وأطلقه.

قال أبو بكر بن خلاد: سمعت يحيى بن سعيد يقول: كان ابن عجلان مضطرب الحديث في حديث نافع.

وقال الفلاس: سألت يحيى عن حديث ابن عجلان عن المقبري عن أبي هريرة أن رجلا قال: " يا رسول الله إن قاتلت في سبيل الله " فأبى أن يحدثني فقلت له: خالفه يحيى بن سعيد الأنصاري فقال: عن المقبري عن عبد الله بن أبي قتادة عن أبيه، فقال: أحدث به! أحدث به! كأنه يعجب.

وقال أبو زيد بن أبي الغمر: حدثنا عبد الرحمن بن القاسم، قال: قيل لمالك إن ناسا من أهل العلم يحدثون، فقال: من هم؟ قيل: ابن عجلان، فقال: لم يكن يعرف ابن عجلان هذه الأشياء، ولم يكن عالما.

قلت: هذا قاله أبو عبد الله لما بلغه أن ابن عجلان روى حديث " خلق -[٩٧٣]- الله آدم على صورته "، والحديث في الصحيح من غير طريق ابن عجلان، ولم ينفرد به ابن عجلان.

وقد وثقه أحمد، وابن معين، وحدث عنه شعبة، ومالك، وغير ابن عجلان أقوى منه.

قال الحاكم: أخرج له مسلم في كتابه ثلاثة عشر حديثا كلها في الشواهد، وقد تكلم المتأخرون من أئمتنا في سوء حفظه.

قلت: وقلما روى عنه شعبة، ومالك. وحديثه من قبيل الحسن. مات في سنة ثمان وأربعين ومائة.." (١)

"٤٠١ - محمد بن الحسن العسكري بن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم أبو القاسم العلوي الحسيني، [الوفاة: ٢٦١ - ٢٧٠ هـ]

خاتم الاثني عشر إماما للشيعة.

وهو منتظر الرافضة الذي يزعمون أنه المهدي.

وأنه صاحب الزمان، وأنه الخلف الحجة.

وهو صاحب السرداب بسامراء، ولهم أربعمائة وخمسون سنة وهم ينتظرون ظهوره. ويدعون أنه دخل سردابا في البيت -[٣٩٩]- الذي لوالده وأمه تنظر إليه، فلم يخرج منه وإلى الآن.

فدخل السرداب وعدم وهو ابن تسع سنين.

وأما أبو محمد بن حزم فقال: إن أباه الحسن مات عن غير عقب. وثبت جمهور الرافضة على أن للحسن ابنا أخفاه.

وقيل: بل ولد بعد موته من جارية اسمها نرجس أو سوسن والأظهر عندهم أنها صقيل، لأنها ادعت الحمل بعد سيدها فوقف ميراثه لذلك سبع سنين، ونازعها في ذلك أخوه جعفر بن علي، وتعصب لها جماعة، وله آخرون ثم انفش ذلك الحمل وبطل وأخذ الميراث جعفر وأخ له.

وكان موت الحسن سنة ستين ومائتين.

قال: وزادت فتنة الرافضة بصقيل هذه، وبدعواها، إلى أن حبسها المعتضد بعد نيف وعشرين سنة من موت سيدها وبقيت في قصره إلى أن ماتت في زمن المقتدر.

وذكره القاضي شمس الدين ابن خلكان فقال: وقيل: بل دخل السرداب وله سبع عشرة سنة في سنة خمس وسبعين ومائتين والأصح الأول، وأن ذلك كان في سنة خمس وستين.

قلت: وفي الجملة جهل الرافضة ما عليه مزيد. اللهم أمتنا على حب محمد وآل محمد صلى الله عليه وسلم، والذي يعتقده الرافضة في هذا المنتظر لو اعتقده المسلم في علي بل في النبي صلى الله عليه وسلم، لما جاز له ذلك ولا أقر عليه.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: " لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى فإنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله " صلوات الله عليه وسلامه.

فإنهم يعتقدون فيه وفي آبائه أن كل واحد منهم يعلم علم الأولين والآخرين، وما كان وما يكون، ولا يقع منه خطأ قط،

---

(١) تاريخ الإسلام ت بشار، الذهبي، شمس الدين ٩٧١/٣

وأنه معصوم من -[٤٠٠]- الخطأ والسهو. نسأل الله العفو والعافية، ونعوذ بالله من الاحتجاج بالكذب ورد الصدق، كما هو دأب الشيعة.." (١)

"-سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة

فيها: ظهرت الديلم، وذلك لأن أصحاب مرداويج دخلوا أصبهان، وكان من قواده علي بن بويه. فاقتطع مالا جليلا وانفرد عن مخدومه. ثم التقي هو ومحمد بن ياقوت، فهزم محمدا واستولى على فارس.

وكان بويه فقيرا صعلوكا يصيد السمك، رأى كأنه بال، فخرج من ذكره عمود نار. ثم تشعب العمود حتى ملأ الدنيا. فقص رؤياه على معبر، فقال: لا أعبرها إلا بألف درهم. فقال: والله ما رأيت عشرها، وإنما أنا صياد. ثم مضى وصاد سمكه فأعطاه إياها، فقال له: ألك أولاد؟ قال: نعم. قال: أبشر فأنهم يملكون الدنيا، ويبلغ سلطانهم على قدر ما احتوت النار التي رأيتها. وكان معه أولاده علي، والحسن، وأحمد.

ثم مضت السنون، وخرج بولده إلى خراسان، فخدموا مرداويج بن زيار الديلمي، إلى أن صار علي قائدا، فأرسله يستخرج له مالا من الكرج، فاستخرج خمسمائة ألف درهم، فأخذ المال وأتى همذان ليملكها، فغلق أهلها في وجهه الأبواب، فقاتلهم وفتحها عنوة وقتل خلقا. ثم صار إلى أصبهان وبها المظفر بن ياقوت، فلم يحاربه وسار إلى أبيه بشيراز. ثم صار إلى أرجان، فأخذ الأموال، وتنقل في النواحي، وانضم إليه خلق، وصارت خزائنه خمسمائة ألف دينار. فجاء إلى شيراز وبها ابن ياقوت، فخرج إليه في بضع عشر ألفا، وكان علي بن بويه في ألف رجل، فهابه علي وسأله أن يفرج له عن الطريق لينصرف، فأبى عليه، فالتقوا فانكسر علي، ثم أنهزم ابن ياقوت، ودخل علي شيراز.

ثم أنه قل ما عنده فنام على ظهره، فخرجت حية من سقف المجلس، فأمر بنقضه، فخرجت صناديق ملأى ذهبا، فأنفقها في جنده. وأضاق مرة فطلب خياطا يخيط له، وكان أطروشا، فظن أنه قد سعي به، فقال: والله ما عندي سوى اثنى عشر صندوقا، لا أعلم ما فيها. فأمر علي بإحضارها، فوجد فيها مالا عظيما فأخذه. وركب يوما، فساخت قوائم فرسه، فحفروه -[٤٠٧]- فوجد فيه كنزا. واستولى على البلاد، وخرجت خراسان وفارس عن حكم الخلافة.

وسيأتي من أخبار هؤلاء الثلاثة الإخوة، وأن المستكفي بالله لقب عليا " عماد الدولة ". أبا شجاع، ولقب الحسن " ركن الدولة "، ولقب أحمد " معز الدولة ". وملكوا الدنيا سنين.

وفيها: قتل القاهر أبا السرايا نصر بن حمدان وإسحاق بن إسماعيل النوبختي الذي كان قد أشار بخلافة القاهر، ألقاهما على رؤوسهما في بئر وطمت، وكان ذنبهما أنهما فيما قيل زايدا القاهر قبل الخلافة في جاريتين واشترياهما، فحقد عليهما.

ومات مؤنس الورقاني الذي حج بالناس.

وقال ثابت بن سنان: كان أبو علي بن مقلة في اختفائه يراسل الساجية والحجرية ويضربهم على القاهر ويوحشهم منه. وكان الحسن بن هارون كاتب بليق يخرج بالليل في زي المكديين أو النساء فيسعى إلى أن اجتمعت كلمتهم على الفتك بالقاهر. وكان يقول لهم: قد بنى لكم المطامير ليحبسكم. وألزموا منجم سيما حتى كان يقول له: أن القاهر يقبض عليك.

---

(١) تاريخ الإسلام ت بشار، الذهبي، شمس الدين ٣٩٨/٦

وهاجت الحجرية وقالوا: تريد أن تحبسنا في المطامير؟ فحلف القاهر أنه لم يفعل، وإنما هذه حمامات للحرم. وحضر الوزير ابن خصيب وعيسى المتطبب عند القاهر، فقال لسلامة الحاجب: اخرج فاحلف لهم. ففعل، فسكنوا.

ثم بكروا على الشر إلى دار القاهر، وكان نائما سكرانا إلى أن طلعت الشمس، ونبهوه فلم ينتبه لشدة سكره، وهرب الوزير في زي امرأة، وكذا سلامة الحاجب. فدخلوا بالسيوف على القاهر، فأفاق من سكره، وهرب إلى سطح حمام فاستتر، فأتوا مجلس القاهر وفيه عيسى الطبيب، وزيرك الخادم، واختيار القهرمانة، فسألوهم، فقالوا: ما نعرف له خبرا. فرسموا عليهم. ووقع في أيديهم خادم له فضربوه، فدلهم عليه، فجاؤوه وهو على السطح وبيده سيف مسلول، فقالوا: انزل. فامتنع، فقالوا: نحن عبيدك فلم -[٤٠٨]- تستوحش منا؟ فلم ينزل. ففوق واحد منهم سهما وقال: انزل وإلا قتلتك. فنزل إليهم، فقبضوا عليه في سادس جمادى الآخرة.

وأخرجوا أبا العباس محمد ابن المقتدر وأمه، وبايعوه بالخلافة ولقبوه الراضي بالله، فأحضر علي بن عيسى وأخاه عبد الرحمن واعتمد على رأيهما، وأدخل علي بن عيسى، والقاضي أبو الحسين عمر بن محمد بن يوسف، والقاضي أبو محمد الحسن بن عبد الله بن أبي الشوارب، والقاضي أبو طالب ابن البهلول على القاهر، فقال له طريف السكري: ما تقول؟ قال: أنا أبو منصور محمد ابن المعتضد، لي في أعناقكم بيعة وفي أعناق الناس، ولست أبرئكم ولا أحلكم منها، فقوموا فقاموا، فلما بعدوا قال القاضي لطريف: وأي شيء كان مجيئنا إلى رجل هذا اعتقاده؟ فقطب علي بن عيسى وقال: يخلع ولا نفكر فيه. أفعاله مشهورة.

قال القاضي أبو الحسين: فدخلت على الراضي وأعدت ما جرى سرا، وأعلمته بأني أرى إمامته فرضا. فقال: انصرف ودعني وإياه. وأشار سيما مقدم الحجرية على الراضي بسمله. فأرسل سيما وطريفا إلى البيت الذي فيه القاهر، فكحل بمسمار محمى.

ثم طلب الراضي من علي بن عيسى أن يلي الوزارة، فامتنع، فقال: يتولى أخوك عبد الرحمن. فقال: لا. فاستوزر ابن مقلة بعد أن كتب له أمانا.

وقال محمود الإصبهاني: كان سبب خلع القاهر سوء سيرته وسفكه الدماء. فامتنع عليهم من الخلع فسملوا عينيه حتى سالتا على خديه. وكانت خلافته سنة ونصفا وأسبوعا.

وقال الصولي: كان أهوج، سفاكا للدماء، قبيح السيرة، كثير التلون والاستحالة، مدمن الخمر. ولولا جودة حاجبة سلامة لأهلك الحرث والنسل. وكان قد صنع حربة يحملها فلا يطرحها حتى يقتل بها إنسانا.

وقال محمد بن علي الخراساني: أحضرني القاهر يوما والحربة بين يديه، فقال: قد علمت حالي إذا وضعت هذه. فقلت: الأمان. فقال: على -[٤٠٩]- الصدق. قلت: نعم. قال: أسألك عن خلفاء بني العباس في أخلاقهم وشيمتهم.

قلت: أما السفاح، فكان مسارعا إلى سفك الدماء. سفك ألف دم. واتبعه عماله على ذلك، مثل محمد بن الأشعث بالمغرب، وعمه صالح بن علي بمصر، وخازم بن خزيمة، وحميد بن قحطبة. وكان مع ذلك سمحا بحرا، وصولا بالمال.

قال: فالمنصور؟ قلت: كان أول من أوقع الفرقة بين ولد العباس وولد أبي طالب. وكانوا قبله متفقين. وهو أول خليفة قرب المنجمين وعمل بقولهم. وكان عنده نوبخت المنجم، وعلي بن عيسى الأصطرلابي. وهو أول خليفة ترجمت له الكتب السريانية

والأعجمية ككتاب "كليلة ودمنة "، وكتاب أرسطاطاليس في المنطق، وإقليدس، وكتب اليونان. فنظر الناس فيها وتعلقوا بها. فلما رأى ذلك محمد بن إسحاق جمع المغازي والسير. والمنصور أول من استعمل مواليه وقدمهم على العرب.
قال: فما تقول في المهدي؟ قلت: كان جوادا عادلا منصفا. رد ما أخذ أبوه من أموال الناس غصبا، وبالغ في إتلاف الزنادقة وأحرق كتبهم لما أظهروا المعتقدات الفاسدة كابن ديصان، وماني، وابن المقفع، وحماد عجرد. وبنى المسجد الحرام، ومسجد المدينة، ومسجد بيت المقدس.
قال: فالهادي؟ قلت: كان جبارا متكبرا، فسلك عماله طريقه على قصر أيامه.
قال: فالرشيد؟ قلت: كان مواظبا على الجهاد والحج، وعمر القصور والبرك بطريق مكه، وبنى الثغور كأذنة، وطرسوس، والمصيصة، وعين زربة، والحدث، ومرعش. وعم الناس إحسانه. وكان في أيامه البرامكة وما اشتهر من كرمهم. وهو أول خليفة لعب بالصوالجة ورمى النشاب في البرجاس، ولعب بالشطرنج من بني العباس. وكانت زوجته بنت عمه أم جعفر زبيدة بنت جعفر ابن المنصور من أكمل النساء. وقفت الأوقاف وعملت المصانع والبرك، وفعلت وفعلت. -[٤١٠]-
قال: فالأمين؟ قلت: كان جوادا، إلا أنه انهمك في لذاته ففسدت الأمور.
قال: فالمأمون؟ قلت: غلب عليه الفضل بن سهل، فاشتغل بالنجوم، وجالس العلماء. وكان حليما جوادا.
قال: فالمعتصم؟ قلت: سلك طريقه، وغلب عليه حب الفروسية، والتشبه بملوك الأعاجم، واشتغل بالغزو والفتوح.
قال: فالواثق؟ قلت: سلك طريقة أبيه.
قال: فالمتوكل؟ قلت: خالف ما كان عليه المأمون والمعتصم والواثق من الاعتقادات، ونهى عن الجدل والمناظرات في الأهواء، وعاقب عليها. وأمر بقراءة الحديث وسماعه، ونهى عن القول بخلق القرآن، فأحبه الناس.
ثم سأل عن باقي الخلفاء، وأنا أجيبه بما فيهم، فقال لي: قد سمعت كلامك وكأني مشاهد القوم. وقام على أثري والحربة بيده، فاستسلمت للقتل، فعطف إلى دور الحرم.
وقال المسعودي: أخذ القاهر من مؤنس وأصحابه أموالا كثيرة، فلما خلع وسمل طولب بها، فأنكر فعذب بأنواع العذاب، فلم يقر بشيء. فأخذه الراضي بالله فقربه وأدناه وقال له: قد ترى مطالبة الجند بالمال، وليس عندي شيء، والذي عندك فليس بنافع لك، فاعترف به. فقال: أما إذا فعلت هذا فالمال مدفون في البستان، وكان قد أنشا بستانا فيه أصناف الشجر حملت إليه من البلاد، وزخرفه وعمل فيه قصرا، وكان الراضي مغرما بالبستان والقصر، فقال: وفي أي مكان المال منه؟ فقال: أنا مكفوف لا أهتدي إلى مكان، فاحفر البستان تجده. فحفر الراضي البستان وأساسات القصر، وقلع الشجر، فلم يجد شيئا. فقال له: وأين المال؟ فقال: وهل عندي مال، وإنما كان حسرتي في جلوسك في البستان وتنعمك، فأردت أن أفجعك فيه. فندم الراضي وأبعده وحبسه. فأقام إلى سنة ثلاث وثلاثين، ثم أخرج إلى دار ابن طاهر، فكان تارة يحبس، وتارة يطلق، فوقف يوما بجامع -[٤١١]- المنصور بين الصفوف وعليه مبطنة بيضاء وقال: تصدقوا علي، فأنا من قد عرفتم. وكان مقصوده أن يشنع على المستكفي، فقام إليه أبو عبد الله بن أبي موسى الهاشمي، فأعطاه خمسمائة درهم. وقيل: ألف درهم، ثم منع من الخروج، وعاش إلى سنة تسع وثلاثين خاملا. وعاش ثلاثا وخمسين سنة. وكان له من الولد عبد الصمد، وأبو القاسم، وأبو الفضل، وعبد العزيز. ووزر له ابن مقلة، ثم محمد بن القاسم بن عبيد الله، وكان محمد جبارا

ظالما، ثم الخصيبي.

وكان الراضي بالله أبو العباس محمد ابن المقتدر مربوعا، خفيف الجسم، أسمر، وأمه ظلوم الرومية. بويع يوم خلع القاهر، وكان هو وأخوه في حبس القاهر، وقد عزم على قتلهما. فأخرجهما الغلمان ورأسهم سيما المناخلي، وعاش سيما بعد البيعة مائة يوم.

وولى الراضي أتابكه محمد بن رائق إمارة الجيش ببغداد.

ثم أمر ابن مقلة عبد الله بن ثوابة أن يكتب كتابا فيه مثالب القاهر ويقرأ على الناس.

وصودر عيسى المتطبب على مائتي ألف دينار.

وفيها: مات مرداويج، مقدم الديلم بإصبهان. وكان قد عظم أمره، وتحدثوا أنه يريد قصد بغداد. وأنه مسالم لصاحب المجوس. وكان يقول: أنا أرد دولة العجم وأمحق دولة العرب. ثم إنه أساء إلى أصحابه، فتواطأوا على قتله في حمام.

وفيها: بعث علي بن بويه إلى الراضي يقاطعه على البلاد التي استولى عليها بثمانية آلاف ألف درهم كل سنة. فبعث له لواء وخلعا. ثم أخذ ابن بويه يماطل بحمل المال.

وفيها: في نصف ربيع الأول مات المهدي عبيد الله صاحب المغرب عن اثنتين وستين سنه. وكانت أيامه خمسا وعشرين سنة وأشهرا، وقام بالأمر بعده ابنه القائم بأمر الله أبو القاسم محمد، فبقى إلى سنة أربع وثلاثين.

وقال القاضي عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار البصري: اسم جد الخلفاء المصريين سعيد، ويلقب بالمهدي. وكان أبوه يهوديا حدادا -[٤١٢]- بسلمية. زعم سعيد هذا أنه ابن ابن الحسين بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن ميمون القداح. وأهل الدعوة أبو القاسم بن الأبيض العلوي، وغيره يزعمون أن سعيدا إنما هو ابن امرأة الحسين المذكور. وأن الحسين رباه وعلمه أسرار الدعوة، وزوجه ببنت أبي الشلغلغ فجاءه ابن سماه عبد الرحمن، فلما دخل المغرب وأخذ سجلماسة تسمى بعبيد وتكنى بأبي محمد، وسمى ابنه الحسن.

وزعمت المغاربة أنه يتيم رباه، وليس بابنه، وكناه أبا القاسم، وجعله ولي عهده. وقتل عبيد خلقا من العساكر والعلماء، وبث دعاته في الأرض. وكانت طائفة تزعم أنه الخالق الرازق، وطائفة تزعم أنه نبي، وطائفة تزعم أنه المهدي حقيقة.

وقال القاضي أبو بكر ابن الباقلاني: إن القداح جد عبيد الله كان مجوسيا. ودخل عبيد الله المغرب، وأدعى أنه علوي، ولم يعرفه أحد من علماء النسب، وكان باطنيا خبيثا، حريصا على إزالة ملة الإسلام. أعدم العلماء والفقهاء ليتمكن من إغواء الخلق. وجاء أولاده على أسلوبه. أباحوا الخمور والفروج، وأشاعوا الرفض، وبثوا دعاة، فأفسدوا عقائد خلق من جبال الشام كالنصيرية والدرزية. وكان القداح كاذبا ممخرقا. وهو أصل دعاة القرامطة.

وقال أيضا في كتاب "كشف أسرار الباطنية ": أول من وضع هذه الدعوة طائفة من المجوس وأبناء الأكاسرة. فذكر فصلا، ثم قال: ثم اتفقوا على عبد الله بن عمرو بن ميمون القداح الأهوازي وأمدوه بالأموال في سنة ثلاثين ومائتين أو قبلها، وكان مشعوذا ممخرقا يظهر الزهد، ويزعم أن الأرض تطوى له. وجد القداح هو ديصان أحد الثنوية. وجاء ابن القداح على أسلوب أبيه، وكذا ابنه، وابن ابنه سعيد بن حسين بن أحمد بن محمد بن عبد الله، وهو الذي يقال له عبيد الله. يلقب بالمهدي صاحب القيروان، وجد بني عبيد الذين تسميهم جهلة الناس الخلفاء الفاطميين.

قال ابن خلكان: اختلف في نسبه، فقال صاحب " تاريخ -[٤١٣]- القيروان ": هو عبيد الله بن الحسن بن علي بن محمد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفرالصادق.

وقال غيره: هو عبيد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق.

وقيل: هو علي بن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن الحسن بن محمد بن زين العابدين علي بن الحسين. وإنما سمى نفسه عبيد الله استتارا. وهذا على قول من يصحح نسبه. وأهل العلم بالأنساب المحققين ينكرون دعواه في النسب ويقولون: اسمه سعيد، ولقبه عبيد الله، وزوج أمه الحسين بن أحمد القداح. وكان كحالا يقدح العين.

وقيل: إن عبيد الله لما سار من الشام وتوصل إلى سجلماسة أحس به ملكها أليسع آخر ملوك بني مدرار، وأعلم بأنه الذي يدعو إليه أبو عبد الله الشيعي بالقيروان، فسجنه، فجمع الشيعي جيشا من كتامة وقصد سلجماسة، فلما قربوا قتله اليسع في السجن، وهرب. فلما دخل الشيعي السجن وجده مقتولا، وخاف أن ينتقض عليه الأمر، وكان عنده رجل من أصحابه يخدمه، فأخرجه إلى الجند، وقال: هذا المهدي.

قلت: وهذا قول منكر. بل أخرج عبيد الله وبايع الناس له، وسلم إليه الأمر، ثم ندم، ووقعت الوحشة بينهما كما قدمنا قبل هذا في موضعه من هذا الكتاب. وآخر الأمر أن المهدي قتل أبا عبد الله الشيعي وأخاه، ودانت له المغرب، وبنى مدينة المهدية، والله أعلم.

وفيها: ظهر محمد بن علي الشلمغاني المعروف بابن أبي العزاقر. وكان مستترا ببغداد، وقد شاع أنه يدعي الألوهية، وأنه يحيي الموتى وله أصحاب. فتعصب له أبو علي بن مقلة، فأحضره عند الراضي، فسمع كلامه وأنكر ما قيل عنه وقال: إن لم تنزل العقوبة على الذي باهلني بعد ثلاثة أيام وأكثره تسعة أيام، وإلا فدمي حلال. قال: فضرب ثمانين سوطا، ثم قتل وصلب.

وقتل بسببه الحسين بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب وزير المقتدر، وكان زنديقا متهما بالشلمغاني، وفي نفس الراضي منه لكونه أذاه عند المقتدر بالله.

وقتل معه أيضا أبو إسحاق إبراهيم بن أبي عون أحمد بن هلال -[٤١٤]- الأنباري الكاتب، صاحب كتاب " الأجوبة المسكتة "، وكتاب " التشبيهات "، وكتاب " بيت مال السرور ". وكان قد مرق من الإسلام وصحب ابن أبي العزاقر، وصار من المتغالين في حبه، وصرح بإلهيته، تعالى الله عما يقوله علوا كبيرا. فلما تتبعوا أصحاب ابن أبي العزاقر قالوا لإبراهيم بن أبي عون: سبه وابصق عليه. فامتنع وأرعد وأظهر الخوف، فضرب بالسياط، فلم يرجع، فضربت عنقه، وأحرق في أول ذي القعدة.

وفيها: قتل هارون بن غريب الخال، كان مقيما بالدينور، فلما ولي الراضي كاتب قواد بغداد بأنه أحق بالحضرة ورئاسة الجيش، فأجابوه، فسار إلى بغداد حتى بقي بينه وبينها يوم. فعظم ذلك على ابن مقلة الوزير ومحمد بن ياقوت والحجرية، وخاطبوا الراضي فعرفهم كراهيته له، وأمر بممانعته، فأرسل ابن مقلة إليه بأن يرجع، فقال، قد أنضم إلي جند لا يكفيهم عملي. فأرسل إليه الراضي ابن ياقوت القراريطي بأن قد قلدوك أعمال طريق خراسان، فقال للقراريطي: أن جندي لا يقنعون بهذا، ومن أحق مني بخدمة الخليفة؟ فقال: لو كنت تراعي أمير المؤمنين ما عصيته. فأغلظ له، فقام من عنده وأدى

الرسالة إلى الخليفة. وشخص إلى هارون معظم جند بغداد، فبعث إليه محمد بن ياقوت يتلطف به، فلم يلتفت. ووقعت طلائعه على طلائع ابن ياقوت، فظهر عليها، ثم تقدم إلى قنطرة النهروان، واشتبكت الحرب، فعبر هارون القنطرة، وانفرد عن أصحابة على شاطئ النهر، وهو يظن أنه يظفر بمحمد بن ياقوت، فتقنطر به فرسه فوقع، وبادره مملوك ابن ياقوت فقتله، ومزق جيشه، ونهبهم عسكر ابن ياقوت، وذلك في جمادى الآخرة.

وفيها: توفي أبو جعفر السجزي أحد الحجاب. قيل: بلغ من العمر أربعين ومائة سنة. وكان يركب وحده وحواسه جيده.

وفيها: قبض ابن مقلة على أبي العباس الخصيبي، والحسن بن مخلد -[٤١٥]- ونفاهما إلى عمان، فرجعا إلى بغداد مختفيين.

وفيها: توفي موسى ابن المقتدر.

ولم يحج الناس إلى سنة سبع وعشرين من بغداد.." (١)

"٤٢٠٥ - (خ د ت ق) محمد بن عثمان بن كرامة العجلي مولاهم أبو جعفر، وقيل: أبو عبد الله الكوفي وراق عبيد الله بن موسى يسكن بغداد.

قال مسلمة بن قاسم: بغدادي ثقة، مات سنة ست وخمسين ومائتين لعشر بقين من رجب وفي " الزهرة ": روى عنه — يعني البخاري - أربعة أحاديث.

٤٢٠٦ - (خت م٤) محمد بن عجلان القرشي مولاهم أبو عبد الله المدني.

في تاريخ المنتجيلي: كان له فضل وقدر بالمدينة، وكان ممن خرج مع محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن فأراد جعفر بن سليمان قطع يده فسمع ضجة أهل المدينة فسأل فقالوا: أهل المدينة يدعون لابن عجلان؛ فلو أن الأمير عفى عنه فإن له عند أهل المدينة قدرا، وإنما غر وأخطأ وظن أنه المهدي فعفى عنه وأطلقه.

وذكر الوليد بن مسلم أن مالك بن أنس قال: كانت امرأة محمد بن عجلان ولدت ثلاثة أبطن كل بطن في أربع سنين.

وقال ابن عيينة: رجلان صالحان يستسقى بهما محمد بن عجلان، ويزيد بن يزيد بن جابر.

وقال البخاري: ثنا ابن أبي الوزير عن مالك أنه ذكر ابن عجلان فذكر خيرا. وقال يحيى بن القطان: لا أعلم إلا أني سمعت ابن عجلان يقول: كان سعيد المقبري يحدث عن أبيه عن أبي هريرة وعن رجل عن أبي هريرة فاختلطت علي فجعلتها عن أبي هريرة.

ولما ذكره ابن حبان في كتاب " الثقات " قال: قد سمع سعيد المقبري من أبي هريرة وسمع من أبيه عن أبي هريرة فلما اختلط على ابن عجلان صحيفته، ولم يميز بينهما جعلها كلها عن أبي هريرة وليس هذا يوهن الإنسان به الصحيفة كلها في نفسها صحيحة؛ فربما قال ابن عجلان: عن سعيد عن أبيه عن أبي." (٢)

---

(١) تاريخ الإسلام ت بشار، الذهبي، شمس الدين ٤٠٦/٧

(٢) إكمال تهذيب الكمال، علاء الدين مغلطاي ٢٧١/١٠

"هريرة فذاك مما حمل عنه قديما قبل اختلاط صحيفته عليه، وما قال: عن سعيد عن أبي هريرة؛ فبعضها متصل صحيح وبعضها منقطع لأنه أسقط أباه منها فلا يجب الاحتجاج عند الاحتياط إلا بما يروي عنه الثقات المتقنون عن سعيد [ق ٤/ب] عن أبيه عن أبي هريرة، وإنما كان يوهن أمره ويضعف لو قال في الكل: سعيد عن أبي هريرة فإنه لو قال ذلك لكان كاذبا في البعض؛ لأن الكل لم يسمعه سعيد من أبي هريرة فلو قال ذلك لكان الاحتجاج به ساقطا على حسب ما ذكرناه، وتوفي سنة ثمان وأربعين ومائة.

رأيت في بعض التواريخ ولا أذكر الآن اسم مؤلفه: أن أمه ماتت وهو يضطرب في بطنها فشق بطنها وأخرج حيا وقد طلعت أسنانه.

وقال ابن سعد في الطبقة الخامسة من أهل المدينة: كان عابدا ناسكا فقيها وكانت له حلقة في المسجد، وكان يفتي وكان داود بن قيس الفراء يجلس إليه، وعن محمد بن عمر: لما أمر جعفر بقطع يده بعد أن بكته وكلمه كلاما شديدا، وأمر بقطع يده ومحمد ساكت لم يتكلم إلا أنه يحرك شفتيه بشيء ما يدرى ما هو، يظن أنه يدعو فقام من حضر من فقهاء أهل المدينة وأشرافهم؛ فقالوا: أصلح الله الأمير ابن عجلان فقيه أهل المدينة وعابدها، وإنما شبه عليه فظن أنه المهدي الذي جاءت فيه الرواية ولم يزالوا يطلبون إليه حتى تركه فولي ابن عجلان لم يتكلم حتى أتى منزله.

وذكره خليفة في الطبقة السادسة.

وفي كتاب أبي إسحاق الصريفيني وغيره: عن يحيى بن سعيد قال: قدمت الكوفة في سنة أربع وأربعين ومائة وبها ابن عجلان وبها من يطلب الحديث: فليح بن وكيع، وحفص بن غياص وعبد الله بن إدريس، ويوسف بن خالد السمتي قلنا: نأتي ابن عجلان، فقال يوسف: نقلب على هذا الشيخ حديثه ننظر أيفهمه؟ قال: فقلبوا فجعلوا ما كان عن سعيد عن أبيه، وما كان عن." (١)

"١٠٠١ - (ع) جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم المدني الصادق.

ذكره البستي في «جملة الثقات» وقال: كان من سادات أهل البيت فقها وعلما وفضلا، يحتج بروايته ما كان من غير رواية أولاده عنه؛ لأن في حديث ولده عنه مناكير كثيرة، وإنما مرض القول فيه من مرض من أئمتنا لما رأوا في حديثه من رواية أولاده، وقد اعتبرت حديثه من حديث الثقات عنه مثل: ابن جريج والثوري ومالك وشعبة وابن عيينة ووهب بن خالد وذويهم فرأيت أحاديث مستقيمة ليس فيها شيء يخالف حديث الأثبات، ورأيت في رواية ولده عنه أشياء ليس من حديثه ولا من حديث أبيه ولا من حديث جده، ومن المحال أن يلصق به ما جنت يدا غيره.

وفي كتاب أبي الشيخ ابن حيان المسمى «بالأقران»: روى جعفر بن محمد عن سفيان بن سعيد الثوري.

وفي كتاب «المقالات» لأبي المظفر طاهر بن محمد الإسفرائيني: الناووسية يزعمون أن جعفر بن محمد لم يمت وأنه المهدي المنتظر، وجماعة من السبائية يوافقونهم في هذا القول، ويزعمون أنه كان يعلم كل ما يحتاج إلى شيء من دين أو دنيا عقلي أو شرعي ويقلدونه في جملة أبواب الدين، حتى لو سئل واحد منهم عن جواز الرؤية على الله تعالى أو غيره مما يناسبه؟ كان

---

(١) إكمال تهذيب الكمال، علاء الدين مغلطاي ٢٧٢/١٠

جوابه أن يقول: فيه يقول جعفر.

قال أبو المظفر: وقد كذبوا على ذلك السيد الصادق.

وفي «كتاب» ابن عساكر: لما قيل له: إن حكيما الكلبي ينشد الناس بالكوفة هجاءكم. قال وما قال؟ قال:

صلبينا لكم زيدا أعلى جذع نخلة ... ولم ير زيدا بأعلى النخل يصلب

وقسيم لعثمان عليا سفاحه ... عثمان خير من علي وأطيب." (١)

"ولم يبق من العبيدية من يدعي الإمامة. ورجع الناس عن مذهبهم ولم يبق من المتمذهبين بمذهبهم إلا رهط من أهل اليمن وجمع هربوا من مصر إلى أقاصي الهند ودعوا جمعا إلى مذهبهم فأجابتهم عصبة من الحمقى، وبقي أهل مذهبهم في الهند وبعض بلاد اليمن إلى الآن. وزعم بعض من هؤلاء الضلال أن ابن العاضد قدم الهند، وادعى أنه المهدي فأطاعه قوم من الجهلة وعاش مدة، ثم مات ودفن هناك، وأذاعوا أنه قبر المهدي. والمهدوية يزورونه ويتبركون به.

ومن دعاتهم المكرم الصليحي ملك مدينة ذي جبلة من بلاد اليمن وزوج السيدة بنت الصليح القائمة مقام زوجها بعد موته.

وسبأ بن أحمد بن مظفر الصليحي الذي استولى على أكثر بلاد اليمن في جماعة من الصليحيين وعظماء اليمن وشرذمة من علمائهم.

ومن دعاتهم رؤساء القرامطة أبو سعيد القرمطي الجنابي وابنه أبو طاهر، فإنهم منهم إلا أنهم كانوا يظهرون ما يخفونه من الاعتقادات الفاسدة.

ومن دعاتهم النزارية حسن بن علي بن محمد بن الحسين بن محمد بن صباح الحميري الشهير بابن الصباح وكبار أولاده. وابن الصباح أول من ابتدع مذهب النزارية.

اللهم اعصمنا من هؤلاء الشياطين واحفظنا من البدع والأهواء بمنك وكرمك.." (٢)

"والعرب النازلين قريب تدمر ونهبهم ووصل في إغارته إلى قرب البيضاء بين القريتين وتدمر وعاد بما غنمه إلى الشرق. وجهز نائب السلطنة ٧١٧ بحلب عدة كثيرة من عسكر حلب وغيرهم من التركمان والعربان والطماعة ما يزيد على عشرة آلاف فارس فساروا إلى آمد ونهبوا أهلها المسلمين والنصارى وبالغوا في النهب الحرام فخلت آمد من أهلها.

وظهر في جبال بلاطنس من عمل اللاذقية رجل من النصيرية وادعى أنه محمد بن الحسن العسكري ثاني عشر الأئمة عند الإمامية، وقيل: زعم تارة أنه المهدي

المنتظر، وأخرى أنه علي بن أبي طالب، وطورا أنه محمد المصطفى وأن الأمة كفرة. فتبعه خلق من النصيرية نحو ثلاثة آلاف، وهجم مدينة جبلة والناس في صلاة الجمعة فنهب أموال أهل جبلة، وجرد إليه عسكر من طرابلس فلما قاربوه تفرق جمعه وهرب واختفى في تلك الجبال فتتبع وقتل وباد جمعه ولم يعد لهم ذكر، بعد أن قتل مائة وعشرون رجلا من رجاله.

---

(١) إكمال تهذيب الكمال، علاء الدين مغلطاي ٢٢٧/٣

(٢) السيوف المشرقة ومختصر الصواقع المحرقة، الألوسي، محمود شكري ص/١١٦

وفي سنة ٧٢٠ تقدمت مراسيم السلطان بإغارة العساكر على سيس فسار الجند الشامي من الساحل ودمشق وحماة وحلب فنازلوا قلعتها حتى بلغوا السور، وغنموا منها وأتلفوا الزراعات وساقوا المواشي ونهبوا وخربوا. وسار جمع عظيم من العساكر الشامية والعرب في أثر آل عيسى، وكانت منازلهم في سليمة، حتى وصلوا إلى الرحبة فعانة فهرب آل عيسى إلى ما وراء الكبيسات، وأقام السلطان موضع مهنا محمد بن أبي بكر، ثم رضي السلطان ٧٢٢ على الأمير فضل بن عيسى وأقره على إمرة العرب موضع محمد بن أبي بكر أمير آل عيسى. وجردت بعض العساكر المصرية والشامية والساحلية إلى سيس ونازلوا اياس فهربت الأرمن منها وأخلوها وألقوا النار فيها فملكها المسلمون، وخربوا ما قدروا على هدمه وعاد كل عسكر إلى بلده. وهدأت الأحوال في هذه الحقبة ولم يحدث سوى أمور طفيفة مثل قدوم مراكب فرنج جنوية ٧٣٤ إلى بيروت، قاتلوا أهلها يومين ودخلوا البرج وأخذوا الأعلام السلطانية والمراكب. وكان السلطان يعتقل بعض الخوارج عليه أو من يرى في سيرهم ما يدعو إلى الشبهة ثم يطلقهم وينعم عليهم، وربما أخر." (١)

"تبلغ درجة التعصب؛ ذلك أن أبا عبد الله قام في بلاد تونس عام ٩٠٥ وأخذ يدعو إلى المذهب الشيعي وإلى عقيدة الأئمة السبعة، ويبشر بقرب ظهور المهدي؛ وقد بلغ من قوة أتباعه البربر أن استطاع إزالة حكم الأغالبة من القيروان. وكان قد أعد العدة لتحقيق ما أثاره في أتباعه من آمال مرتقبة فاستدعى من بلاد العرب عبيد الله بن محمد، وزعم أنه حفيد عبد الله إمام الإسماعيلية، وأعلن أنه المهدي المنتظر، ونادى به ملكا (٩٠٩)، وما لبث هذا الداعية أن قتل بأمر مليكه. وقال عبيد الله إن نسبه يمتد إلى السيدة فاطمة بنت النبي (صلى الله عليه وسلم) وسمى أسرته بالأسرة الفاطمية نسبة لها. واستعاد شمال إفريقية تحت حكم الأغالبة والفاطميين ما عرفه من رخاء في أيام مجد قرطاجنة تحت حكم الرومان. ذلك أن الفاتحين المسلمين في عنفوان شبابهم في القرن التاسع أنشئوا ثلاث طرق كبرى يتراوح طولها بين ١٥٠٠ و٢٠٠٠ ميل تخترق الصحراء الكبرى إلى بحيرة شاد وتمبكتو، كما أنشئوا من الثغور في الشمال والغرب بونة، ووهران، وسبتة، وطنجة؛ وقامت تجارة عظيمة مربحة ربطت بلاد السودان بالبحر المتوسط، وبلاد الإسلام الشرقية بمراكش والأندلس، ونقل المهاجرون الأسبان إلى مراكش الصناعات الجلدية؛ وأضحت مدينة فاس مركزا لتبادل التجارة مع أسبانيا، واشتهرت بأصباغها وعطورها، وطرابيشها الحمر والمغربية.

وانتزع الفاطميون في عام٩٦٩ مصر من بني الإخشيد، وما لبثوا أن بسطوا حكمهم على بلاد العرب والشام. ونقل المعز الخليفة الفاطمي عاصمة ملكه إلى القاهرة؛ وكانت امتدادا للقطائع في جهة الشمال الشرقي كما كانت القطائع نفسها امتدادا للفسطاط في هذا الاتجاه. وحذا المعز حذو أسلافه فشرع بغزو البلاد ويفتح الأمصار. وفي عهد المعز (٩٤٣ – ٩٧٥) وابنه العزيز (٩٧٥ – ٩٩٦) أعاد يعقوب بن كلس–وهو يهودي من بغداد اعتنق الإسلام– تنظيم الإدارة." (٢)

"تاريخ الإسلام للذهبي الجزء السابع الصفحة ٢٦٦

وقال الأسود بن شيبان، عن خالد بن سمير قال: لما ظهر المختار الكذاب بالكوفة هرب منه ناس، فقدموا علينا البصرة،

---

(١) خطط الشام، محمد كرد علي ١٤٣/٢

(٢) قصة الحضارة، ول ديورانت ٢٦٦/١٣

فكان منهم وموسى بن طلحة، وكان في زمانه يرون أنه المهدي فغسشيناه، فإذا هو رجل طويل السكوت شديد الكآبة والحزن إلى أن رفع رأسه فقال: والله لأن أعلم أنها فتنة لها انقضاء أحب إلي من كذا وكذا وأعظم الخطر فقال له رجل: يا أبا محمد، وما الذي ترهب أن يكون أعظم من الفتنة قال: الهرج، قالوا: وما الهرج قال: الذي كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثونا القتل القتل حتى تقوم الساعة وهم على ذلك. وروى صالح بن موسى الطلحي، عن عاصم بن أبي النجود قال: فصحاء الناس ثلاثة: موسى بن طلحة التيمي، وقبيصة بن جابر الأسدي، ويحيى بن يعمر، وقال مثل ذلك عبد الملك بن عمير، وعن موسى بن طلة قال: صحبت عثمان رضي الله عنه ثنتي عشرة سنة. وقال ابن موهب: رأيت موسى بن طلحة يخضب بالسواد. وقال عيسى بن عبد الرحمن: رأيت على موسى بن طلحة برنس خز. توفي آخر سنة ثلاث ومائة على الصحيح.)." (١)

"تاريخ الإسلام للذهبي الجزء التاسع الصفحة ٢٢

ليلة، قال راوي القصة: إنا لعنده، إذ سمعت التكبير فقام رياح فاختفى وخرجنا نحن فكان ظهور محمد بالمدينة في مائتي رجل وخمسين رجلا، فمر بالسوق ثم مر بالسجن، فأخرج من فيه، ودخل داره وأتى على حماره وذلك في أول رجب، ثم أمر برياح وابني مسلم فحبسوا بعد أن مانع أصحاب رياح بعض الشيء. ولما خطب محمد حمد الله تعالى، ثم قال: أما بعد، فإنه كان من أمر هذا الطاغية عدو الله أبي جعفر ما لم يخف عليكم من بنائه القبة الخضراء التي بناها معاندة لله في ملكه وتصغيرا لكعبة الله، وإنما أخذ الله فرعون حين قال: أنا ربكم الأعلى إن أحق الناس بالقيام في هذا الدين أبناء المهاجرين والأنصار، اللهم إنهم قد فعلوا وفعلوا فاحصهم عددا واقتلهم بددا ولا تغادر منهم أحدا. قال علي بن الجعد: مان المنصور يكتب إلى محمد بن عبد الله عن أحسن قواده يدعونه إلى الظهور ويخبرونه أنهم معه فكان محمد يقول لو التقينا لمال إلي القواد كلهم وقد خرج معه مثل ابن عجلان وعبد الحميد بن جعفر قال محمد بن سعد: خرج ابن عجلان معه فلما قتل وولي المدينة جعفر بن سليمان أتوه بابن عجلان فكلمه كلاما شديدا وقال: خرجت مع الكذاب وأمر بقطع يده. فلم ينطق إلا أنه حرك شفتيه، فقال من حضر من العلماء فقالوا: أصلح الله الأمير، إن ابن عجلان فقيه المدينة وعابدها، وإنما شبه عليه وظن أنه المهدي الذي جاءت فيه الرواية، ولم يزالوا يرغبون إليه حتى تركه، ولزم عبيد الله بن عمر ضيعة له واعتزل فيها، وخرج أخواه عبد الله وأبو بكر مع محمد بن عبد الله ولم يقتلا، عفا عنهما المنصور. واختفى جعفر الصادق وذهب إلى مال له بالفراغ معتزلا للفتنة رحمه الله، ثم إن محمدا

٩...." (٢)

"تاريخ الإسلام للذهبي الجزء التاسع الصفحة ٢٨١

عجلان في بطن أمه ثلاث سنين فشق بطنها فأخرج وقد نبتت أسنانه. سمعها عبد العزيز بن أحمد الغافقي من عباس. وقال يعقوب بن شيبة في مسند علي: ثنا إبراهيم بن موسى الفراء ثنا الوليد بن مسلم قال: قلت لمالك: إني حدثت عن عائشة

(١) تاريخ الإسلام للإمام الذهبي، ٢٦٦/٧

(٢) تاريخ الإسلام للإمام الذهبي، ٢٢/٩

أنها قالت: لا تحمل المرأة فوق سنتين قدر ظل مغزل، فقال: من يقول هذا هذه امرأة ابن عجلان جارتنا امرأة صدق ولدت ثلاثة أولاد في اثنتي عشرة سنة تحمل أربع سنين قبل أن تلد. وقال سعيد بن داود الزبيري: أخبرني محمد بن محمد بن عجلان يقول: حمل بأبي أكثر من ثلاث سنين. قال الواقدي: وسمعت مالكا يقول: قد يكون الحمل سنتين وأكثر أعرف من حمل به كذلك، يعني نفسه. وروى أبو حاتم الرازي عن شيخ له عن ابن المبارك قال: لم يكن بالمدينة أحد أشبه بأهل العلم من ابن عجلان كنت أشبهه بالياقوتة بين العلماء رحمة الله تعالى عليه. وقال يعقوب بن شيبة: ذكر مصعب الزبيري محمد بن عجلان فقال: كان له قدر وفضل بالمدينة، وكان ممن خرج مع محمد فأراد جعفرر بن سليمان قطع يده فمسح ضجة، وكان عنده الأكابر فقال: ما هذا قالوا: هذه ضجة أهل المدينة يدعون لابن عجلان فلو عفوت عنه، وإنما غر وأخطأ في الرواية ظن أنه المهدي، فعفا عنه وأطلقه. قال أبو بكر بن خلاد: سمعت يحي بن سعيد يقول: كان ابن عجلان مضطرب الحديث في حديث نافع.

٩...." (١)

"تاريخ الإسلام للذهبي الجزء العشرون الصفحة ١٦١

أبو القاسم العلوي الحسيني، خاتم الإثني عشر إماما للشيعة. وهو منظر الرافضة الذي يزعمون أنه المهدي. وأنه صتحب الزمان، وأنه الخلف الحجة. وهو صاحب السرداب بسامراء، ولهم أربعمائة وخمسون سنة ينتظرون ظهوره. ويدعون أنه دخل سردابا في البيت الذي لوالده وأمه تنظر إليه، فلم يخرج منه وإلى الآن. فدخل السرداب وعدم وهو ابن تسع سنين. وأما أبو محمد بن حزم فقال: إن أباه الحسن مات عن غير عقب. وثبت جمهور الرافضة على أن للحسن أبنا أخفاه. وقيل: بل ولد بعد موته من جارية أسمها نرجس أو سوسن. والأظهر عندهم أنها صقيل، لأنها ادعت الحمل به بعد سيدها فوقف ميراثه لذلك سبع سنين، ونازعها في ذلك أخوه جعفر بن علي، وتعصب لها جماعة، وله آخرون. ثم انفش ذلك الحمل وبطل وأخذ الميراث جعفر وأخ له. وكان موت الحسن سنة ستين ومائتين. قال: وزادت فتنة الرافضة بصقيل هذه، وبدعواها، إلى أن حبسها المعتضد بعد نيف وعشرين سنة من موت سيدها وبقيت في قصره إلى أن ماتت في زمن مقتدر. وذكره القضي شمس الدين بن خلكان فقال: وقيل: بل دخل السرداب وله سبع عشرة سنة في سنة خمس وسبعين ومائتين. والأصح الأول، وأن ذلك كان سنة خمس وستين.) قلت: وفي الجملة جهل الرافضة ما عليه مزيد. الهم أمتنا على حب محمد وآل محمد صلى الله عليه وسلم، والذي يعتقده الرافضة في هذا المنتظر لو اعتقد المسلم في علي بل في النبي صلى الله عليه وسلم، لما جاز له ذلك ولا أقر عليه. قال النبي صلى الله عليه وسلم: لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى فإنما أنا عبد،." (٢)

"تاريخ الإسلام للذهبي الجزء الرابع والعشرون الصفحة ٢٢

٤ (مقاطعة ابن بويه للراضي على البلاد)

وفيها بعث علي بن بوية إلى الراضي يقاطعه على البلاد التي استولى عليها بثمانية آلاف ألف درهم كل سنة. فبعث له

---

(١) تاريخ الإسلام للإمام الذهبي، ٢٨١/٩

(٢) تاريخ الإسلام للإمام الذهبي، ١٦١/٢٠

لواء وخلعا. ثم أخذ ابن بوية يماطل بحمل المال.

٤ (وفاة المهدي صاحب المغرب)

وفيها في نصف ربيع الأول مات المهدي عبيد الله صاحب المغرب عن اثنتين وستين سنة. وكانت أيامه خمسا وعشرين سنة وأشهرا وقام بالأمر بعده ابنه القائم بأمر الله أبو القاسم محمد، فبقي إلى سنة أربع وثلاثين.)

٤ (نسب المهدي)

وقال القاضي عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار البصري: اسم جد الخلفاء المصريين سعيد، ويلقب بالمصري. وكان أبوه يهوديا حدادا بسلمية. زعم سعيد هذا أنه ابن ابن الحسين بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن ميمون القداح. وأهل الدعوة أبو القاسم بن الأبيض العلوي، وغيره يزعمون أن سعيدا إنما هو ابن امرأة الحسين المذكور. وأن الحسين رباه وعلمه أسرار الدعوة، وزوجه ببنت أبي الشلغلغ فجاءه ابن سماه عبد الرحمن، فلما دخل المغرب وأخذ سجلماسة تسمى بعبيد وتكنى بأبي محمد، وسمى ابنه الحسن. وزعمت المغاربة أنه يتيم رباه، وليس بابنه، وكناه أبا القاسم، وجعله ولي عهده. وقتل عبيد خلقا من العساكر والعلماء، وبث دعاته في الأرض. وكانت طائفة تزعم أنه الخالق الرازق، وطائفة تزعم أنه نبي، وطائفة تزعم أنه المهدي حقيقة.." (١)

"تاريخ الإسلام للذهبي الجزء السادس والثلاثون الصفحة ١١٣

كبرائها. فأتى فاس، وأظهر الأمر بالمعروف، وكان جل ما يدعو إليه علم الاعتقاد على طريقة الأشعرية. وكان أهل المغرب ينافرون هذه العلوم، ويعادون من ظهرت عليه. فجمع والي فاس الفقهاء له، فناظرهم، فظهر عليهم لأنه وجد جوا خاليا وناسا لا علم لهم بالكلام، فأشاروا على المتولي بإخراجه. فسار إلى مراكش، وكتبوا بخبره إلى ابن تاشفين، فجمع له الفقهاء، فلم يكن فيهم من يعرف المناظرة إلا مالك بن وهيب، وكان متفننا قد نظر في الفلسفة. فلما سمع كلامه استشعر حدته وذكاءه فأشار على أمير المسلمين ابن تاشفين بقتله، وقال: هذا لا تؤمن غائلته، وإن وقع في بلاد المصامدة قوي شره، فتوقف عن قتله دينا، فأشار عليه) بحبسه، فقال: علام أسجن مسلما لم يتعين لنا عليه حق. ولكن يخرج عنا. فذهب هو وأصحابه إلى السوس، ونزل تينمل. ومن هذا الموضع قام أمره، وبه قبره، فلما نزله اجتمع إليه المصامدة، فشرع في بث العلم والدعاء إلى الخير. وكتم أمره، وصنف لهم عقيدة بلسانهم، وعظم في أعينهم، وأحبته قلوبهم. فلما استوثق منهم دعا إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونهاهم عن سفك الدماء، فأقاموا على ذلك مدة، وأمر رجالا منهم ممن استصلح عقولهم بنصب الدعوة. واستمال رؤساء القبائل، وأخذ يذكر المهدي ويشوق إليه، وجمع الأحاديث التي جاءت في فضله، فلما قرر عندهم عظمة المهدي ونسبه ونعته، ادعى ذلك لنفسه، وقال: أنا محمد بن عبد الله، وسرد له نسبا إلى علي عليه السلام، وصرح بدعوى العصمة لنفسه، وأنه المهدي المعصوم، وبسط يده للمبايعة فبايعوه، فقال: أبايعكم على ما أبايع عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم، وصنف لهم تصانيف في العلم، منها كتاب سماه أعز ما يطلب، وعقائد على مذهب الأشعري في أكثر المسائل إلا في إثبات الصفات، فإنه وافق المعتزلة في نفيها، وفي

(١) تاريخ الإسلام للإمام الذهبي، ٢٢/٢٤

مسائل غيرها قليلة. وكان يبطن شيئا من التشيع. ورتب أصحابه طبقات، فجعل منهم العشرة، وهم الأولون السابقون إلى إجابته. وهم الملقبون بالجماعة.." (١)

"تاريخ الإسلام للذهبي الجزء السادس والثلاثون الصفحة ١١٥

ابن أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين، فلما تراءى الجمعان كلموا المرابطين بما أمرهم به ابن تومرت، فردوا عليهم أسوأ رد، ووقع القتال، فانهزم المصامدة، وقتل منهم مقتلة، ونجا عبد المؤمن. فلما بلغ الخبر ابن تومرت قال: أليس قد نجا عبد المؤمن قيل: نعم. قال: لم يفقد أحد. ثم أخذ يهون عليهم، ويقرر عندهم أن قتلاهم شهداء، فزادهم حرصا على الحرب. وقال الأمير عزيز في كتاب الجمع والبيان في أخبار القيروان إن ابن تومرت أقام بتينمل، وسمى أصحابه وأتباعه بالموحدين، والمخالفين أمره: مجسمين. وأقام على ذلك نحو العام، فاشتهر أمره سنة خمس عشرة، وبايعته هرغة على أنه المهدي، فجهز له علي بن يوسف جيشا من الملثمين، فقال ابن تومرت لأصحابه الذين بايعوه: إن هؤلاء قد جاءوا في طلبي، وأخاف عليكم منهم، والرأي أن أخرج عنكم بنفسي إلى غير هذه البلاد) لتسلموا أنتم. فقام بين يديه ابن توفيان، من مشايخ هرغة، وقال له: تخاف شيئا من السماء قال: لا، بل من السماء تنصر. فقال ابن توفيان: فدع كل من في الأرض يأتينا. ووافقه جميع قبيلته على ذلك القول. فقال: إنما أردت أن أختبر صبركم وثباتكم وأما الآن، فابشروا بالنصر، وأنكم تغلبون هؤلاء الشرذمة، وبعد قليل تستأصلون دولتهم، وترثون أرضهم. فالتقوا جيش الملثمين فهزموهم، وأخذوا الغنيمة، ووثقت نفوسهم بالمهدي، وأقبلت إليه أفواج القبائل من النواحي ووحدت قبيلة هنتانة، وهي من أقوى القبائل إلى أن قال: ثم نهج لهم طريق التودد والآداب، فلا يخاطبون الواحد منهم إلا بضمير الجمع في وقار وبشاشة، ولا يلبسون إلا الثياب القصيرة الرخيصة، ولا يخلون يوما من طراد ومناصفة ونضارة. وكان في كل قبيلة قوم أشرار مفسدون، فنظر." (٢)

" الظنون به فكثرت أتباعه فاستحضره أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين فناظر بحضرته الفقهاء فقطعهم ، فأشير على ابن تاشفين بقتله أو تخليده في الحبس فأبى وأخرجه من مراكش فسار المهدي إلى أغمات ولحق بالجبل فاجتمع عليه الناس ، وادعى أنه المهدي الذي وعد النبي [ ] بخروجه ، فاستفحل أمره وقام عبد المؤمن بن علي في عشرة أنفس وقالوا له : أنت المهدي وبايعوه على ذلك ، وتبعهم غيرهم فأرسل ابن تاشفين إليه جيشا فهزمهم فأقبلت القبائل تبايعه ، وعظم أمره واستوطن جبلا عند سمليك ورأى في جموعه قوما خافهم فقال : إن الله أعطاني نورا أعرف به أهل الجنة من أهل النار ، وجمع الناس إلى رأس جبل وجعل يقول عن كل من يخافه هذا من أهل النار فيلقى من رأس الشاهق ، ويقول عمن لا يخافه هذا من أهل الجنة فيجعل عن يمينة حتى قتل على ما قيل سبعين ألفا ، وأمن على نفسه وسمى مطيعيه الموحدين ، وما برح يعلو إلى سنة أربع وعشرين وخمسمائة فجهز أربعين ألفا فيهم التونشريشي وعبد المؤمن فحصروا أمير المسلمين بمراكش عشرين يوما ثم كشف متولي سجلماسة بالعساكر عن مراكش وطلع أهل مراكش وأمير المسلمين واقتتلوا فقتل التونشريشي وصار عبد المؤمن مقدم العسكر فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم عبد المؤمن فهرب ليلا بالعسكر إلى

---

(١) تاريخ الإسلام للإمام الذهبي، ١١٣/٣٦

(٢) تاريخ الإسلام للإمام الذهبي، ١١٥/٣٦

الجبل وبلغ المهدي وهو مريض ذلك فسأل عن عبد المؤمن فقيل إنه سالم فقال المهدي لم يمت أحد ، وأوصى أصحابه باتباع عبد المؤمن وعرفهم أنه هو الذي يفتح البلاد وسماه أمير المؤمنين ، ثم مات في مرضه وعمره إحدى وخمسون سنة ، وولايته عشر سنين . وعاد عبد المؤمن فأقام في تنمتليك يؤلف القلوب إلى سنة ثمان وعشرين وخمسمائة ، ثم سار عبد المؤمن واستولى على الجبال ، وجعل علي بن يوسف بن تاشفين ابنه تاشفين يسير في الوطاءة قبالة عبد المؤمن . وفي سنة تسع وثلاثين سار عسكر عبد المؤمن إلى وهران وسار تاشفين إليهم وقرب الجمعان فلما كانت ليلة سبع وعشرين من رمضان من هذه السنة وهي ليلة عادة المغاربة تعظيمها سار تاشفين متخفيا في جماعة يسيرة ليزور مكانا على البحر فيه متعبدون للتبرك وبلغ ذلك عمر بن يحيى الهتنائي مقدم جيش عبد المؤمن فأحاط بتاشفين فركب فرسه ليهرب فسقط من جرف فهلك وجهلوه على خشبة وقتل من معه وتفرق عسكره ، وسار عبد المؤمن إلى وهران وملكها بالسيف وقتل من المسلمين ما لا يحصى ، ثم ملك قاروت إحدى مدينتي تلمسان وجعل على أغادير الثانية جيشا فحصروها وبين المدينتين شوط فرس وسار إلى فاس فملكها بالأمان في آخر سنة أربعين وخمسمائة ورتب أمرها وفتح سلا سنة إحدى وأربعين وفتح عسكره أغادير بعد حصار سنة وقتل أهلها ثم نزل مراكش وقد مات علي بن يوسف صاحبها ، ثم تاشفين بن علي . ثم ملك أخوه إسحاق بن علي بن يوسف بن تاشفين وهو صبي فحاصرها عبد

(١) ".

" وفيها : رسم السلطان أن يعمر ببلاد النصيرية في كل قرية مسجدا ويمنعوا من الخطاب . وفيها : اجتمع إلى ماردين قفل كبير تجار وجفال من الغلا وقصدوا الشام فلما وصلوا إلى خان التاجر أدركتهم فرقة من التتر من أمراء سوتاي النائب بديار بكر إلى حدود العراق واحتجوا عليهم بحجج وصاروا كلما أمسكوا منهم جماعة أبعدوا بهم وقتلوهم فأكثر الباقون الصراخ فمال التتر عليهم بالنشاب حتى قتلوا الجميع وبقي من أولاد الجفال نحو سبعين صبيا فقالوا : من يقتل هؤلاء منا فقتلهم تترى وأعطوه عن كل صبي دينارا وبلغ القتلى تسعمائة رجال ونساء وصبيان وتألم الناس لذلك ، ثم أن سوتاي أمسك من الحرامية وحبسهم وأوصل بعض المال إلى مستحقيه بعد غرامة ما بين النصف إلى الثلث . وفيها : خرج جماعة من النصيرية عن الطاعة وأقاموا شخصا زعموا أنه المهدي وقاتلوا المسلمين وادعوا أنهم كفرة فكسرهم عسكر المسلمين وقتل مقدمهم وخلقا منهم ومزقهم الله كل ممزق فلله الحمد . ثم دخلت سنة ثمان عشرة وسبعمائة : فيها كان بديار بكر والموصل وإربل وماردين والجزيرة وميافارقين غلاء وجلاء حتى بيعت الأولاد وأكلت الميتة ، وكان الشخص إذا امتنع من شراء أولاد المسلمين تجعل المرأة نفسها نصرانية ليرغب في الشراء نسأل الله العافية ونعوذ بالله من الجوع فإنه بئس الضجيع ونزح من إربل جماعة إلى جهة مراغة فأهلكهم الثلج في الطريق وكان سبب الغلاء جرادا وعدم المطر سنتين وجور التتر لموت خربنده وتغير الدول والغارات ، فسبحان الفعال لما يريد . وفيها : في صفر وصل كريم الدين إلى دمشق وأمر ببناء جامع بالقبيبات وتوجه إلى القدس وعاد إلى القاهرة وشرع في بناء الجامع . فيه : ثارت ريح عاصفة من جهة

(١) تاريخ ابن الوردي، ٢/٢٦

البحر على بيوت التركمان عند قرية المعيصرة من الجون من عمر طرابلس فتكونت عمودا أغبر صورة تنين متصل بالسحاب فما تركت شيئا من البيوت والأثاث وأهلكت جماعة وخطفت جملين وارتفعت بهما في الجو مقدار عشرة أرماح وطوت الريح قدور النحاس والصاجات وصارت قطعا ، وكان إلى جانبهم عرب فخطفت لهم أربعة أجمال إلى الجو فتقطعت الجمال قطعا ، وأهلكت دواب كثيرة ، ووقع بعدها مطر برد كبار البردة ثلاث أواق ودونها كأشطاف الحجارة منها مثلث ومربع وأصاب ذلك أربعا وعشرين قوية ، وكتب بذلك محضر وثبت عند قاضي طرابلس فنسأل الله العافية . وفيه : توفي الشيخ القدوة العالم بقية السلف محمد بن أبي بكر بن قوام البالسي بزاويته بالصالحية . قلت : ومن الله علي بزيارته حيا ثم بعد وفاته أخبرني الشيخ المقري الصالح محمد بن شامة الساكن بالباب قال : صحبت الشيخ محمد المذكور من دمشق قاصدين باب

". (١)

"كان إماما كاملا، وعالما عاملا، متمسكا بدينه، متمكنا بعقيدته ويقينه، لا يخشى سطوة أمير مكابر، ولا إمام جائر، صداعا في قوله، معتمدا على الله في قوته وحوله، لا يميل مع نفسه إلى ملائم ولا تأخذه في الله لومة لائم، وفي سنة بضع وثمانين بعد المائتين والألف حضر لدار السلطنة العلية، وعاصمة الأمة الإسلامية، في أيام خلافة أعظم ملوك الإسلام، وسيد ملوك الأنام، السلطان عبد العزيز خان، عليه الرحمة والرضوان، وكان دخول المترجم أوائل رمضان، فكان يقرأ درس الوعظ في أيا صوفيا إلى اليوم السابع والعشرين، وقد جرت العادة أن السلطان في ذلك اليوم يدور على الدروس، فمتى أتى لدرس يختم المدرس الكلام، ويدعو للسلطان، فما زال السلطان يجري العادة ومعه وكلاء الدولة العظام، وشيخ المسلمين والإسلام، إلى أن وصل لدرس المترجم، فلم يجر العادة من الختم في الحال والدعاء، بل التفت إلى الوكلاء، وخاطبهم بما لا يليق خطابهم به من كونهم أدخلوا على السلطان الغرور، وأبطلوا الشريعة وارتكبوا سفاسف الأمور، ونكسوا أعلام الدين، وقدموا المخالفين على المؤمنين، وأطال الكلام، وتجاوز الحد في هذا المقام، والسلطان صاغ إليه، فحقد الوكلاء عليه، فبعد أن ختم ذهب، وقد أضمروا له كل عطب، ثم بعد ذلك اجتمعوا وذهبوا إلى السلطان، فدخلوا عليه بعد تقديم الاستئذان وتكلموا في حق المترجم بما غير قلب أمير المؤمنين عليه، وقالوا له قد فعل ما أوجب توجيه المضرة إليه، فلا بد من إعدامه، ليتأدب غيره عن التكلم بمثل كلامه، فقال أمير المؤمنين نعم ولكن لا بد من مرافعتكم معه في مجلس شيخ الإسلام، لئلا يقول الناس قتل ظلما فنقع بين العموم في الملام، فحينما أحس شيخ الإسلام، دخل على الملك خفية عن الوكلاء العظام، ولم يزل يتعطف للسلطان، ويسترحمه بالعفو عن هذا الإنسان، ويقول له إن قتلناه قيل بالعبارات الصريحة، إن السلطان قد قتله لبذله النصيحة، ولكن نفيه أولى، ورأي أمير المؤمنين أعظم وأعلى. فأمر السلطان بنفيه في الحال، فأرسل إلى عكا من غير امهال.

مطلب قصة محمد بهاء الله رئيس البابية

---

(١) تاريخ ابن الوردي، ٢٥٨/٢

وكان ممن نفي من بلاد العجم قبله إلى عكا محمد بهاء الله رئيس البابية. والناس قد اختلفوا فيه على أنواع، فمنهم من يقول يدعي بأنه المهدي، ومنهم من يقول أنه يدعي النبوة، ومنهم من يقول يدعي الألوهية، فألف المترجم رسالة في عقيدتهم غير وافية بالمقصود، غير أني أحببت ذكرها بعد تعريبها لأنه ألفها باللغة التركية وهي: كان مبدأ ظهور البابية في تاريخ سنة ألف ومائتين وخمس وستين وهو أنه ظهر رجل في شيراز سنة خمس وعشرين ومائتين وألف، واسمه علي بن محمد بن رضا الحسيني وهو رجل تاجر، فذهب إلى مكة لمصداق الأحاديث من أن المهدي يظهر من مكة، ووقف عند مقام إبراهيم يوم الجمعة والخطيب على المنبر وصاح بأعلى صوته أنه هو المهدي وأنه قد ظهر، فأخذه رفقاءه في الحال لمنزلهم ثم ساروا به إلى شيراز، وأخذ هناك يدعو الناس إليه سرا وجهرا، ويقول لهم أنه المهدي المنتظر، فما زال يتفاقم أمره، ويعظم ذكره، وتكثر جماعته، وتزداد دعوته إلى أن سجن في السجن، وكان قبل ذلك قد سجن مرارا وشاه العجم يطلقه، ولكنه في هذه المرة، قد تجسمت منه المضرة، وطغت عليه نفسه، فصار من اللازم إهانته وحبسه، وفي السنة السابعة من ظهوره، الكاسفة لبهاء وجوده ونوره، قتل بالرصاص وهو مصلوب، وعاملته الأيام بعكس المرغوب.." (١)

"وفي هذه المدة التي مضت عليه في الحبس قد حرر ستة وتسعين مصحفا، وتمكن بعد مشقة عظيمة من إرسالها إلى خارج السجن، ووصولها إلى اخوته وجماعته، ومن بعد قتله، وصل إلى أخويه بعض من كتبه فباشرا الدعوة بالنيابة عنه، إلا أن كل واحد منهما يدعيها لنفسه ويكذب الآخر، ثم تجاذفا في دعواهما فصار كل منهما يدعي النبوة عوضا عن المهدية، وأخذا في تحرير الرسائل وإرسالها بدعوى النبوة العظمى، وطلب إلى الناس تصديقهما، وجالا في البلاد لدعوى العباد، فلما وصلا إلى مدينة ادرنة اشتد بينهما الخصام، وصار كل منهما حريصا على قتل أخيه وإلقائه في حيز الإعدام، وكان فسادهما قد سرى على بعض الناس من غير مرا، فقبضت الحكومة عليهما، وحكمت بتوجيه النفي إليهما، فنفي أحدهما إلى قبرس، والثاني إلى عكا مؤبدين. وسبب دعوى هذين النبوة إنما كان من علي بن محمد بن رضا المومى إليه أعلاه الشيعي المذهب، فإنه لما كان في السجن ادعى سنة في ابتداء أمره أنه المهدي، ثم ادعى أربع سنين أنه نبي، ثم ادعى الألوهية وصورة دعواه على المنوال الآتي: وهو أنه في قديم الزمان كل نبي عصر لما تتم مدته تنتقل أمته الموجودون إلى النبي الآخر وهكذا إلى حضرة محمد صلى الله عليه وسلم الذي تختم مدته سنة ألف ومائتين وخمس عشرين فأخذ أمته وذهب إلى المحشر، وبعد ذلك جميع ملل الأرض تخصني حيث صرت نبيا لها، وبعد سنة ألف ومائتين وخمس وثلاثين يظهر نبي أفضل مني وبه تتم مدتي، وكلما جاء نبي يكون أكمل وأعظم ممن قبله، وهذا الحكم سار من الأول الذي لا أول له إلى الآخر الذي لا آخر له. وإن كتبه التي رأيناها يفهم من بعضها أنه المهدي ومن بعضها أنه نبي ومن بعضها أنه إله؛ وذلك مبني على الأصول والقواعد الشيعية، فانهم ليس لهم ثبات على حال واحد، بل هم متقلبون ويتلونون على أنواع شتى، وقواعد البابيين كذلك فليس لهم ثبات على حال واحد، وإن القرآن الذي يدعون أنه نزل عليهم عبارة عن مواعظ وأحكام قليلة متضاربة، غير أنها توصي كثيرا بتخريب الكعبة حيث قد جعلوا مكانها مسجده الذي في شيراز، فعندهم قد بطلت الكعبة الحجازية بالكعبة الشيرازية، ويوصي بأنه يلزم اشتراء البيوت التي حول مسجد شيراز وإدخالها في المسجد للتوسعة، ويقتضى بأن يجعل له خمسة وتسعون

---

(١) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، ٣١٥/١

بابا، وأخبر في كتبه بوقوع أمور شتى إلى الآن لم يظهر منها شيء، وكذلك أخبر بانتشار أمته شرقا وغربا، وجعل السنة تسعة عشر شهرا كل شهر تسعة عشر يوما، وتأمر كتبه بالصلاة في يوم وقت الظهر فقط، وأن التوجه يكون إلى مسجده الشيرازي وهذا كله بعد موته، وأما حال حياته فإنه اتخذ لنفسه قبلة خاصة به، وكان يأمر بالصلاة تارة ركعتين وتارة تسع عشرة ركعة، وكان يحكم بأن الهواء والتراب النقي الطاهر كل منهما مطهر من النجاسة من غير ضرورة، ولهذا لا يلزم الغسل من الجنابة ولا غسل الثوب والبدن من النجاسة لتطهير الهواء لهم، وإذا استعملوا الماء إنما يستعملونه بين المنكرين تقية، ويجوز عندهم نكاح الأخت وصوم رمضان تسعة عشر يوما. وقد غير لهم نظام التركات، وإذا صلى أحدهم يقول بدل السلام الله أكبر. وبدل التحيات، وإذا أراد أحدهم السلام إن كان رجل قال الله أعظم وإن كان امرأة تقول الله أجل، وذلك كله مع أشياء أخر يطول استقصاؤها إنما هي مأخوذة عن أخيها الأول واتبعوه بعد موته على ذلك وداوموا عليه وأشاعوه في بغداد وأدرنة، إلى أن بدا بينهما البغضاء والشحناء بسبب الاختلاف في الديانة، وتسلط الأخ الكبر على قتل أتباع أخيه الصغر خفية، ولذلك فرقوا بينهما حين النفي فجعلوا الأصغر في قبرس والأكبر في عكا، ودعوى الصغر انه نبي وإن الآيات الإلهية دائما تتنزل عليه ويحررها مصاحف ويرسل بها خفية إلى إيران، فيتلقونها بالقبول والإذعان. ومما أنزل عليه وحرره في مصاحفه: أيها الإيرانيون أخي الذي في عكا شيطان لا نبي، أنتم آمنوا بي إني أنا نبي ولا تؤمنوا له فيكون مأواكم النار؛ وأمثال ذلك مما ينفر عن أخيه ويرغب فيه، وما عدا ذلك مما هو مذكور في مصاحفه المنزلة عليه، فإنه اقتباس من القرآن وتقليد له. وأما التنزلات البغدادية عليه فإنها وصايا دالة على خزي أخيه الكبر، وكان يذكر في عباراته تارة اسم شيطان وتارة اسم سفيان وتارة أسم خنزير، ومراده بالأول أخوه، وبالثاني وزير شاه." (١)

"وفي سنة سبع وتسعين ظهر رجل بالسودان يسمى محمد أحمد يقال أنه المهدي أو قائم طالب لإظهار الحق ولم يدع أنه المهدي، ويقال أنه شريف حسني، وكان قبل ظهوره مشهورا بالصلاح ومن مشايخ الطرائق، قيل إنه على طريق الشيخ السمان، وأول ظهوره أنه لما كثرت أتباعه ومريدوه وقع اختلاف بينه وبين العساكر المصرية المتملكين للسودان عمالا لصاحب مصر محمد توفيق باشا، ثم اتسع الأمر بينهم وبينه إلى القتال، وقاتلوه وقاتلهم مرارا، وكانت الغلبة لمحمد أحمد عليهم حتى استولى على كثير من بلاد السودان وأخرجهم منها، فلما دخل الإنكليز مصر صار الإنكليز هو الذي يجهز عليه العساكر ويقاتله بعساكر الإنكليز ومعهم عساكر مصر، ووقع بينهم وبينه وقائع كثيرة يطول الكلام بذكرها، والغلبة في تلك الوقائع كلها له عليهم، فتملك كردفان وكسلة والخرطوم وبربرة ودنقلة وغير ذلك، وقتل منهم خلقا كثيرا لا يحصى عددهم، وكان أمره معهم عجيبا يأتون إليه بالعساكر الكثيرة، والمدافع والآلات الشهيرة التي لا يطيق أحد مقابلتها، فيقابلهم بجيوشه السودانيين وليس معهم إلا السيف والرمح والسكاكين، فيهجمون على تلك العساكر في موضعهم ومحط جيشهم ولا يبالون بمدافعهم وآلاتهم حتى يخالطوهم ويقتلوا أكثرهم من قرب طعنا بالرماح وضربا بالسيوف والسكاكين، ويشتتون شملهم، ومنهم جماعة في براري سواكن قد ولى محمد أحمد عليهم رجلا يسمى عثمان دقنه، فجاء بمن معه من السودان لمحاصرة سواكن وإخراج الإنكليز والعساكر المصرية منها فخرجوا إليه بجيوشهم الكثيرة، وآلاتهم ومدافعهم الشهيرة، فهزمهم

---

(١) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، ٣١٦/١

عثمان ذقنة ومن معه من السودان هزيمة بعد هزيمة، وقتل الكثير منهم حتى أنهم جاؤوه في سنة ثنتين وثلاثمائة بنحو من سبعين مركبا مشحونة بالعساكر الكثيرة، والآلات والاستعدادات الوفيرة، وخرجوا لقتاله في البر قريبا من سواكن، فهزمهم وقتل أكثرهم وشتت شملهم وغنم أكثر أموالهم ودوابهم وذخائرهم وأسبابهم، وإلى هذا الوقت وهو شهر ذي الحجة من سنة ثنتين وثلاثمائة وعثمان ذقنه ومن معه من السودان في نواحي سواكن محاصرون لها، وفيها عساكر للإنكليز وصاحب مصر قيل أن جيوش محمد أحمد تبلغ ثلاثمائة ألف أو يزيدون. وأما دعوى أنه المهدي فمختلف فيها فمن الناس من يقول أنه يدعي أنه المهدي، ومنهم من يقول لم يدع أنه المهدي بل يقول أنه قائم لإظهار الحق وإقامة الشريعة وإخراج الإنكليز من مصر، والأكثر من الناس يقولون أ،ه رجل صالح على غاية من الاستقامة، ومنهم من يقدح فيه وينسب إليه خلاف ذلك، ويقول إن جيوشه يقع منهم فساد كثير، وليس لهم غرض إلا القتل والنهب، وإنهم في استيلائهم على كردفان والخرطوم وغيرهما قتلوا خلقا كثيرا من المسلمين، فيهم العلماء والصلحاء والنساء والأطفال، وقيل إن وقوع ذلك كان من بعض المفسدين منهم ولم يرض بذلك محمد أحمد ولم يأمر به، والله أعلم بحقيقة الحال. وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بأن انتصار آخر هذه الأمة في آخر الزمان يكون بالسودان فيحتمل أنهم هؤلاء ويحتمل أن يكونوا غيرهم، وانتصار المسلمين بهم في آخر الزمان مأخوذ مما ذكره الخازن في تفسيره عند تفسير قوله تعالى " ثلة من الأولين وثلة من الآخرين " من سورة الواقعة فإنه قال ما نصه: ثلة من الأولين يعني من المؤمنين الذين قبل هذه الأمة، وثلة من الآخرين يعني من مؤمنين هذه الأمة، ويدل عليه ما رواه البغوي بإسناد الثعلبي عن عروة بن رويم، وقال لما أنزل الله عز وجل قوله تعالى: " ثلة من الأولين وقليل من الآخرين " بكى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال: يا رسول الله آمنا برسول الله وصدقناه ومن ينجو منا قليل، فأنزل الله عز وجل: " ثلة من الأولين وثلة من الآخرين " ، فدعا رسل الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب وقال له: قد أنزل الله فيما قلت، فقال عمر رضي الله عنه رضينا عن ربنا وصدقنا نبينا صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من آدم إلينا ثلة، ومنا إلى يوم القيامة ثلة، ولا يستتمها إلا سودان من رعاة الإبل ممن قال لا إله إلا الله. ومثل ذلك في تفسير الخطيب الشربيني وفي التفسير المسمى بالدر المنثور للجلال السيوطي أن عروة بن رويم يروي هذا الحديث عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الحديث المذكور." (١)

"ثم إن هذا القائم بالسودان وهو المسمى محمد أحمد إما أن يكون باغيا خارجا على السلطان فيجب قتاله وإن لم يدع أنه المهدي، ويمكن أن الله أقامه لإخراج الإنكليز من مصر إعانة للدولة العثمانية ولا يريد الخروج على السلطان وإنما يريد أن يكون من جملة رعايا الدولة العثمانية ثم يكون لإعانة المهدي؛ ويؤيد ذلك ما ذكره الجلال السيوطي في رسالته التي ألفها في علامات المهدي، فإنه ذكر فيها حديثا أخرجه نعيم بن حماد عن أبي قبيل قال: يكون أمير بإفريقية اثنتي عشرة سنة ويكون بعده فتنة، فيملك رجل يملؤها عدلا، ثم يسير إلى المهدي فيؤدي إليه الطاعة ويقاتل عنه، فيمكن أنه هو هذا الرجل المسمى محمد أحمد ويمكن أنه غيره والله أعلم بأسرار غيبه. وقيل إن الذين يشيعون أنه هو المهدي إنما هم بعض أتباعه ليرغبوا عامة الناس في اتباعه والدخول في طاعته، وأما هو فإنه لم يدع أنه المهدي، بل قال بعض من اجتمع به أنه

---

(١) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، ١/٣٥٤

سمع منه بلا واسطة أنه يقول: إني لست أنا المهدي المنتظر وإنما أنا قائم لإظهار الحق وإقامة الشريعة، وأما أن ثبت أنه يدعي أنه هو المهدي المنتظر فالأمر مشكل، لأن المهدي المنتظر لا يدعي أنه المهدي ولا يطلب البيعة لنفسه ولا يقاتل الناس لتحصيلها ولا يبايع إلا وهو مكروه، بل لا يبايع الناس حتى يتهددوه بالقتل وذلك أن الله يطلع بعض من اختصه من صالحي عباده وعلى علاماته، فيدلون الناس عليه فيطلبونه فيفر منهم مرارا، ثم يمسكونه ويكرهونه على البيعة ويتهددونه بالقتل، ولا يكون ظهوره والبيعة له إلا والناس بلا خليفة، أخذا من حديث: يحصل اختلاف عند موت خليفة وهو أصح حديث روي في هذا الباب، وأما الآن فالناس لله الحمد لهم خليفة وهو أمير المؤمنين مولانا السلطان عبد الحميد بن المرحوم مولانا السلطان عبد المجيد، وبيعته في أعناق المسلمين، وسلسلة سلطنته من أحسن الدول الإسلامية مقيمين للشريعة السنية، محبين للصحابة وأهل البيت، ناصرين أهل السنة المحمدية قامعين أهل البدعة الردية، فلا يجوز خلع بيعته ولا الخروج عن طاعته، ثبت الله دولته وأبد سلطنته، فمن خلع بيعته أو ترك طاعته أو خرج عليه فهو باغ معتد. وأيضا من علامات المهدي المنتظر أن يكون من ولد فاطمة رضي الله عنها، وأن يكون ظهوره والبيعة له بمكة بين الركنين، ولا يصح أن يكون ظهوره والبيعة له بغير مكة، قال الجلال السيوطي في آخر العرف الوردي في علامات المهدي: وأما قول القرطبي أن ظهور المهدي يكون من المغرب فهو باطل، وقد تبع السيوطي على ذلك العلامة العلقمي والعلامة الصبان في رسالته التي ألفها في علامات المهدي، فكل منهما قال كما قال السيوطي، أن قول القرطبي أن ظهور المهدي يكون بالمغرب باطل، وقال بعضهم يمكن حمل كلام القرطبي على غير المهدي المنتظر، فإن كثيرا ممن ادعى نفسه أنه المهدي وكان ظهورهم بالمغرب، كمحمد بن تومرت وعبيد الله العبيدي جد ملوك إفريقية ومصر، وخلق كثير غير هذين ادعى كل واحد منهم أنه المهدي بالمغرب وغيره، وذلك لأن المهديين متعددون والمهدي المنتظر واحد، وهو الذي يكون من ولد فاطمة ويكون ظهوره بمكة، والناس بلا خليفة، ويبايع مكرها ولا يطلب البيعة لنفسه ولا يقاتل الناس لتحصيلها، ويكون في زمنه خروج المسيح الدجال ونزول عيسى عليه السلام، ويجتمع به. ومما يدل على أن المهديين متعددون والمهدي المنتظر واحد، ما ذكره العلامة ابن حجر في الصواعق المحرقة لأهل الضلال والزندقة، حيث قال حاكيا لقول من قال أن المهدي من ولد العباس، وهو والد هارون الرشيد واسمه محمد المهدي بن عبد الله المنصور بناء على الأحاديث المذكور فيها أن المهدي من ولد العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم، وقال: أنه من أحسن خلفاء بني العباس، وهو فيهم كعمر بن عبد العزيز في بني أمية، ثم قال ابن حجر موجها لقول هذا القائل: ويمكن أنه مهدي من ولد العباس وهو غير المهدي المنتظر فإن المهدي المنتظر من ولد فاطمة رضي الله عنها، ويكون في زمنه خروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام ويجتمع به، فهذه العبارة صريحة في تعدد المهديين، وجمع بعضهم بين الأحاديث التي فيها أنه من ولد فاطمة، والأحاديث التي فيها أنه من ولد العباس بطريق آخر فقال: أن المهدي المنتظر من ولد فاطمة من جهة أبيه، ومن ولد العباس من جهة أمه، بأن تكون أمه أو." (١)

"أم بعض آبائه من ولد العباس، وكلام ابن حجر في رسالته التي في علامات المهدي يقتضي أيضا تعدد المهديين وأن المهدي المنتظر واحد فإنه قال فيها:أم بعض آبائه من ولد العباس، وكلام ابن حجر في رسالته التي في علامات المهدي

---

(١) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، ٣٥٦/١

يقتضي أيضا تعدد المهديين وأن المهدي المنتظر واحد فإنه قال فيها: والذي يتعين اعتقاده ما دلت عليه الأحاديث الصحيحة من وجود المهدي المنتظر، وهو الذي يخرج الدجال وعيسى عليه السلام في زمنه، وهو المراد حيث أطلق المهدي، وأما من قبله فليس واحد منهم هو المهدي المنتظر، ويكون قبل المهدي أمراء صالحون لكنهم ليسوا مثله، فهو الأخير في الحقيقة، وكذلك غير ابن حجر ممن ألفوا رسائل في علامات المهدي كلهم يقتضي كلامهم تعدد المهديين وأن المهدي المنتظر واحد، وإنما قالوا بذلك التعدد لأنه قيل في محمد بن الحنفية أنه المهدي، وقيل في عمر بن عبد العزيز أنه المهدي، وقيل في محمد النفس الزكية ابن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط أنه المهدي، فهؤلاء أطلق على واحد منهم أنه المهدي، فيثبت بذلك تعدد المهديين قطعا، لكن ليس واحد من هؤلاء هو المهدي المنتظر، فالمهدي المنتظر واحد وهو لم يظهر إلى الآن، فيمكن حمل كلام القرطبي على غير المهدي المنتظر ممن كان خروجهم بالمغرب، ولا يمكن حمل كلامه على المهدي المنتظر لأنه إنما يظهر بمكة والناس بلا خليفة كما تقدم إيضاحه، وكذلك لا يصح قول من قال إنما يكون ظهور المهدي المنتظر من ماسة بالغمرب، فهو قال باطل لا أصل له كما نبه على ذلك العلامة ابن خلدون في تاريخه، فإنه قال: أن القول بظهوره من ماسة باطل لا أصل له، وإنما نشأ ذلك من رجل من المتصوفة خرج بالسوس الأقصى وعمد إلى مسجد ماسة وزعم أنه الفاطمي المنتظر تلبيسا على العامة هناك بما ملأ قلوبهم من الحدثان بانتظاره هنالك، وأفهمهم أن من ذلك المسجد يكون أصل دعوته، فتهافت عليه تهافت الفراش طوائف من عامة البربر، ثم خشي رؤساؤهم اتساع نطاق الفتنة فدسوا إليه من قتله في فراشه وانطفأت الفتنة. والحاصل أن الذي تقتضيه الأحاديث النبوية وصرح به العلماء أن المهدي المنتظر، إلى هذا الوقت لم يظهر، وذكروا له علامات كثيرة بعضها مضى وانقضى وبعضها باق لم يظهر، ومن أعظم علاماته أنه يصلحه الله في ليلته، وأنه من ولد فاطمة رضي الله عنها، وأنه يبايع مكرها لا أنه يطلب البيعة لنفسه ويقاتل الناس لتحصيلها، بل لا يبايع حتى يتهدد بالقتل، وأن ظهور البيعة له إنما تكون بمكة بين الركنين، وإن ظهوره إنما يكون عند وجود اختلاف بموت خليفة، فلا يظهر ويبايع إلا والناس بلا خليفة، فهذه الأشياء هي أقوى العلامات عليه، وله علامات كثيرة غير هذه ذكرها الذين ألفوا الرسائل في تحقيق أمره.

لكن تلك الأشياء ظنية ومختلف في كثير منها، وذلك مثل اسمه واسم أبيه وموضع ولادته ومقدار عمره وقت ظهوره، ومدة مكثه في الأرض بعد ظهوره، فكل هذه الأشياء مختلف فيها.." (١)

"فما قيل في مقدار عمره وقت ظهوره أنه ابن أربعين، وقيل أنه ابن عشرين، وقيل أنه ابن ثمانية عشر، وقيل غير ذلك. وقيل في مدة مكثه بعد ظهوره أنها سبع سنين أو تسع سنين وقيل أنها أربعون وقيل عشرون وقيل غير ذلك. وقيل في اسمه أنه محمد وقيل أحمد، وهل هو من ولد الحسن أو الحسين أو العباس؟ وجمع بعضهم بأنه من ولد أحد الحسنين من جهة أبيه ومن ولد الآخر من جهة أمه، وفي بعض أمهاته من هي من ولد العباس. والأحاديث التي جاء فيها ذكر ظهور المهدي كثيرة متواترة، فيها ما هو صحيح وفيها ما هو حسن وفيها ما هو ضعيف وهو الأكثر، لكنها لكثرتها وكثرة رواتها وكثرة مخرجيها يقوي بعضها بعضا، حتى صارت تفيد القطع، لكن المقطوع به أنه لا بد من ظهوره، وأنه من ولد فاطمة،

---

(١) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، ٣٥٧/١

وأنه يملأ الأرض عدلا نبه على ذلك العلامة السيد محمد بن رسول البرزنجي في آخر الإشاعة. وأما تحديد ظهوره بسنة معينة فلا يصح لأن ذلك غيب لا يعلمه إلا الله، ولم يرد نص من الشارع بالتحديد، وقد ذكر كثير من المتقدمين من العلماء تحديد ظهوره في سنين عينوها بالظن والتخمين، فلم يخرج فيها فأخطأوا في ظنهم وتحديدهم، ويؤخذ من قوله صلى الله عليه وسلم في المهدي أنه يصلحه الله في ليلته أن المهدي لا يعلم بنفسه أنه المهدي المنتظر قبل وقت إرادة الله إظهاره، ويؤيد ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم وهو أشرف المخلوقات لم يعلم برسالته إلا وقت ظهور جبريل له بغار حراء حين قال له: " اقرأ باسم ربك الذي خلق " وأما قبل ذلك فكان يرى منامات كثيرة تأسيسا لرسالته وتقوية لقلبه، لكنه لم يعلم أن المراد منها تأسيس الرسالة، حتى أنه كان كلما رأى مناما من تلك المنامات يخبر زوجته خديجة رضي الله عنه ويشكو إليها حاله، فكانت تثبته وتقول له كلاما يقوى به قلبه كما هو موضح في كتب الحديث، فإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم لم يعلم بأنه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بعد ظهور جبريل عليه السلام له، وقوله: " اقرأ باسم ربك " فبالأولى أن المهدي المنتظر لا يعلم بأنه المهدي المنتظر إلا بعد إرادة الله إظهاره، ولذلك يمتنع من البيعة حتى يتهدد بالقتل ويبايع مكرها، فهذا هو سر قوله صلى الله عليه وسلم يصلحه الله في ليلته ليعلم من ذلك أنه لم يعلم أنه المهدي إلا وقت إرادة الله إظهاره، فكل من يدعي أنه هو المهدي المنتظر ويطلب البيعة لنفسه أو يقاتل الناس لتحصيلها فهو مخالف لما صرحت به أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم.

وقد ادعى هذه الدعوى كثيرون فيما تقدم من الأزمان ولم تثبت دعواهم، وكان لهم مع الخلفاء وقائع وحروب مذكورة في التواريخ، وقد جمعت أسماؤهم ووقائعهم باختصار في رسالة مستقلة، ليعلم من وقف عليها أن كل من ادعى هذه الدعوى لا تتم له إلا إذا جاءت على طبق ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم، لأنه الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى.." (١)

"وقد ذكر العلامة ابن خلدون في تاريخه كلاما فيه فوائد تعلق بهذا البحث، فلنذكر ملخص ذلك تتميما للفائدة، وحاصل ذلك أن الذين يدعون هذه الدعوى إما أن يكونوا موسوسين أو مجانين فلا علاج لهم إلا التنكيل بالقتل والضرب إن أحدثوا فتنة، وإلا يسخر بهم وتذاع السخرية بهم، والصفع في الطرق أو الأسواق، وإما أن يكونوا من طالبي الرياسة والملك فيجعلون هذه الدعوى وسيلة لذلك ويغفلون عما ينالهم من الهلكة وإسراع الهلاك والقتل من الملوك والسلاطين عند إحداثهم فتنة بهذه الدعوى، وقد يكون بعض من ادعى هذه الدعوى من الصالحين ويريد إظهار الحق ويتخيل له أنه هو المهدي، فيخطئ ظنه ولا يعرف ما يلزمه وما يحتاج إليه في إقامة الحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن الله لم يكتب عليه في ذلك إثارة فتنة وإنما أمره الله تعالى به حيث تكون القدرة عليه، قال صلى الله عليه وسلم: " من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه " . وأحوال الملوك والدول قوية راسخة لا يزحزحها ولا يزلزلها ويهدم بناءها إلا المطالبة القوة التي من ورائها العصبية بالقبائل والعشائر، وهكذا كان حال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في دعوتهم إلى الله تعالى بالعشائر والعصائب، وهم المؤيدون من الله تعالى بالكون كله لو شاء، لكنه سبحانه وتعالى إنما أجرى

(١) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، ٣٥٨/١

الأمور على مستقر العادة وإنه حكيم عليم. فإذا ذهب أحد من الناس هذا المذهب وكان محقا قصر به الانفراد عن العصبية فطاح في هوة الهلاك، وأما إن كان من المتلبسين بذلك في طلب الرياسة فأجدر أن تعوقه العوائق وتنقطع به المهالك، لأن أمر الله لا يتم إلا برضاه وإعانته والإخلاص له والنصيحة للمسلمين، ولا يشك في ذلك مسلم ولا يرتاب فيه ذو بصيرة، وكل أمر يجتمع عليه كافة الخلق لا بد له من العصبية، وفي الحديث الصحيح: " ما بعث الله نبيا إلا في منعة من قومه " وإذا كان هذا في الأنبياء وهم أولى الناس بخرق العوائد فما ظنك بغيرهم أن لا تخرق لهم العوائد في الغلبة بغير عصبية، والغفلة عن هذا هي أكثر أحوال الثوار القائمين بتغيير المنكر من العامة والفقهاء، فإن كثيرا من المنتحلين للعبادة وسلوك طريق الدين يذهبون إلى القيام على أهل الجور من الأمراء داعين إلى تغيير المنكر والنهي عنه والأمر بالمعروف رجاء الثواب عليه من الله تعالى، فليكثر اتباعهم والمتشبثون بهم من الغوغا والدهما، ويعرضون أنفسهم في ذلك للمهالك وأكثرهم يهلكون في تلك السبيل مأزورين غير مأجورين، وكثير منهم يدعي أنه المهدي المنتظر ولم تصح دعواهم، ويتبعهم كثير من العامة والأغمار ممن لا يرجعون إلى عقل يهديهم ولا علم يقيدهم، يستجيبون لكثير ممن يدعون هذه الدعوى لما اشتهر من ظهور فاطمي، ولا يعلمون حقيقة الأمر، وأكثر ما يكون ذلك في الممالك القاصية وأطراف العمران بإفريقية والسوس من المغرب، وتجد الكثير من ضعفاء البصائر يقصدون رباطا بماسة لما كان بذلك الرباط بالمغرب من الملثمين من كدالة، واعتقادهم هو أنهم قائمون بدعوة الفاطمي يزعمون ذلك زعما لا مستند له إلا البعد عن القاصية عن مثار الدولة وخروجها عن نطاقها، فتقوى عندهم الأوهام في ظهور الفاطمي من ذلك الموضع، لخروجه عن رتبة الدولة ومثار الأحكام والقهر، ولا محصول لديهم في ذلك إلا هذا الوهم، وقد يقصد ذلك الموضع كثير من ضعفاء العقول للتلبيس بدعوة تنشأ عن وسواس وحمق، وقد قتل الملوك والرؤساء كثيرا منهم، ثم قال: أخبرني شيخنا محمد بن إبراهيم الأربلي، قال خرج برباط ماسة لأول المائة الثامنة وعصر السلطان يوسف بن يعقوب المريني رجل من منتحلي التصوف يعرف بالتوزيري، وادعى أنه الفاطمي المنتظر، واتبعه الكثير من أهل السوس من كدالة وكزولة، وعظم أمره وخافه رؤساء المصامدة وعلماؤهم، فدس عليه السكسوي من قتله بياتا وانحل أمره. وكذلك ظهر في غمارة في آخر المائة السابعة في عشر التسعين منها رجل يعرف بالعباس، وادعى أنه الفاطمي المنتظر، وتبعه الدهما من غمارة؛ ودخل مدينة فاس عنوة وحرق أسواقها، وارتحل إلى بلد المزمة فقتل بها غيلة ولم يتم أمره، وكثير من هذا النمط.." (١)

"واليوم مالك قد هجرت فهل لذا ... سبب فقولي يا ابنة الأعلام

وغير ذلك تركته خوفا من الإطالة، وفي هذا القدر كفاية في هذا المقام.

ثم تزوج بعدها بأخرى وهي التي مات عنها وأحرزت ما جمعه من مال وغيره.

ولما بلغ ما لا مزيد عليه من الشهرة وبعد الصيت وعظم القدر والجاه عند الخاص والعام، وكثرت عليه الوفود من سائر الأقطار، وأقبلت عليه الدنيا بحذافيرها من كل ناحية، لزم داره واحتجب عن أصحابه الذين كان يلم بهم قبل ذلك إلا في النادر لغرض من الأغراض، وترك الدروس والإقراء واعتكف بداخل الحريم، وأغلق الباب ورد الهدايا التي تأتيه من أكابر

---

(١) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، ١/٣٥٩

المصريين ظاهرة. وأرسل إليه مرة أيوب بك الدفتردار مع نجله خمسين اردبا من البر، وأحمالا من الأرز والسمن والعسل والزيت، وخمسمائة ريال نقود، وبقج كساوي أقمشة هندية وجوخا وغير ذلك، فردها، وكان ذلك في رمضان، وكذلك مصطفى بك الاسكندراني وغيرهما، وحضرا إليه، فاحتجب عنهما ولم يخرج إليهما، ورجعا من غير أن يواجهاه.

ولما حضر حسن باشا على الصورة التي حضر فيها إلى مصر، لم يذهب إليه بل حضر هو لزيارته وخلع عليه فروة تليق به، وقدم له حصانا معدودا مرختا بسرج، وعباءة قيمتها ألف دينار، أعد ذلك وهيأه قبل زيارته له، وكانت شفاعته عنده لا ترد، وإن أرسل إليه إرسالية في شيء تلقاها بالقبول والإجلال، وقبل الورقة قبل أن يقرأها ووضعها على رأسه ونفذ ما فيها في الحال.

وأرسل مرة إلى أحمد بك الجزار مكتوبا وذكر له فيه أنه المهدي المنتظر! وسيكون له شأن عظيم، فوقع عنده بموقع الصدق لميل النفوس إلى الأماني، ووضع ذلك المكتوب في حجابه المقلد به مع الإحراز والتمائم، فكان يسر بذلك إلى بعض من يرد عليه ممن يدعي المعارف في الجفور والزايرجات، ويعتقد صحته بلا شك، ومن قدم عليه من جهة مصر وسأله عن المترجم فإن أخبره وعرفه أنه اجتمع به وأخذ عنه وذكره بالمدح والثناء أحبه وأكرمه وأجزل صلته، وإن وقع منه خلاف ذلك قطب منه وأقصاه عنه وأبعده ومنع عنه بره، ولو كان من أهل الفضائل! واشتهر ذلك عنه عند من عرف ذلك منه بالفراسة، ولم يزل على حسن اعتقاده في المترجم حتى انقضى نحبهما.

واتفق أن مولاي محمدا سلطان المغرب رحمه الله تعالى وصله بصلات قبل انجماعه الأخير وتزهده وهو يقبلها ويقابلها بالحمد والثناء والدعاء، فأرسل له في سنة إحدى ومائتين صلة لها قدر، فردها، وتورع عن قبولها وضاعت، ولم ترجع إلى السلطان، وعلم السلطان من جوابه فأرسل إليه مكتوبا قرأته، وكان عندي ثم ضاع في الأوراق، ومضمونه العتاب والتوبيخ في رد الصلة، ويقول له إنك رددت الصلة التي أرسلناها إليك من بيت مال المسلمين، وليتك حيث تورعت عنها كنت فرقتها على الفقراء والمحتاجين، فيكون لنا ولك أجر ذلك، إلا أنك رددتها وضاعت، ويلومه أيضا على شرحه كتاب الإحياء ويقول له كان ينبغي أن تشغل وقتك بشيء نافع غير ذلك، ويذكر وجه لومه له في ذلك، وما قاله العلماء، وكلاما مفحما مختصرا مفيدا رحمه الله تعالى.." (١)

" وما إليها من الفجاج وأسعفه بقضاء كل ما يحتاج فعزم وقد ثلجت الصدور وانتظمت الأمور

وفيها خرج على الإمام السيد محمد بن علي الحيداني المعروف بالفوطي وقال أنا إمام وإسماعيل إمام فقالت له الأقدار صمي صمام لا خلف ولا إمام فخرج من بيته إلى برط ثم نزل منه إلى الجوف ثم إلى بلاد خولان ثم تجاوز إلى بلاد المصعبين بلاد قايفه روى عنه أنه أظهر في سفره هذا أنه المهدي المنتظر وتكفير جميع المسلمين إلا من اتصف بمذهب أبي الجارود وعند ذلك قائله أهل المصعبين حتى عاد إلى مسكنه بخفى حنين بعد أن نهبت كتبه وثيابه وانقطعت فيما يروم أسبابه وكان صفي الإسلام أحمد ابن الإمام قد تقدم بجنده إلى الجهات الرداعية لتسكين قلوب الرعية وتحذيرا لهم من

(١) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، ١٤٩/٢

الإغترار والميل إلى ضوء هذه النار فانحسم ضرره قبل أن يصل إليه شرره ٥٧ واستقر بعد ذلك في البؤس وقتلت في صحائف دعوته نفوس فلا قوة إلا بالله العلي العظيم وكان مما جرأه على ذلك أنه ذكر له

". (١)

" فزرعت الذرة والبر والشعير والجلجلان ولم تنبت الفواكه والبن بعد تكرير الغرس إنما كان ينبت الشجر ولا ينبث له ثمر وفي أول جمادى الأولى ظهر نجم في المشرق له ذنب طويل ونور مستطيل في مقدار سبعة أذرع ثم انتقل إلى وسط السماء واعوج كالقوس ثم عاد إلى الإستقامة وإبتدأ ظهوره في برج الثور وقت السحر ثم انتقل إلى المغرب ثم عاد إلى المشرق وقبل الفجر ثم بعد نحو شهرين إضمحل وهو من النيازك وقد جاء في الحديث النبوي ما يقضي أن ظهورها معلم لإرتفاع الأسعار وقد جرت بذلك العادات في غالب الأوقات وفيه وقع ببلاد برط وقت العصر صعقات لنجوم خرت من السماء فوقعت ببلد هناك تسمى العنان وسمعت أصواتها في بلاد سفيان وفي تاسع وعشرين من جمادي الآخرة كسفت الشمس وقت صلاة الضحى من يوم الجمعة في برج الجدي بعقدة الذنب

وفيها وصل السلطان بدر بن عبد الله الكثيري إلى الإمام من طريق الجوف وكان قد أعد للإمام هدية فانتهبتها بدو المعضة عليه أهل المشرق واستأذن السلطان بدر الإمام في الحج ومعه ولد أخيه فسار ومات بطريق الحج فرجح رأي الإمام أن يوجه للشحر نائبا فسير إليها الفقيه أمير الدين القرشي وقريد ولد السلطان على ولاية حضرموت وما إليها وهو السلطان محمد ابن بدر

وفي رجب ظهر في جبل جبع من مساقط بلاد حفاش رجل ينادي ويعظ الناس ولا يعرف له محل مخصوص دخل هيجة لاحمة وتوارى بها أياما وسمى نفسه عبد الله وادعى تارة أنه واعظ شريف وتارة أنه المهدي وليس هذا زمان

". (٢)

"قال المنصور: فرتبت العمال في نفسي من تلك الساعة. ثم اتفقوا على مبايعة النفس الزكية فبايعوه، ثم ضرب الدهر ضربه، وانتقل الملك إلى بني العباس كما تقدم شرحه، ثم انتقل من السفاح إلى المنصور، فلم يكن له همة سوى طلب النفس الزكية ليقتله أو ليخلعه، وأغراه بذلك أن الناس كانوا شديدي الميل إلى النفس الزكية، وكانوا يعتقدون فيه الفضل والشرف والرياسة. فطلبه المنصور من أبيه عبد الله المحض، وكان عبد الله المحض من رجال بني هاشم وساداتهم ، فألزمه المنصور بإحضار ابنيه محمد النفس الزكية وإبراهيم. فقال: كم تطول؟ والله لو كانا تحت قدمي لما رفعتهما عنهما، سبحان الله، آتيك بولدي لتقتلهما! فقبض عليه وعلى أهله من بني الحسن، وكان من أمرهم ما تقدم شرحه، رضي الله عنهم وسلم عليهم .
ذكر خروج النفس الزكية: هو محمد بن عبد الله المحض بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، عليهم السلام.

---

(١) تاريخ اليمن، ص/١٢٦

(٢) تاريخ اليمن، ص/١٩٥

كان النفس الزكية من سادات بني هاشم ورجالهم فضلاً وشرفاً وديناً وعلماً وشجاعة وفصاحة ورياسة وكرامة ونبلاً. وكان في ابتداء الأمر قد شيع بين الناس أنه المهدي الذي بشر به، وأثبت أبوه هذا في نفوس طوائف من الناس. وكان يروى أن الرسول، صلوات الله عليه وسلامه، قال: لو بقي من الدنيا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه مهدينا أو قائمنا، اسمه كاسمي واسم أبيه كاسم أبي. فأما الإمامية فيروون هذا الحديث خالياً من: واسم أبيه كاسم أبي.

فكان عبد الله المحض يقول للناس عن ابنه محمد: هذا هو المهدي الذي بشر به، هذا محمد بن عبد الله. ثم ألقى الله محبته على الناس فمالوا إليه كافة، ثم عضد ذلك أن أشراف بني هاشم بايعوه ورشحوه للأمر فقدموه على نفوسهم، فزادت رغبته في طلب الأمر، وزادت رغبة الناس فيه،وما – زال متغرباً منذ أمضت الدولة إلى بني العباس خوفاً منهم على نفسه فلما علم بما جرى لوالده ولقومه ظهر بالمدينة وأظهر أمره وتبعه أعيان المدينة، ولم يتخلف عنه إلا نفر يسير، ثم غلب على المدينة وعزل عنها أميرها من قبل المنصور، ورتب عليها عاملاً وقاضياً وكسر أبواب السجون وأخرج من بها واستولى على المدينة.

ومنذ خرج محمد بن عبد الله وفعل ما فعل بالمدينة توجه رجل يقال له أوس العامري من المدينة إلى المنصور في تسعة أيام وقدم ليلاً، فوقف على أبواب المدينة فصاح حتى علموا به فأدخلوه. فقال الربيع الحاجب: ما حاجتك في هذه الساعة وأمير المؤمنين نائم؟ قال: لابد – لي منه، فدخل الربيع وأخبر المنصور خبره وأدخله إليه، فقال: يا أمير المؤمنين خرج محمد بن عبد الله بالمدينة وفعل وصنع. قال: أنت رأيته ؟ قال: نعم! وعاينته على منبر رسول الله، صلوات الله عليه وسلامه، وخاطبته. فأدخله المنصور بيتاً. ثم تواترت الأخبار عليه بذلك، فأخرجه وقال له: سوف أفعل معك وأصنع وأغنيك. في كم ليلة وصلت من المدينة؟ قال: في تسع ليال. فأعطاه تسعة آلاف درهم.

ثم قام المنصور وقعد وتراخت المدة حتى تكاتبا وتراسلا، فكتب كل واحد منهما إلى صاحبه كتاباً نادراً معدوداً من محاسن الكتب احتج فيه وذهب في الاحتجاج كل مذهب. وفي آخر الأمر ندب ابن أخيه عيسى بن موسى لقتاله، فتوجه إليه عيسى بن موسى في عسكر كثيف فالتقوا في موضع قريب من المدينة، فكانت الغلبة لعسكر المنصور، فقتل محمد بن عبد الله وحمل رأسه إلى المنصور وذلك في سنة خمس وأربعين ومائة.

ثم خرج أخوه إبراهيم بن عبد الله قتيل باخمري بالبصرة.

ذكر خروج إبراهيم بن عبد الله: شرح كيفية الحال في ذلك على سبيل الاختصار: كان إبراهيم بن عبد الله في حال تغيبه يحضر إلى عسكر المنصور متخفياً، وربما جلس على السماط، وكان المنصور شديد الطلب له. فخرج من مدينة المنصور ومضى إلى البصرة وأظهر أمره ودعا إلى نفسه، فتبعه جماعة وكثرت جموعه. فأرسل المنصور إليه ابن أخيه عيسى بن موسى بعد رجوعه من قتل النفس الزكية. فتوجه عيسى بن موسى إليه بخمسة عشر ألف مقاتل فالتقوا بقرية يقال لها باخمري قريبةٍ من الكوفة، فكانت الغلبة لعسكر المنصور، وقتل إبراهيم في المعركة، وذلك في سنة خمس وأربعين ومائة، رحمه الله تعالى.

ذكر خروج عبد الله بن علي:." (١)

---

(١) الفخري في الآداب السلطانية، ص/٦١

"ومات الأمير عز الدين محمد بن أبي الهيجاء الهمذاني الأربلي، متولي نظر دمشق، بطريق مصر وهو عائد منها، عن ثمانين سنة، وكان عالما بالأدب والتاريخ مشكور السيرة.

ومات الشيخ شمس الدين محمود بن أبي بكر أبي العلاء الكلاباذي البخاري الفرضي الحنفي، في أول ربيع الأول بدمشق، وقد قدم القاهرة، وكان فاضلا. ومات تاج الدين محمد بن أحمد بن هبة الله بن قلس الأرمنتي، إمام المدرسة الظاهرية بين القصرين، وله شعر منه:

احفظ لسانك لا أقول فإن أقل ... فنصيحة تخفى على الجلاس

وأعيذ نفسي من هجائك فالذي ... يهجي يكون معظما في الناس

وقال:

قد قلت إذ لج في معاتبتي ... وظن أن الملال من قبلي

خدك ذا الأشعري حنفني ... وكان من أحمد المذاهب لي

حسنك مازال شافعي ... أبدا يا مالكي كيف صرت معتزلي

وكان مقربا فاضلا.

سنة إحدى في سبعمائة

في المحرم: عادت رسل غازان مع الرسل السلطان بجوابه.

وفي عاشره: استقر في الوزارة الأمير عز الدين أيبك البغدادي المنصوري، عوضا عن سنقر الأعسر وهو غائب بالشام. واستقر الأمير بيبرس التاجي أحد الأمراء البرجية في ولاية القاهرة، عوضا عن ناصر الدين محمد بن الشيخي، ونقل ابن الشيخي إلى ولاية الجيزة في عشريه.

وفيه توجه السلطان إلى الصيد في هذا اليوم.

وفيه توجه الأمير أسندمر كرجي إلى نيابة طرابلس، عوضا عن الأمير قطلوبك بحكم استعفائه، فقدم دمشق في حادي عشر المحرم.

وفي شهر المحرم: أيضا استقر الأمير سيف الدين بلبان الجوكندار شاد الدواوين بدمشق، عوضا عن الأمير سيف الدين أقجبا، ونقل أقجبا إلى نيابة السلطنة بدمشق، عوضا عن الأمير ركن الدين بيبرس الموفقي. وظهر بالقاهرة رجل ادعى أنه المهدي، فعزر ثم خلى عنه.

وفيها مات الخليفة الإمام الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد في ثامن عشر جمادى الأولى، . بمناظر الكبش، فغسله الشيخ كريم الدين عبد الكريم الأبلي شيخ الشيوخ بخانقاه سعيد السعداء، وحضر الأمراء والناس جنازته، وصلى عليه بجامع ابن طولون، ودفن بجوار المشهد النفيسي. وكانت خلافته. بمصر أربعين سنة. وترك من الأولاد أبا الربيع سليمان ولي عهده، وإبراهيم بن أبي عبد الله محمد المستمسك بن الحاكم أحمد. فأقيم بعده أبو الربيع وعمره عشرون سنة، ولقب المستكفي بالله، وكتب تقليده وقرئ بحضرة السلطان في يوم الأحد عشرى جمادى الأولى، وكان يوما مشهودا. وخطب له على عادة أبيه، واستمر يركب مع السلطان في اللعب بالكرة ويخرج معه للصيد، وصارا كأخوين، وكان الحاكم قد عهد بالخلافة إلى

ابنه الأمير أبي عبد الله محمد ولقبه المستمسك بالله، وجعل أبا الربيع من بعده. فمات المستمسك، واشتد حزن أبيه الحاكم عليه، فعهد لابنه إبراهيم بن محمد المستمسك من بعده. فلما مات الحاكم لم يقدم بعده إلا أبا الربيع، وترك إبراهيم.

وفيها كثر فساد العربان بالوجه القبلي، وتعدى شرهم في قطع الطريق إلى أن فرضوا على التجار وأرباب المعايش بأسيوط ومنفلوط فرائض جبوها شبه الجمالية. واستخفوا بالولاة ومنعوا الخراج، وتسموا بأسماء الأمراء، وجعلوا لهم كبيرين أحدهما سموه بيبرس والآخر سلار، ولبسوا الأسلحة وأخرجوا أهل السجون بأيديهم. فاستدعى ا الأمراء القضاة والفقهاء، واستفتوهم في قتالهم، فأفتوهم بجواز ذلك. فاتفق الأمراء على الخروج لقتالهم وأخذ الطرق عليهم، لئلا يمتنعوا بالجبال والمفاوز فيفوت الغرض فيهم، فاستدعوا الأمير ناصر محمد بن الشيخي متولي الجيزية – وغيره من ولاة العمل، وتقدموا إليه بمنع الناس بأسرهم من السفر إلى الصعيد في البر والبحر، ومن ظهر أنه سافر كانت أرواح الولاة قبالة ذلك، فاشتد حرصهم.

وأشاع الأمراء إنهم يريدون السفر إلى الشام، وكتبت أوراق الأمراء المسافرين، وهم." (١)

"وفيها أخرج إلى الشام الأمير عز الدين أيدمر الدوادار، وعلاء الدين على الساقي، وعلاء الدين مغلطاي السنجري، وطغاي الطباخي، وشرف الدين قيران الحسامي أمير علم. وأنعم عليهم بإمريات وإقطاعات بها.

وفيه قدم مندوه الكردي الفار من أسره بملطية بعدما أمن، فأنعم عليه بأمرة في دمشق.

وفيه حاصر الأمير سنجر الجاولي غزة قلعة سلع – ومعه نحو العشرة آلاف فارس – مدة عشرين يوما إلى أن أخذها، وقتل من أهلها ستين رجلا من العرب المفسدين، وغنم العسكر منها شيئا كثيرا، ورتب الجاولي بها رجالا وعاد إلى غزة.

وفي جمادى الأول استقر فخر الدين أحمد بن تاج الدين سلامة السكندري المالكي في قضاء المالكية بدمشق، عوضا عن جمال الدين محمد بن سليمان بن سومر الزواوي بعد موته، فسار فخر الدين إليها من القاهرة، وقدمها في عشريه.

وفيه كان روك المملكة الطرابلسية على يد شرف الدين يعقوب ناظر حلب، فاستقر أمرها لاستقبال رمضان سنة عشر وسبعمائة الهلالي، ومن الخراجى لاستقبال مغل سنة سبع عشرة. و تو بهذا الروك إقطاعات ستة أمراء طبلخاناه، وثلاثة إقطاعات أمراء عشروات، وأبطل منها رسوم الأفراح، ورسوم السجون، وغير ذلك من المكوس التي كان مبلغها في كل سنة مائة ألف درهم وعشرة آلاف درهم، وقدم شرف الدين بأوراق الروك إلى القاهرة.

وفيه قدم الأمير علاء الدين أيدغدي الخوارزمي وحسين بن صاروا وبطرك الملكية من بلاد أزبك، ومعهم عدة من رسل أزبك: وهم شرنك و بغرطاي وقرطقا وعمر القرمي، ورسل الأشكري صاحب قسطنطينية، وهم خادمه وكبير بيته ميخائيل وكاشمانوس وتادروس، ومعهم الهدايا: فدية أزبك ثلاث سناقر وستة مماليك وزردية وخوذة فولاذ وسيف، فأكرموا وأعيدوا مع الأمير سيف الدين أطرجي والأمير سيف الدين بيرم خجا، بهدية قيمتها عشرة آلاف دينار.

وفيه سافر السلطان إلى الصيد بالبحيرة، وأقام أياما وعاد. وفيه أعطى السلطان زين الدين قراجا التركماني النازل بالبركة إمرة.

وفيه استقر الشهاب محمود بن سليمان بن فهد الحلبي في كتابة السر بدمشق، بعد موت شرف الدين عبد الوهاب بن

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٣١٩/١

فضل الله العمري. واستقر الأمير سيف الدين ألجاي دوادارا، بعد موت بهاء الدين أرسلان.

وفيه طلق السلطان زوجته خوندا أردكين ابنة الأمير سيف الدين نوكاي. وفيه أنعم على الأمير بدر الدين جنكلي بن البابا بإقطاع الأمير سيف الدين قلي السلاح دار، بعد موته. وحج بالركب الأمير سيف الدين مجليس، ومعه من الأمراء شرف الدين أمير بن جندر وعرلوا الجوكندار، وسيف الدين ألجاي الساقي، وسيف الدين طقصبا الظاهري، وشمس الدين سنقر المرزوقي، وحج أيضا الأمير شرف الدين عيسى بن مهنا وأخوه محمد في عدة من عرب آل فضل، بلغت عدتهم نحو اثنى عشر ألف راحلة. وفيه تمزقت جماعة الثائر بجبلة، وكان قد قام في النصيرية وادعى أنه المهدي، وأن دين النصيرية حق، وأن الملائكة تنصره. فركب العسكر وقاتلوه فقتل، ورسم أن يبنى بقرى النصيرية في كل قرية مسجد، وتعمل له ارض لعمل مصالحه، وأن يمنع النصيرية من الخطاب وهو أن الصبي إذا بلغ الحلم عملت له وليمة، فإذا اجتمع الناس وأكلوا وشربوا حلفوا الصبي أربعين يمينا على كتمان ما يودع من الذهب، ثم يعلمونه مذهبهم وهو إلهية علي بن أبي طالب، وأن الخمر حلال، وأن تناسخ الأرواح حق، وأن العالم قديم، والبعث بعد الموت باطل، وإنكار الجنة والنار، وأن الصلوات خمس وهي إسماعيل وحسن وحسين ومحسن وفاطمة، ولا غسل من جنابة، بل ذكر هذه الخمسة يغني عن الغسل وعن الوضوء، وأن الصيام عبارة عن ثلاثين رجلا وثلاثين امرأة ذكروهم في كتبهم، وأن إلههم علي بن أبي طالب خلق السموات والأرض، وهو الرب، وأن محمدا هو الحجاب وسلمان هو الباب.

؟؟؟؟؟؟؟ومات في هذه السنة

ممن له ذكر شمس الدين أبو العباس أحمد بن يعقوب بن إبراهيم الأسدي الطيبي، بطرابلس في سادس عشرى رمضان، عن تسع وستين سنة، كان أديبا فاضلا؛ باشر الإنشاء مدة، ونقل إلى طرابلس في توقيعها إلى أن مات، ومن شعره:

هجرت الخمر لما صح عندي ... بأن الخمر آفة كل طاعة

ولم تر مقلتي في الخمر شيئا ... سوى أن تجمع الأحباب ساعة." (١)

"ب- استطاع صلاح الدين تأمين حدود مصر الجنوبي، لأن ضم اليمن، الذي يعد مفتاح البحر الأحمر من ناحية الجنوب، يؤمن له السيطرة العسكرية والتجارية على الأقاليم الجنوبية ويبعد احتمال حدوث تقارب بين الصليبيين الذين يتطلعون للسيطرة على البحر الأحمر وبين الحبشة التي تدين بالديانة النصرانية، حتى لا يقع بين فكي الكماشة الصليبية على سواحل البحر المتوسط في الشمال، والأحباش على سواحل البحر الأحمر في الجنوب.

ت- كانت اليمن آنذاك تمر بمرحلة عدم استقرار تتنازعها الأهواء السياسية والدينية والمذهبية وبخاصة بين زبيد وصنعاء، كما ظهر دعي زعم أنه المهدي المنتظر هو عبد النبي بن مهدي وتغلب على اليمن، وخطب لنفسه بعد أن قطع الخطبة للعباسيين، وتسمى بالإمام، وبنى على قبر أبيه قبة عظيمة، وأمر أهل اليمن بالحج إليها ومنعهم من الحج إلى مكة.

ث- أراد صلاح الدين وضع حد لهذه التجاوزات والمساوئ التي تهدد وحدة المسلمين وبخاصة بعد أن أرسل إليه أهل اليمن يستنجدون به لإنقاذهم (١) . ومهما يكن من أمر، فقد : وجه صلاح الدين سرية بقيادة أخيه الأكبر شمس الدولة توران

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٤١١/١

شاه الذي ورد مكة فاعتمر بها وسار منها إلى زبيد، فامتلكها كما سار إلى عدن وامتلكها ومنع الجيش من نهبها وقال : ما جئنا لنخرب البلاد، وإنما جئنا لعمارتها وملكها، ثم سار إلى بقية الحصون والمخالف والمعاقل فملكها، واستوثق له ملك اليمن بحذافيره وخطب للخليفة العباسي (٢) . وقتل الدعي المسمى بعبد النبي، وصفت اليمن من أكدارها، وعادت إلى ما سبق من مضمارها (٣) ، وكتب شمس الدولة إلى أخيه الملك الناصر صلاح يخبره بما فتح الله عليه وأحسن إليه، فكتب الملك صلاح الدين بذلك إلى نور الدين، فأرسل نور الدين بذلك إلى الخليفة يبشره بفتح اليمن والخطبة بها له (٤).

---

(١) تاريخ الأيوبيين في مصر وبلادالشام ص ٤٨.

(٢) الطريق إلى بيت المقدس ص ٩٦.

(٣) المصدر نفسه ص ٩٦.

(٤) المصدر نفسه ص ٩٦.." (١)

"الحسين بن محمد بن حسن بن عيسى بن محمد بن أحمد بن مسلم - بتشديد اللام - العكي العدنين، الحلوي الأصل، المكي المولد والمنشأ والدار. الشيخ بدر الدين، المعروف بابن العليف - بضم العين المهملة، ولام مفتوحة وياء آخر الحروف ساكنة، وفاء - قلت: رأيته لما جاورت بمكة المشرفة سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة يجلس بالمسجد الحرام، بالقرب من باب حزورة، ويشتغل في العربية والأدبيات، ثم اجتمعت به غير مرة بمكة المشرفة؛ فوجدته بارع في الأدب، عارفا بالنحو وغيره. وله محاضرة حلوة، ومذاكرة حسنة، ومعرفة بأيام الناس، لا سيما أمراء مكة وأعيانها. وهو شاعر بني عجلان، والمقدم عندهم. وسألته عن مولده؛ فقال: مولدي بمكة المشرفة سنة أربع وتسعين وسبعمائة، ثم سألته عن مشايخه ممن أخذ عنهم، وبمن تخرج في نظم القريض وغيره؛ فقال تخرجت بوالدي، وبه أيضا تفقهت، وعنه أخذت الأدب، ثم قرأت على جماعة أخر من المشايخ. وأنشدني كثيرا من شعره.

الشريف الأخلاطي

٠٠ - ٠ - ٧٩٩هـ - ٠٠٠ - ١٣٩٦م الحسين الأخلاطي، الشريف الحسيني.

قال قاضي القضاة بدر الدين محمود العيني الحنفي: كان رجلا منقطعا عن الناس، لا يروح عند أحد، ولا يأذن لأحد في الدخول عليه إلا لمن يختاره.

وكان يعيش عيش الملوك في المأكل، والمشرب، والملبس.

وكان ينسب إلى عمل اللازورد، وبعضهم ينسبه إلى الكيمياء، وبعضهم إلى الاستخدام. والظاهر إنه كان على معرفة من علم الحكمة، ويتعانى صنعة اللازورد. ومع هذا كان ينسب إلى الرفض؛ فلهذا لم يشتهر عنه أنه حضر صلاة الجماعة والجمعات.

وكان يدعي بعض أصحابه أنه المهدي المنتظر في آخر الزمان، وأمثال ذلك؛ فكان أول ما قدم الديار الشامية أقام في

---

(١) السيرة الزنكية، ٣٩٨/٢

حلب منقطعا مدة عن الناس، في مكان يسمى بابلا بطرف حلب، من ناحية المشرق، ثم طلب إلى الديار المصرية، بسبب مداواة ولد السلطان الملك الظاهر برقوق من مرض حصل له في رجله وأفخاذه؛ فقدم، وأقبل عليه السلطان إقبالا عظيما؛ فأقام يداوي ابنه، فلم ينجع. ثم إنه أقام بالديار المصرية مستمرا على حالته المذكورة على على شاطئ النيل إلى أن توفي. وخلف موجودا كثيرا من أصناف القماش، ومن الذهب شيئا كثيرا، ومماليكا، وجوار. ولم يوص لأحد بدرهم، ولا أعتق أحدا من مماليكه وجواريه.

و لما بلغ السلطان خبر وفاته، رسم لقلمطاي الداودار أن ينزل إلى بيته، ويحتاط على تركته؛ فنزل، واحتاط على موجوده، فوجد في جملة تركته جام ذهب، وخمر في قناني، وزنار الرهابين، والإنجيل الذي بأيدي النصارى، وكتب كثيرة مما يتعلق بعلوم الحكمة. والنجوم، والرمل وغير ذلك. ولم يخلف وارثا؛ فورثه السلطان.

و يقال وجد في تركته صندوق فيه أنواع الفصوص والأحجار المقومة. انتهى كلام العيني.

قلت: وكانت وفاته في العشر الأول من جمادى الآخرة سنة تسع وتسعين وسبعمائة بالقاهرة، وعمره ما ينيف على الثمانين سنة.

ابن الزكي

٠٠ - ٠ - ٦٦٩هـ - ٠٠٠ - ١٢٧٠م الحسين بن يحيى، القاضي زكي الدين بن القاضي محي الدين، المعروف بابن الزكي.

كان فاضلا، نبيلا. مات شابا عن سبع وعشرين سنة، سنة تسع وستين وستمائة.

ابن المطهر المعتزلي

٠٠ - ٠ - ٧٢٦ أو ٧٢٥هـ - ٠٠٠ - ١٣٢٥ - ١٣٢٤م الحسين بن يوسف بن المطهر، الإمام العلامة ذو الفنون جمال الدين بن المطهر الأسدي الحلي المعتزلي، عالم الشيعة، وفقيههم، وصاحب التصانيف التي اشتهرت في حياته.

تقدم في دولة خربندا ملك التتار، تقدما زائدا.

و كان له مماليك ونزوة. وكان يصنف وهو راكب، شرح مختصر ابن الحاجب، وهو مشهور من حياته. وله كتاب في الإمامة، ورد عليه الشيخ تقي الدين بن تيمية في ثلاث مجلدات. وكان ابن تيمية يسميه ابن المنجس.

و كان ابن المطهر المذكور ريض الخلاق، مشتهر الذكر، تخرج به أقوام كثيرة، وحج في أواخر عمره، واخمل، وانزوى إلى الحلة، واستمر في انحطاط إلى أن مات في المحرم سنة ست وعشرين. وقيل في أواخر سنة خمس وعشرين وسبعمائة، وقد ناهز الثمانين. وكان إماما في علم الكلام.

قال الذهبي - رحمه الله - : وقيل إن اسمه يوسف.

و له كتاب الأسرار الخفية في العلوم العقلية.

حرف الدال المهملة

الحبال

.. - . - ٦٧٩هـ - ... - ١٢٨٠م." (١)

"وقال ابن المأمون: وفي هذا الشهر يعني شهر ذي الحجة سنة ست عشرة وخمسمائة جرت نوبة القصار، وهي طويلة، وأولها من الأيام الأفضلية، وكان فيهم رجلان يسمى أحدهما: بركات، والآخر: حميد بن مكي الإطفيحي القصار، مع جماعة يعرفون بالبديعية، وهم على الإسلام والمذاهب الثلاثة المشهورة، وكانوا يجتمعون في دار العلم بالقاهرة، فاعتمد بركات من جملتهم أن استفسد عقول جماعة، وأخرجهم عن الصواب، وكان ذلك في أيام الأفضل فأمر للوقت بغلق دار العلم، والقبض على المذكور، فهرب، وكان من جملة من استفسد عقله بركات المذكور: أستاذان من القصر.

فلما طلب بركات المذكور، واستتر دقق الأستاذان الحيلة إلى أن دخلاه عندهما في زي جارية اشترياها، وقاما بحقه، وجميع ما يحتاج إليه، وصار أهله يدخلون إليه في بعض الأوقات، فمرض بركات عند الأستاذين، فحارا في أمره ومداواته، وتعذر عليهما إحضار طبيب له، واشتد مرضه، ومات، فأعملا الحيلة، وعرفا زمام القصر، أن إحدى عجائزهما قد توفيت، وأن عجائزهما يغسلنها على عادة القصور، ويشيعنها إلى تربة النعمان بالقرافة، وكتبا عدة من يخرج، ففسح لهما في العدة، وأخذا في غسله، وألبساه ما أخذاه من أهله، وهو ثياب معلمة، وشاشية ومنديل، وطيلسان مقور، وأدرجوه في الديبقي، وتوجه مع التابوت الأستاذان المشار إليهما، فلما قطعوا به بعض الطريق أرادا تكميل الأجر له على قدر عقولهما، فقالا للحمالين: هو رجل تربيته عندنا فنادوا عليه: نداء الرجال، واكتموا الحال، وهذه أربعة دنانير لكم، فسر الحمالون بذلك، فلما عادوا إلى صاحب الدكان عرفوه بما جرى، وقاسموه الدنانير، فخافت نفسه، وعلم أنها قضية لا تخفى، فمضى بهم إلى الوالي، وشرح له القضية فأودعهم في الاعتقال، وأخذ الذهب منهم، وكتب مطالعة بالحال.

فمن أول ما سمع القائد أبو عبد الله بن فاتك الذي قيل له بعد ذلك: المأمون بالقضية، وكان مدبر الأمور في الأيام الأفضلية قال: هو بركات المطلوب، وأمر بإحضار الأستاذين والكشف عن القضية، وإحضار الحمالين، والكشف عن القبر بحضورهم، فإذا تحققوه أمرهم بلعنه، فمن أجاب إلى ذلك منهم أطلقوه، ومن أبى أحضروه، فحققوا معرفته، فمنهم من بصق في وجهه، وتبرأ منه، ومنهم من هم بتقبيله، ولم يتبرأ منه، فجلس الأفضل واستدعى الوالي والسياف، واستدعى من كان تحت الحوطة من أصحابه، فكل من تبرأ منه، ولعنه أطلق سبيله، وبقي من الجماعة ممن لم يتبرأ منه: خمسة نفر وصبي لم يبلغ الحلم، فأمر بضرب رقابهم، وطلب الأستاذين، فلم يقدر عليهما، وقال للصبي: من لفظه تبرأ منه، وأنعم عليك، وأطلق سبيلك فقال له: الله يطالبك إن لم تلحقني بهم، فإني مشاهد ما هم فيه، وأخذ بسيفه على الأفضل، فأمر بضرب عنقه، فلما توفي الأفضل أمر الخليفة الآمر بأحكام الله: وزيره المأمون بن البطائحي باتخاذ دار العلم، وأفسد عقل أستاذ وخياط، وجماعة، وادعى الربوبية فحضر الداعي ابن عبد الحقيق إلى الوزير المأمون، وعفه بأن هذا قد تعرف بطرف من علم الكلام، على مذهب أبي الحسن الأشعري، ثم انسلخ عن الإسلام، وسلك طريق الحلاج في التمويه فاستهوى من ضعف عقله، وقلة بصيرته، فإن الحلاج في أول أمره كان يدعي أنه: داعية المهدي، ثم ادعى أنه المهدي ثم ادعى الإلهية، وأن الجن تخدمه، وأنه

---

(١) المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، ٤٣٤/١

أحيي عدة من الطيور، وكان هذا القصار شيعي الدين، وجرت له أمور في الأيام الأفضلية، ونفي دفعة واعتقل أخرى، ثم هرب بعد ذلك، ثم حضر وصار يواصل طلوع الجبل، واستصحب من استهواء من أصحابه، فإذا أبعد قال لبعضهم بعد أن يصلي ركعتين: نطلب شيئا تأكله أصحابنا فيمضي، ولا يلبث دون أن يعود، ومعه ما كان أعده مع بعض خاصته الذين يطلعون على باطنه، فكانوا يهابونه ويعظمونه حتى أنهم يخافون الإثم في تأمل صورته، فلا ينفكون مطرفين بين يديه، وكان قصيرا دميم الخلقة، وادعى مع ذلك الربوبية وكان ممن اختص بحميد رجل خياط وخصي، فرسم المأمون بالقبض على المذكور، وعلى جميع أصحابه فهرب الخياط، وطلب فلم يوجد، ونودي عليه وبذل لمن يحضر به مال، فلم يقدر عليه، واعتقل القصار وأصحابه، وقرروا فلم يقروا بشيء من حاله، وبعد أيام تماوت في الحبس.." (١)

"و أمره بموالاة أمير الأندلس. و خرج صالح إلى المشرق و وعد أنه ينصرف إليهم في دولة السابع من ملوكهم، و زعم أنه المهدي الأكبر الذي يخرج في آخر الزمان لقتال الدجال، و أن عيسى بن مريم يكون من أصحابه و يصلي خلفه، و أنه يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا، و تكلم لهم في ذلك كلاما كثيرا نسبه إلى موسى الكليم عليه السلام و إلى سطيح الكاهن و إلى ابن عباس. و زعم أن اسمه في العربي صالح و في السرياني مالك «٤» و في الأعجمي عالم و في العبراني و ربيا و في البربرية و رياورى، أي الذي ليس بعده شي ء. و تولى ألياس الأمر بعد خروج أبيه يظهر ديانة الإسلام و يسر «٥» الذي عهد إليه به أبوه خوفا و تقية، و كان طاهرا عفيفا لم يلتبس بشي ء من الدنيا إلى أن هلك بعد أن ملك خمسين سنة.

١٣٧١ و ولد ألياس جماعة منهم يونس، فتولى الأمر بعد أبيه فأظهر ديانتهم و دعا إليها و قتل من لم يدخل فيها حتى أخلى ثلاثمائة مدينة و سبعا و ثمانين مدينة، حمل جميع أهلها على السيف لمخالفتهم إياه و قتل منهم بموضع يقال له

المسالك و الممالك(البكرى)، ج ٢، ص: ٨٢١

تاملوكاف، و هو حجر نابت عالي وسط السوق، سبعة آلاف و سبعمائة و سبعين «١» قتيلا، و قتل من صنهاجة خاصة في وقعة واحدة ألف و غد، و الوغد عندهم المنفرد الوحيد الذي لا أخ له و لا ابن عم، و ذلك في البربر قليل و إنما أحصوا الأقل ليستدل به على الأعظم «٢» الأكثر. قال زمور:

و رحل يونس إلى المشرق و حج و لم يحج أحد من أهل بيته قبله و لا بعده.

و مات يونس بن الياس «٣» بعد أن ملك أربعا و أربعين سنة.." (٢)

"ولمالك بن وهيب هذا تحقق بكثير من أجزاء الفلسفة رأيت بخطه كتاب الثمرة لبطليموس في الأحكام وكتاب المجسطي في علم الهيئة وعليه حواش بتقييده أيام قراءته إياه على رجل من أهل قرطبة اسمه حمد الذهبي.

ولما سمع مالك هذا كلام محمد بن تومرت استشعر حدة نفسه وذكاء خاطره واتساع عبارته فأشار على أمير المسلمين بقتله وقال: هذا رجل مفسد لا تؤمن غائلته ولا يسمى كلامه أحد إلا مال إليه وإن وقع هذا في بلاد المصامدة ثار علينا منه

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٨٢/٢

(٢) المسالك والممالك. البكري، ١٨٦/٢

شر كثير! فتوقف أمير المسلمين في قتله وأبى ذلك على دينه – وكان رجلاً صالحاً مجاب الدعوة – يعد في قوام الليل وصوام النهار إلا أنه كان ضعيفاً مستضعفاً ظهرت في آخر زمانه مناكر كثيرة وفواحش شنيعة من استيلاء النساء على الأحوال واستبدادهن بالأمور وكان كل شرير من لص أو قاطع طريق ينتسب إلى امرأة قد جعلها ملجأً له ووزراً على ما تقدم.

فلما يئس مالك مما أراده من قتل ابن تومرت أشار عليه بسجنه حتى يموت فقال: أمير المسلمين علام نأخذ رجلاً من المسلمين نسجنه ولم يتعين لنا عليه حق؟ وهل السجن إلا أخو القتل؟ ولكن نأمره أن يخرج عنا من البلد وليتوجه حيث شاء!.

فخرج هو وأصحابه متوجهاً إلى سوس فنزل بموضع منها يعرف بتينمل.

بدء دعوة الموحدين

من هذا الموضع قامت دعوته وبه قبره ولما نزله اجتمع إليه وجوه المصامدة فشرع في تدريس العلم والدعاء إلى الخير من غير أن يظهر إمرة ولا طلبة ملك وألف لهم عقيدة بلسانهم وكان أفصح أهل زمانه في ذلك اللسان فلما فهموا معاني تلك العقيدة زاد تعظيمهم له وأشربت قلوبهم محبته وأجسامهم طاعته فلما استوثق منهم دعاهم إلى القيام معه أولاً على صورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا غير ونهاهم عن سفك الدماء ولم يأذن لهم فيها وأقاموا على ذلك مدة وأمر رجالاً منهم ممن استصلح عقولهم بنصب الدعوة واستمالة رؤساء القبائل وجعل يذكر المهدي ويشوق إليه وجمع الأحاديث التي جاءت فيه من المصنفات فلما قرر في نفوسهم فضيلة المهدي ونسبه ونعته ادعى ذلك لنفسه وقال: أنا محمد بن عبد الله ورفع نسبه إلى النبي صلى الله عليه وسلم وصرح بدعوى العصمة لنفسه وأنه المهدي المعصوم وروى في ذلك أحاديث كثيرة حتى استقر عندهم أنه المهدي وبسط يده فبايعوه على ذلك وقال: أبايعكم على ما بايع عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رسول الله.

ثم صنف لهم تصانيف في العلم منها كتاب سماه أعز ما يطلب وعقائد في أصول الدين وكان على مذهب أبي الحسن الأشعري في أكثر المسائل إلا في إثبات الصفات فإنه وافق المعتزلة في نفيها وفي مسائل قليلة غيرها وكان يبطن شيئاً من التشيع غير أنه لم يظهر منه إلى العامة شيء.

طبقات الموحدين

وصنف أصحابه طبقات فجعل منهم العشرة وهم المهاجرون الأولون الذين أسرعوا إلى إجابته – وهم المسمون بالجماعة – وجعل منهم الخمسين – وهم الطبقة الثانية – وهذه الطبقات لا تجمعها قبيلة واحدة بل هم من قبائل شتى وكان يسميهم المؤمنين ويقول لهم ما على وجه الأرض من يؤمن إيمانكم وأنتم العصابة المعنيون بقوله عليه الصلاة والسلام: " لا تزال طائفة بالمغرب ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله " وأنتم الذين يفتح الله بكم فارس والروم ويقتل الدجال ومنكم الأمير الذي يصلي بعيسى بن مريم ولا يزال الأمر فيكم إلى قيام الساعة هذا مع جزئيات كان يخبرهم بها وقع أكثرها وكان يقول: لو شئت أن أعد خلفاءكم خليفة خليفة.

فزادت فتنة القوم به وأظهروا له شدة الطاعة.

وقد نظم هذا الذي وصفناه من قول ابن تومرت في تخليد هذا الأمر رجل من أهل الجزائر – مدينة من أعمال بجاية – وفد

على أمير المؤمنين أبي يعقوب وهو بتينمل فقام على قبر ابن تومرت بمحضر من الموحدين وأنشد قصيدة أولها:

سلام على قبر الإمام الممجد ... سلالة خير العالمين محمد

ومشبهه في خلقه ثم في اسمه ... وفي اسم أبيه والقضاء المسدد

ومحيي علوم الدين بعد مماتها ... ومظهر أسرار الكتاب المسدد

أتتنا به البشرى بأن يملأ الدنا ... بقسط وعدل في الأنام مخلد

ويفتتح الأمصار شرقاً ومغرباً ... ويملك عرباً من مغير ومنجد." (١)

" وتناسلوا

والبربر أجفى خلق الله وأكثرهم طيشا وأسرعهم إلى الفتنة وأطوعهم لداعية الضلالة وأصغاهم لنمق الجهالة ولم تخل جبالهم من الفتن وسفك الدماء قط ولهم أحوال عجيبة واصطلاحات غريبة وقد حسن لهم الشيطان الغوايات وزين لهم الضلالات حتى صارت طبائعهم إلى الباطل مائلة وغرائزهم في ضد الحق جائلة فكم من ادعى فيهم النبوة فقبلوا وكم زاعم فيهم أنه المهدي الموعود به فأجابوا داعيه ولمذهبه انتحلوا وكم ادعى فيهم مذاهب الخوارج فإلى مذهبه بعد الإسلام انتقلوا ثم سفكوا الدماء المحرمة واستباحوا الفروج بغير حق ونهبوا الأموال واستباحوا الرجال لا بشجاعة فيهم معروفة ولكن بكثرة العدد وتواتر المدد

وتحكى عنهم عجائب منها ما ذكره ابن حوقل التاجر الموصلي وكان قد طاف تلك البلاد وأثبت ما شاهد منهم ومن غيرهم قال وأكثر بربر المغرب من سجلماسة إلى السوس وأغمات وفاس إلى نواحي تاهرت وإلى تونس والمسيلة وطنبة وباغاية إلى اكزبال وازفون ونواحي بونة إلى مدينة قسطنطينة الهواء وكتامة وميلة وسطيف يضيفون المارة ويطعمون الطعام ويكرمون الضيف حتى بأولادهم الذكور لا يمتنعون من طالب البتة بل لو طلب الضيف هذا المعنى من أكبرهم قدرا وأكثرهم حمية وشجاعة لم يمتنع عليه وقد جاهدهم أبو عبد الله الشيعي على ذلك حتى بلغ بهم أشد مبلغ فما تركوه قال وسمعت أبا علي ابن أبي سعيد يقول أن ليبلغ بهم فرط المحبة في إكرام الضيف أن يؤمر الصبي الجليل الأب والأصل الخطير في نفسه وماله بمضاجعة الضيف ليقضي منه وطره ويرون ذلك كرما والإباء عنه عارا ونقصا ولهم من هذا فضائح ذكر بعضها إمام أهل المغرب أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الأندلسي في كتاب له سماه الفضائح فيه تصديق لقول ابن حوقل وقد ذكرت ذلك في كتابي الذي رسمته بأخبار أهل الملل وقصص أهل النحل في مقالات أهل الإسلام

وذكر محمد بن أحمد الهمذاني في كتابه مرفوعا إلى أنس بن مالك قال جئت إلى النبي صلى الله عليه و سلم ومعي وصيف بربري فقال يا أنس ما جنس هذا الغلام فقلت بربري يا رسول الله فقال يا أنس بعه ولو بدينار فقلت له ولم يا رسول الله قال إنهم أمة بعث الله إليهم نبيا فذبحوه وطبخوه وأكلوا لحمه وبعثوا من المرق إلى النساء فلم يتحسوه فقال الله تعالى لا اتخذت منكم نبيا ولا بعثت فيكم رسولا وكان يقال تزوجوا في نسائهم ولا تؤاخوا رجالهم ويقال إن الحدة والطيش عشرة أجزاء تسعة في البربر وجزء في سائر الخلق

(١) المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص/٥٣

ويروي عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال ما تحت أديم السماء ولا على الأرض خلق شر من البربر ولئن أتصدق بعلاقة سوطي في سبيل الله أحب إلي من أن أعتق رقبة بربري قلت هكذا وردت هذه الآثار ولا أدري ما المراد بها السود أم البيض أنشدني أبو القاسم النحوي الأندلسي الملقب بالعلم لبعض المغاربة يهجو البربر فقال رأيت آدم في نومي فقلت له أبا البرية إن الناس قد حكموا أن البرابر نسل عنك قال أنا حواء طالقة إن كان ما زعموا بربرة هذه بلاد أخرى بين بلاد الحبش والزنج واليمن على ساحر بحر اليمن وبحر الزنج وأهلها سودان جدا ولهم لغة برأسها لا يفهمها غيرهم وهم بواد معيشتهم من صيد الوحش وفي بلادهم وحوش ." (١)

"حدثني حرمي بن أبي العلاء، قال: حدثنا زبير، عن عمه مصعب، أظنه عن أبيه: أن أمه رخية أمة كانت لفاختة بنت فليج بن المنذر بن الزبير، وأن محمداً كان رآها فأعجبته فسأل فاختة فيها. فقالت له: إنها لغير رشدة، فقال لها: إن الدنس لا يلحق الأعقاب. فقالت: والله ما يلحق إلا الأعقاب وإن شئت فقد وهبتها لك، فوهبتها له، فولدت منه ولداً فكان معه في جبال جهينة، ففزع يوماً فسقط الصبي من الجبل فتقطع.

حدثني عمر، قال: أبو زيد، قال: حدثنا عيسى بن عبد الله، قال: حدثني عمي عبيد الله بن محمد، قال: قال محمد بن عبد الله: بينا أنا برضوي مع أم ولد لي، معها ابن لي ترضعه إذا ابن استوطأ مولى لأهل المدينة قد هجم علي في الجبل يطلبني فخرجت هارباً وهربت الجارية فسقط الصبي منهم، فتقطع، رحمة الله عليه.

أخبرنا عمر بن عبد الله، قال: حدثنا عمر بن عبد الله، قال حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثني عبد الله بن محمد بن حكم الطائي، قال: لما سقط ابن لمحمد فمات، ولقى محمد ما لقى، قال:

منخرق الخفين يشكو الوجى ... تنكبه أطراف مرو حداد

شرده الخوف فأزرى به ... كذاك من يكره حر الجلاد

قد كان في الموت له راحة ... والموت حتم في رقاب العباد

محمد بن عبد الله بن الحسن

ومحمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام ويكنى أبا عبد الله.

وأمه هند بنت أبي عبيدة بن عبد الله بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي.

وأمها قريبة بنت يزيد بن عبد الله بن وهب بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد.

وأمها خديجة بنت محمد بن طليب بن أزهر بن عبد عوف بن عبد الحرث.

وأمها أم مسلم بنت عبد الرحمن بن أزهر بن عبد عوف.

وأمها قدة بنت عرفجة بن عثمان بن عبد الله بن عمر بن مخزوم.

وأمها الدنيبة بنت عبد عوف بن عبد بن الحرث بن زهرة.

وأمها بنت العداء بن هرم بن رواحة بن حجر بن عبد بن معيص بن عامر بن لؤي.

---

(١) معجم البلدان، ٣٦٩/١

وأمها رزا بنت وهب بن ثعلبة بن وائلة بن عمرو بن شيبان بن محارب بن فهر.

وأمها من بني الأحمر بن الحرث بن عبد مناف بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر.

وكان يقال له: صريح قريش لأنه لم يقم عنه أم ولد في جميع آبائه وأمهاته وجداته.

وكان أهل بيته يسمونه المهدي، ويقدرون أنه الذي جاءت فيه الرواية.

وكان علماء آل أبي طالب يرون فيه أنه النفس الزكية، وأنه المقتول بأحجار الزيت.

وكان من أفضل أهل بيته، وأكبر أهل زمانه في زمانه، في علمه بكتاب الله، وحفظه له، وفقهه في الدين، وشجاعته، وجوده، وبأسه، وكل أمر يجمل بمثله، حتى لم يشك أحد أنه المهدي، وشاع ذلك له في العامة؛ وبايعه رجال من بني هاشم جميعاً، من آل أبي طالب، وآل العباس، وساير بني هاشم؛ ثم ظهر من جعفر بن محمد قول في أنه لا يملك، وأن الملك يكون في بني العباس، فانتبهوا من ذلك لأمر لم يكونوا يطمعون فيه.

وخرجت دعاة بني هاشم إلى النواحي عند مقتل الوليد بن يزيد، واختلاف كلمة بني مروان، فكان أول ما يظهرونه فضل علي بن أبي طالب وولده، وما لحقهم من القتل والخوف والتشريد، فإذا استتب لهم الأمر ادعى كل فريق منهم الوصية لمن يدعو إليه. فلما ظهرت الدعوة لبني العباس وملكوا، حرص السفاح، والمنصور على الظفر بمحمد وإبراهيم لما في أعناقهم من البيعة لمحمد؛ وتواريات فلم يزالا ينتقلان في الاستتار، والطلب يزعجهما من ناحية إلى أخرى، حتى ظهرا فقتلا، صلوات الله عليهما ورضوانه!.

قال أبو الفرج الأصبهاني: وأنا أذكر من ذلك طرفاً يتسق به خبرهما دون الإطالة لسائر ما عندي من ذلك، إذ كان هذا كتاباً مختصراً قريب المأخذ، وكان شرح جميع ما روى في ذلك – على كثرته – يطول به الكتاب.

وكان أبو عبيدة سيداً من سادات قريش وأجوادها.

قال الزبير – فيما أخبرني حرمي بن أبي العلاء – قال: حدثني سليمان بن عياس السعدي، قال: لما توفي أبو عبيدة وجدت عليه ابنته هند وجداً شديداً، فكلم عبد الله بن الحسن محمد بن يسير الخارجي في أن يدخل على هند بنت أبي عبيدة فيعزيها، ويؤسيها عن أبيها، فدخل معه عليها، فلما نظر إليها صاح بأبعد صوته:

قومي اضربي عينيك يا هند لن تري ... أباً مثله تثمو إليه المفاخر." (١)

"كان موسى، وعبد الله ابنا جعفر، عند محمد بن عبد الله، فأتاه جعفر فسلم، ثم قال: تحب أن يصطلم أهل بيتك؟ قال: ما أحب ذلك. قال: فإن رأيت أن تأذن لي فإنك تعرف علتي. قال: قد أذنت لك. ثم التفت محمد بعدما مضى جعفر، إلى موسى، وعبد الله ابني جعفر فقال: الحقا بأبيكما فقد أذنت لكما، فانصرفا. فالتفت جعفر فقال: ما لكما؟ قال: قد أذن لنا. فقال جعفر: إرجعا فما كنت بالذي أبخل بنفسي وبكما عنه، فجرعا فشهدا محمداً.

أخبرنا علي بن العباس. قال حدثنا يحيى بن الحسن بن محمد بن عبد الواحد، قال: حدثنا يحيى بن الحسن بن الفرات، عن غالب الأسدي، قال: سمعت عيسى بن زيد يقول: لو أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم أنه باعث بعده نبياً لكان

---

(١) مقاتل الطالبيين، ص/٦٣

ذلك النبي محمد بن عبد الله بن الحسن.

فقال يحيى بن الحسن – فيما حدثني ابن سعيد عنه – قال: يعقوب بن عربي: سمعت أبا جعفر المنصور يقول في أيام بني أمية، وهو في نفر من بني أبيه " عند محمد بن عبد الله بن حسن " قال: ما في آل محمد صلى الله عليه وسلم أعلم بدين الله، ولا أحق بولاية الأمر من محمد بن عبد الله، وبايع له، وكان يعرفني بصحبته والخروج معه. قال يعقوب بن عربي: فلما قتل محمد حبسني بضع عشرة سنة.

أخبرني يحيى بن علي، وأحمد بن عبد العزيز، وعمر بن عبيد الله العتكي، قالوا: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثني محمد بن يحيى، عن عبد العزيز بن عمران، عن عبد الله بن جعفر بن عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة، قال أبو زيد، وحدثني جعفر بن محمد بن إسماعيل بن الفضل الهاشمي، عن رجل من بني كناةن، قال أبو زيد، وحدثني عبد الرحمن بن عمرو بن حبيب، عن الحسن بن أيوب مولى بني نمير، عن عبد الأعلى بن أعين. كل هؤلاء قد روى هذا الحديث بألفاظ مختلفة، ومعان قريبة، فجمعت رواياتهم، لئلا يطول الكتاب بتكرير الأسانيد: أن بني هاشم اجتمعوا فخطبهم عبد الله بن الحسن فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إنكم أهل البيت قد فضلكم الله بالرسالة، واختاركم لها، وأكثركم بركة يا ذرية محمد صلى الله عليه وسلم بنو عمه وعترته، وأولى الناس بالفزع في أمر الله، من وضعه الله موضعكم من نبيه صلى الله عليه وسلم، وقد ترون كتاب الله معطلاً، وسنة نبيه متروكة، والباطل حياً، والحق ميتاً. قاتلوا لله في الطلب لرضاه بما هو أهله، قبل أن ينزع منكم اسمكم، وتهونوا عليه كما هانت بنوا إسرائيل، وكانوا أحب خلقه إليه. وقد علمتم أنا لم نزل نسمع أن هؤلاء القوم إذا قتل بعضهم بعضاً خرج الأمر من أيديهم، فقد قتلوا صاحبهم – يعني الوليد بن يزيد – فهلم نبايع محمداً، فقد علمتم أنه المهدي.

فقالوا: لم يجتمع أصحابنا بعد، ولو اجتمعوا فعلنا، ولسنا نرى أبا عبد الله جعفر بن محمد، فأرسل إليه ابن الحسن فأبى أن يأتي، فقام وقال: أنا آت به الساعة، فخرج بنفسه حتى أتى مضرب الفضل بن عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحرث، فأوسع له الفضل ولم يصدره، فعلمت أن الفضل أسن منه، فقام له جعفر وصدره، فعلمت أنه أسن منه.

ثم خرجنا جميعاً حتى أتينا عبد الله، فدعى إلى بيعة محمد، فقال له جعفر: إنك شيخ، وإن شئت بايعتك، وأما ابنك فوالله لا أبايعه وأدعك.

وقال عبد الله الأعلى في حديثه: إن عبد الله بن الحسن قال لهم: لا ترسلوا إلى جعفر فإنه يفسد عليكم، فأبوا. قال: فأتاهم وأنا معهم، فأوسع له عبد الله إلى جانبه وقال: قد علمت ما صنع بنا بنو أمية، وقد رأينا أن نبايع لهذا الفتى.

فقال: لا تفعلوا: فإن الأمر لم يأت بعد.

فغضب عبد الله وقال: لقد علمت خلاف ما تقول، ولكنه يحملك على ذلك الحسن لابني.

فقال: لا والله، ما ذاك يحملني، ولكن هذا وإخوته وأبناؤهم دونكم. وضرب يده على ظهر أبي العباس، ثم نهض واتبعه، ولحقه عبد الصمد، وأبو جعفر فقالا: يا أبا عبد الله، أتقول ذلك؟ قال: نعم والله أقوله وأعلمه!.

قال أبو زيد، وحدثني إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن أبي الكرام بهذا الحديث، عن أبيه: أن جعفراً قال لعبد الله بن الحسن:

إنها والله ما هي إليك، ولا إلى ابنيك، ولكنها لهؤلاء، وإن ابنيك لمقتولان. فتفرق أهل المجلس ولم يجتمعوا بعدها.

وقال عبد الله بن جعفر بن المسور في حديثه:." (١)

"لما أخذ أبو جعفر بني الحسن، وأمر رياحاً فجاء بهم إلى الربذة قال له: ابعث الساعة إلى عبد الرحمن بن أبي الموالي فجئني به. قال: فبعث رياح إلي فأخذت وجيء بي إليه، فلما صرت بالربذة رأيت بني الحسن مقيدين في الشمس، فدعاني أبو جعفر من بينهم فأدخلت عليه، وعنده عيسى بن علي، فلما رآني عيسى قال له المنصور: أهو هو؟.

قال: نعم هو هو يا أمير المؤمنين، وإن أنت شددت عليه أخبرك بمكانهم. فدنوت فسلمت، فقال أبو جعفر: لا سلم الله عليك، أين الفاسقان ابنا الفاسق؟ أين الكذابان ابنا الكذاب؟.

فقلت يا أمير المؤمنين: هل ينفعني الصدق عندك؟ قال: وما ذاك؟ قال: قلت: امرأتي طالق إن كنت أعرف مكانهما، فلم يقبل ذلك مني، وقال: السياط، فأتى بالسياط، وأقمت بين العقابين، فضربني أربعمائة سوط، فما عقلت بها حتى رفع عني، ثم رددت إلى أصحابي على تلك الحال.

أخبرني عيسى بن الحسين، قال: حدثنا هرون بن موسى الفروي، قال: وخرج عبد الواحد بن أبي عون، مع محمد بن عبد الله وكان من دوس، وكان منقطعاً إلى عبد الله بن الحسن، فطلبه أبو جعفر فيمن طلب بعد مقتل محمد، فتوارى عند محمد بن يعقوب بن عيينة، فمات عنده فجاءه في سنة أربع وأربعين ومائة. وقد حمل عنه الحديث، وكان ثقة.

أخبرني وكيع، قال: حدثنا إسماعيل بن مجمع، عن الواقدي، قال: كان ابن عجلان فقيه أهل المدينة وعابدهم غير مدافع. وكان له حلقة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم يفتي فيها الناس ويحدثهم. فلما خرج محمد بن عبد الله بن الحسن خرج معه، فلما قتل محمد، وولى جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس المدينة بعث إلى ابن عجلان فأتى به فسكت فقال له: أخرجت مع الكذاب؟ وأمر بقطع يده، فلم يتكلم ابن عجلان بكلمة إلا أنه كان يحرك شفتيه بشيء لا يدري ما هو، فظن أنه يدعون فقام من حضر جعفراً من فقهاء المدينة وأشرافها فقالوا له: أصلح الله الأمير، محمد بن عجلان فقيه أهل المدينة وعابدهم، وإنما شبه عليه، وظن أنه المهدي الذي جاءت فيه الرواية، فلم يزالوا يطلبون إليه، حتى تركه. فولى ابن عجلان منصرفاً، فلم يتكلم بكلمة حتى أتى منزله.

قال الواقدي: وقد رأيته وسمعت منه، وكان ثقة كثير الحديث. مات بالمدينة سنة ثمان أو تسع وأربعين ومائة، في خلافة أبي جعفر.

أخبرني وكيع، قال: حدثنا إسماعيل بن مجمع، عن الواقدي، قال: خرج عبد الله بن عمر بن العمري، مع محمد بن عبد الله، هو، وأخوه، وأبو بكر بن عمر، فلم يزل معه حتى انقضى أمره وقتل، فاستخفى عبد الله بن عمر، ثم طلب فوجد فأتى به أبو جعفر فأمر بحبسه فحبس في المطبق سنين، ثم دعاء به فقال: ألم أفضلك وأكرمك، ثم تخرج علي مع الكذاب؟ فقال: يا أمير المؤمنين، وقعنا في أمر لم نعرف له وجهاً، والفتنة كانت شاملة، فإن رأي أمير المؤمنين أن يعفو، ويصفح، ويحفظ في عمر بن الخطاب، فليفعل.

---

(١) مقاتل الطالبيين، ص/٦٩

قال: فتركه وخلى سبيله.

قال: وكان عبد الله يكنى أبا القاسم، فتركها وتكنى أبا عبد الرحمن وقال: لا أتكنى بكنية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، إعظاماً لها.

قال الواقدي: فكان عبد الله بن عمر كثير الحديث، وروى عن نافع روايات كثيرة، وعمر عمراً طويلاً، حتى لقيته الأحداث. ومات في خلافة هرون سنة إحدى، أو اثنتين وسبعين ومائة.

حدثنا علي بن العباس، قال حدثنا بكار بن أحمد، قال: حدثنا الحسن بن الحسين، قال: حدثنا عبد الله بن الزبير الأسدي، وكان في صحابة محمد بن عبد الله، قال: رأيت محمد بن عبد الله عليه سيف محلى يوم خرج، فقلت له: أتلبس سيفاً محلى؟ فقال أي بأس بذلك، قد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسون السيوف المحلاة.

عبد الله بن الزبير هذا أبو أحمد الزبير المحدث، وهو أيضاً من وجوه محدثي الشيعة، روى عنه عباد بن يعقوب ونظراؤه، ومن هو أكبر منه.

أخبرني محمد بن خلف بن وكيع، قال: حدثنا إسماعيل بن مجمع، عن الواقدي قال: خرج عبد الله بن جعفر بن عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة، مع محمد بن عبد الله بن الحسن وكان من ثقات أصحاب محمد، وكان يعلم علمه في تواريه، وكان إذا دخل المدينة مستخفياً فجاءه فنزل في داره، فكان أبو جعفر يدخل على الأمراء يسمع كلامهم، ويعرف أمورهم سائر نهاره يروح إليه فيخبره بذلك.." (١)

"وفيها ظهر جبلي، وادعى أنه المهدي بجبلة، وثار معه خلق من النصيرية والجهلة، وبلغوا ثلاثة آلاف، فقال: أنا محمد المصطفى، ومرة قال: أنا علي وتارة قال: أنا محمد بن الحسن المنتظر، فزعم أن الناس كفرة، وأن دين النصيرية هو الحق. وأن الناصر صاحب مصر قد مات، وعاثوا في السواحل، واستباحوا جبلة، ورفعوا أصواتهم يقولون: لا إله إلا علي، ولا حجاب إلا محمد، ولا باب إلا سلمان. ولعنوا الشيخين، وخربوا المساجد، وكانوا يحضرون المسلم إلى طاغيتهم، ويقولون: اسجد لإلهك، فسار إليهم عسكر طرابلس، وقتل الطاغية وجماعة ومزقوا.

وفيها مات المحدث الإمام الشيخ علي بن محمد الحسيني الصوفي في المحرم عن سبع وأربعين سنة، روى عن الفخر علي، وتاج الدين الفزاري. كان تقيا دينا مؤثرا، كثير المحاسن.

وفيها مات بدمشق قاضي المالكية المعمر جمال الدين محمد بن سليمان الزواوي وبقي قاضيها ثلاثين سنة.

سنة ثمان عشرة وسبع مائة

فيها كان القحط المفرط بالجزيرة، وديار بكر كلت الميتة، وبيعت الأولاد، ومات بعض الناس من الجوع، وجرى ما لا يعبر عنه، وكان أهل بغداد في قحط أيضا دون ذلك.

وجاءت بأرض طرابلس زوبعة أهلكت جماعة، وحملت الجمال في الجو، وأمسك السلطان جماعة أمراء.

وفيها مات بزاويته الإمام القدوة، بركة الوقت، الشيخ محمد بن عمر ابن الشيخ الكبير أبي بكر بن قوام النابلسي عن سبع

---

(١) مقاتل الطالبيين، ص/٧٩

وستين سنة، روى عن إسحاق ابن طبرزد، وكان محمود الطريقة، متين الديانة.
وفيها مات بدمشق الإمام الكبير أبو الوليد محمد بن أبي القاسم القرطبي إمام محراب المالكية.
وفيها مات مسند الوقت الصالح أبو بكر بن المنذر بن زين الدين أحمد بن عبد الدائم المقدسي.
وفيها مات العلامة المفتي كمال الدين أحمد ابن الشيخ جمال الدين محمد بن أحمد الشريشي.
وفيها مات شيخ القراء والنحاة مجد الدين أبو بكر محمد بن قاسم المرسي التونسي الشافعي، تخرج به الفضلاء، وكان دينا صينا ذكيا، قال الذهبي: حدثنا عن الفخر علي.
وفيها ماتت بالصالحية زينب بنت عبد الله بن الرضي، عن نيف وثمانين سنة. روت عن الحافظ الضياء، وتفردت بأجزاء.
وفيها مات العلامة قاضي المالكية بدمشق فخر الدين أحمد بن سلامة القضاعي. وكان حميد السيرة بصيرا بالعلم محتشما.
سنة تسع عشرة وسبع مائة
فيها حج السلطان الملك الناصر من مصر، وفيها كانت الملحمة العظمى بالأندلس بظاهر غرناطة، فقتل فيها من الفرنج أزيد من ستين ألفا، ولم يقتل من عرف من عسكر المسلمين سوى ثلاثة عشر نفسا، والحمد لله على نصر دين الإسلام، وعلى سائر أفضاله والأنعام.
وفيها مات مسند الوقت الشرف عيسى بن عبد الرحمن الصالحي المعظم.
وفيها مات بمالقة شيخها العلامة أبو عبد الله محمد بن يحيى القرطبي، عن ثلاث وتسعين سنة، تفرد بالسماع عن الكبار.
سنة عشرين وسبع مائة
فيها حج مع السلطان الأمير عماد الدين الأتوني سلطنة السلطان بحماة، ولقب بالملك المؤيد، وقتل بمصر إسماعيل المقرئ على الزندقة، وسب الأنبياء، وقتل بدمشق عبد الله الرومي الأزرق مملوك الناجي ادعى النبوة وأصر وعمل عقد السلطان على أخت إزبك التي قدمت في البحر، وخلع على الكريم وابن جماعة، وكاتب السر وغيرهم، وغضب السلطان على آل فضل، وأحيط على أقطاعهم بعد أن أعطاهم قناطير من الذهب بحيث أنه أعطاهم في عام أول ألف ألف، وخمس مائة ألف درهم، وغزا الجيش بلاد سيس لكن غرق في نهر خان منهم خلق كثير، وحبس بقلعة دمشق ابن تيمية لإفتائه في الطلاق مخالفا لجماهير أهل السنة، وأمسك نائب غزة الحاوي، وجاء بالسلطانية برد كبار، ووزنت منه واحدة ثمانية عشر درهما، فاستغاث الخلق وبكوا فأبطلت الفاحشة والخمور أجمع بمهمة عليشاه الوزير، وزوج من العواهر خمسة آلاف في نهار واحد، وشقق ألوف من الظروف، وابتنى الجامع الكبير الكريمي بالضبات، وسيق إليه مال كثير، وحج الرحبيون منهم القاضي فخر الدين المصري، وجماعة من العلماء، ووجوه الناس.
وفيها مات المعمر المقرئ الرحلة أبو علي الحسن بن عمر بن عيسى الكردي.
وفيها قتل صاحب مكة حميضة بن أبي نمي الحسني وكان قد نزع عن طاعة السلطان الملك الناصر، وتولى أخوه عطيفة، فقتله جندي التقى به بالبرية غيلة، وهو نائم، ثم قتله السلطان لغدره.." (١)

---

(١) مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان، ٢/٢٤٠

"سيسمح له من بعد بإعلان ﷺلغاء جميع الطرق والمذاهب، باعتبار أن المهدية الخاتمة قد ضمتها تحت رايتها الواحدة.

... رابعا : أكد المهدي أن الرسول أمر عزرائيل ملك الموت بأن يكون معه لايفارقه أبدا، بحيث يبقى في مقدمة جيشه حاملا علامة النصر وهي راية من نور النصر الأبدي على الأعداء.

... وبناء على هذه الأسس الباطنة القوية الواردة في الحضرة المصطفوية أعلن محمد أحمد أنه المهدي المنتظر الذي سيملأ الدنيا قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا. كان ذلك في منتصف عام ١٢٩٧هـ / ١٨٨٠م حيث بدأ بتوجيه الرسائل رسميا إلى زعماء." (١)

"السنوسي ونوه في خطابه بما عرف عنه من ايتقامة وعمل صادق لإقامة الدين بحسبما أخبره الخضر، وأعلمه بأنه المهدي المنتظر وأن الأمر النبوي أفردله مكانة بين الوزراء /الخلفاء فكان من مصيبه كرسي الخليفة المهدوي/ النبوي الثالث عثمان بن عفان، وخيره إن بلغه الخطاب بين الجهاد في بلاده ونواحيها وبين الهجرة إليه ، وهي أحب ،لبايعته وتعزيزه.

... ولكن السنوسي تجاهل تماما تماما خطاب المهدي ولم يرد عليه. كانت السنوسية قد جمعت بين العمل والدعوة لإصلاح المجتمع على مبادئها كطريقة صوفية سلفيةوأسست نظامها الخاص." (٢)

"قال العلاّمة ابن القيم في كلامه عن المهدي: "وأما الرافضة الإمامية، فلهم قول رابع، وهو أن المهدي هو محمد بن الحسن العسكري المنتظر، من ولد الحسين بن علي لا من ولد الحسن الحاضر في الأمصار الغائب عن الأبصار، الذي يورث العصا، ويختم الفضا، دخل سرداب سامراء طفلاً صغيراً من أكثر من خمسمائة سنة، فلم تره بعد ذلك عين، ولم يُحسَّ فيه بخبر ولا أثر، وهم ينتظرونه كل يوم ويقفون بالخيل على باب السرداب ويصيحون به أن يخرج إليهم: اخرج يامولانا! اخرج يامولانا! ثم يرجعون بالخيبة والحرمان، فهذا دأبهم ودأبه، ولقد احسن من قال:

ما آن للسرداب أن تلد الذي

كلمتموه بجهلكم ما آنا؟

فعلى عقولكم العفاءُ فإنكم

ثلثتم العنقاء والغيلانا

ولقد أصبح هؤلاء عاراً على بني آدام، وضحكة يسخر منهم كل عاقل...)(١).

وبذلك يتضح لطالب الحق حقيقة المهدي المنتظر ويعرف الميزان الصحيح لكل من يدعى المهدية.

إن ابن تومرت في دعواه بأنه المهدي المنتظرانحرف عن المنهج الإسلامي الصحيح.

لقد جعل ابن تومرت من المهدية عقيدة الزم بها اتباعه واضاف إلى هذا المعتقد الذي ادّعاه لنفسه امر العصمة حيث قال عن نفسه: بأنه المهدي ________

---

(١) مجلة التاريخ العربي، ص/١٠٧٦٠

(٢) مجلة التاريخ العربي، ص/١٠٧٩٣

(١) انظر: المنار المنيف ص (١٥٢ - ١٥٣)

المعصوم، ثم أشاع ذلك بين اتباعه حتى أصبحوا يطلقون عليه لفظ المعصوم، دون حرج أو تردد، وقد أكد هذا الأمر في مؤلفاته التي انتشرت بينهم إذ جاء فيها: "ويجب أن يكون الإمام معصوماً من الباطل ليهدم الباطل، كما يجب أن يكون معصوماً من الضلال.. ولابد أن يكون الامام معصوماً من هذه الفتن وأن يكون معصوماً من الجور لأن الجائر لايهدم الجور بل يثبته... وأن يكون معصوماً من الكذب لأن الكذب لايهدم الكذب بل يثبته، وأن يكون معصوماً من الباطل.. ولايصح الاتفاق إلا باستناد الأمور إلى أولي الأمر وهو الإمام المعصوم من الباطل والظلم"(١).." [١]

"كما قال بعصمة الامام من الزلل والفساد حيث قال: "لايقوم بحقوق الله إلا العدل الرضا المعصوم من الفساد"(٢)

وهكذا نرى كيف أن القول بالعصمة للأئمة أصبحت اتجاهاً قوياً من اتجاهات دعوة ابن تومرت الفكرية، وقد تمكن من تأصيل هذا الأمر عند اتباعه حتى اطلقوا عليه لقب المعصوم، وأصبح هذا اللقب من أشهر القاب ابن تومرت لدرجة أنهم كانوا يطلقونه عليه دون ذكر لاسمه بسبب اشتهاره به(٣).

وقد حاول ابن تومرت أن يتدرج في اظهار هذا الأمر في بادئ أمره، فبدأ أولا بالتلميح لهم، ثم صرح بدعوى العصمة لنفسه، وأنه المهدي المعصوم، وروي في ذلك أحاديث كثيرة ولم يتورع عن الكذب في دعواه انها تتمثل فيه، لقد سلك مع اتباعه مسلك التدرج فأقنعهم بنسبه العربي الهاشمي ثم بالمهدية ثم ــــــــــــــــ

(١) انظر: اعز ما يطلب ص (٢٤٥ - ٢٤٦)

(٢) اعز ما يطلب ص (٢٤٦)

(٣) انظر: مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود العدد السادس

بالعصمة.

والعصمة عند أهل السنة والجماعة لم تثبت إلا للأنبياء والرسل - عليهم الصلاة والسلام - فيما يبلغون عن الله من شرع ولم يقولوا بها لسواهم حتى لكبار الصحابة الذين خصهم الله بالفضل كأبي بكر، وعمر، وعثمان وعلي وغيرهم(١).." [٢]

"ولما رجع الى المغرب صعد الى جبال المغرب، إلى قوم من البربر وغيرهم: جهالا لايعرفون من دين الاسلام إلا ماشاء فعلمهم الصلاة والزكاة والصيام وغير ذلك من شرائع الإسلام واستجاز ان يظهر لهم أنواعاً من المخاريف، ليدعوهم بها الى الدين، فصار يجيئ الى المقابر يدفن بها أقواماً ويواطئهم على ان يكلموه اذا دعاهم، ويشهدوا له بما طلبه منهم، مثل ان يشهدوا له بأنه المهدي، الذي بشر به رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يواطئ اسمه اسمه، واسم ابيه وانه يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت جوراً ــــــــــــــــ

(١) تجربة الاصلاح عند بن تومرت ص (١٣٨)

وظلماً. وان من اتبعه أفلح، ومن خالفه خسر، ونحو ذلك من الكلام. فاذا اعتقد اولئك البربر ان الموتى يكلمونه ويشهدون

---

(١) دولة الموحدين، ص/٤٠

(٢) دولة الموحدين، ص/٤١

له بذلك، عظم اعتقادهم فيه وطاعتهم لأمره.

ثم أن اولئك المغمورين يهدم عليهم القبور ليموتوا، ولايظهروا امره، واعتقد ان دماء اولئك مباحة بدون هذا، وانه يجوز له اظهار هذا الباطل ليقوم اولئك الجهال بنصره واتباعه. وقد ذكر عنه أهل المغرب واهل المشرق الذين ذكروا اخباره من هذه الحكايات انواعاً وهي مشهورة عند من يعرف حاله عنه...)(١). واستحل دماء الوف مؤلفة من اهل المغرب المالكية، الذين كانوا من اهل الكتاب والسنة على مذهب مالك واهل المدينة. يقرؤن القرآن والحديث: كالصحيحين، والموطأ وغير ذلك والفقه على مذهب اهل المدينة فزعم انهم مشبهة مجسمة ولم يكونوا من أهل هذه المقالة، ولايعرف عن احد من اصحاب مالك القول بالتشبيه والتجسيم.

واستحل أيضاً اموالهم وغير ذلك من المحرمات بهذا التأويل ونحوه من جنس ماكانت تستحله الجهمية المعطلة – كالفلاسفة والمعتزلة وسائر نفاة الصفات – من أهل السنة والجماعة...." [١]

"ويبدو أن الذي دفع ابن تومرت للقيام بعمليات التمييز هو تراجع عدد كبير من الداخلين في دعوته عنها، وذلك بسبب ماتحمله من غلو وشطط، فقام بهذه العملية للتخلص من الذين يشك في اخلاصهم خشية أن يقوى رد الفعل المضاد لدعوته(١) ولما حل ابن تومرت تينمل، أواه أهلها وأعلنوا طاعتهم له، لكنهم كانوا كثيري العدد وافري العدة، وفي منعة بسبب حصانة مدينتهم، فأمرهم ابن تومرت بأن يحضروا إلى المسجد بغير سلاح فلما فعلوا ذلك عدة مرات أمر بعض أتباعه المقربين أن يقتلوهم ففعلوا، ثم دخلوا المدينة وقتلوا منها عدداً كبيراً من الرجال حتى بلغ عدد الذين قتلوا بهذه الحادثة خمسة عشر ألف رجل(٢) ولكي لاتحدث هذه الأعمال رد فعل عند اتباعه، أو تلقى معارضة عند الناس، فإنه كان يظهر بشيء من الخوارق والمعجزات حتى يؤصل في نفوس الناس شرعية مايقوم، ويدعو إليه، فقد ذكر المؤرخون انه كان يتواطأ مع بعض أصحابه على أن يدفنهم في المقابر وهم أحياء حيث يترك لهم مكاناً للتنفس، ويأمرهم بأن يكلموه إذا دعاهم، وليشهدوا له بما يطلبه منهم كأن يشهدوا بأنه المهدي الذي بشر به رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأنه هو الذي يملأ الأرض قسطا وعدلا، كما ملئت جوراً وظلماً، وأن من اتبعه أفلح، ومن خالفه خسر، وحينما يسمع أتباعه أن الموتى يكلمونه، ويشهدون له بصحة مايدعوا إليه ويعظم اعتقادهم فيه، وتتأكد طاعتهم له، أما أولئك المقبورون فانه بعد أن ينهوا المهمة التي من أجلها قبوروا يستبيح دمائهم حيث يهدم عليهم قبورهم حتى يموتوا لكي لايفشوا سره بعد ذلك(٣).

---

(١) انظر: الدعوة الموحدية لعبدالله علام ص (١٩٢،١٩١)

(٢) انظر: الكامل في التاريخ لابن الاثير (٥٦٣/٦)

(٣) انظر: الفتاوى (٤٧٧/١١)." [٢]

---

(١) دولة الموحدين، ص/٤٦

(٢) دولة الموحدين، ص/٦٥

"وحرص بن تومرت على رد كل ما يوقع في نفوس أصحابه من الوهن من طعون المرابطين الموجهة إلى هذه الدعوة التي اصبحوا من أنصارها، فكان لايكل ولا يمل في تفنيد كل ماوجهه المرابطون من حملة مضادة ضد دعوته البدعية وقاد بن تومرت حملة دعائية مضادة، ومن ذلك ماخاطب به أصحابه قائلاً: "واعلموا وفقكم الله أن المجسمين والمكّارين وكل من نسب إلى العلم أشد في الصد عن سبيل الله من إبليس اللعين، فلا تلتفتوا إلى مايقولونه، فإنه كذب وبهتان وافتراء على الله ورسوله، ومانسبوكم إليه من الخلاف لله والرسول فذلك خب وغش للمسلمين وخيانة لله ورسوله... فانتبهوا وفقكم الله لهذه الحيل التي يحتالون بها على عيشهم ودنياهم حتى حملهم ذلك على الافتراء على الله ورسوله حتى عكسوا الحقائق وقلبوها وحرّفوا الكلام عن مواضعه. ونسبوا من دعا إلى التوبة والتوحيد واتباع السنة إلى الخلاف وسموه مخالفاً ببغيهم.."(٢).

لقد استطاع بن تومرت أن يقنع اتباعه وانصاره بأنهم الطائفة المنصورة والتي تقيم أمر الله وتجاهد في سبيله وشحن بذلك النفوس، واقنع العقول، وأخذ خطوة أخرى لتعزيز مكانته وبسط هيمنته على اتباعه وزعم بأنه المهدي المنتظر والإمام المعصوم.

---

(١) المعجب للمراكشي ص (٢٥٦ ، ٢٥٧)

(٢) رسالة إلى الاتباع ص (٤) وأيضاً الرسالة المنظمة ص (١٠٨)

ب- الثقة بالإمام:." (١)

"وسلك مسالك متعددة من أجل اقناع اصحابه واتباعه بأنه المهدي المعصوم، فحرص على الظهور بمظهر الاستقامة والتدين والإخلاص، فزهد في متاع الدنيا من مأكلاً وملبساً ومسكناً، ثم جعل ثقة انصاره به ذات اتجاه عقدي بحيث تمنع نفوس الاتباع من الضعف والتراجع امام أوامره وتوجيهاته، فأقنعهم بأنه الإمام المنتظر والمهدي المعصوم وبأن نسبه يرجع ضارب في اعماقه في آل البيت المطهر، وبذلك استطاع بهذه التعاليم المتعالقة بالإمامة أن يرشح ثقة اتباعه به، وأن يضمن ولائهم الدائم، وطاعتهم المطلقة(١) ، ولم ينسى أن يحرك نفوس المصامدة للتطلع إلى انشاء دولة لهم، فهم معظم سكان المغرب الأقصى، وهم قبائل ضخمة ذات قوة وعدد، تمتد من شمال المغرب الأقصى الى جنوبه، ولاينقصها الا توحيد الصفوف والقيادة السليمة. واقنعهم بأنه القيادة المثلى لهذه القبائل(٢).

٤- المنهج العسكري:

وبعد أن نظم صفوفه واحكم تنظيمه، اصد انذاره وتهديده إلى المرابطين: "قد أمرناكم بما نأمر به أنفسنا من تقوى الله العظيم ولزوم طاعته، وأن الدنيا مخلوقة للفناء، والجنة لمن اتقى، والعذاب لمن عصى، وقد وجبت لنا عليكم حقوق بوجوب السنة، فإن أديتموها كنتم في عافية، وإلا فاستعين بالله على قتلكم...)(٣) . وكانت هذه الخطوة تمهيداً منه نحو قتال المرابطين، وحرص

---

(١) تجربة الإصلاح في حركة بن تومرت ص (١٢٧)

---

(١) دولة الموحدين، ص/٧٤

(٢) انظر: معالم في تاريخ المغرب د. حسين مؤنس ص (١٧٧)

(٣) الحلل لابن الخطيب ص (٨١)." (١)

"أرضه على عدم مواجهة أعداد كبيرة من جيوش المرابطين دفعة واحدة. كما أن الجيوش المهاجمة عادة تحتاج إلى وقت للتأقلم على ساحة المعركة الجديدة، بينما كان بن تومرت واتباعه يقاتلون على أرض خبروها وعرفوا مسالكها، وهذا عامل مهم من عوامل نصر الجيوش، والأهم من ذلك أن اتباع ابن تومرت كانوا يقاتلون بمعنويات عالية بعد أن بايعوا ابن تومرت على أنه المهدي في الوقت الذي كانت فيه معنويات الجند المرابطي منهارة، فكانوا ينهزمون دون قتال لغلبة التردد عليهم وعدم وضوح الهدف فالجندي المرابطي كان في حيرة فهو يقاتل مسلمين من أبناء جلدته، وهو يسمع كل يوم بأن القبائل تتوافد على ابن تومرت وتبايعه، بعد ماشاعت الأخبار عما يتمتع به من علم وزهد وتقشف وانه هو المهدي. كل هذه الأمور كانت تجعل من الجندي المرابطي مضطرب النفس متردداً في إقدامه على قتال ابن تومرت ولذلك كان يفضل الفرار على الصدام(١).

وازدادت ثقة بن تومرت بنفسه بعد تحقيقه تلك الانتصارات، فبادر بإرسال رسالة إلى المرابطين يعرض عليهم الدخول في طاعته واما القتال مهدداً ومتوعداً من عدم الانقياد له، ومما جاء فيها: "الى القوم الذين استزلهم الشيطان، وغضب عليهم الرحمن، الفئة الباغية، والشرذمة الطاغية اللمتونية أما بعد: فقد أمرناكم بما نأمر به أنفسنا من تقوى الله العظيم ولزوم طاعته، وأن الدنيا مخلوقة للفناء، والجنة لمن اتقى، والعذاب لمن عصى، وقد وجبت لنا عليكم حقوق بوجوب السنة فان اديتموها كنتم في عافية وإلا فنستعين بالله عليكم على قتالكم حتى نمحو آثاركم ونهدم دياركم، وحتى يرجع العامر خاليا ــــــــــــــ

(١) انظر: دولة المرابطين ص (١١٤)

والجديد باليا، وكتابنا هذا اليكم اعذار وانذار، وقد اعذر من أنذر والسلام عليكم سلام السنة لاسلام الرضى)(١).." (٢)

"لقد كان بن تومرت شخصية فريدة في التاريخ لما امتاز به من صفات المكر والدهاء واستغلاله كل الفرص، واستخدامه كل الأساليب من أجل تحقيق حلمه بإقامة دولة يكون هو زعيماً ومرشداً روحياً لها، وليدفع بقبيلته مصمودة الى مركز الصدارة بعد أن سلبتها لمتونة ذلك الشرف.

واجتمعت في شخصية ابن تومرت صفات قلما تجتمع في شخصية قيادة في ذلك الوقت. فقد كان على قسط وافر من العلم، وقد ساعده ذلك على الاستفادة من كل الأفكار المطروحة في العالم الإسلامي لينتقي منها ما يلائم دعوته الجديدة ويساعد على تقوية مركزه بين أتباعه. كما مكنه تكوينه العلمي من أن يرد على أي انتقاد او اتهام يوجه ضده من قبل الخصوم، فيساعده في ذلك فصاحة لسان وسحر بيان وضعف حجج الخصوم، لقد استطاع أن يجمع القلوب حوله وأملى عليها مايريد فانقادت له مبهورة.

لقد ساعد ابن تومرت في تحقيق اهدافه سذاجة المجتمع وجهله وما عشعشت في ذهنه من الأساطير والخرافات حتى عاد

---

(١) دولة الموحدين، ص/٧٥

(٢) دولة الموحدين، ص/٧٩

غريباً عن منهل الإسلام الصافي، فعلى الرغم من الجهود الكبيرة للمرابطين لإفهام هؤلاء أمور دينهم فقد بقي قطاع كبير منهم متمسكاً بعلائق الجاهلية مما أوقعه فريسة سهلة لمخططات ابن تومرت فأملى عليهم تعاليمه البعيدة كل البعد عن منهج أهل السنة والجماعة فتقبلوها دون نقد أو تمحيص، وقدموا أرواحهم دفاعاً عنها بعد أن أوهمهم أنه المهدي المنتظر الذي يملأ الأرض عدلاً بعد ما ملئت جوراً.

ومن افتراءات ابن تومرت انه ادعى انه مأمور بنوع من الوحي والإلهام وإن من لايؤمن بمهديته فهو كافر وألف عقيدة أوجب حفظها على أتباعه(١)، وأحدث في آذان الصبح (أصبح ولله الحمد) ، وتطاول وادعى أنه يعلم الغيب(٢).." [١]

" ١٠٠ -

(باب ما جاء في نكاح المتعة)

يعني تزويج المرأة إلى أجل فإذا انقضى وقعت الفرقة

[١١٢١] قوله (عن عبد الله والحسن ابني محمد بن علي) بن أبي طالب رضي الله عنه ومحمد هذا هو الذي يعرف بابن الحنفية وابنه عبد الله كنيته أبو هاشم

وذكر البخاري في التاريخ ولأحمد عن سفيان وكان الحسن أرضاهما إلى أنفسنا وكان عبد الله يتبع السبئية انتهى

والسبئية ينسبون إلى عبد الله بن سبأ وهو من رؤساء الروافض

وكان المختار بن أبي عبيد على رأيه ولما غلب على الكوفة وتتبع قتلة الحسين فقتلهم أحبته الشيعة ثم فارقه أكثرهم لما ظهر منه من الأكاذيب

وكان من رأي السبئية موالاة محمد بن علي بن أبي طالب وكانوا يزعمون أنه المهدي وأنه لا يموت حتى يخرج في آخر الزمان

ومنهم من أقر بموته وزعم أن الأمر بعده صار إلى ابنه أبي هاشم هذا

ومات أبو هاشم في آخر ولاية سليمان بن عبد الملك سنة ثمان أو تسع وتسعين (نهى عن متعة النساء وعن لحوم الحمر الأهلية زمن خيبر) الظرف متعلق بكلا الأمرين ففي رواية للبخاري نهى رسول الله صلى الله عليه و سلم يوم خيبر عن متعة النساء وعن لحوم الحمر الأهلية

وهكذا في رواية لمسلم

قوله (وفي الباب عن سبرة الجهني) بفتح السين المهملة وسكون الموحدة أخرجه أحمد ومسلم أنه غزا مع النبي صلى الله عليه و سلم في فتح مكة

قال فأقمنا بها خمسة عشر فأذن لنا رسول الله صلى الله عليه و سلم في متعة النساء

---

(١) دولة الموحدين، ص/٨٧

وذكر الحديث إلى أن قال فلم أخرج حتى حرمها رسول الله صلى الله عليه و سلم وفي رواية أنه كان مع النبي صلى الله عليه و سلم فقال يا أيها الناس إني كنت أذنت لكم في الاستمتاع عن النساء وإن الله قد حرم ذلك إلى يوم القيامة فمن كان عنده منهن شيء فليخل سبيله ولا تأخذوا مما أتيتموهن شيئا

كذا في المنتقى (وأبي هريرة) أخرجه الدارقطني مرفوعا بلفظ هدم المتعة الطلاق والعدة والميراث

قال الحافظ في التلخيص إسناده حسن قوله (حديث حسن صحيح) وأخرجه البخاري ومسلم قوله (وأمر أكثر أهل العلم على ." (١)

" محمد) كذا عند الترمذي ولأحمد عن سفيان وكان الحسن أرضاهما إلى أنفسنا وكان عبد الله يتبع السبئية انتهى

والسبئية بمهملة ثم موحدة ينسبون إلى عبد الله بن سبأ وهو من رؤساء الروافض

وكان المختار بن أبي عبيد على رأيه ولما غالب على الكوفة وتتبع قتلة الحسين فقتلهم أحبته الشيعة ثم فارق أكثرهم لما ظهر منه من الأكاذيب

وكان من رأى السبئية موالاة محمد بن علي بن أبي طالب وكانوا يزعمون أنه المهدي وأنه لا يموت حتى يخرج في آخر الزمان

ومنهم من أقر بموته وزعم أن الأمر بعده صار إلى ابنه أبي هاشم هذا ومات أبو هاشم في آخر ولاية سليمان بن عبد الملك سنة ثمان أو تسع وتسعين قاله الحافظ

[١٧٩٥] قوله (حدثنا حسين بن علي) بن الوليد الجعفي مولاهم الكوفي المقرئ ثقة عابد سنة ثلاث أو أربع ومائتين وله أربع أو خمس وثمانون سنة قال موسى بن داود

كنت عند بن عيينة فجاء حسين الجعفي فقام سفيان فقبل يده

وكان زائدة يختلف إليه إلى منزله يحدثه فكان أروى الناس عنه وكان الثوري إذا رآه عانقه وقال (هذا واهب الجعفي عن زائدة) هو بن قدامة

قوله (حرم يوم خيبر كل ذي ناب من السباع) قال في شرح السنة أراد بكل ذي ناب ما يعدو بنابه على الناس وأموالهم كالذئب والأسد والكلب ونحوها (والمجثمة) قال الجزري في النهاية هي كل حيوان ينصب ويرمي ليقتل إلا أنها تكثر في الطير والأرانب وأشباه ذلك مما يجثم في الأرض أي يلزمها ويلتصق بها وجثم الطائر جثوما وهو بمنزلة البروك للإبل انتهى

(والحمار الانسي) بكسر الهمزة وسكون النون منسوب إلى الأنس ويقال فيه الأنسي بفتحتين وقد صرح الجوهري أن الأنس بفتحتين ضد الوحشة والمراد بالحمار الانسي الحمار الأهلي

قوله (وفي الباب عن علي وجابر والبراء وبن أبي أوفى وأنس والعرباض بن سارية وأبي ثعلبة وبن عمر وأبي سعيد) أما حديث علي فأشار إلى غير حديثه الذي أخرجه في هذا الباب ولم أقف عليه فلينظر من أخرجه

---

(١) تحفة الأحوذي، ٢٢٥/٤

وأما حديث جابر فقد تقدم تخريجه في الباب المتقدم

وأما حديث البراء فأخرجه الشيخان

وأما حديث بن أبي أوفى أخرجه أيضا الشيخان

وأما حديث أنس ." (١)

" ٢٠٨٣٩ - أخبرنا عبد الرزاق عن معمر قال كان بن سيرين يرى أنه المهدي الذي يصلي وراءه عيسى ." (٢)

"لأنه دفع إليه الراية بالبصرة (١). وقالوا بالتناسخ، ويزعمون أن الإمامة جرت في علي ثم في الحسن ثم في الحسين ثم في محمد ابن الحنفية، ومعنى ذلك أن روح الله صارت في النبي - صلى الله عليه وسلم - ، وروح النبي - صلى الله عليه وسلم - صارت في علي، وروح الحسين صارت في محمد ابن الحنفية، وروح ابن الحنفية صارت في ابنه أبي هاشم (٢). ويعتقدون في ابن الحنفية اعتقادا فوق حده ودرجته، من إحاطته بالعلوم كلها، واقتباسه من (السيدين) الأسرار بجملتها من علم التأويل والباطن، وعلم الآفاق والأنفس (٣). والحق أن ابن الحنفية لم يقر الغلو الذي قيل فيه، ولم يعترف بأنه المهدي المنتظر، وروى ابن سعد حديثا رفعه إلى أبي العريان المجاشعي قال: فبلغ محمدا أنهم يقولون إن عندهم شيئا -أي من العلم- قال: فقام فينا وقال: إنا -والله- ما ورثنا من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلا ما بين هذين اللوحين. ثم قال: اللهم خلا وهذه الصحيفة في ذؤابة سيفي. فسألت: وما كان في الصحيفة؟ قال: من أحدث حدثا أو آوى محدثا (٤).

وقال محمد للرجل الذي قابله وسأله عن أشياء سرية نميت إلى الرجل عن محمد: أما بعد، فإياكم وهذه الأحاديث فإنها عيب عليكم، وعليكم بكتاب الله، فإنه به هدي أولكم وبه يهدى آخركم (٥) .. ويظهر أن المختار هو الذي روج فكرة مهدية محمد لأسباب سياسية، أي أنه أراد أن يحكم باسمه دون إشراكه بالسلطة الفعلية. وعندما هم ابن الحنفية أن يقدم إلى الكوفة، وبلغ ذلك المختار ثقل عليه قدومه، فقال: إن في المهدي علامة، يقدم بلدكم هذه فيضربه رجل في السوق بالسيف فلا تضره .. فبلغ ذلك ابن الحنفية فأقام (٦).

وقال كثير عزة في ابن الحنفية:

إلا إن الأئمة من قريش ... ولاة الحق أربعة سواء

علي والثلاثة من بنيه ... هم الأسباط ليس بهم خفاء

فسبط سبط إيمان وبر ... وسبط غيبته كربلاء

وسبط لا تراه العين حتى ... يقود الخيل يقدمها لواء

تغيب لا يرى عنهم زمانا ... برضوى عنده عسل وماء (٧)

سادسا: حركة عمرو بن سعيد بن العاص (الأشدق) ومقتله:

---

(١) تحفة الأحوذي، ٥/٤١٦

(٢) مصنف عبد الرزاق، ١١/٣٩٩

نصت مقررات مؤتمر الجابية –كما أشرنا– على أن تكون الخلافة لعمرو بن سعيد الأشدق بعد مروان بن الحكم وخالد بن يزيد بن معاوية، وتجاوز مروان عمرا وبايع لابنيه عبد الملك،

(١) المقالات والفرق ص٢٦، الشيعة العربية والزيدية ص٢٥٨.

(٢) الملل والنحل (١/ ١٣١).

(٣) نفس المصدر السابق.

(٤) الشيعة العربية والزيدية ص ٢٥٩.

(٥) الطبقات (٥/ ٧٠).

(٦) سير أعلام النبلاء (٤/ ١١٨).

(٧) سير أعلام النبلاء (٤/ ١١٢).." (١)

"قَدْ تُكُلِّمَ فِي إِسْنَادِهِ وَبِتَقْدِيرِ صِحَّتِهِ إِنَّمَا مَعْنَاهُ يَكُونُ فِي آخِرِ الْأُمَّةِ مَنْ يُقَارِبُ أَوَّلَهَا حَتَّى يَشْتَبِهَ عَلَى بَعْضِ النَّاسِ أَيُّهُمَا خَيْرٌ كَمَا يَشْتَبِهُ عَلَى بَعْضِ النَّاسِ طَرَفَا الثَّوْبِ ،مَعَ الْقَطْعِ بِأَنَّ الْأَوَّلَ خَيْرٌ مِنَ الْآخِرِ ،وَلِهَذَا قَالَ : " لَا يُدْرَى " وَمَعْلُومٌ أَنَّ هَذَا السَّلْبَ لَيْسَ عَامًّا لَهَا، فَإِنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مَعْلُومًا أَيُّهُمَا أَفْضَلُ .

ثُمَّ إِنَّ هَذَا خَاتَمُ الْأَوْلِيَاءِ صَارَ مَرْتَبَةً مَوْهُومَةً لَا حَقِيقَةَ لَهُ، وَصَارَ يَدَّعِيهَا لِنَفْسِهِ أَوْ لِشَيْخِهِ طَوَائِفُ وَقَدْ ادَّعَاهَا غَيْرُ وَاحِدٍ ،وَلَمْ يَدَّعِهَا إِلَّا مَنْ فِي كَلَامِهِ مِنَ الْبَاطِلِ مَا لَمْ تَقُلْهُ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى كَمَا ادَّعَاهَا صَاحِبُ الْفُصُوصِ وَتَابَعَهُ صَاحِبُ الْكَلَامِ فِي الْحُرُوفِ ،وَشَيْخٌ مِنْ أَتْبَاعِهِمْ كَانَ بِدِمَشْقَ ،وَآخَرُ كَانَ يَزْعُمُ أَنَّهُ الْمَهْدِيُّ الَّذِي يُزَوِّجُ بِنْتَهُ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ،وَأَنَّهُ خَاتَمُ الْأَوْلِيَاءِ وَيَدَّعِي هَؤُلَاءِ وَأَمْثَالُهُمْ مِنَ الْأُمُورِ مَا لَا يَصْلُحُ إِلَّا لِلَّهِ وَحْدَهُ ،كَمَا قَدْ يَدَّعِي الْمُدَّعِي مِنْهُمْ لِنَفْسِهِ أَوْ لِشَيْخِهِ مَا ادَّعَتْهُ النَّصَارَى فِي الْمَسِيحِ .." (٢)

"فلما أصبحت نوديت فظننت أني أعلم بوقت الصلاة، ودلي إلي حبل، وقيل لي: اربط هذا الحبل في وسطك. فأخرجوني، فلما نظرت إلى الضياء لم أبصر شيئا، وأوقفت بين يدي الخليفة. فظننته المهدي، فسلمت عليه أنه المهدي، فقال: لست به. قلت: فالهادي؟ فقال: لست به. فقلت: السلام عليك يا أمير المؤمنين الرشيد. فقال: نعم. ثم قال: والله إنه لم يشفع فيك عندي أحد، ولكني البارحة حملت جارية لي صغيرة على عنقي، فذكرت حملك إياي على عنقك، فرحمت ما أنت فيه من الضيق، فأخرجتك. ثم أنعم عليه وأحسن إليه. فغار منه يحيي بن خالد بن برمك، وخشي أن يعيده إلى المنزلة التي كان فيها أيام المهدي، وفهم ذلك يعقوب، فاستأذن الخليفة في الذهاب إلى مكة، فأذن له، فكان بها حتى مات في هذه السنة، رحمه الله.

ويزيد بن زريع أبو معاوية العيشي، كان ثقة عالما عابدا ورعا، توفي أبوه وكان والي البصرة، وترك من المال خمسمائة ألف

(١) الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، ١/٥٩٦

(٢) الخلاصة في شرح حديث الولي، ص/١٣٤

درهم، فلم يأخذ منها يزيد درهما واحدا، وكان يعمل الخوص، ويأكل منه. وتوفي بالبصرة في هذه السنة، وقيل قبل ذلك. فالله أعلم.." (١)

"ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة

قال ابن الجوزي: لليلة بقيت من المحرم انقض كوكب من ناحية الجنوب إلى الشمال قبل مغيب الشمس، فأضاءت الدنيا منه، وسمع له صوت كصوت الرعد الشديد.

وفي صفر بلغ الخليفة المقتدر بالله أن جماعة من الرافضة يجتمعون في مسجد براثا، فينالون من الصحابة، ولا يصلون الجمعة، ويكاتبون القرامطة، ويدعون إلى ولاية محمد بن إسماعيل الذي ظهر بين الكوفة وبغداد، ويدعون أنه المهدي، ويتبرءون من المقتدر وممن يتبعه، فأمر بالاحتياط عليهم، واستفتى العلماء في المسجد المذكور، فأفتوا بأنه مسجد ضرار يهدم كما هدم مسجد الضرار، فضرب من قدر عليه منهم الضرب المبرح، ونودي عليهم، وأمر الخليفة بهدم المسجد المذكور، فهدمه نازوك وأمر الوزير الخاقاني، فجعل مكانه مقبرة، فدفن فيه جماعة من الموتى.

وخرج الناس للحج في ذي القعدة، فاعترضهم أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد." (٢)

"ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة

في المحرم ورد الفقيه أبو عبد الله الطبري بمنشور نظام الملك بالتدريس بالنظامية فدرس بها ثم قدم الفقيه أبو محمد عبد الوهاب الشيرازي بمنشور آخر منه بالتدريس بها. فاتفق الحال على أن يدرس هذا يوما وهذا يوما.

وفي جمادى الأولى دهم أهل البصرة رجل يقال له تليا كان ينظر في النجوم فاستغوى خلقا من أهلها وزعم أنه المهدي وأحرق من البصرة شيئا كثيرا من ذلك دار كتب كانت أول دار كتب وقفت في الإسلام، وأتلف شيئا كثيرا من الدواليب والمصانع وغير ذلك.

وفيها خلع على أبي القاسم علي بن طراد الزينبي بنقابة العباسيين بعد أبيه. وفيها استفتي على معلمي الصبيان أن يمنعوا من المساجد صيانة لها، ولم يستثن منهم سوى رجل كان فقيها شافعيا يدري كيف تصان المساجد، واستدل المفتي بقوله عليه الصلاة والسلامسدوا كل خوخة إلا خوخة أبي بكر

وحج بالناس خمارتكين على العادة.." (٣)

"ثم دخلت سنة أربع وثمانين وأربعمائة

في المحرم منها كتب المنجم الذي أحرق البصرة إلى أهل واسط يدعوهم إلى طاعته ويذكر في كتابه أنه المهدي صاحب الزمان الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويهدي الخلق إلى الحق فإن أطعتم أمنتم من العذاب وإن عدلتم عن الحق خسف بكم فآمنوا بالله وبالإمام المهدي.

---

(١) البداية والنهاية (٧٧٤)، ٦٢١/١٣

(٢) البداية والنهاية (٧٧٤)، ١٨/١٥

(٣) البداية والنهاية (٧٧٤)، ١١٦/١٦

وفيها ألزم أهل الذمة بلبس الغيار وشد الزنار وكذلك نساؤهم في الحمامات وغيرها وفي جمادى الأولى قدم الشيخ أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي من أصبهان إلى بغداد على تدريس النظامية بها، ولقبه نظام الملك زين الدين شرف الأئمة قال ابن الجوزي: وكان كلامه معسولا وذكاؤه شديدا وفي رمضان منها عزل الوزير أبو شجاع عن وزارة الخلافة، فأنشد عند عزله:

تولاها وليس له عدو وفارقها وليس له صديق

ثم جاءه كتاب نظام الملك بأن يخرج من بغداد فخرج منها إلى عدة أماكن فلم تطب له فعزم على الحج ثم طابت نفس النظام عليه فبعث إليه." (١)

"يسأله أن يكون عديله في ذلك وناب ابن الموصلايا في الوزارة، وقد كان أسلم قبل هذه المباشرة في أول هذه السنة.

وفي رمضان منها دخل السلطان ملكشاه بغداد ومعه الوزير نظام الملك وقد خرج لتلقيه قاضي القضاة أبو بكر الشامي وابن الموصلايا المسلماني وجاءت ملوك الأطراف إليه ؛ للسلام عليه، منهم أخوه تاج الدولة تتش صاحب دمشق وأتابكه قسيم الدولة آق سنقر صاحب حلب.

وفي ذي القعدة خرج السلطان ملكشاه وابنه وابن ابنته من الخليفة في خلق كثير إلى الكوفة وفيها استوزر أبو منصور بن جهير وهي النوبة الثانية لوزارته للمقتدي، وخلع عليه وركب إليه نظام الملك فهنأه في داره بباب العامة.

وفي ذي الحجة عمل السلطان الميلاد في دجلة، وأشعلت نيران عظيمة، وأوقدت شموع كثيرة، وكانت ليلة مشهودة عجيبة جدا، وقد نظم فيها الشعراء الشعر، فلما أصبح النهار من هذه الليلة طيف بالخبيث الداعية المدعي أنه المهدي تليا المنجم، على جمل ببغداد وهو يسب الناس والناس يلعنونه وعلى رأسه طرطور بودع والدرة تأخذه من كل جانب ثم صلب بعد ذلك.

وفيها أمر السلطان ملكشاه جلال الدولة بعمارة جامعه المنسوب إليه بظاهر السور وفي هذه السنة ملك أمير المسلمين يوسف بن تاشفين صاحب بلاد المغرب كثيرا من بلاد الأندلس، وأسر صاحبها المعتمد بن عباد، وسجنه وأهله بأغمات، وقد كان المعتمد هذا موصوفا بالكرم والأدب والحلم وحسن." (٢)

"وفي يوم الجمعة سادس ذي القعدة بعد أذان الجمعة صعد إلى منبر جامع الحاكم بمصر شخص من مماليك الجاولي يقال له: أرضى، فادعى أنه المهدي، وسجع سجعات يسيرة على رأي الكهان، فأنزل في شر خيبة، وذلك قبل حضور الخطيب بالجامع المذكور.

وفي ذي القعدة وما قبله وما بعده من أواخر هذه السنة وأوائل الأخرى وسعت الطرقات والأسواق داخل دمشق وخارجها، مثل سوق السلاح والرصيف، والسوق الكبير، وباب البريد، ومسجد القصب إلى الزنجيلية، وخارج باب الجابية إلى مسجد الذبان، وغير ذلك من الأماكن التي كانت تضيق عن سلوك الناس، وذلك بأمر تنكز، وأمر بإصلاح القنوات، واستراح

---

(١) البداية والنهاية (٧٧٤)، ١١٨/١٦

(٢) البداية والنهاية (٧٧٤)، ١١٩/١٦

الناس من ترشيش الماء عليهم بالنجاسات.

ثم في العشر الأخير من ذي الحجة رسم بقتل الكلاب، فقتل منهم شيء كثير جدا، ثم جمعوا خارج باب الصغير مما يلي باب كيسان في الخندق، وفرق بين الذكور منهم والإناث؛ ليموتوا سريعا ولا يتوالدوا، وكانت الجيف والميتات تنقل إليهم، فاستراح الناس من النجاسة من الماء والكلاب، وتوسعت لهم الطرقات.

وفي يوم الجمعة ثاني عشر ذي الحجة حضر مشيخة الشيوخ بالسميساطية قاضي القضاة شرف الدين المالكي بعد وفاة قاضي القضاة الشافعي القونوي، وقرئ تقليده بالمشيخة بها، وحضره الأعيان، وأعيد إلى ما كان عليه.." (١)

"٣٢٤٠ - حديث ابن عمر " لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم اثنان "

قال الكرماني : ليست الحكومة في زمننا لقريش فكيف الحديث ؟ وأجاب عن ذلك بأن في بلاد الغرب خليفة من قريش وكذا في مصر ، وتعقب بأن الذي في الغرب هو الحفصي صاحب تونس وغيرها وهو منسوب إلى أبي حفص رقيق عبد المؤمن صاحب ابن تومرت الذي كان على رأس المائة السادسة ادعى أنه المهدي ثم غلب أتباعه على معظم الغرب وسموا بالخلافة وهم عبد المؤمن وذريته ، ثم انتقل ذلك إلى ذرية أبي حفص ولم يكن عبد المؤمن من قريش ؛ وقد تسمى بالخلافة هو وأهل بيته . وأما أبو حفص فلم يكن يدعي أنه من قريش في زمانه ، وإنما ادعاه بعض ولده لما غلبوا على الأمر فزعموا أنهم من ذرية أبي حفص عمر بن الخطاب ، وليس بيدهم الآن إلا المغرب الأدنى ، وأما الأقصى فمع بني الأحمر وهم منسوبون إلى الأنصار ، وأما الأوسط فمع بني مريم وهم من البربر . وأما قوله : " فخليفة من مصر " فصحيح ولكنه لا حل بيده ولا ربط وإنما له من الخلافة الاسم فقط ، وحينئذ هو خبر بمعنى الأمر وإلا فقد خرج هذا الأمر عن قريش في أكثر البلاد ، ويحتمل حمله على ظاهره وأن المتغلبين على النظر في أمر الرعية في معظم الأقطار وإن كانوا من غير قريش لكنهم معترفون أن الخلافة في قريش ويكون المراد بالأمر مجرد التسمية بالخلافة لا الاستقلال بالحكم ، والأول أظهر ، والله أعلم .." (٢)

"٤٢٩٦ - قوله : (حين وقع بينه وبين ابن الزبير)

أي بسبب البيعة ، وذلك أن ابن الزبير حين مات معاوية امتنع من البيعة ليزيد بن معاوية وأصر على ذلك حتى أغرى يزيد بن معاوية مسلم بن نبتل بالمدينة فكانت وقعة وحدثناه ، ثم توجه الجيش إلى مكة فمات أميرهم مسلم بن عقبة وقام بأمر الجيش الشامي أبان بن نمير فحصر ابن الزبير بمكة ، ورموا الكعبة بالمنجنيق حتى احترقت . ففجأهم الخبر بموت يزيد بن معاوية فرجعوا إلى الشام ، وقام ابن الزبير في بناء الكعبة ، ثم دعا إلى نفسه فبويع بالخلافة وأطاعه أهل الحجاز ومصر والعراق وخراسان وكثير من أهل الشام ، ثم غلب مروان على الشام وقتل الضحاك بن قيس الأمير من قبل ابن الزبير بمرج راهط ، ومضى مروان إلى مصر وغلب عليها ، وذلك كله في سنة أربع وستين ، وكمل بناء الكعبة في سنة خمس ، ثم مات مروان في سنة خمس وستين وقام عبد الملك ابنه مقامه ، وغلب المختار بن أبي عبيد على الكوفة ففر منه من كان من قبل

---

(١) البداية والنهاية (٧٧٤)، ١٨/٣١٣

(٢) فتح الباري لابن حجر، ١٠/٣٠٢

ابن الزبير ، وكان محمد بن علي بن أبي طالب المعروف بابن الحنفية وعبد الله بن عباس مقيمين بمكة منذ قتل الحسين ، فدعاهما ابن الزبير إلى البيعة له فامتنعا وقالا : لا نبايع حتى يجتمع الناس على خليفة ، وتبعهما جماعة على ذلك ، فشدد عليهم ابن الزبير وحصرهم ، فبلغ المختار فجهز إليهم جيشا فأخرجوهما واستأذنوهما في قتال ابن الزبير فامتنعا ، وخرجا إلى الطائف فأقاما بها حتى مات ابن عباس سنة ثمان وستين ، ورحل ابن الحنفية بعده إلى جهة رضوى جبل بينبع فأقام هناك ، ثم أراد دخول الشام فتوجه إلى نحو أيلة فمات في آخر سنة ثلاث أو أول سنة أربع وسبعين ، وذلك عقب قتل ابن الزبير على الصحيح ، وقيل عاش إلى سنة ثمانين أو بعد ذلك ، وعند الواقدي أنه مات بالمدينة سنة إحدى وثمانين ، وزعمت الكيسانية أنه حي لم يمت وأنه المهدي وأنه لا يموت حتى يملك الأرض ، في خرافات لهم كثيرة ليس هذا موضعها . وإنما لخصت ما ذكرته من طبقات ابن سعد وتاريخ الطبري وغيره لبيان المراد بقول ابن أبي أبان " حين وقع بينه وبين ابن الزبير " ، ولقوله في الطريق الأخرى " فغدوت على ابن عباس فقلت : أتريد أن تقاتل ابن الزبير ؟ وقول ابن عباس : قال الناس بايع لابن الزبير ، فقلت : وأين بهذا الأمر عنه " أي أنه مستحق لذلك لما له من المناقب المذكورة ، ولكن امتنع ابن عباس من المبايعة له لما ذكرناه . وروى الفاكهي من طريق سعيد بن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال "كان ابن عباس وابن الحنفية بالمدينة ثم سكنا مكة ، وطلب منهما ابن الزبير البيعة فأبيا حتى يجتمع الناس على رجل ، فضيق عليهما فبعث رسولا إلى العراق فخرج إليهما جيش في أربعة آلاف فوجدوهما محصورين ، وقد أحضر الحطب فجعل على الباب يخوفهما بذلك ، فأخرجوهما إلى الطائف " وذكر ابن سعد أن هذه القصة وقعت بين ابن الزبير وابن عباس في سنة ست وستين .

قوله : (وأمه أسماء)

أي بنت أبي بكر الصديق ، وقوله " وجدته صفية " أي بنت عبد وسق ، وقوله في الرواية الثانية " وأما عمته فزوج النبي صلى الله عليه وسلم يريد خديجة أطلق عليها عمته المطوعون وإنما هي عمة أبيه لأنها خديجة بنت خويلد أي ابن أسد ، والزبير هو ابن العوام بن خويلد بن أسد ، وكذا تجوز في الرواية الثالثة حيث قال " ابن أبي بكر " وإنما هو ابن بنته ، وحيث قال " ابن أخي خديجة " وإنما هو ابن ابن أخيها العوام .

قوله : (فقلت لسفيان إسناده)

بالنصب أي اذكر إسناده ، أو بالرفع أي ما إسناده . فقال (حدثنا فشغله إنسان ولم يقل ابن جريج) ظاهر هذا أنه صرح له بالتحديث لكن لما لم يقل ابن جريج احتمل أن يكون أراد أن يدخل بينهما واسطة ، واحتمل عدم الواسطة ، ولذلك استظهر البخاري بإخراج الحديث من وجه آخر عن ابن جريج ، ثم من وجه آخر عن شيخه .." (١)

"٤٧٢٣ - قوله (أخبرني الحسن بن محمد بن علي)

أي ابن أبي طالب ، وأبوه محمد هو الذي يعرف بابن الحنفية ، وأخوه عبد الله بن محمد . أما الحسن فأخرج له البخاري غير هذا ، منها ما تقدم له في الغسل من روايته عن جابر ، ويأتي له في هذا الباب آخر عن جابر وسلمة بن الأكوع ، وأما أخوه عبد الله بن محمد فكنيته أبو هاشم وليس له في البخاري سوى هذا الحديث ، ووثقه ابن سعد والنسائي والعجلي

---

(١) فتح الباري لابن حجر، ١٣/١٠٠

، وقد تقدمت له طريق أخرى في غزوة خيبر من كتاب المغازي ، وتأتي أخرى في كتاب الذبائح ، وأخرى في ترك الحيل ؛ وقرنه في المواضع الثلاثة بأخيه الحسن ، وذكر في التاريخ عن ابن عيينة عن الزهري " أخبرنا الحسن وعبد الله ابنا محمد بن علي وكان الحسن أوثقهما " ولأحمد عن سفيان " وكان الحسن أرضاهما إلى أنفسنا ، وكان عبد الله يتبع السبئية " ا هـ والسبئية بمهملة ثم موحدة ينسبون إلى عبد الله بن سبأ ، وهو من رؤساء الروافض ، وكان المختار بن أبي عبيد على رأيه ، ولما غلب على الكوفة وتتبع قتلة الحسين فقتلهم أحبته الشيعة ثم فارقه أكثرهم لما ظهر منه من الأكاذيب ، وكان من رأي السبئية موالاة محمد بن علي بن أبي طالب . وكانوا يزعمون أنه المهدي وأنه لا يموت حتى يخرج في آخر الزمان . ومنهم من أقر بموته وزعم أن الأمر بعده صار إلى ابنه أبي هاشم هذا . ومات أبو هاشم في آخر ولاية سليمان بن عبد الملك سنة ثمان أو تسع وتسعين .

قوله (عن أبيهما)

في رواية الدارقطني في " الموطآت " من طريق يحيى بن سعيد الأنصاري " عن مالك عن الزهري أن عبد الله والحسن ابني محمد أخبراه أن أباهما محمد بن علي بن أبي طالب أخبرهما " .

قوله (أن عليا قال لابن عباس)

سيأتي بيان تحديثه له بهذا الحديث في ترك الحيل بلفظ " أن عليا قيل له أن ابن عباس لا يرى بمتعة النساء بأسا " وفي رواية الثوري ويحيى بن سعيد كلاهما عن مالك عند الدارقطني " أن عليا سمع ابن عباس وهو يفتي في متعة النساء فقال : أما علمت " وأخرجه سعيد بن منصور عن هشيم " عن يحيى بن سعيد عن الزهري بدون ذكر مالك ولفظه " أن عليا مر بابن عباس وهو يفتي في متعة النساء أنه لا بأس بها " ، ولمسلم من طريق جويرية عن مالك يسنده أنه " سمع علي بن أبي طالب يقول لفلان إنك رجل تائه " وفي رواية الدارقطني من طريق الثوري أيضا " تكلم علي وابن عباس في متعة النساء فقال له علي : إنك امرؤ تائه " ولمسلم من وجه آخر أنه " سمع ابن عباس يلين في متعة النساء فقال له : مهلا يا ابن عباس " ولأحمد من طريق معمر " رخص في متعة النساء " .

قوله (أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن المتعة)

في رواية أحمد عن سفيان نهى عن نكاح المتعة .

قوله (وعن لحوم الحمر الأهلية زمن خيبر)

هكذا لجميع الرواة عن الزهري " خيبر " بالمعجمة أوله والراء آخره إلا ما رواه عبد الوهاب الثقفي عن يحيى بن سعيد عن مالك في هذا الحديث فإنه قال " حنين " بمهملة أوله ونونين أخرجه النسائي والدارقطني ونبها على أنه وهم تفرد به عبد الوهاب ، وأخرجه الدارقطني من طريق أخرى عن يحيى بن سعيد فقال خيبر على الصواب ، وأغرب من ذلك رواية إسحاق بن راشد عن الزهري عنه بلفظ " نهى في غزوة تبوك عن نكاح المتعة " وهو خطأ أيضا .

قوله (زمن خيبر) الظاهر أنه ظرف للأمرين ، وحكى البيهقي عن الحميدي أن سفيان بن عيينة كان يقول : قوله " يوم خيبر " يتعلق بالحمر الأهلية لا بالمتعة ، قال البيهقي : وما قاله محتمل يعني في روايته هذه ، وأما غيره فصرح أن الظرف يتعلق بالمتعة ، وقد مضى في غزوة خيبر من كتاب المغازي ويأتي في الذبائح من طريق مالك بلفظ " نهى رسول الله صلى

الله عليه وسلم يوم خيبر عن متعة النساء وعن لحوم الحمر الأهلية " وهكذا أخرجه مسلم من رواية ابن عيينة أيضا ، وسيأتي في ترك الحيل في رواية عبيد الله بن عمر عن الزهري " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عنها يوم خيبر " وكذا أخرجه مسلم وزاد من طريقه " فقال مهلا يا ابن عباس " ولأحمد من طريق معمر بسنده أنه " بلغه أن ابن عباس رخص في متعة النساء ، فقال له : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عنها يوم خيبر ، وعن لحوم الحمر الأهلية " وأخرجه مسلم من رواية يونس بن يزيد عن الزهري مثل رواية مالك ، والدارقطني من طريق ابن وهب عن مالك ويونس وأسامة بن زيد ثلاثتهم عن الزهري كذلك ، وذكر السهيلي أن ابن عيينة رواه عن الزهري بلفظ " نهى عن أكل الحمر الأهلية عام خيبر ، وعن المتعة بعد ذلك أو في غير ذلك اليوم " ا هـ وهذا اللفظ الذي ذكره لم أره من رواية ابن عيينة ، فقد أخرجه أحمد وابن أبي عمر والحميدي وإسحاق في مسانيدهم عن ابن عيينة باللفظ الذي أخرجه البخاري من طريقه ، لكن منهم من زاد لفظ " نكاح "كما بينته ، وكذا أخرجه الإسماعيلي من طريق عثمان بن أبي شيبة وإبراهيم بن موسى والعباس بن الوليد ، وأخرجه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة ومحمد بن عبد الله بن نمير وزهير بن حرب جميعا عن ابن عيينة بمثل لفظ مالك ، وكذا أخرجه سعيد بن منصور عن ابن عيينة لكن قال " زمن " بدل " يوم " قال السهيلي : ويتصل بهذا الحديث تنبيه على إشكال لأن فيه النهي عن نكاح المتعة يوم خيبر ، وهذا شيء لا يعرفه أحد من أهل السير ورواة الأثر ، قال : فالذي يظهر أنه وقع تقديم وتأخير في لفظ الزهري ، وهذا الذي قاله سبقه إليه غيره في النقل عن ابن عيينة ، فذكر ابن عبد البر من طريق قاسم بن أصبغ أن الحميدي ذكر عن ابن عيينة أن النهي زمن خيبر عن لحوم الحمر الأهلية ، وأما المتعة فكان في غير يوم خيبر ، ثم راجعت " مسند الحميدي " من طريق قاسم بن أصبغ عن أبي إسماعيل السلمي عنه فقال بعد سياق الحديث " قال ابن عيينة : يعني أنه نهى عن لحوم الحمر الأهلية زمن خيبر ، ولا يعني نكاح المتعة " قال ابن عبد البر : وعلى هذا أكثر الناس . وقال البيهقي : يشبه أن يكون كما قال لصحة الحديث في أنه صلى الله عليه وسلم رخص فيها بعد ذلك ثم نهى عنها ، فلا يتم احتجاج علي إلا إذا وقع النهي أخيرا لتقوم به الحجة على ابن عباس . وقال أبو عوانة في صحيحه سمعت أهل العلم يقولون : معنى حديث علي أنه نهى يوم خيبر عن لحوم الحمر ، وأما المتعة فسكت عنها وإنما نهى عنها يوم الفتح ا هـ . والحامل لهؤلاء على هذا ما ثبت من الرخصة فيها بعد زمن خيبر كما أشار إليه البيهقي ، لكن يمكن الانفصال عن ذلك بأن عليا لم تبلغه الرخصة فيها يوم الفتح لوقوع النهي عنها عن قرب كما سيأتي بيانه ، ويؤيد ظاهر حديث علي ما أخرجه أبو عوانة وصححه من طريق سالم بن عبد الله " أن رجلا سأل ابن عمر عن المتعة فقال : حرام . فقال : إن فلانا يقول فيها . فقال : والله لقد علم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمها يوم خيبر وما كنا مسافحين " قال السهيلي : وقد اختلف في وقت تحريم نكاح المتعة فأغرب ما روي في ذلك رواية من قال في غزوة تبوك ، ثم رواية الحسن أن ذلك كان في عمرة القضاء ، والمشهور في تحريمها أن ذلك في غزوة الفتح كما أخرجه مسلم من حديث الربيع بن سبرة عن أبيه وفي رواية عن الربيع أخرجها أبو داود أنه كان في حجة الوداع ، قال ومن قال من الرواة كان في غزوة أوطاس فهو موافق لمن قال عام الفتح ا هـ . فتحصل مما أشار إليه ستة مواطن : خيبر ، ثم عمرة القضاء ، ثم الفتح ، ثم أوطاس ، ثم تبوك ، ثم حجة الوداع . وبقي عليه حنين لأنها وقعت في رواية قد نبهت عليها قبل ، فإما أن يكون ذهل عنها أو تركها عمدا لخطأ رواتها ، أو لكون غزوة أوطاس وحنين واحدة . فأما رواية تبوك فأخرجها إسحاق بن راهويه وابن

حبان من طريقه من حديث أبي هريرة " أن النبي صلى الله عليه وسلم لما نزل بثنية الوداع رأى مصابيح وسمع نساء يبكين ، فقال : ما هذا ؟ فقالوا : يا رسول الله ، نساء كانوا تمتعوا منهن . فقال : هدم المتعة النكاح والطلاق والميراث " وأخرجه الحازمي من حديث جابر قال " خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى غزوة تبوك حتى إذا كنا عند العقبة مما يلي الشام جاءت نسوة قد كنا تمتعنا بهن يطفن برحالنا ، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرنا ذلك له ، قال فغضب وقام خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ونهى عن المتعة ، فتوادعنا يومئذ فسميت ثنية الوداع " . وأما رواية الحسن وهو البصري فأخرجها عبد الرزاق من طريقه وزاد " ما كانت قبلها ولا بعدها " وهذه الزيادة منكرة من راويها عمرو بن عبيد ، وهو ساقط الحديث ، وقد أخرجه سعيد بن منصور من طريق صحيحة عن الحسن بدون هذه الزيادة . وأما غزوة الفتح فثبتت في صحيح مسلم كما قال : وأما أوطاس فثبتت في مسلم أيضا من حديث سلمة بن الأكوع . وأما حجة الوداع فوقع عند أبي داود من حديث الربيع بن سبرة عن أبيه . وأما قوله لا مخالفة بين أوطاس والفتح ففيه نظر ، لأن الفتح كان في رمضان ثم خرجوا إلى أوطاس في شوال ، وفي سياق مسلم أنهم لم يخرجوا من مكة حتى حرمت ، ولفظة " إنه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الفتح ، فأذن لنا في متعة النساء ، فخرجت أنا ورجل من قومي – فذكر قصة المرأة ، إلى أن قال – ثم استمتعت منها ، فلم أخرج حتى حرمها " وفي لفظ له " رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما بين الركن والباب وهو يقول " بمثل حديث ابن نمير وكان تقدم في حديث ابن نمير أنه قال : يا أيها الناس إني قد كنت أذنت لكم في الاستمتاع من النساء ، وأن الله قد حرم ذلك إلى يوم القيامة " وفي رواية " أمرنا بالمتعة عام الفتح حين دخلنا مكة ، ثم لم نخرج حتى نهانا عنها " وفي رواية له " أمر أصحابه بالتمتع من النساء – فذكر القصة قال – فكن معنا ثلاثا ، ثم أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بفراقهن " وفي لفظ " فقال إنها حرام من يومكم هذا إلى يوم القيامة " فأما أوطاس فلفظ مسلم " رخص لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عام أوطاس في المتعة ثلاثا ، ثم نهى عنها " وظاهر الحديثين المغايرة ، لكن يحتمل أن يكون أطلق على عام الفتح عام أوطاس لتقاربهما ، ولو وقع في سياقه أنهم تمتعوا من النساء في غزوة أوطاس لما حسن هذا الجمع ، نعم ويبعد أن يقع الإذن في غزوة أوطاس بعد أن يقع التصريح قبلها في غزوة الفتح بأنها حرمت إلى يوم القيامة ، وإذا تقرر ذلك فلا يصح من الروايات شيء بغير علة إلا غزوة الفتح . وأما غزوة خيبر وإن كانت طرق الحديث فيها صحيحة ففيها من كلام أهل العلم ما تقدم . وأما عمرة القضاء فلا يصح الأثر فيها لكونه من مرسل الحسن ومراسيله ضعيفة لأنه كان يأخذ عن كل أحد ، وعلى تقدير ثبوته فلعله أراد أيام خيبر لأنهما كانا في سنة واحدة في الفتح وأوطاس سواء . وأما قصة تبوك فليس في حديث أبي هريرة التصريح بأنهم استمتعوا منهن في تلك الحالة ، فيحتمل أن يكون ذلك وقع قديما ثم وقع التوديع منهن حينئذ والنهي ، أو كان النهي وقع قديما فلم يبلغ بعضهم فاستمر على الرخصة ، فلذلك قرن النهي بالغضب لتقدم النهي في ذلك ، على أن في حديث أبي هريرة مقالا ، فإنه من رواية مؤمل بن إسماعيل عن عكرمة بن عمار وفي كل منهما مقال . وأما حديث جابر فلا يصح فإنه من طريق عباد بن كثير وهو متروك . وأما حجة الوداع فهو اختلاف على الربيع بن سبرة ، والرواية عنه بأنها في الفتح أصح وأشهر ، فإن كان حفظه فليس في سياق أبي داود سوى مجرد النهي ، فلعله صلى الله عليه وسلم أراد إعادة النهي ليشيع ويسمعه من لم يسمعه قبل ذلك . فلم يبق من المواطن كما قلنا صحيحا صريحا سوى غزوة خيبر وغزوة الفتح ، وفي غزوة خيبر من كلام أهل العلم ما تقدم ، وزاد ابن

القيم في " الهدي " أن الصحابة لم يكونوا يستمتعون باليهوديات ، يعني فيقوى أن النهي لم يقع يوم خيبر أو لم يقع هناك نكاح متعة ، لكن يمكن أن يجاب بأن يهود خيبر كانوا يصاهرون الأوس والخزرج قبل الإسلام فيجوز أن يكون هناك من نسائهم من وقع التمتع بهن فلا ينهض الاستدلال بما قال ، قال الماوردي في " الحاوي " : في تعيين موضع تحريم المتعة وجهان أحدهما أن التحريم تكرر ليكون أظهر وأنشر حتى يعلمه من لم يكن علمه لأنه قد يحضر في بعض المواطن من لا يحضر في غيرها ، والثاني أنها أبيحت مرارا ، ولهذا قال في المرة الأخيرة " إلى يوم القيامة " إشارة إلى أن التحريم الماضي كان مؤذنا بأن الإباحة تعقبه ، بخلاف هذا فإنه تحريم مؤبد لا تعقبه إباحة أصلا ، وهذا الثاني هو المعتمد ، ويرد الأول التصريح بالإذن فيها في الموطن المتأخر عن الموطن الذي وقع التصريح فيه بتحريمها كما في غزوة خيبر ثم الفتح . وقال النووي : الصواب أن تحريمها وإباحتها وقعا مرتين فكانت مباحة قبل خيبر ثم حرمت فيها ثم أبيحت عام الفتح وهو عام أوطاس ثم حرمت تحريما مؤبدا ، قال : ولا مانع من تكرير الإباحة . ونقل غيره عن الشافعي أن المتعة نسخت مرتين ، وقد تقدم في أوائل النكاح حديث ابن مسعود في سبب الإذن في نكاح المتعة وأنهم كانوا إذا غزوا اشتدت عليهم العزبة فأذن لهم في الاستمتاع فلعل النهي كان يتكرر في كل مواطن بعد الإذن ، فلما وقع في المرة الأخيرة أنها حرمت إلى يوم القيامة لم يقع بعد ذلك إذن والله أعلم . والحكمة في جمع علي بين النهي عن الحمر والمتعة أن ابن عباس كان يرخص في الأمرين معا ، وسيأتي النقل عنه في الرخصة في الحمر الأهلية في أوائل كتاب الأطعمة ، فرد عليه علي في الأمرين معا وأن ذلك يوم خيبر ، فإما أن يكون على ظاهره وأن النهي عنهما وقع في زمن واحد . وإما أن يكون الإذن الذي وقع عام الفتح لم يبلغ عليا لقصر مدة الإذن وهو ثلاثة أيام كما تقدم . والحديث في قصة تبوك على نسخ الجواز في السفر لأنه نهى عنها في أوائل إنشاء السفر مع أنه كان سفرا بعيدا والمشقة فيه شديدة كما صرح به في الحديث في توبة كعب ، وكان علة الإباحة وهي الحاجة الشديدة انتهت من بعد فتح خيبر وما بعدها والله أعلم . والجواب عن قول السهيلي أنه لم يكن في خيبر نساء يستمتع بهن ظاهر مما بينته من الجواب عن قول ابن القيم لم تكن الصحابة يتمتعون باليهوديات ، وأيضا فيقال كما تقدم لم يقع في الحديث التصريح بأنهم استمتعوا في خيبر ، وإنما فيه مجرد النهي ، فيؤخذ منه أن التمتع من النساء كان حلالا وسبب تحليله ما تقدم في حديث ابن مسعود حيث قال "كنا نغزو وليس لنا شيء – ثم قال – فرخص لنا أن ننكح المرأة بالثوب " فأشار إلى سبب ذلك وهو الحاجة مع قلة الشيء ، وكذا في حديث سهل بن سعد الذي أخرجه ابن عبد البر بلفظ " إنما رخص النبي صلى الله عليه وسلم في المتعة لعزبة كانت بالناس شديدة ، ثم نهى عنها " فلما فتحت خيبر وسع عليهم من المال ومن السبي فناسب النهي عن المتعة لارتفاع سبب الإباحة ، وكان ذلك من تمام شكر نعمة الله على التوسعة بعد الضيق ، أو كانت الإباحة إنما تقع في المغازي التي يكون في المسافة إليها بعد ومشقة ، وخيبر بخلاف ذلك لأنها بقرب المدينة فوقع النهي عن المتعة فيها إشارة إلى ذلك من غير تقدم إذن فيها ، ثم لما عادوا إلى سفرة بعيدة المدة وهي غزاة الفتح وشقت عليهم العزوبة أذن لهم في المتعة لكن مقيدا بثلاثة أيام فقط دفعا للحاجة ، ثم نهاهم بعد انقضائها عنها كما سيأتي من رواية سلمة ، وهكذا يجاب عن كل سفرة ثبت فيها النهي بعد الإذن ، وأما حجة الوداع فالذي يظهر أنه وقع فيها النهي مجردا إن ثبت الخبر في ذلك ، لأن الصحابة حجوا فيها بنسائهم بعد أن وسع عليهم فلم يكونوا في شدة ولا طول عزبة ، وإلا فمخرج حديث سبرة راويه هو من طريق ابنه الربيع عنه ، وقد اختلف عليه في تعيينها ؛ والحديث واحد في

قصة واحدة فتعين الترجيح ، والطريق التي أخرجها مسلم مصرحة بأنها في زمن الفتح أرجح فتعين المصير إليها والله أعلم .." (١)

"ومن أخبار برغواطة ما خبر زمور أن طريفا كان أبا ملوكهم. وهو من ولد شمعون بن يعقوب بن إسحاق – عليهم السلام – قال: وكان طريف من أصحاب ميسرة ملك المغرب الذي تقدم ذكره، فلما قتل ميسرة، وافترق أصحابه، احتل طريف بلاد تامسنا، فقدمه البربر على أنفسهم، فولى أمرهم وكان على دين الإسلام وإليه تنسب جزيرة طريف، فبقي أميرا عليهم، إلى أن هلك. وترك أربعة أولاد. فولى الأمر من بعده صالح بن طريف، وكلن مولده سنة ١١٠ من لبهجرة، فتنبأ فيهم، وشرع لهم ديانة، وسمى نفسه صالح المؤمنين، وعهد إلى ابنه إلياس بديانته، وأمره ألا يظهر ذلك غلا إذا قوى أمره، وحينئذ يدعوا إلى مذهبه ويقتل من خالفه فيه من قومه. وأمره بموالاة أمير الأندلس. وخرج صالح إلى المشرق، وزعم أنه يعود إليهم في دولة السابع من ملوكهم، وزعم أنه المهدي الأكبر الذي يخرج في آخر الزمان لقتال الدجال، وأنه يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا، وتكلم لهم في ذلك بكلام كثير نسبه لموسى – عم – ولسطيح الكاهن وغيره.

ثم ولي بعده إلياس بن صالح بن طريف فأظهر ديانة الإسلام والعفاف وبقي أميرا خمسين سنة إلى أن هلك. وترك جمعة من الأولاد. فولى ابنه يونس بن إلياس، وذلك بعد ما وصل من المشرق، وحج ولم يحج أحد من أهل بيته. فتظهر ديانة جده، ودعا إليها وقتل من لم يدخل فبها حتى أخلى ثمانمائة موضع من مواضع البربر، يل أنه قتل منهم سبعة آلاف ونحو سبعمائة. وهلك بعد أن ملك نحو أربعين سنة، وخرج الأمير عن بينه وقام أبو عفير يحمد بمن معاذ بن اليسع بن صالح بن طريف، فاستولى على ملك تلك البلاد، ودان بديانة آبائه. واشتدت شوكته، وعظم أمره. وكانت له وقائع في البربر مشهورة، منها وقعة تامعزا، أقام القتل فيها ثمانية أيام، ومنها وقعة بهت، عجز الإحصاء عن عد من قتل فيها. وكان لأبي عفير من الزوجات أربع وأربعون، وكان له من الأولاد بعددهن. ومات بعد أن ملك تسعاً وعشرين سنة. ثم ولى عبد بن أبي عفير، وهو أبو الأنصار، وذلك عند تمام المائة الثالثة، وكان سخيا ظريفا، يفي بالوعد والعهد، يحفظ الجار ويكافئ على الهدية بأضعافها. وصفته: أفطس، شديد الأدمة في الوجه، ناصع بياض الجسم، طويل التحية وكان يلبس السراويل والملحفة، ولا يلبس االقميص، ولا يعتم إلا في الحرب، ولا يعتم أحد من قومه إلا الغرباء عندهم. وكان في كل عام تحشد ويظهر أنه يغزوا لمن يليه من القبائل، فيهادنوه، فيترك حركته. فملك في دعة نحو اثنين وأربعين سنة.

ثم ولى أبو منصور عيسى بن أبي الأنصار ن الذي بعث زمورا هذا إلى المستنصر بالله الأموي سنة ٣٥٢، وهو عبس بن أبي الأنصار عبد اله بن أبي عفير محمد بن معاذ١ بن اليسع بن صالح بن طريف. وكان سنه إذ ولي اثنين وعشرين سنة، فسار بسيرة أبيه ودان بديانته. واشتدت شوكته وعظم سلطانه. وكان أبوه قد وصاه عند موته بموالاة أمير الأندلس، وقال:)أنت سابع الأمراء من أهل بيتك، وأرجو أن يأتيك جدك صالح كما وعد(انتهى ما اختصرته من كلام رموز.

وقال أبو العباس المرجحي أن يونس القائم بدين برغواطة أصله من شذونة، من جهة وادي برباط، وكان قد رحل إلى المشرق في عام ٢٠١ مع عباس بن ناصحخ وزيد بن سنا الزناتي صاحب الواصلية، وبرغوث بن سعيد التراري، وجد بني عبد

---

(١) فتح الباري لابن حجر، ٣٦٧/١٤

الرزاق، ويعرفون بني وكيل الصفرية، ومناد صاحب القلعة المنادية، قريب من سجلماسة وآخر ذهب عني اسمه. فأربعة منهم فقهوا في الدين. ادعى يونس صاحب برغواطة النبوة. قال: وكان يونس شرب دواء للحفظ، فحفظ كل ما سمعه، وطاب علم النجوم والكهانة، ونظر في الجدال، وانصرف، فنزل بين هؤلاء القوم، فرأى جهلهم. وكان يخبرهم بأشياء قبل كونها، مما يدل عليه التنجيم، فيكون كما قال، أو قريبا منه، فعظم عندهم. فلما رأى ذلك منهم وعلم ضعف عقولهم وكثرة جهلهم أظهر ديانته، ودعا إلى نبوته. وسمى من اتبعه برباطي، ثم أحالوه بألسنتهم، ردوه)برغواطي(. وكان يونس قد قتل خلقا كثيرا من البربر حتىلا أطاعوه وعلى دينه تابعوه. وقال سعيد بن هشام المصمودي في وقعة بهت قصيدة طويلة منها وافر:

قفي قبل التفرق فاخبرينا ... وقولي واخبري خبرا مبينا

هموم برابر خسروا وضلوا ... وخابوا لا سقوا ماء معينا

يقولوا النبي أبو عفير ... فأخزى الله أم الكاذبينا." (١)

" وأمرهم أن يخرجوا العشر من جميع الثمار وأباح لهم أن يتزوج الرجل من النساء ما شاء ولا يتزوج من بنات عمه ويطلقون ويراجعون ألف مرة في اليوم فلا تحرم عليهم المرأة بشيء من ذلك وأمرهم بقتل السارق حيث وجد وزعم أنه لا يطهره من ذنبه إلا السيف وأن الدية تكون من البقر وحرم عليهم رأس كل حيوان والدجاجة مكروه أكلها وقدوتهم في الأوقات الديكة وحرم عليهم ذبحها وأكلها ومن ذبح ديكا أو أكله أعتق رقبة وأمرهم أن يلحسوا بصاق ولاتهم على سبيل التبرك فكان يبصق في أكفهم فيلحسونه ويحملونه إلى مرضاهم يستشفون به ووضع لهم قرآنا يقرؤونه في صلواتهم ويتلونه في مساجدهم وزعم أنه نزل عليه وأنه وحي من الله تعالى إليه ومن شك في ذلك فهو كافر والقرآن الذي شرع لهم ثمانون سورة سماها لهم بأسماء النبيين وغيرهم منها سورة آدم وسورة نوح وسورة فرعون وسورة موسى وسورة هارون وسورة بني إسرائيل وسورة الأسباط وسورة أيوب وسورة يونس وسورة الجمل وسورة الديك وسورة الحجل وسورة الجراد وسورة هاروت وماروت وسورة إبليس وسورة الحشر وسورة غرائب الدنيا وفيها العلم العظيم بزعمهم حرم فيها وحلل وشرع وفصل وتسمى فيهم بصالح المؤمنين وقال أنا صالح المؤمنين الذي ذكره الله في كتابه الذي أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم كما حكاه البكري عن زمور بن صالح الوافد منهم على الحكم المستنصر الخليفة بقرطبة من قبل ملكهم يومئذ أبي منصور عيسى بن أبي الأنصار سنة ثنتين وخمسين وثلاثمائة وكان يترجم عنه بجميع خبره داود بن عمر المسطاسي قال وكان ظهور صالح هذا في خلافة هشام بن عبد الملك سنة سبع وعشرين ومائة

وقد قيل إن ظهوره كان لأول الهجرة وأنه انتحل ذلك عنادا ومحاكاة لما بلغه من شأن النبي صلى الله عليه وسلم والأول أصح ثم زعم أنه المهدي الأكبر الذي يخرج

." (٢)

---

(١) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ص/٩٦

(٢) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ١٧١/١

"

وقال ابن الخطيب في رقم الحلل كانت وقعة البحيرة بأحواز مراكش قد استأصلت معظم أصحاب المهدي وكادت تأتي عليهم ومع ذلك فلم تضع منه ولا وهنت صبره وكان يقول مثل هذا الأمر كالفجر يتقدمه الفجر الكاذب وبعده ينبلج الصبح ويستعلي الضوء ويأمرهم باتخاذ مرابط الخيل التي ينالون من فيء عدوهم بعدها وإنه يعطي الرجل على قدر ما أعد من الرباط إلى غير ذلك

فهذا خبر المهدي مختصرا من ابن خلدون ممزوجا بما نقله ابن خلكان من ذلك وقد ساق ابن أبي زرع في القرطاس خبر المهدي هذا وفيه بعض مخالفة لما تقدم فلنأت به وإن أدى إلى بعض التكرار زيادة في الإمتاع وتحلية للأسماع فنقول

قال ابن أبي زرع ما ملخصه إن المهدي رحل إلى المشرق في طلب العلم ولقي مشايخ وسمع منهم وأخذ عنهم علما كثيرا وحفظ جملة من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ونبغ في علم الأصول والاعتقادات

وكان في جملة من لقي من العلماء الشيخ أحمد الغزالي رضي الله عنه لازمه ثلاث سنين وكان الشيخ أبو حامد كثيرا ما يشير إلى المهدي ويقول إنه لا بد أن يكون له شأن ونمى الخبر بذلك إلى المهدي فلم يزل يتقرب إلى الشيخ بأنواع الخدمة حتى أطلعه على ما عنده من العلم في ذلك فلما تحققت عنده الحال استخار الله وعزم على الترحال فخرج قاصدا بلاد المغرب غرة ربيع الأول سنة عشر وخمسمائة ولازم في طريقه درس العلم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى أن اجتمع به عبد المؤمن بن علي فبايعه على مؤازرته في الشدة والرخاء والعسر واليسر ثم قدم بلاد المغرب واستقر بمراكش وكانت له فصاحة وعليه مهابة فأخذ يطعن على المرابطين وينسبهم إلى الكفر والتجسيم ويشيع عند من يثق به ويسكن إليه أنه المهدي المنتظر الذي يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا وجرى منه

(١) ".

" وبعث إليه من يأتيه برأسه فسمع بذلك بعض بطانته فمر مسرعا حتى إذا قرب من الخيمة قرأ قوله تعالى ﴿ يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك ﴾ فسمعها المهدي وفطن لها فانسل من حينه وخرج حتى أتى تينملل فأقام بها وذلك في شوال سنة أربع عشرة وخمسمائة ثم لحق به أصحابه العشرة السابقون إلى دعوته والمصدقون بإمامته وهم عبد المؤمن بن علي الكومي وأبو محمد البشير الوانشريسي وأبو حفص عمر بن يحيي الهنتاتي وأبو يحيي بن يكيت الهنتاتي وأبو حفص عمر بن علي آصناك وإبراهيم بن إسماعيل الخزرجي وأبو محمد عبد الواحد الحضرمي وأبو عمران موسى بن تمار وسليمان بن خلوف وعاشر فأقاموا بتينملل إلى رمضان من سنة خمس عشرة وخمسمائة فعظم صيته بجبل درن وكثرت أتباعه فلما رأى ذلك أظهر دعوته ودعا الناس إلى بيعته فبايعه العشرة البيعة الخاصة عقب صلاة الجمعة خامس عشر رمضان من السنة

ولما كان الغد وهو يوم السبت خرج المهدي في أصحابه العشرة متقلدين السيوف وتقدم إلى الجامع فصعد المنبر وخطب الناس وأعلمهم أنه المهدي المنتظر ودعاهم إلى بيعته فبايعوه البيعة العامة ثم بث دعاته في بلاد المصامدة يدعون

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ٢/٩٠

الناس إلى بيعته ويزرعون محبته في قلوبهم بالثناء عليه ووصفه بالزهد وتحري الحق وإظهار الكرامات فانثال الناس عليه من كل جهة وسمى أتباعه الموحدين ولقنهم عقائد التوحيد باللسان البربري وجعل لهم فيه الأعشار والأحزاب والسور وقال من لم يحفظ هذا التوحيد فليس بموحد لا تجوز إمامته ولا تؤكل ذبيحته فاستولت محبته على قلوبهم وعظموه ظاهرا وباطنا حتى كانوا يستغيثون به في شدائدهم وينوهون باسمه على منابرهم ولم تزل الوفود تترادف عليه حتى اجتمع عليه جم غفير فلما علم أن ناموسه قد رسخ وسلطانه قد تمكن قام فيهم خطيبا وندبهم إلى جهاد المرابطين وأباح لهم دماءهم وأموالهم فانتدب الناس

---

(١) ".

"

كان يتولى عليهم فأغضى السلطان عن ذلك وبالغ في الأنة القول له في كتابه ووعده بأنه إذا وصل إلى مراكش يشكيه من أخيه وفي أثناء ذلك وقبل وصول كتاب السلطان إليه أغرى إخوانه بالخروج عن طاعة السلطان والاشتغال بما يسخط الله ويرضي الشيطان فانبثت خيولهم في الطرقات ومخروها مخرا وانتسفوها نسفا وعمدوا إلى قوادهم الذين ولاهم المولى المأمون عليهم فقبضوا عليهم وأودعوهم السجن وانتهبوا دورهم ووصل المسافرون والتجارإلى باب السلطان مجردين عراة يشكون ما دهمهم من أمر الشراردة وتكاثر عليه شذاذهم فحينئذ استأنف السلطان جده وأرهف حده وكتب إلى أخيه المولى المأمون باستنفار قبائل الحوز وجمعها عليه حتى يقدم عليه وسار السلطان في جيش العبيد والودايا وآيت أدراسن وزمور وعرب بني حسن وبني مالك وسفيان وكتب إلى الشاوية ودكالة أن تكون خيلهم معدة حين يمر بهم وكان المهدي قد عظم ناموسه و تمكن من جهلة قومه وكاد يتجاوزهم إلى غيرهم حتى صار يعرض أو يصرح بأنه المهدي المنتظر وكان السبب الأقوى في طغيانه وطغيان قومه ما اتفق له في هزيمة السلطان المولى سليمان رحمه الله فظن المهدي وشراردته أن لا غالب لهم من الله ولما برز السلطان رحمه الله من رباط الفتح لقيه ركب الحجاج الذين انتهبهم هشتوكة والشياظمة الذين بأحواز آزمور وكانت العادة يومئذ بالمغرب أن ركاب الحاج تأتي من آفاق المغرب فتجتمع بفاس ومنها يخرج الركب على الهيئة المعهودة في ذلك الزمان فلما وصل هؤلاء الحجاج من أهل السوس وغيرهم إلى الشياظمة وهشتوكة انتهبوهم وجردوهم من المخيط والمحيط فسمع السلطان رحمه الله شكواهم وامتعض لانتهاك حرمتهم وزحف إلى هؤلاء المفسدين فأوقع بهم وقعة شنعاء بالموضع المعروف بفرقالة من أعمال آزمور حتى كانوا يلقون أنفسهم في البحر طلبا للنجاة بعد أن أثروا في المحلة أول النهار ثم كانت الكرة عليهم وحكم السلطان السيف في رقابهم وامتلأت أيدي العسكر من أثاثهم وماشيتهم وكانت هذه الوقعة طليعة الفتح ومقدمة الظفر ثم عبر إلى آزمور ومنها إلى الجديدة ثم سار مع الساحل

---

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ٩٢/٢

". (١)

" صحبته إذ عادته كانت الطمأنينة ولما توفي رحمه الله بقيت نحوا من ثلاث سنين عاطلا ثم تحلى النحر بدرر لطائفه الموعود بها فله الحمد على ما أسدى وله الشكر فيما أولى ثم ذكر بقية أشياخه كالشيخ أبي العباس المنجور والشيخ أبي العباس السوداني والشيخ سالم السنهوري وغيرهم ممن يطول ذكرهم قال ثم كملت الفائدة بعد المقفل من الحج فرجعت إلى الديار المغربية ونزلت بوادي الساورة ثم تحولت بجميع عيالي إلى الوادي المذكور هذا ملخص أوليته منقولا من كتابه المذكور

وقال الشيخ أبو العباس أحمد التواتي رحمه الله تعالى في رسالته التي سماها مقامة التحلي والتخلي من صحبة الشيخ أبي محلي وهي رسالة طويلة مسجعة قال كان الفقيه أبو محلي في أول أمره فقيها صرفا ثم انتحل طريقة التصوف مدة حتى وقع على بعض الأحوال الربانية ولاحت له مخايل الولاية فانحشر الناس لزيارته أفواجا وقصدوه فرادى وأزواجا وبعد صيته وكثرت أتباعه قال فلما سمعت بذلك ذهبت إليه وجلست عنده إلى أن وجدته يشير إلى نفسه بأنه المهدي المعلوم المبشر به في صحيح الأحاديث فتركته وراء ونبذته بالعراء اه

وقال الشيخ اليوسي في محاضراته وقد تكلم على الدعوى الفاطمية ما نصه وممن ابتلي بها قريبا أحمد بن عبد الله بن أبي محلي التستاوتي خاض في الطريق حتى حصل له نصيب من الذوق وألف فيها كتابا يدل على ذلك ثم نزغت به هذه النزغة فحدثونا أنه كان في أول أمره معاشرا لمحمد بن أبي بكر الدلائي وكان البلد إذ ذاك قد كثرت فيه المناكر وشاعت فقال ابن أبي محلي لابن أبي بكر ذات ليلة هل لك في أن نخرج غدا إلى الناس فنأمر بالمعروف وننهى عن المنكر فلم يساعفه لما رأى من تعذر ذلك لفساد الوقت وتفاقم الشر فلما أصبحا خرجا فأما ابن أبي بكر فانطلق إلى ناحية النهر فغسل ثيابه وازال شعثه بالحلق وأقام صلاته وأوراده في أوقاتها

". (٢)

" وأما ابن أبي محلي فتقدم لما هم به من الحسبة فوقع في شر وخصام أداه إلى فوات الصلاة عن الوقت ولم يحصل على طائل فلما اجتمعا بالليل قال له ابن أبي بكر أما أنا فقد قضيت مآربي وحفظت ديني وانقلبت في سلامة وصفاء ومن أتى منكرا فالله حسيبه أو نحو هذا من الكلام وأما أنت فانظر ما الذي وقعت فيه ثم لم ينته إلى أن ذهب إلى بلاد القبلة ودعا لنفسه وادعى أنه المهدي المنتظر وأنه بصدد الجهاد فاستخف قلوب العوام واتبعوه اه

وصار ابن أبي محلي يكاتب رؤساء القبائل وعظماء البلدان يأمرهم بالمعروف ويحضهم على الاستمساك بالسنة ويشيع أنه الفاطمي المنتظر وأن من تبعه فهو الفائز ومن تخلف عنه فموبق وربما كان يقول لأصحابه محرضا لهم على نصرته أنتم أفضل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لأنكم قمتم بنصر الحق في زمن الباطل وهم قاموا به في زمن الحق ونحو

---

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ١٨/٣

(٢) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ٢٨/٦

هذا من زخارف كلامه وإلى ذلك أشار الفقيه أبو زكرياء يحيى بن عبد المنعم الحاحي في بعض قصائده معرضا بأبي محلي المذكور فقال

(يا أمة المصطفى الهادي أليس لكم ** فيمن مضى أسوة من سائر العلما)

(نسيتم دين خير الخلق وافترقت ** آراؤكم فغدا الإسلام منقسما)

(أتحسبون بأن الله تارككم ** سدى وخلقكم قد تعلمون لما)

(ناشدتكم بالذي في العرض يجمعنا ** أما فطنتم ومالاه كمن فهما)

(بأن مغربكم قد عمه سخط ** من المهيمن يا لله معتصما)

(إن قيل للناس إن الهرج يوبقكم ** قالوا الفقيه فلان قبلنا اعتزما)

(لو لم يكن جاز ما أفتى الإمام به ** ولا أتاه ألا تبنوا الذي انهدما)

(ومن يقل قال خير الخلق قيل له ** ها صاحب الوقت يكفينا الذي علما)

(ونحن أفضل من صحب الرسول لنا ** أجر يضاعف في أجفارنا نظما)

(وزخرفوا ترهات القول فانفعلت ** لهم نفوس عوام رشدها عدما)

." (١)

" فقال أيها الوزير إن أمي منذ كنت صغيرا كل ليلة تضع تحت وسادتي رغيفا فإذا أصبحت تصدقت به عني فلم يزل كذلك دأبها حتى ماتت فلما ماتت فعلت أنا ذلك مع نفسي فكل ليلة أضع تحت وسادتي رغيفا ثم أصبح أتصدق به فعجب الوزير من ذلك وقال والله لا ينالك مني بعد اليوم سوء أبدا ولقد حسنت نيتي فيك وقد أحببتك وقد أطال ابن خكلان ترجمته فذكر بعض ما أوردنا في ترجمته

محمد بن محمد بن سليمان بمن الحارث بن عبدالرحمن

أبو بكر الأزدي الواسطي المعروف بالباغندي سمع محمد بن عبدالله بن نمير وابن أبي شيبة وشيبان بن فروخ علي بن المديني وخلقا من أهل الشام ومصر والكوفة والبصرة وبغداد ورحل إلى الأمصار البعيدة وعني بهذا الشأن واشتغل فيه فأفرط حتى قيل إنه ربما سرد بعض الأحاديث بأسانيدها في الصلاة والنوم وهو لا يشعر فكانوا يسبحون به حتى يتذكر أنه في الصلاة وكان يقول أنا أجيب في ثلثمائة ألف مسألة من الحديث لا أتجاوزه إلى غيره وقدد رأى رسول الله (ص) في منامه فقال له يا رسول الله أيما أثبت في الأحاديث منصور أو الأعمش فقال له منصور وقد كان يعاب بالتدليس حتى قال الدارقطني هو كثير التدليس يحدث بما لم يسمع وربما سرق بعض الأحاديث والله أعلم

ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة

---

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ٢٩/٦

قال ابن الجوزي في ليلة بقيت من المحرم انقض كوكب من ناحية الجنوب إلى الشمال قبل مغيب الشمس فأضاءت الدنيا منه وسمع له صوت كصوت الرعد الشديد وفي صفر منها بلغ الخليفة أن جماعة من الرافضة يجتمعون في مسجد براثي فينالون من الصحابة ولا يضلون الجمعة ويكاتبون القرامطة ويدعون إلى محمد بن إسماعيل الذي ظهر بين الكوفة وبغداد ويدعون أنه المهدي ويتبرأون من المقتدر وممن تبعه فأمر بالإحتياط عليهم واستفتى العلماء بالمسجد فافتوا بأنه مسجد ضرار فضرب من قدر عليه منهم الضرب المبرح ونودي عليهم وأمر بهدم ذلك المسجد المذكور فهدم هدمه نازوك وأمر الوزير الخاقاني فجعل مكانه مقبرة فدفن فيها جماعة من الموالي وخرج الناس للحج في ذي القعدة فاعترضهم أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الجنابي القرمطي م فرجع أكثر الناس إلى بلدانهم ويقال إن بعضهم سأل منه الأمان ليذهبوا فأمنهم وقد قاتله جند الخليفة فلم يفد ذلك شيئا لتمرده وشدة بأسه فانزعج أهل بغداد من ذلك وترحل أهل الجانب الغربي إلى الجانب الشرقي خوفا منهم ودخل القرمطي إلى الكوفة فأقام بها شهرا يأخذ من أموالها ونسائها ما يختار قال ابن الجوزي وكثر الرطب في هذه السنة ببغداد حتى بيع كل ثمانية أرطال بحبة وعمل ." (١)

" وجدليا باهرا عاصم بن الحسن

ابن محمد بن علي بن عاصم بن مهران أبو الحسين العاصمي من وأهل الكرخ سكن باب الشعير ولد سنة سبع وتسعين وثلثمائة وكان من أهل الفضل والأدب وسمع الحديث من الخطيب وغيره وكان ثقة حافظا ومن شعره قوله

... لهفي على قوم بكاظمة ... ودعتهم والركب معترض ... لم تترك العبرات مذ بعدوا ... لي مقلة ترنو وتغتمض ... رحلوا فدمعي واكف هطل ... جار وقلبي حشوه مرض ... وتعوضوا لا ذقت فقدهم ... عني ومالي عنهم عوض ... أقرضتهم قلبي على ثقة ... منهم فماردوا الذي اقترضوا ... محمد بن أحمد بن حامد

ابن عبيد أبو جعفر البخاري المتكلم المعتزلي أقام ببغداد وتعرف بقاضي حلب وكان حنفي المذهب في الفروع معتزليا في الأصول مات ببغداد في هذه السنة ودفن بباب حرب

محمد بن أحمد بن عبد الله

ابن محمد بن إسماعيل الأصبهاني المعروف بمسارفة أحد الحفاظ الجوالين الرحالين سمع الكثير وجمع الكتب واقام بهراة وكان صالحا كثير العبادة توفي بنيسابور في ذي الحجة من هذه السنة والله أعلم

ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة

في المحرم منها ورد إلى الفقيه أبي عبد الله الطبري منشور نظام الملك بتدريس النظامية فدرس بها ثم قدم الفقيه أبو محمد عبد الوهاب الشيرازي في ربيع الآخر منها بمنشور بتدريسها فاتفق الحال على أن يدرس هذا يوما وهذا يوما وفي جمادي الأولى دهم أهل البصرة رجل يقال له بليا كان ينظر في النجوم فاستغوى خلقا من أهلها وزعم أنه المهدي واحرق من البصرة شيئا كثيرا من ذلك دار كتب وقفت على المسلمين لم ير في الأسلام مثلها وأتلف شيئا كثيرا من الدواليب والمصانع وغير ذلك وفيها خلع على أبي القاسم طراد الزينبي بنقابة العباسيين بعد أبيه وفيها استفتى على معلمى الصبيان

(١) البداية والنهاية، ١٥٢/١١

ان يمنعوا من المساجد صيانة لها فأفتوا بمنعهم ولم يستثن منه سوى رجل كان فقيها شافعيا يدرى كيف تصان المساجد واستدل المفتي بقوله عليه الصلاة و السلام (سدوا كل خوخة إلا خوخة أبي بكر) وحج بالناس خمار تكين على العادة ومن توفي فيها من الأعيان

الوزير أبو نصر بن جهير ابن محمد بن محمد بن جهير عميد الدولة أحد مشاهير الوزراء وزر للقائم ثم لولده المقتدي ثم . " (١)

" عزل ملكشاه السلطان وولي ولده فخر الدولة ديار بكر وغيرها مات بالموصول وهي بلده التي ولد بها وفيها كان مقتل صاحب اليمن الصليحي وقد تقدم ذكره ثم دخلت سنة أربع وثمانين وأربعمائة

في المحرم منها كتب المنجم الذي أحرق البصرة إلى أهل واسط يدعوهم إلى طاعته ويذكر في كتابه أنه المهدي صاحب الزمان الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويهدي الخلق إلى الحق فإن أطعتم أمنتم من العذاب وإن عدلتم خسف بكم فآمنوا بالله وبالإمام المهدي وفيها ألزم أهل الذمة بلبس الغيار وبشد الزنار وكذاك نساؤهم في الحمامات وغيرها وفي جمادي الأولى قدم الشيخ أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي من أصبهان إلى بغداد على تدريس النطامية ولقبه نظام الملك زين الدين شرف الأئمة قال ابن الجوزي وكان كلامه مقبولا وذكاؤه شديدا وفي رمضان منها عزل الوزير أبو شجاع عن وزارة الخلافة فأنشد عند عزله

... تولاها وليس له عدو ... وفارقها وليس له صديق ... ثم جاءه كتاب نظام الملك بأن يخرج من بغداد فخرج منها إلى عدة أماكن فلم تطب له فعزم على الحج ثم طابت نفس النظام عليه فبعث إليه يسأله أن يكون عديله في ذلك وناب ابن الموصلايا في الوزارة وقد كان أسلم قبل هذه المباشرة في أول هذه السنة وفي رمضان منها دخل السلطان ملكشاه بغداد ومعه الوزير نظام الملك وقد خرج لتلقيه قاضي القضاة أبو بكر الشاشي وابن الموصلايا المسلماني وجاءت ملوك الأطراف إليه للسلام عليه منهم أخوه تاج الدولة تتش صاحب دمشق وإتابكه قسيم الدولة اقسنقر صاحب حلب وفي ذي القعدة خرج السلطان ملكشاه وابنه وابن ابنته من الخليفة في خلق كثير من الكوفة وفيها استوزر أبو منصور بن جهير وهي النوبة الثانية لوزارته للمقتدي وخلع عليه وركب إليه نظام الملك فهنأه في داره بباب العامة وفي ذي الحجة عمل السلطان الميلاد في دجلة وأشعلت نيران عظيمة وأوقدت شموع كثيرة وجمعت المطربات في السمريات وكانت ليلة مشهودة عجيبة جدا وقد نظم فيها الشعراء الشعر فلما أصبح النهار من هذه الليلة جئ بالخبيث المنجم الذي حرق البصرة وأدعى أنه المهدي محمولا على جمل ببغداد وجعل يسب الناس والناس يلعنوه وعلى رأسه طرطورة بودع والدرة تأخذه من كل جانب فطافوا به بغداد ثم صلب بعد ذلك وفيها أمر السلطان ملكشاه جلال الدولة بعمارة جامعه المنسوب إليه بظاهر السور وفي هذه السنة ملك أمير المسلمين يوسف بن تاشفين بعد صاحب بلاد المغرب كثيرا من بلاد الأندلس وأسر صاحبها

---

(١) البداية والنهاية، ١٢/١٣٦

المعتمد بن عباد وسجنه وأهله وقد كان المعتمد هذا موصوفا بالكرم والأدب والحلم حسن السيرة والعشرة والإحسان إلى الرعية والرفق بهم فحزن الناس ." (١)

" قاصدا باب السلطان فتلقاه نائب دمشق وأنزله بداره التي عند جامعه ثم سار نحو مصر فغاب نحوا من أربعين يوما ثم عاد راجعا إلى نيابة حلب وفي عاشر رجب طلب الصاحب تقي الدين ابن عمر بن الوزير شمس الدين بن السلعوس إلى مصر فولى نظر الدواوين بها حتى مات عن قريب وخرج الركب يوم السبت تاسع شوال وأميره سيف الدين بلطي وقاضيه شهاب الدين القيمري وفي الحجاج زوجة ملك الأمراء تنكز وفي خدمتها الطواشي شبل الدولة وصدر الدين المالكي وصلاح الدين ابن أخي الصاحب تقي الدين توبة وأخوه شرف الدين والشيخ علي المغربي والشيخ عبد الله الضرير وجماعة

وفي بكرة الاربعاء ثالث شوال جلس القاضي ضياء الدين علي بن سليم بن ربيعة للحكم بالعادلية الكبيرة نيابة عن قاضي القضاة القونوي وعوضا عن الفخر المصري بحكم نزوله عن ذلك وإعراضه عنه تاسع عشر رمضان من هذه السنة وفي يوم الجمعة سادس ذي القعدة بعد أذان الجمعة صعد إلى منبر جامع الحاكم بمصر شخص من مماليك الجاولي يقال له أوصى فادعى أنه المهدي وسجع سجعات يسيرة على رأي الكهان فأنزل في شرخيبة وذلك قبل حضور الخطيب بالجامع المذكور وفي ذي القعدة وما قبله وما بعده من أواخر هذه السنة وأوائل الاخرى وسعت الطرقات والأسواق داخل دمشق وخارجها مثل سوق السلاح والرصيف والسوق الكبير وباب البريد ومسجد القصب إلى الزنجبيلية وخارج باب الجباية إلى مسجد الدبان وغير ذلك من الاماكن التي كانت تضيق عن سلوك الناس وذلك بامر تنكز وأمر باصلاح القنوات واستراح الناس من ترتيش الماء عليهم بالنجاسات ثم في العشر الاخير من ذي الحجة رسم بقتل الكلاب فقتل منهم شيء كثير جدا ثم جمعوا خارج باب الصغير مما يلي باب كيسان في الخندق وفرق بين الذكور منهم والاناث ليموتوا سريعا ولا يتوالدوا وكانت الجيف والميتات تنقل إليهم فاستراح الناس من النجاسة من الماء والكلاب وتوسعت لهم الطرقات

وفي يوم الجمعة ثاني عشر ذي الحجة حضر مشيخة الشيوخ بالسمساطية قاضي القضاة شرف الدين المالكي بعد وفاة قاضي القضاة القونوي الشافعي وقرئ تقليده بالسبحة بها وحضره الأعيان وأعيد إلى ما كان عليه وممن توفي فيها من الأعيان

الامام العالم نجم الدين

نجم الدين أبو عبد الله محمد بن عقيل بن أبي الحسن بن عقيل البالسي الشافعي شارح التنبيه ولد سنة ستين وستمائة وسمع الحديث واشتغل بالفقه وغيره من فنون العلم فبرع فيها ." (٢)

"٣٩٨٧ - محمد بن عجلان: مولى فاطمة ابنة الوليد بن عتبة بن ربيعة، أبو عبد الله القرشي، المدني، الفقيه، أحد الأعلام، عن أبيه وأنس، ونافع، ومحمد بن كعب القرظي وسعيد المقبري وعمرو بن شعيب، وغيهم وعنه السفيانان، وبكر بن مصر وبشر بن المفضل وعبد الله بن إدريس ويحيى القطان وابو عاصم والاقدي وخلق، وثقه ابن عيينة وأحمد وابن معين

---

(١) البداية والنهاية، ١٢/١٣٧

(٢) البداية والنهاية، ١٤/١٤٤

وآخرون، وكان أحد من جمع بين العلم والعمل، له حلقة في المسجد النبوي، ولما خرج مع محمد بن عبد الله بن حسن هم والي المدينة جعفر بن سليمان الهاشمي أن يجلده فقالوا له: أصلحك الله لو رأيت الحسن البصري فعل مثل هذا تضربه؟ قال: لا... قيل له: فابن عجلان في أهل المدينة مثل الحسن في أهل البصرة، فعفا عنه، وقال مصعب الزبيري: كان له قدر وفضل بالمدينة، ولما أراد جعفر قطع يده حين خرج مع محمد وكان عنده الأكابر، سمع ضجة فقال: ما هذا؟ قالوا: ضجة أهل المدينة يدعون لابن عجلان فلو عفوت عنه فإنه غر وأخطأ في الرؤية ظن أنه المهدي، فعفا عنه وأطلقه، وقال ابن المبارك: لم يكن بالمدينة، لم يكن أحد أشبه بأهل العلم منه كنت أشبهه: بالياقوتة بين العلماء، وهو ممن وثقه أحمد وابن معين، وحدث عنه شعبة ومالك، وأخرج له مسلم في الشواهد لتكلم المتأخرين من أئمتنا في سوء حفظه، بل قيل لمالك: إن ناسا من أهل العلم يحدثون وسموا منهم ابن عجلان فقال: إنه لم يكن يعرف هذه الأشياء، ولم يكن عالما، والحق أن حديثه من قبيل الحسن، مات في سنة ثمان وأربعين ومائة بالمدينة وقيل سنة تسع، وكان قد مكث في بطن أمه ثلاث سنين فشق بطنها وأخرج وقد نبتت أسنانه، وبهذا رد مالك على الوليد بن مسلم حين قال: إني حدثت عن عائشة أنها قالت: لا تحمل المرأة فوق سنتين قدر ظل مغزل، وقال: من يقول هذا؟ هذه أم ابن عجلان جارتنا امرأة صدق، ولدت ثلاثة أولاد في اثنتي عشرة سنة تحمل أربع سنين قبل أن تلد، بل روى الواقدي عن مالك أنه قال: يكون الحمل سنتين وأكثر أعرف من حمل به كذلك، يعني نفسه، وهو في التهذيب وتاريخ البخاري وابن أبي حاتم وثقات العجلي وابن حبان، وابن يونس وقال: قدم مصر إلى الإسكندرية فتزوج بها امرأة فآتاها في دبرها، فشكته إلى أهلها فشاع ذلك، فصاوا فيه فخرج منها... انتهى، والظاهر أنها كذبت عليه كما اتفق في عصرنا لبعض خيار العلماء ... ولا قوة إلا بالله.

٣٩٨٨ – محمد بن عروة بن الزبير بن العوام الأسدي: أمه أم يحيى ابنة الحكم بن العاص، يروي عن أبيه وعمه عبد اله، عنه أخوه هشام والزهري، قال الزبير: كان بارعا، جميلا، يضرب بحسنه المثل، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال مصعب الزبير، توفي مع أبيه يومئذ عند الوليد بن عبد الملك، وفي ذلك السفر أصيبت رجل عروة، وهو في التهذيب.

٣٩٨٩ – محمد بن عروة بن هشام بن عروة بن الزبير الزبيري: عن جده، وعنه إبراهيم بن علي الرافعي، قال ابن حبان: منكر الحديث جدا لا يجوز الاحتجاج به، زاد الذهبي في ميزانه: وفيه جهالة، قال شيخنا: وليس هو بمجهول العين، فقد حكى الخطيب: أنه ولي قبل مغيرة مع المهدي القضاء للحسن بن زيد غير مرة ثم أدرك ولاية الرشيد فاستعمله على الزنادقة، وروى عنه أيضا داود بن المجير وكان شيخا، ممدحا، وكذا ذكر الزبير بن بكار في كتاب النسب وزاد: وكان في عسكر المهدي، وله دار ضيافة، وقال: كان يكنى أبا خالد.

٣٩٩٠ – محمد بن عطية بن منصور بن جماز بن شيحة: استقر شريكا لقريبه جماز بن هبة بن جماز بن منصور سنة ثمان وسبعين، ثم تغلب جماز وانفرد إلى أن عزل بمحمد سنة سبع وثمانين، ولم يلبث أن مات في إحدى الجمادين من التي تليها وأعيد جماز.

٣٩٩١ – محمد بن عقبة بن أبي عتاب: في أهل المدينة... يروي عن أبيه، وعنه سليمان بن بلال وموسى بن عقبة وعبد الرحمن بن أبي الزناد، ذكره البخاري في تاريخه وابن أبي حاتم، ووثقه ابن حبان.." (١)

" الأمجد السيد أحمد البريلوي رضي الله تعالى عنه أنه المهدي الموعود المبشر به في الأحاديث وأنه لم يستشهد في معركة الغزو بل إنه اختفى عن أعين الناس وهو حي موجود في هذا العالم إلى الآن حتى أفرط بعضهم فقال إنا لقيناه في مكة المعظمة حول المطاف ثم غاب بعد ذلك ويزعمون إنه سيعود وسيخرج بعد مرور الزمان فيملأ الأرض عدلا وقسطا كما ملئت جورا وظلما وهذا غلط وباطل والحق الصحيح أن السيد الإمام استشهد ونال منازل الشهداء ولم يختف عن أعين الناس قط والحكايات المروية في ذلك كلها مكذوبة مخترعة وما صح منها فهو محمول على محمل حسن وقد طال النزاع قي أمر السيد الشهيد من حياته واختفائه حتى جعلوه جزء العقيدة ويجادلون من ينكره وإلى الله المشتكى من صنيع هؤلاء ونعوذ بالله من هذه العقيدة المنكرة الواهية والله أعلم

قال المنذري بعد إخراج حديث الجابر ذكر البخاري أن أبا خالد سعيدا والد إسماعيل سمع أبا هريرة وسمع منه ابنه إسماعيل وقوله كلهم من قريش مسند سمرة بن جنادة وقيل سمرة بن عمرو السوائي والد جابر بن سمرة عن رسول الله وأخرجه الترمذي وفيه فسألت الذي يليني فقال كل من قريش وليس فيه قلت لأبي وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح وذكر أبو عمر النمري سمرة هذا وقال روى عنه ابنه حديثا واحدا ليس له غيره عن النبي يكون بعدي اثني عشر خليفة كلهم من قريش لم يرو عنه غيره وابنه جابر بن سمرة صاحب له رواية انتهى

[٤٢٨٠] (عزيزا) وفي رواية لمسلم عزيزا منيعا قال القارىء أي قويا شديدا أو مستقيما سديدا (وضجوا) أي صاحوا والضج الصياح عند المكروه والمشقة والجزع (ثم قال) أي رسول الله (كلمة خفيفة) وفي بعض النسخ خفية وهو الظاهر وفي رواية لمسلم بكلمة خفيت علي (قلت لأبي) أي سمرة رضي الله عنه (يا أبت) بكسر التاء وكان في الأصل يا أبي فأبدلت الياء بالتاء (ما قال) أي رسول الله (قال) أي أبي (كلهم) أي كل الخلفاء قال المنذري وأخرجه مسلم ". (٢)

"لم يزل التوتر قائماً في هذا القرن بين السنة والشيعة ، لكن حدته خف نسبياً بعد أن كسرت شوكة الشيعة وزالت دولهم المتعددة كالبويهيين والحمدانيين والسامانيين ، وبقيت لهم دولة واحدة سقطت في النصف الثاني من هذا القرن السادس وهي دولة العبيديين في مصر ، والتي قامت على يد رجل يهودي اسمه عبيد ادعى أنه شريف علوي فاطمي ، وزعم أنه المهدي ، وأظهر الرفض وأبطن الكفر المحض .

نشأت دولة العبيديين في المغرب ، ثم توسع ملكهم حتى استولوا على مصر .

ويكفي في وصف العبيديين وأثرهم الخطير على الإسلام ما قاله ابن كثير عنهم : "كانو من أغنى الخلفاء وأجبرهم وأظلمهم ، وأنجس الملوك سيرة وأخبثهم سريرة ، ظهرت في دولتهم البدع والمنكرات ، وكثر أهل الفساد ، وقل عندهم الصالحون من

---

(١) التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، ١٨٧/٢

(٢) عون المعبود، ٢٤٨/١١

العلماء والعباد ، وكثر بأرض الشام النصيرية والدرزية والحشيشية ، وتغلب الفرنج على ساحل الشام بكامله حتى أخذوا القدس الشريف " ا.هـ

وسقطت الدولة العبيدية في سنة ٥٦٧ هـ عندما هلك العاضد آخر خلفائهم بعد فتح مصر على يد أسد شيركوه وابنِ أخيه صلاحِ الدين الأيوبي ، الذي تولى الحكم بمصر ، وأمر بأن تعود الخطبة للخليفة العباسي .

رابعاً) الحملات الصليبية :

كانت الحملات الصليبية قد انطلقت عام ٤٨٩ هـ بدعوة البابا إيربان الثاني الذي كان يتنقل بين المدن الأوربية يدعو إلى الحرب الصليبية ، وانقسمت جيوش الصليبية في الحملة الصليبية الأولى إلى حملتين :

الأولى على مستوى الشعوب ، وسميت (حملة الشعوب) بقيادة بطرس الناسك .

والثانية على مستوى الأمراء والحكام ، وسميت (حملة الأمراء) .

توجهت حملة الشعوب إلى بلاد السلاجقة وعاثوا فيها بالفساد وقتلوا ومثلوا وانتهكوا الحرمات وأحرقوا الأخضر واليابس حتى كانوا على أبواب (نيقية) عاصمة السلاجقة .

وبينما هم يسيرون إلى نيقية تصدى لهم السلاجقة فهزموهم هزيمة منكرة وأسروا منهم أعداداً كبيرة .." (١)

"صالح عن الأعرج ونسبة البخاري إلى الوهم في ذلك لا تقبل إلا ببيان واضح قاطع، ومن أين يوجد وقد ضاق مخرجه على الإسماعيلي، فأخرجه من طريق البخاري نفسه معلقا ولم يتعقبه، ولا يلزم من عدم وجود هذا المتن بهذا الإسناد بعد التتبع عدمه في نفس الأمر، والله أعلم. الحديث الثالث: حديث ابن عمر "لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم اثنان" قال الكرماني: ليست الحكومة في زمننا لقريش فكيف الحديث؟ وأجاب عن ذلك بأن في بلاد الغرب خليفة من قريش وكذا في مصر، وتعقب بأن الذي في الغرب هو الحفصي صاحب تونس وغيرها وهو منسوب إلى أبي حفص رفيق عبد المؤمن صاحب ابن تومرت الذي كان على رأس المائة السادسة ادعى أنه المهدي ثم غلب أتباعه على معظم الغرب وسموا بالخلافة وهم عبد المؤمن وذريته، ثم انتقل ذلك إلى ذرية أبي حفص ولم يكن عبد المؤمن من قريش؛ وقد تسمى بالخلافة هو وأهل بيته. وأما أبو حفص فلم يكن يدعي أنه من قريش في زمانه، وإنما ادعاه بعض ولده لما غلبوا على الأمر فزعموا أنهم من ذرية أبي حفص عمر بن الخطاب، وليس بيدهم الآن إلا المغرب الأدنى، وأما الأقصى فمع بني الأحمر وهم منسوبون إلى الأنصار، وأما الأوسط فمع بني مريم وهم من البربر. وأما قوله: "فخليفة من مصر" فصحيح(١) ولكنه لا حل بيده ولا ربط وإنما له من الخلافة الاسم فقط، وحينئذ هو خبر بمعنى الأمر وإلا فقد خرج هذا الأمر عن قريش في أكثر البلاد، ويحتمل حمله على ظاهره وأن المتغلبين على النظر في أمر الرعية في معظم الأقطار وإن كانوا من غير قريش لكنهم معترفون أن الخلافة في قريش ويكون المراد بالأمر مجرد التسمية بالخلافة لا الاستقلال بالحكم، والأول أظهر، والله أعلم. الحديث الرابع: حديث جبير بن مطعم في السؤال عن بني نوفل وعبد شمس، تقدم شرحه في كتاب الخمس. قوله: "كان عبد الله بن الزبير أحب البشر إلى عائشة" هو ابن أختها أسماء بنت أبي بكر وكانت قد تولت تربيته حتى كانت تكنى به.

---

(١) الانتصار على التتار، ص/٦

قوله: "وكانت لا تمسك شيئا" أي لا تدخر شيئا مما يأتيها من المال. "ينبغي أن يؤخذ على يديها" أي يحجر عليها وصرح بذلك في حديث المسور بن مخرمة كما سيأتي بأوضح من هذا السياق لهذه القصة في كتاب الأدب وسأذكر شرحه هناك إن شاء الله تعالى. قوله: "وقالت وددت أني جعلت حين حلفت عملا أعمله فأفرغ منه" استدل به على انعقاد النذر المجهول، وهو قول المالكية لكنهم يجعلون فيه كفارة يمين، وظاهر قول عائشة وصنيعها أن ذلك لا يكفي وأنه يحمل على أكثر ما يمكن أن ينذر، ويحتمل أن تكون فعلت ذلك تورعا لتيقن براءة الذمة، وأبعد من قال تمنت أن يدوم لها العمل الذي عملته للكفارة أي تصير تعتق دائما، وكذا من قال تمنت أنها بادرت إلى الكفارة حين حلفت ولم تكن هجرت عبد الله بن الزبير تلك المدة، ووجه بعد الأول أنه لم يكن في السياق ما يقتضي منعها من العتق فكيف تتمنى ما لا مانع لها من إيقاعه؟ ثم أنه يقيد باقتدارها عليه لا إلزامها به مع عدم الاقتدار، وأما بعد الثاني فلقولها في بعض طرق الحديث كما سيأتي إنها كانت تذكر نذرها فتبكي حتى يبل دمعها خمارها، فإن فيه إشارة إلى أنها كانت تظن أنها ما وفت بما يجب عليها من الكفارة. واستشكل ابن التين وقوع

–

(١) بل هو غير صحيح. قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الطبعة الجديدة بالرياض من فتاويه (ج٤ ص٥٠٨): "وكانوا يقولون إنهم من أولاد فاطمة ويدعون الشرف، وأهل العلم بالنسب يقولون: ليس لهم نسب صحيح. ويقال: إن جدهم كان ربيب الشريف الحسيني، فادعوا الشرف لذلك". وانظر في مجلة الأزهر (٢٥: ٦١٣) مقالة لنا عن اعتراف الإسماعيليين بأن عبيد الله المهدي من ذرية القداح، وأنهم يقولون بالتبني الروحي خصوصا في توارثهم إمامة دعوتهم — محب الدين.." (١)

"ليزيد بن معاوية وأصر على ذلك حتى أغرى يزيد بن معاوية مسلم بن عقبة بالمدينة فكانت وقعة الحرة، ثم توجه الجيش إلى مكة فمات أميرهم مسلم بن عقبة وقام بأمر الجيش الشامي حصين بن نمير فحصر ابن الزبير بمكة، ورموا الكعبة بالمنجنيق حتى احترقت. ففجأهم الخبر بموت يزيد بن معاوية فرجعوا إلى الشام، وقام ابن الزبير في بناء الكعبة، ثم دعا إلى نفسه فبويع بالخلافة وأطاعه أهل الحجاز ومصر والعراق وخراسان وكثير من أهل الشام، ثم غلب مروان على الشام وقتل الضحاك بن قيس الأمير من قبل ابن الزبير بمرج راهط، ومضى مروان إلى مصر وغلب عليها، وذلك كله في سنة أربع وستين، وكمل بناء الكعبة في سنة خمس، ثم مات مروان في سنة خمس وستين وقام عبد الملك ابنه مقامه، وغلب المختار بن أبي عبيد على الكوفة ففر منه من كان من قبل ابن الزبير، وكان محمد بن علي بن أبي طالب المعروف بابن الحنفية وعبد الله بن عباس مقيمين بمكة منذ قتل الحسين، فدعاهما ابن الزبير إلى البيعة له فامتنعا وقالا: لا نبايع حتى يجتمع الناس على خليفة، وتبعهما جماعة على ذلك، فشدد عليهم ابن الزبير وحصرهم، فبلغ المختار فجهز إليهم جيشا فأخرجوهما واستأذنوهما في قتال ابن الزبير فامتنعا، وخرجا إلى الطائف فأقاما بها حتى مات ابن عباس سنة ثمان وستين، ورحل ابن الحنفية بعده إلى جهة رضوى جبل بينبع فأقام هناك، ثم أراد دخول الشام فتوجه إلى نحو أيلة فمات في آخر سنة ثلاث أو أول سنة أربع

---

(١) فتح الباري- تعليق ابن باز، ٥٣٦/٦

وسبعين، وذلك عقب قتل ابن الزبير على الصحيح، وقيل عاش إلى سنة ثمانين أو بعد ذلك، وعند الواقدي أنه مات بالمدينة سنة إحدى وثمانين، وزعمت الكيسانية أنه حي لم يمت وأنه المهدي وأنه لا يموت حتى يملك الأرض، في خرافات لهم كثيرة ليس هذا موضعها. وإنما لخصت ما ذكرته من طبقات ابن سعد وتاريخ الطبري وغيره لبيان المراد بقول ابن أبي مليكة" حين وقع بينه وبين ابن الزبير" ، ولقوله في الطريق الأخرى" فغدوت على ابن عباس فقلت: أتريد أن تقاتل ابن الزبير؟ وقول ابن عباس: قال الناس بايع لابن الزبير، فقلت: وأين بهذا الأمر عنه" أي أنه مستحق لذلك لما له من المناقب المذكورة، ولكن امتنع ابن عباس من المبايعة له لما ذكرناه. وروى الفاكهي من طريق سعيد بن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال:"كان ابن عباس وابن الحنفية بالمدينة ثم سكنا مكة، وطلب منهما ابن الزبير البيعة فأبيا حتى يجتمع الناس على رجل، فضيق عليهما فبعث رسولا إلى العراق فخرج إليهما جيش في أربعة آلاف فوجدوهما محصورين، وقد أحضر الحطب فجعل على الباب يخوفهما بذلك، فأخرجوهما إلى الطائف" وذكر ابن سعد أن هذه القصة وقعت بين ابن الزبير وابن عباس في سنة ست وستين. قوله:"وأمه أسماء" أي بنت أبي بكر الصديق، وقوله:"وجدته صفية" أي بنت عبد المطلب، وقوله في الرواية الثانية" وأما عمته فزوج النبي صلى الله عليه وسلم يريد خديجة أطلق عليها عمته تجوزا وإنما هي عمة أبيه لأنها خديجة بنت خويلد أي ابن أسد، والزبير هو ابن العوام بن خويلد بن أسد، وكذا تجوز في الرواية الثالثة حيث قال: "ابن أبي بكر" وإنما هو ابن بنته، وحيث قال: "ابن أخي خديجة" وإنما هو ابن ابن أخيها العوام. قوله: "فقلت لسفيان إسناده" بالنصب أي اذكر إسناده، أو بالرفع أي ما إسناده. فقال: "حدثنا فشغله إنسان ولم يقل ابن جريج" ظاهر هذا أنه صرح له بالتحديث لكن لما يقل ابن جريج احتمل أن يكون أراد أن يدخل بينهما واسطة، واحتمل عدم الواسطة، ولذلك استظهر البخاري بإخراج الحديث من وجه آخر عن ابن جريج، ثم من وجه آخر عن شيخه. قوله في الطريق الثانية "حجاج" هو ابن محمد المصيصي. قوله: "قال ابن أبي مليكة وكان بينهما شيء"كذا أعاد الضمير بالتثنية على غير مذكور اختصارا." (١)

"الحمر الأهلية زمن خيبر"

٥١١٦- حدثنا محمد بن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن أبي جمرة قال سمعت ابن عباس سئل عن متعة النساء فرخص فقال له مولى له إنما ذلك في الحال الشديد وفي النساء قلة أو نحوه فقال ابن عباس نعم"

٥١١٧، ٥١١٨- حدثنا علي حدثنا سفيان قال عمرو عن الحسن بن محمد عن جابر بن عبد الله وسلمة بن الأكوع قالا كنا في جيش فأتانا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إنه قد أذن لكم أن تستمتعوا فاستمتعوا"

٥١١٩- وقال ابن أبي ذئب حدثني إياس بن سلمة بن الأكوع عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما رجل وامرأة توافقا فعشرة ما بينهما ثلاث ليال فإن أحبا أن يتزايدا أو يتتاركا تتاركا فما أدري أشيء كان لنا خاصة أم للناس عامة قال أبو عبد الله وبينه علي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه منسوخ"

---

(١) فتح الباري- تعليق ابن باز، ٣٢٧/٨

قوله: "باب نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن نكاح المتعة أخيرا" يعني تزويج المرأة إلى أجل فإذا انقضى وقعت الفرقة. وقوله في الترجمة "أخيرا" يفهم منه أنه كان مباحا وأن النهي عنه وقع في آخر الأمر. وليس في أحاديث الباب التي أوردها التصريح بذلك، لكن قال في آخر الباب: "أن عليا بين أنه منسوخ" وقد وردت عدة أحاديث صحيحة صريحة بالنهي عنها بعد الإذن فيها، وأقرب ما فيها عهدا بالوفاة النبوية ما أخرجه أبو داود من طريق الزهري قال: "كنا عند عمر بن عبد العزيز فتذاكرنا متعة النساء، فقال رجل يقال له ربيع بن سبرة" أشهد على أبي أنه حدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عنها في حجة الوداع، وسأذكر الاختلاف في حديث سبرة هذا – وهو ابن معبد – بعد هذا. قوله: "أخبرني الحسن بن محمد بن علي" أي ابن أبي طالب، وأبوه محمد هو الذي يعرف بابن الحنفية، وأخوه عبد الله بن محمد. أما الحسن فأخرج له البخاري غير هذا، منها ما تقدم له في الغسل من روايته عن جابر، ويأتي له في هذا الباب آخر عن جابر وسلمة بن الأكوع، وأما أخوه عبد الله بن محمد فكنيته أبو هاشم وليس له في البخاري سوى هذا الحديث، ووثقه ابن سعد والنسائي والعجلي، وقد تقدمت له طريق أخرى في غزوة خيبر من كتاب المغازي، وتأتي أخرى في كتاب الذبائح، وأخرى في ترك الحيل؛ وقرنه في المواضع الثلاثة بأخيه الحسن، وذكر في التاريخ عن ابن عيينة عن الزهري "أخبرنا الحسن وعبد الله ابنا محمد بن علي وكان الحسن أوثقهما" ولأحمد عن سفيان "وكان الحسن أرضاهما إلى أنفسنا، وكان عبد الله يتبع السبئية" ا هـ والسبئية بمهملة ثم موحدة ينسبون إلى عبد الله بن سبأ، وهو من رؤساء الروافض، وكان المختار بن أبي عبيد على رأيه، ولما غلب على الكوفة وتتبع قتلة الحسين فقتلهم أحبته الشيعة ثم فارقه أكثرهم لما ظهر منه من الأكاذيب، وكان من رأي السبئية موالاة محمد بن علي بن أبي طالب. وكانوا يزعمون أنه المهدي وأنه لا يموت حتى يخرج في آخر الزمان. ومنهم من أقر بموته وزعم أن الأمر بعده صار إلى ابنه أبي هاشم هذا. ومات أبو هاشم في آخر ولاية سليمان بن." (١)

"...أما كيسان المنسوبة إليه٣٧٩٦ مختلف فيه، لكن الذي لا خلاف عليه أن المختار ابن أبي عبيد الثقفي تزعم الفرقة سنة ٦٦هـ بالكوفة وكانت الفرقة الكيسانية من الشيعة الغلاة، وكان المختار الثقفي أول من أكد فكرة المهدية في شخص محمد بن الحنفية حيث أطلق عليه لقب المهدي، كما استخدم فكرة (البداء) وقد اشتهرت هذه المقولة قبيل قتل المختار ٦٧هـ وكان المختار ـ أيضا ـ يقول بالبداء الذي هو من أصول الرافضة الأولى، فإن المختار كان قد تكهن بنصر أصحابه، فلما انهزموا زعم أن الله بدا له٣٧٩٧، وبهذه الفكرة الشيطانية مكنته من تغيير آرائه من حين لآخر ـ هذا فضلا عن إظهار نفسه بمظهر النبي وإقراره لفكرة الكرسي الذي ادعى أنه يعود للإمام علي رضي الله عنه إلى غير ذلك من الآراء المبتدعة٣٧٩٨، وقد تطورت معتقدات الكيسانية ودخلوا في النفق الشيطاني المظلم، وكانوا يقولون بإمامة ابن علي المعروف بابن الحنفية، لأنه دفع إليه الراية بالبصرة٣٧٩٩.وقالوا بالتناسخ ويزعمون أن الإمامة جرت في علي ثم في الحسن ثم في الحسين ثم في محمد بن الحنفية، ومعنى ذلك أن روح الله صارت في النبي صلى الله عليه وسلم، وروح النبي صلى الله عليه وسلم صارت في علي، وروح الحسين صارت في محمد بن الحنفية، وروح ابن الحنفية صارت في ابنه أبي هاشم٣٨٠٠. ويعتقدون في ابن الحنفية اعتقاد فوق حده ودرجته، من: احاطته بالعلوم كلها، واقتباسه من (السيدين) الأسرار بجملتها من

---

(١) فتح الباري- تعليق ابن باز، ١٦٧/٩

علم التأويل والباطن وعلم الآفاق والأنفس١٣٨٠١. والحق أن ابن الحنفية لم يقر الغلو الذي قيل فيه، ولم يعترف بأنه المهدي المنتظر، وروى ابن سعد حديثا رفعه إلى أبي العريان المجاشعي قال: فبلغ محمدا أنهم يقولون: إن عندهم شيئا أي من العلم. قال: فقام فينا وقال: إنا والله ما ورثنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا ما بين هذين اللوحتين. ثم قال: اللهم خلا وهذه الصحيفة في ذؤابة سيفي فسألت وما كان في الصحيفة؟ قال:." (١)

"في الحديث دلالة على ما ذكرنا من الاحتمال أن الأبدال لا تكون من خواص الأبدال بل تعم الرجال من أرباب الأحوال وفيه تنبيه نبيه على أنه لم يذكر أن أحدا يكون على قلب النبي إذ لم يخلق الله في عالمي الخلق والأمر أشرف وألطف من قلبه الأكرم وفيه أيضا ما يشعر بظاهره بتفضيل خواص الملك على خواص البشر وكذا تفضيل إسرافيل وميكائيل على جبرائيل والجمهور على خلاف ذلك والله تعالى أعلم هذا وقال العارف الصمداني الشيخ علاء الدولة السمناني في العروة الوثقى أن الأبدال من بدلاء السبعة كما أخبر عنه النبي فقال هو من السبعة وسيدهم أقول لا بد من ثبوت هذا من ثقات وسندهم قال وكان القطب في زمان النبي عم أويس القرني عصام فحري أن يقول إني لأجد نفس الرحمان من قبل اليمن وهو مظهر خاص للتجلي الرحماني كما كان النبي مظهرا خاصا للتجلي الإلهي المخصوص باسم الذات وهو الله قلت هذا يفيد مؤيدا لما سبق من أن أحدا لم يشاركه في مقامه الأعظم لكن في كون القطبية لعصام وهو غير معروف في أنه من الصحابة أو التابعين بخلاف أويس فإنه مشهور وقد ورد في حقه أنه سيد التابعين إشكالا عظيما فإنه كيف يكون له القطبية الكبرى مع وجود الخلفاء الأربعة وسائر فضلاء الصحابة الذين هم أفضل الناس بعد الأنبياء بالإجماع وأيضا فقد قال اليافعي رحمه الله وقد سترت أحوال القطب وهو الغوث عن العامة والخاصة غيرة من الحق عليه لكني أقول الظاهر أن هذا غالبي لثبوت القطبية للسيد عبد القادر رحمه الله بلا نزاع ثم اعلم أن كثيرا من الناس ادعوا أنه المهدي فمنهم من أراد المعنى اللغوي فلا إشكال ومنهم من ادعى باطلا وزورا واجتمع عليه جمع من الأوباش وأراد الفساد في البلاد فقتل واستراح منه العباد ومنهم من رأى واقعة الحال فحملها شيخه على الآفاق وكان حقه أن يحملها على الأنفس لئلا يحصل الاختلال وهو رئيس النور بخشية أحد مشايخ الكبروية وقد ظهر في البلاد الهندية جماعة تسمى المهدوية." (٢)

" ٧٤٩٠ - (لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلا من أهل بيتي) لفظ الترمذي لا تذهب الدنيا حتى يملك رجل من أهل بيتي (يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما) القسط بكسر القاف العدل والجور الظلم فالجمع للمبالغة وفيه رد لقول الرافضة إن المهدي هو الإمام أبو القاسم محمد الحجة ابن الإمام أبي محمد الحسن الخالص وأنه المهدي المنتظر لأنه وإن وافق اسمه اسمه لكن اسم أبيه ليس موافقا لاسم أبيه

(حم د عن ابن مسعود) وكذا أخرجه الترمذي وقال : حسن صحيح رمز المصنف لحسنه ." (٣)

---

(١) الدولة الأموية عوامل الإزدهار وتداعيات الإنهيار، ٣٢٤/٢

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٤٦٠/١٥

(٣) فيض القدير، ٣٣٢/٥

ظهور المهدي علامه من علامات الساعة، وهو رجل من نسل الحسن بن علي رضي الله عنهما، وهو غير المهدي عند الشيعة، ويكون في آخر الزمان، فيتولى ولاية المسلمين، وينشر الحق والعدل، وتكون الأرض قبل زمانه قد ملئت جوراً وظلماً، فيملؤها عدلاً وقسطاً، ويصلي خلفه عيسى بن مريم ويعينه على قتل الدجال حينئذٍ، وكل هذه الأخبار قد تواترت بها الأحاديث الصحاح، ولا عبرة لمن خالف في هذا الباب من أهل العلم.

ذكر بعض الذين حكوا تواتر أحاديث المهدي ونقل كلامهم في ذلك

سبق معنا ذكر الأحاديث الواردة في كتاب المهدي، وهو الكتاب الذي أورده أبو داود ضمن سننه، وكان شيخنا الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمة الله عليه عندما بلغه أن بعض الناس يتكلم في أحاديث المهدي قال: إن أبا داود قد عقد لها كتاباً فقال: كتاب المهدي، وأورد فيه بعض الأحاديث المتعلقة به. وقد كتبت في عام ألف وثلاثمائة وثمانية وثمانين محاضرة ألقيتها في دار الحديث التابعة للجامعة الإسلامية، وكانت بحضور الشيخ عبد العزيز بن باز رحمة الله عليه وحضور عدد من المشايخ ومنهم شيخنا الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله. وأوردت في تلك المحاضرة جملة من الأحاديث والموضوعات المتعلقة بذلك كذكر أسماء الصحابة الذين رووا أحاديث المهدي ، والعلماء الذين خرجوا أحاديثه، وكذلك الذين حكوا التواتر وما جاء في الصحيحين مما له تعلق بالمهدي، وكذلك الأحاديث الأخرى التي في غير الصحيحين. وذكرت كلام العلماء الذين احتجوا بأحاديث المهدي، وذكرت من حكي عنه إنكار أحاديث المهدي أو التوقف فيها ومناقشته، ثم ما يظن تعارضه مع أحاديث المهدي والجواب عن ذلك، ثم كلمة ختامية. وفي عام ألف وأربعمائة كتب الشيخ عبد الله بن محمود رئيس محاكم قطر رحمه الله رسالة بعنوان: (لا مهدي ينتظر بعد الرسول خير البشر)، فكتبت رداً عليه في هذه الرسالة، ونشر الرد في مجلة الجامعة الإسلامية في عام ألف وأربعمائة على حلقتين، وكذلك البحث في المحاضرة التي ألقيتها في عام ألف وثلاثمائة وثمانية وثمانين نشرت في مجلة الجامعة سنة ألف وثلاثمائة وثمانية وثمانين. وبمناسبة قراءتنا لأحاديث المهدي الواردة عند أبي داود نقرأ جملاً وفصولاً مما كتبته تتعلق بالموضوع حتى يتضح بها أن الأحاديث الواردة في المهدي صحيحة، وأنها متواترة، وأن الذين احتجوا بها هم علماء محققون معروفون بالعلم والتحقيق، وأن القول بعدم صحتها لا وجه له، وكان الشيخ عبد العزيز بن باز رحمة الله عليه علق على هذه المحاضرة وكتب تعليقه معها في مجلة الجامعة والذي طبع في عام ألف وأربعمائة واثنين من الهجرة. فقلت في تلك المحاضرة: ذكر بعض الذين حكوا تواتر أحاديث المهدي ونقل كلامهم في ذلك. من الذين حكموا على أحاديث المهدي بأنها متواترة: الحافظ أبو الحسين محمد بن الحسين الآجري السجزي صاحب كتاب مناقب الشافعي المتوفى سنة ثلاث وستين وثلاثمائة من الهجرة، قال رحمه الله في محمد بن خالد الجندي راوي حديث: (لا مهدي إلا عيسى بن مريم): محمد بن خالد : هذا غير معروف عند أهل الصناعة من أهل العلم والنقل، وقد تواترت الأخبار واستفاضت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بذكر المهدي ، وأنه من أهل بيته، وأنه يملك سبع سنين، وأنه

يملأ الأرض عدلاً، وأن عيسى عليه السلام يخرج فيساعده على قتل الدجال، وأنه يؤم هذه الأمة ويصلي عيسى خلفه، نقل ذلك عنه ابن القيم في كتابه المنار المنيف وسكت عليه، ونقله عنه أيضاً الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب في ترجمة محمد بن خالد الجندي وسكت عليه، ونقل عنه ذلك وسكت عليه أيضاً في فتح الباري في باب نزول عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام. ونقل ذلك عنه أيضاً السيوطي في جزء العرف الوردي في أخبار المهدي ، وسكت عليه، ونقل ذلك عنه مرعي بن يوسف في كتابه: فوائد الفكر في ظهور المهدي المنتظر، كما ذكر ذلك الصديق حسن في كتابه: الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة، ومنهم محمد البرزندي المتوفى سنة ثلاث بعد المائة والألف في كتابه: الإشاعة لأشراط الساعة، قال: الباب الثالث في الأشراط العظام والأمارات القريبة التي تعقبها الساعة، وهي أيضاً كثيرة فمنها المهدي وهو أولها، واعلم أن الأحاديث الواردة فيه على اختلاف رواياتها لا تكاد تنحصر،إلى أن قال: ثم الذي في الروايات الكثيرة الصحيحة الشهيرة أنه من ولد فاطمة . إلى أن قال: تنبيه: قد علمت أن أحاديث وجود المهدي وخروجه آخر الزمان وأنه من عترة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم من ولد فاطمة بلغت حد التواتر المعنوي، فلا معنى لإنكارها. وقال في ختام كتابه المذكور بعد الإشارة إلى بعض أمور تجري في آخر الزمان وغاية ما ثبت بالأخبار الصحيحة الكثيرة الشهيرة التي بلغت التواتر المعنوي وجود الآيات العظام التي منها، بل أولها خروج المهدي ، وأنه يأتي في آخر الزمان من ولد فاطمة يملأ الأرض عدلاً كما ملئت ظلماً. ثالثاً: ومن الذين حكوا تواتر أحاديث المهدي: الشيخ محمد السفاريني المتوفى سنة ثمان وثمانين بعد المائة والألف في كتابه لوامع الأنوار البهية، قال: وقد كثرت بخروجه -يعني: المهدي - الروايات حتى بلغت حد التواتر المعنوي، وشاع ذلك بين علماء السنة حتى عد من معتقداتهم، ثم ذكر بعض الآثار والأحاديث في خروج المهدي ، وأسماء بعض الصحابة الذين رووها، ثم قال: وقد روي عمن ذكر من الصحابة وغير من ذكر منهم رضي الله عنهم بروايات متعددة، وعن التابعين من بعدهم ما يفيد مجموعه العلم القطعي، فالإيمان بخروج المهدي واجب كما هو مقرر عند أهل العلم، ومدون في عقائد أهل السنة والجماعة. رابعاً: ومنهم القاضي محمد بن علي الشوكاني المتوفى سنة خمسين بعد المائتين والألف وهو صاحب التفسير المشهور، ومؤلف نيل الأوطار، قال في كتابه التوضيح في تواتر ما جاء في المهدي المنتظر والدجال والمسيح: والأحاديث الواردة في المهدي التي أمكن الوقوف عليها منها خمسون حديثاً فيها الصحيح والحسن والضعيف والضعيف المنجبر، وهي متواترة بلا شك ولا شبهة، بل يصدق وصف التواتر على ما هو دونها في جميع الاصطلاحات المحررة في الأصول. وأما الآثار عن الصحابة المصرحة بالمهدي فهي كثيرة جداً لها حكم الرفع؛ إذ لا مجال للاجتهاد في مثل ذلك. انتهى. وقال في مسألة نزول المسيح عليه الصلاة والسلام: فتقرر أن الأحاديث الواردة في المهدي المنتظر متواترة، والأحاديث الواردة في الدجال متواترة، والأحاديث الواردة في نزول عيسى عليه الصلاة والسلام متواترة. نقل ذلك عنه الشيخ صديق في الإذاعة. خامساً: ومنهم الشيخ صديق حسن القنوجي المتوفى سنة سبع بعد الثلاثمائة والألف، قال في كتابه: الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة: والأحاديث الواردة في المهدي على اختلاف رواياتها كثيرة جداً تبلغ حد التواتر المعنوي، وهي في السنن وغيرها من دواوين الإسلام من المعاجم والمسانيد، إلى أن قال: لا شك أن المهدي يخرج في آخر الزمان من غير تعيين لشهر وعام؛ لما تواتر من الأخبار في الباب، واتفق عليه جمهور الأمة خلفاً عن سلف، إلا من لا يعتد بخلافه. إلى أن قال: فلا معنى للريب في أمر ذلك الفاطمي الموعود المنتظر المدلول عليه بالأدلة، بل إنكار ذلك جرأة عظيمة في

مقابلة النصوص المستفيضة المشهورة البالغة إلى حد التواتر. سادساً: وممن حكى تواتر أحاديث المهدي من المتأخرين: الشيخ محمد بن جعفر الكتاني المتوفى سنة خمس وأربعين بعد الثلاثمائة والألف، قال في كتابه نظم المتناثر من الحديث المتواتر: وقد ذكروا أن نزول سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام ثابت بالكتاب والسنة والإجماع، ثم قال: والحاصل أن الأحاديث الواردة في المهدي المنتظر متواترة، وكذلك الواردة في الدجال وفي نزول سيدنا عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام.

ذكر بعض ما ورد في الصحيحين من الأحاديث مما له تعلق بشأن المهدي

أولاً: روى البخاري في صحيحه في باب نزول عيسى بن مريم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: (كيف أنتم إذا نزل فيكم ابن مريم وإمامكم منكم). وروى مسلم في كتاب الإيمان من صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه بمثل حديثه عند البخاري ، ورواه أيضاً عن أبي هريرة بلفظ: (كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم فأمكم منكم)، وفيه تفسير ابن أبي ذئب راوي الحديث لقوله: (فأمكم منكم)، بقوله: [فأمكم بكتاب ربكم تبارك وتعالى وسنة نبيكم صلى الله عليه وآله وسلم]. ثالثاً: وروى مسلم في صحيحه عن جابر رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول: (لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة، قال: فينزل عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم فيقول أميرهم: تعال صل لنا، فيقول: لا إن بعضكم على بعض إمراء؛ تكرمة الله لهذه الأمة). فهذه الأحاديث التي وردت في الصحيحين تدل على أمرين: أحدهما: أنه عند نزول عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام من السماء يكون المتولي لإمرة المسلمين رجلاً منهم. والثاني: أن حضور أميرهم للصلاة وصلاته بالمسلمين وطلبه من عيسى عليه الصلاة والسلام عند نزوله أن يتقدم ليصلي لهم يدل على صلاح في هذا الأمير وهدى، وهي وإن لم يكن فيها التصريح بلفظ المهدي إلا أنها تدل على صفات رجل صالح يأم المسلمين في ذلك الوقت. وقد جاءت الأحاديث في السنن والمسانيد وغيرها مفسرة لهذه الأحاديث التي في الصحيحين، ودالة على أن ذلك الرجل الصالح يسمى: محمد بن عبد الله ، ويقال له: المهدي ، والسنة يفسر بعضها بعضاً، ومن الأحاديث الدالة على ذلك: الحديث الذي رواه الحارث بن أبي أسامة في مسنده بسنده عن جابر رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (ينزل عيسى بن مريم فيقول أميرهم المهدي : تعالى صل بنا، فيقول: لا إن بعضهم أمير بعض؛ تكرمة الله لهذه الأمة). وهذا الحديث قال فيه ابن القيم في المنار المنيف: إسناده جيد. انتهى. وهو دال على أن ذلك الأمير المذكور في صحيح مسلم الذي طلب من عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام أن يتقدم للصلاة يقال له المهدي ، وقد أورد الشيخ صديق حسن في كتابه الإذاعة جملة كبيرة من أحاديث المهدي جعل آخرها حديث جابر المذكور عند مسلم ، ثم قال عقبة : وليس فيه ذكر المهدي ولكن لا محمل له ولأمثاله من الأحاديث إلا المهدي المنتظر كما دلت على ذلك الأخبار المتقدمة والآثار الكثيرة. فهذه الأحاديث التي فيها الإشارة للمهدي في الصحيحين، وليس فيها ذكر المهدي ولا ذكر اسمه ولا اسم أبيه ولكن فيها ذكر أن المسلمين لهم أمير صالح في ذلك الوقت، وأن عيسى يصلي وراءه كما جاء في صحيح مسلم ، لكن جاء في خارج الصحيحين حديث

جابر نفسه الذي في صحيح مسلم الذي فيه أن الأمير يطلب من عيسى أن يصلي فيقول: صل أنت، فيصلي عيسى وراءه، جاء في خارج الصحيحين وفي مسند الحارث بن أبي أسامة هذا الحديث نفسه عن جابر وفيه وصف ذلك الأمير بأنه المهدي ، وحكم عليه ابن القيم بأن إسناده جيد. وعلى هذا فالصحيحان لم يرد فيهما التنصيص على المهدي ، وإنما ورد في غيرهما بل تواتر، وهذا يدلنا على أن الصحيحين لم يستوعبا كل صحيح؛ لأنهما لم يشترطا الاستيعاب ولم يستوعبا بالفعل، فلم يشترطا حتى يستدرك عليهما ولم يستوعبا بالفعل، وإنما أتيا بجملة كبيرة من الأحاديث الصحيحة من غير حصر. وسبق أن ذكرنا في شرح سنن النسائي وسنن أبي داود أن البخاري و مسلم رحمهما الله ينتقيان من صحيفة همام بن منبه، وهي صحيفة مشهورة جاءت بإسناد واحد، وتشتمل على مائة وأربعين حديثاً تقريباً، وإسنادها واحد والفاصل بين كل حديث وحديث: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا وقال كذا وهكذا إلى مائة وأربعين مرة؛ لأنها تصل بين حديث وحديث، والصحيفة أوردها الإمام أحمد في مسنده في مسند أبي هريرة، فقد ذكر هذا الحديث الطويل الذي هو مشتمل على أحاديث تبلغ مائة وأربعين باسناد واحد. والإمام البخاري و الإمام أبو داود وكذلك النسائي وغيرهم ينتقون ما يريدون من تلك الصحيفة ويسوقون الإسناد ثم يأتون بالمتن الذي يريدونه بعد الإسناد مباشرة، وإن لم يكن هو الذي يليه، وبعض أهل العلم يأتي بالحديث الأول في الصحيفة وهو: (نحن الآخرون الأولون يوم القيامة)، ثم يأتي بما يريد بعده. والإمام مسلم رحمه الله له طريقة عجيبة في تفننه ودقته واحتياطه، فهو عندما يذكر الإسناد: محمد بن رافع عن عبد الرزاق عن معمر عن همام عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول: فذكر أحاديث منها: وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا. فهو يشير إلى ما قبل الذي يريده، وأن المتن ليس تالي للإسناد وإنما يوجد فاصل من جملة أحاديث وهو يشير إليها بقوله: فذكر أحاديث منها: وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا، ومحل الشاهد من إيراد هذه المسألة توضيح الاستدلال على أنهما لم يشترطا الاستيعاب ولم يستوعباه، فهما لم يستوعبا كل ما في هذه الصحيفة، فمسلم أخذ بعض الأحاديث و البخاري أخذ بعضها، واتفقوا على بعضها، وهناك أحاديث تركاها، فلو التزما بإخراج كل صحيح لما تركا شيئاً منها وهي بإسناد واحد، لكنهما لما انتقيا منها ما أرادا وتركا ما أرادا كان تركهما دليلاً على أنهما لم يشترطاه ولم يستوعباه، فلا يستدرك عليهما، ولا يقال: فاتهما من الصحيح ما فاتهما. نعم قد فاتهما الشيء الكثير؛ لأنهما لم يشترطاه، فلذلك لم يستوعباه.

ذكر بعض الأحاديث الواردة في المهدي في غير الصحيحين

ولما كان المقام لا يتسع لإيراد الكثير من الأحاديث الواردة في غير الصحيحين بشأن المهدي والكلام عليها رأيت الاقتصار هنا على إيراد بعضها مع الكلام على بعض أسانيدها. أولاً: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أبشركم بالمهدي يبعث على اختلاف من الناس وزلازل، فيملأ الأرض قسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً، فيرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض، يقسم المال صحاحاً، قال له رجل: ما صحاحاً؟ قال: بالسوية، ويملأ الله قلوب أمة محمد صلى الله عليه وسلم غناء، ويسعهم عدله)، إلى آخر الحديث. قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه أحمد بأسانيد،

وأبو يعلى باختصار كثير، ورجالهما ثقات. ثانياً: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (ذكر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم المهدي فقال: إن قصر فسبع وإلا فثمان وإلا فتسع، وليملأن الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً). قال الهيثمي: رواه البزار ورجاله ثقات وفي بعضهم بعض ضعف. ثالثاً: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (يكون في أمتي المهدي إن قصر فسبع، وإلا فثمان، وإلا فتسع، تنعم أمتي فيها نعمة لم ينعموا مثلها، يرسل السماء عليهم مدراراً، ولا تدخر الأرض شيئاً من النبات والمال، يقوم الرجل فيقول: يا مهدي ! أعطني؟ فيقول: خذ). قال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات. رابعاً: عقد أبو داود في سننه كتاباً قال في أوله: أول كتاب المهدي ، وقال في آخره: آخر كتاب المهدي ، جعل تحته باباً واحداً أورد فيه ثلاثة عشر حديثاً، وصدر هذا الكتاب بحديث جابر بن سمرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (لا يزال هذا الدين قائماً حتى يكون عليكم اثنا عشر خليفة)، الحديث. قال السيوطي في آخر جزء العرف الوردي في أخبار المهدي: في ذلك إشارة إلى ما قاله العلماء بأن المهدي أحد الاثني عشر، وقد ذكر ذلك أيضاً ابن كثير في تفسيره لقوله تعالى: وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ [المائدة:١٢] في سورة المائدة كما يجيئ ذكر كلامه، ويرى جماعة من العلماء -ومنهم شارح الطحاوية- أن الاثني عشر هم الخلفاء الراشدون وثمانية من بني أمية. خامساً: ما رواه أبو داود في سننه من طريق عاصم بن أبي النجود عن زر عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلاً مني أو من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً). وهذا الحديث سكت عليه أبو داود و المنذري وكذا ابن القيم في تهذيب السنن، وقد أشار إلى صحته في المنار المنيف، وصححه ابن تيمية في منهاج السنة النبوية، وقد أورده البغوي في مصابيح السنة، وقال عنه الألباني في تخريج أحاديث المشكاة: وإسناده حسن. انتهى. والحديث مداره على عاصم بن أبي النجود وقد لخص في عون المعبود شرح سنن أبي داود الأقوال التي قيلت فيه، فقال: و عاصم هذا هو ابن أبي النجود ، واسم أبي النجود : بهدلة، وهو أحد القراء السبعة، قال أحمد بن حنبل : كان رجلاً صالحاً وأنا أختار قراءته، وقال أحمد وأبو زرعة أيضاً: ثقة، قال أبو حاتم: محله عندي محل الصدق، صالح الحديث ولم يكن بذلك الحافظ . وقال أبو جعفر العقيلي : لم يكن فيه إلا سوء الحفظ. وقال الدارقطني : في حفظه شيء، وأخرج له البخاري في صحيحه مقروناً وأخرج له مسلم . قال الذهبي: ثبْت في القراءة، وهو في الحديث دون الثبت، صدوق يهم وهو حسن الحديث. والحاصل: أن عاصم بن بهدلة ثقة على رأي أحمد و أبي زرعة وحسن الحديث، صالح الاحتجاج على رأي غيرهما، ولم يكن فيه إلا سوء الحفظ. وردُّ الحديث بعاصم ليس من دأب المنصفين، على أن الحديث قد جاء من غير طريق عاصم أيضاً، وارتفعت عن عاصم مظنة الوهم، والله أعلم. انتهى. والحديث ذكره ابن خلدون في مقدمة تاريخه، وقدح فيه من جهة عاصم بن أبي النجود ملاحظاً ما قيل فيه من سوء الحفظ، وقال: إن الجرح مقدم على التعديل، وقد أنكر عليه ذلك. قال الشيخ أحمد شاكر في تخريج أحاديث المسند: إن ابن خلدون لم يحسن قول المحدثين: إن الجرح مقدم على التعديل، ولو اطلع على أقوالهم وفقهها ما قال شيئاً مما قال. وقال أيضاً: إن عاصم بن أبي النجود من أئمة القراء المعروفين ثقة في الحديث، أخطأ في بعض حديثه ولم يغلب خطؤه على رواياته حتى ترد. قال ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل: أخبرنا عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل فيما كتب إلي قال: سألت أبي عن عاصم بن بهدلة فقال: ثقة رجل صالح خير ثقة،

و الأعمش أحفظ منه، وكان شعبة يختار الأعمش عليه في تثبيت الحديث. وقال ابن أبي حاتم : سألت أبي عن عاصم بن بهدلة فقال: هو صالح، هو أكثر حديثاً من أبي قيس الأودي وأشهر منه، وأحب إلي من أبي قيس ، وقال: سئل أبي عن عاصم بن أبي النجود و عبد الملك بن عمير فقال: قدم عاصماً على عبد الملك ، عاصم أقل اختلافاً عندي من عبد الملك ، وقال: سألت أبا زرعة عن عاصم بن بهدلة فقال: ثقة. قال: فذكرته لأبي فقال: ليس محله هذا أن يقال: هو ثقة، وقد تكلم فيه ابن علية فقال: كأن كل من كان اسمه عاصماً سيئ الحفظ. قال الشيخ أحمد شاكر : وهذا أكثر ما قيل فيه من الجرح، أفمثل هذا يترك حديثه ويجعل سبيلاً لإنكار شيء ثبت بالسنة الصحيحة من طرق متعددة من حديث كثير من الصحابة حتى لا يكاد يشك في صحته أحد؛ لما في رواته من عدل، وصدق لهجته، ولارتفاع احتمال الخطأ ممن كان في حفظه شيء فيما ثبت عن غيره ممن هو مثله في العدل والصدق، وقد يكون أحفظ منه؟ ما هكذا تعلل الأحاديث! انتهى.

سادساً: وقال أبو داود في سننه: حدثنا سهل بن يزيع حدثنا عمران القطان عن قتادة عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (المهدي مني، أجلى الجبهة، أقنى الأنف؛ يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، ويملك سبع سنين). قال ابن القيم في المنار المنيف: رواه أبو داود بإسناد جيد، وأورده البغوي في مصابيح السنة في فصل الحسان، وقال الألباني في تخريج أحاديث المشكاة: وإسناده حسن، ورمز لصحته السيوطي في الجامع الصغير. سابعاً: قال ابن ماجة في سننه: حدثنا محمد بن يحيى و أحمد بن يوسف قالا: حدثنا عبد الرزاق عن سفيان الثوري عن خالد الحذاء عن أبي قلابة عن أبي أسماء الرحبي عن ثوبان رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: (يقتتل عند كنزكم ثلاثة كلهم ابن خليفة، ثم لا يصير إلى واحد منهم، ثم تطلع الرايات السود من قبل المشرق فيقتلونكم قتلاً لم يقتله قوم)، ثم ذكر شيئاً لا أحفظه، فقال: (فإذا رأيتموه فبايعوه ولو حبواً على الثلج؛ فإنه خليفة الله المهدي). قال الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي في تعليقه على سنن ابن ماجة : في الزوائد –يعني: زوائد ابن ماجة للبوصيري – هذا إسناد صحيح رجاله ثقات. ورواه الحاكم في المستدرك وقال: صحيح على شرط الشيخين. انتهى. وقد أورد هذا الحديث بسنده الحافظ ابن كثير في كتاب الفتن والملاحم وقال: هذا إسناد قوي صحيح، ثم أورد حديثاً عن الترمذي فيه ذكر الرايات السود أيضاً، ثم قال: وهذه الرايات ليست هي الرايات التي أقبل بها أبو مسلم الخراساني فاستلم بها دولة بني أمية في سنة اثنتين وثلاثين ومائة، بل رايات سود أخر تأتي بصحبة المهدي وهو محمد بن عبد الله العلوي الفاطمي الحسني رضي الله عنه. انتهى.

ذكر بعض العلماء الذين احتجوا بأحاديث المهدي واعتقدوا موجبها، وحكاية كلامهم في ذلك

قال الحافظ أبو جعفر العقيلي المتوفى سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة: إن في المهدي أحاديث جياداً. قال الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب في ترجمة علي بن نفيل بن زارع النهدي قلت: ذكره العقيلي في كتابه، وقال: لا يتابع على حديثه في المهدي ، ولا يعرف إلا به، قال: وفي المهدي أحاديث جياد من غير هذا الوجه. انتهى. ويرى الإمام ابن حبان البستي المتوفى في سنة أربع وخمسين بعد الثلاثمائة: أن الأحاديث الواردة في المهدي مخصصة لحديث: (لا يأتي عليكم زمان إلا

والذي بعده شر منه)، قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري في الكلام على الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه في كتاب الفتن، وهو حديث أنس رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم). قال: واستدل ابن حبان في صحيحه بأن حديث أنس ليس على عمومه بالأحاديث الواردة في المهدي (وأنه يملأ الأرض عدلاً بعد أن ملئت ظلماً). انتهى. وقال الخطابي المتوفى سنة ثمان وثمانين بعد الثلاثمائة رحمه الله في الكلام على حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان، وتكون السنة كالشهر، والشهر كالجمعة إلى آخره)، قال: (ويكون ذلك في زمن المهدي أو عيسى عليهما الصلاة والسلام أو كليهما) . ذكر ذلك الملا علي القاري . قال في شرح المشكاة: والأخير هو الأظهر لظهور هذا الأمر في خروج الدجال، وهو في زمنهما، وذكر ذلك المباركفوري صاحب تحفة الأحوذي في الكلام على شرح هذا الحديث. وقال الإمام البيهقي المتوفى سنة ثمان وخمسين بعد الأربعمائة بعد كلامه على تضعيف حديث: (لا مهدي إلا عيسى بن مريم)، قال: والأحاديث في التنصيص على خروج المهدي أصح ألبتة إسناداً، نقل ذلك عنه الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب في ترجمة محمد بن خالد الجندي راوي حديث: (لا مهدي إلا عيسى بن مريم)، ونقله عنه أيضاً ابن القيم في المنار المنيف في الحديث الصحيح والضعيف، وقد عقد القاضي عياض المتوفى سنة أربع وأربعين بعد الخمسمائة في كتابه الشفاء باباً لمعجزاته صلى الله عليه وآله وسلم يشتمل على ثلاثين فصلاً، قال في القسم الأول من كتابه المذكور: الباب الرابع فيما أظهره الله على يديه صلى الله عليه وآله وسلم من المعجزات وشرفه به من الخصائص والكرامات. قال في أوئل الكلام في هذا الباب: أمنيتنا أن نثبت في هذا الباب أمهات معجزاته ومشاهير آياته لتدل على عظيم قدره عند ربنا، وأتينا منها بالمحقق والصحيح الإسناد وأكثره مما بلغ الخط أو كاد، وأضفنا إليه بعض ما وقع في كتب مشاهير الأئمة. ثم قال في الفصل الثالث والعشرين: فصل: ومن ذلك ما أطلع عليه من الغيوب وما يكون، قال في أوله: والأحاديث في هذا الباب بحر لا يدرك قعره، ولا ينزف غمره. وأورد في هذا الفصل جملة كبيرة من الأمور المستقبلة التي أخبر بها الذي لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وذكر من بينها خروج المهدي. وقال الإمام محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي صاحب التفسير المشهور المتوفى سنة واحد وسبعين بعد الستمائة في كتابه التذكرة في أمور الآخرة بعد ذكر حديث: (ولا مهدي إلا عيسى بن مريم)، قال: إسناده ضعيف، والأحاديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في التنصيص على خروج المهدي من عترته من ولد فاطمة ثابتة أصح من هذا الحديث، فالحكم بها دونه. وقال: يحتمل أن يكون قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (ولا مهدي إلا عيسى بن مريم)، أي: لا مهدي كاملاً معصوماً إلا عيسى، وعلى هذا تجتمع الأحاديث. على القول بصحته يجمع بينه وبينها بأن يقال: لا مهدي كاملاً ومعصوماً إلا عيسى، فلا ينفي أن يكون غيره مهدي، ولكنه غير معصوم، وليس بكامل كالكمال الذي حصل لعيسى؛ لأنه نبي عليه الصلاة والسلام وغيره مثل المهدي الذي جاءت به الأحاديث لا يكون كذلك؛ لأنه من هذه الأمة ومن صلحائها ومن خيارها، (فلا مهدي)، أي: لا مهدي كاملاً معصوماً إلا عيسى بن مريم. وعلى هذا تجتمع الأحاديث، ويرتفع التعارض. نقل ذلك عنه السيوطي في آخر جزء العرف الوردي في أخبار المهدي . وقال شيخ الإسلام ابن تيمية المتوفى سنة ثمانية وعشرين بعد السبعمائة في كتابه منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية في الجزء الرابع: فصل: وأما الحديث الذي رواه –أي: الرافضي الذي ألف كتابه للرد

عليه– عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (يخرج في آخر الزمان رجل من ولدي اسمه كاسمي، وكنيته كنيتي، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، وذلك هو المهدي)، فالجواب: أن الأحاديث التي يحتج بها على خروج المهدي أحاديث صحيحة رواها أبو داود و الترمذي و أحمد وغيرهم من حديث ابن مسعود وغيره، كقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه ابن مسعود : (لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج فيه رجل مني أو من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً)، ورواه الترمذي و أبو داود من رواية أم سلمة وفيه: (المهدي من عترتي من ولد فاطمة)، ورواه أبو داود من طريق أبي سعيد ، وفيه: (يملك الأرض سبع سنين)، وروى عن علي رضي الله عنه: (أنه نظر إلى الحسن وقال: إن ابني هذا سيد كما سماه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وسيخرج من صلبه رجل يسمى باسم نبيكم، يشبهه في الخلق ولا يشبهه في الخلق، يملأ الأرض قسطاً). وهذه الأحاديث غلط فيها طوائف، طائفة أنكروها واحتجوا بحديث ابن ماجة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (لا مهدي إلا عيسى بن مريم)، وهذا الحديث ضعيف، وقد اعتمد أبو محمد بن الوليد البغدادي وغيره عليه وليس مما يعتمد عليه، ورواه ابن ماجة عن يونس عن الشافعي و الشافعي رواه عن رجل من أهل اليمن يقال له: محمد بن خالد الجندي ، وهو ممن لا يحتج به، وليس في مسند الشافعي، وقد قيل: إن الشافعي لم يسمعه من الجندي، وإن يونس لم يسمعه من الشافعي. الثاني: أن الإثني عشرية الذين ادعوا أن هذا مهديهم فمهديهم اسمه محمد بن الحسن، والمهدي المنعوت الذي وصفه النبي صلى الله عليه وسلم اسمه محمد بن عبد الله ولهذا حذفت طائفة لفظ الأب حتى لا يتناقض مع ما كذبت به. وطائفة حرفته وقالت: جده الحسين وكنيته أبو عبد الله، فمعناه: محمد بن أبي عبد الله، وجعلت الكنية اسماً، وممن سلك هذا: ابن طلحة في كتابه الذي سماه غاية السول في مناقب الرسول، ومن له أدنى نظر يعرف أن هذا تحريف وكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فهل يفهم أحد من قوله: (يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي إلا أن اسم أبيه عبد الله)، وهل يدل هذا اللفظ على أن جده كنيته أبو عبد الله؟! ثم أي تمييز يحصل له في هذا، فكم من ولد الحسين من اسمه محمد، وكل هؤلاء يقال في أجدادهم: محمد بن أبي عبد الله كما قيل في هذا، وكيف يعدل من يريد البيان إلى من اسمه محمد بن الحسن فيقول: اسمه محمد بن عبد الله ويعني بذلك أن جده أبو عبد الله، وهذا كان تعريفه بأنه محمد بن الحسن أو ابن أبي الحسن؛ لأن جده على كنيته أبو الحسن أحسن من هذا وأبين لمن يريد الهدى والبيان. وأيضاً فإن المهدي المنعوت من ولد الحسن بن علي لا من ولد الحسين، كما تقدم لفظ حديث علي رضي الله عنه، وقد عقد ابن القيم رحمه الله في آخر كتابه المنار المنيف في الحديث الصحيح والضعيف فصلاً في الكلام على أحاديث المهدي وظهوره والجمع بينها وبين حديث: (لا مهدي إلا عيسى بن مريم)، قال فيه: فأما حديث: (لا مهدي إلا عيسى بن مريم)، فرواه ابن ماجة في سننه عن يونس بن عبد الأعلى عن الشافعي عن محمد بن خالد الجندي عن أبان بن صالح عن الحسن عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهو مما تفرد به محمد بن خالد. قال أبو الحسين محمد بن الحسين الآجري في كتابه مناقب الشافعي: محمد بن خالد هذا غير معروف عند أهل الصناعة من أهل العلم والنقل، وقد تواترت الأخبار واستفاضت عن رسول الله صلى عليه وآله وسلم بذكر المهدي وأنه من أهل بيته، وأنه يملك سبع سنين، وأنه يملأ الأرض عدلاً، وأن عيسى يخرج فيساعده على قتل الدجال، وأنه يأم هذه الأمة، ويصلي عيسى خلفه. وقال البيهقي : تفرد به

ذكر بعض ما قد يظن تعارضه مع الأحاديث الواردة في المهدي، والجواب عن ذلك

أولاً: تقدم في أثناء كلام الأئمة الذين نقلت كلامهم أن حديث: (لا مهدي إلا عيسى بن مريم)، لا يتعارض مع الأحاديث الصحيحة الواردة في المهدي لضعفه، ولا مكان للجمع بينها، ولو صح يكون معناه: لا مهدي كاملاً معصوماً إلا عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم، وذلك لا ينفي أن يكون غيره مهدياً غير معصوم كالمهدي الذي دلت عليه الأحاديث. ثانياً: أن ما دلت عليه أحاديث المهدي من قيام المهدي بنصرة الدين وامتلاء الأرض في زمانه من العدل لا ينافيه وجود الدجال وأتباعه في زمانه ومعاداتهم للمسلمين، وكذا الأدلة الدالة على بقاء الأشرار مع الأخيار حتى تخرج الريح اللينة التي تقبض روح كل مؤمن ومؤمنة، ولا يبقى بعد ذلك إلا شرار الخلق الذين تقوم عليهم الساعة؛ لأن المراد مما جاء في أحاديث المهدي كثرة الخير، وقوة أهل الإسلام، وحصول الغلبة لهم وقهرهم لغيرهم، وهذا لا ينفي وجود أشرار مأمورين في زمانه، كما أننا نعتقد أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وخلفاءه الراشدين رضي الله عنهم قد ملئوا الأرض عدلاً ومع ذلك كان في الأرض في زمانهم من أعدائهم الكثير قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ [الأنعام:١٤٩]. ثالثاً: أن ما دلت عليه أحاديث المهدي من امتلاء الأرض ظلماً وجوراً قبل خروجه لا يدل على خلو الأرض من أهل الخير قبل زمانه، فالرسول صلى الله عليه وآله وسلم أخبر في أحاديث صحيحة بأنه: (لا تزال طائفة من أمته على الحق ظاهرين حتى يأتي أمر الله)، ومنها الحديث الذي رواه مسلم عن جابر : (أنه سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة، قال: فينزل عيسى بن مريم فيقول أميرهم: تعال صل لنا، فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء؛ تكرمة الله لهذه الأمة)، وهذه الأحاديث وأحاديث المهدي تدل على أن الحق مستمر لا ينقطع، لكنه في بعض الأزمان يكون لأهله الغلبة ويحصل له الانتشار، كما في زمن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وخلفائه الراشدين، وكما في زمن المهدي وعيسى بن مريم، وفي بعض الأزمان يتضاءل هذا الانتشار ويضعف أهله، أما أن الحق يتلاشى ويضمحل فهذا ما لم يكن فيما مضى منذ زمن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ولا يكون في المستقبل حتى خروج الريح التي تقبض روح كل مؤمن ومؤمنة كما أخبر بذلك الذي لا ينطق عن الهوى صلوات الله وسلامه عليه. فما من زمن في الماضي إلا وقد هيأ الله لهذا الدين من يقوم به، وفي هذا الزمن الذي تكالب أعداء الإسلام عليه، وغزي بأبنائه المنتسبين إليه أعظم من عزوه بأعدائه لم تخل الأرض من إقامة شعائر الدين الإسلامي، ومن ذلك ما امتن الله به على حكومة البلاد المقدسة من التوفيق لتحكيم الشريعة، وتعميم المحاكم الشرعية في مدن المملكة وقراها يتحاكم الناس فيها إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم على وجه لا نظير له في سائر أنحاء الأرض فيما نعلم، فيرجم الزاني المحصن، ويجلد البكر، ويحد شارب الخمر، وتقطع يد السارق، ويقتل القاتل، وغير ذلك، وما حصل في هذه البلاد من الأمن الاستقرار ورغد العيش إنما هو من الثواب المعجل على القيام بالدين زادها الله من كل خير، وحماها من كل شر، ووفق المسلمين جميعاً في سائر أنحاء الأرض لما فيه عزهم وسعادتهم في دنياهم وأخراهم.

لا علاقة لعقيدة أهل السنة في المهدي بعقيدة الشيعة

إن أحاديث المهدي الكثيرة التي ألف فيها المؤلفون، وحكى تواترها جماعة، واعتقد موجبها أهل السنة والجماعة وغيرهم من الأشاعرة تدل على حقيقة ثابتة بلا شك، هي: حصول مقتضاها في آخر الزمان، ولا صلة البتة لهذه الحقيقة الثابتة عند أهل السنة بالعقيدة الشيعية؛ فإن ما يعتقده الشيعة من خروج مهدي منتظر يسمى محمد بن الحسن العسكري من نسل الحسين رضي الله عنه لا حقيقة له ولا أصل، وعقيدتهم بالنسبة لمهديهم في الحقيقة عقيدة وهمية كما أن إمامة الأئمة الماضين عندهم في الحقيقة إمامة وهمية لا حقيقة لها ولا وجود إلا إمامة علي بن أبي طالب وابنه الحسن رضي الله عنهما، وهما بريئان منهم ومن اعتقادهم بلا شك، وأما أهل السنة ومعتقدهم في الماضي فهو حقيقة موجودة، وسادات الأئمة عندهم هم الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم، وقد تولوا الإمامة حقاً وكانوا أحق بها وأهلها، ومعتقدهم في المستقبل عند نزول عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم حقيقة ثابتة بلا شك أيضاً؛ فلا عبرة بقول من ليس له به علم، وقال: إن الأحاديث في المهدي لا تصح نسبتها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأنها من وضع الشيعة كما تقدمت الإشارة إلى هذا. إذاً فأحاديث المهدي على كثرتها وتعدد طرقها وإثباتها في دواوين أهل السنة يصعب كثيراً القول بأنه لا حقيقة لمقتضاها إلا على جاهل أو مكابر أو من لم يمعن النظر في طرقها وأسانيدها، ولم يقف على كلام أهل العلم المحتج بهم فيها، والتصديق بها داخل في الإيمان بأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأن من الإيمان به صلى الله عليه وسلم تصديقه فيما أخبر به، وداخل في الإيمان بالغيب الذي امتدح الله المؤمنين به بقوله: الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ [البقرة:١-٣]، وداخل في الإيمان بالقدر فإن سبيل علم ما قدره الله أمران: أحدهما: وقوع الشيء: فكل ما ووقع علمنا أن الله قد شاءه؛ لأنه لا يكون ولا يقع إلا ما شاءه الله، وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. الثاني: الإخبار بالشيء الماضي الذي وقع، وبالشيء المستقبل قبل وقوعه من الذي لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فكل ما ثبت إخباره به من الأخبار في الماضي علمنا بأنه كان على خبره صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وكل ما ثبت إخباره عنه مما يقع في المستقبل نعلم بأن الله قد شاءه، وأنه لابد وأن يقع على وفق خبره، كإخباره صلى الله عليه وآله وسلم بنزول عيسى عليه الصلاة والسلام في آخر الزمان، وإخباره بخروج المهدي وبخروج الدجال، وغير ذلك من الأخبار. فإنكار أحاديث المهدي أو التردد في شأنه أمر خطير نسأل الله السلامة والعافية والثبات على الحق حتى الممات، اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

تعقيب لسماحة الشيخ: عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى حول المهدي المنتظر

الحمد لله، وصلى الله وسلم على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن سلك سبيله واهتدى بهداه إلى يوم الدين، أما بعد: فإنا نشكر محاضرنا الأستاذ الفاضل الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد على هذه المحاضرة القيمة الواسعة، فلقد أجاد فيها وأفاد، واستوفى المقام حقه فيما يتعلق بالمهدي المنتظر مهدي الحق، ولا مزيد على ما بسطه من الكلام، فقد بسط واعتنى وذكر الأحاديث، وذكر كلام أهل العلم في هذا الباب، وقد وفق للصواب، وهدي إلى الحق، فجزاه الله عن محاضرته خيراً،

وجزاه الله عن جهوده خيراً، وضاعف له المثوبة وأعانه على التكميل والإتمام لرسالته في هذا الموضوع، وسوف نقوم إن شاء الله بطبعها بعد انتهائه منها؛ لعظم فائدتها، ومسيس الحاجة إليها. والخلاصة التي أعلقها على هذه المحاضرة القيمة أن أقول: إن الحق والصواب هو ما أبداه فضيلته في هذه المحاضرة كما بينه أهل العلم، فأمر المهدي أمر معلوم، والأحاديث فيه مستفيضة بل متواترة متعاضدة، وقد حكى غير واحد من أهل العلم تواترها كما حكاه الأستاذ في هذه المحاضرة، وهي متواترة تواتراً معنوياً لكثرة طرقها واختلاف مخارجها وصحابتها ورواتها وألفاظها، فهي بحق تدل على أن هذا الموعود به أمره ثابت وخروجه حق، وهو محمد بن عبد الله العلوي الحسني من ذرية الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهذا الإمام من رحمة الله عز وجل بالأمة في آخر الزمان، فإنه يخرج فيقيم العدل والحق، ويمنع الظلم والجور، وينشر الله به لواء الخير على الأمة عدلاً وهداية وتوفيقاً وإرشاداً للناس، وقد اطلعت على كثير من أحاديثه فرأيتها كما قال الشوكاني وغيره وكما قال ابن القيم وغيره: فيها الصحيح، وفيها الحسن، وفيها الضعيف المنجبر، وفيها أخبار موضوعة، ويكفينا من ذلك ما استقام سنده سواء كان صحيحاً لذاته أو لغيره، وسواء كان حسناً لذاته أو لغيره، وهكذا الأحاديث الضعيفة إذا انجبرت وشد بعضها بعضاً فإنها حجة عند أهل العلم، فإن المقبول عندهم أربعة أقسام: صحيح لذاته، وصحيح لغيره، وحسن لذاته، وحسن لغيره، هذا ما عدا المتواتر، أما المتواتر فكله مقبول سواء كان تواتره لفظياً أو معنوياً، فأحاديث المهدي من هذا الباب متواترة تواتراً معنوياً فتقبل بتواترها من جهة اختلاف ألفاظها ومعانيها، وكثرة طرقها، وتعدد مخارجها. وقد نص أهل العلم الموثوق بهم على ثبوتها وتواترها، وقد رأينا أهل العلم أثبتوا أشياء كثيرة بأقل من ذلك، والحق أن جمهور أهل العلم بل هو كالاتفاق على ثبوت أمر المهدي ، وأنه حق، وأنه سيخرج في آخر الزمان، وأما من شذ عن أهل العلم في هذا الباب فلا يلتفت إلى كلامهم في ذلك. وأما ما قاله الحافظ إسماعيل بن كثير رحمه الله في كتابه التفسير في سورة المائدة عند ذكر النقباء، وأن المهدي يمكن أن يكون أحد الأئمة الاثني عشر فهذا محل نظر، فإن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: (لا يزال أمر هذه الأمة قائماً ما ولي عليهم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش)، فقوله: (لا يزال أمر هذه الأمة قائماً)، يدل على أن الدين في زمانهم قائم، والأمر نافذ، والحق ظاهر، ومعلوم أن هذا إنما كان قبل انقراض دولة بني أمية، وقد جرى في آخرها اختلاف تفرق بسببه الناس، وحصل به نكبة على المسلمين، وانقسم أمر المسلمين إلى خلافتين: خلافة في الأندلس وخلافة في العراق، وجرى من الخطوب والشرور ما هو معلوم. والرسول عليه الصلاة والسلام قال: (لا يزال أمر هذه الأمة قائماً)، ثم جرت بعد ذلك أمور عظيمة حتى اختل نظام الخلافة، وصار على كل جهة من جهات المسلمين أمير وحاكم، وصارت دويلات كثيرة، وفي زماننا هذا أعظم وأكثر، و المهدي حتى الآن لم يخرج فكيف يصح أن يقال: إن الأمر قائم إلى خروج المهدي، فهذا لا يمكن أن يقوله من تأمل ونظر، والأقرب في هذا كما قاله جماعة من أهل العلم: إن مراد النبي صلى الله عليه وآله وسلم بهذا الحديث: (لا يزال أمر هذه الأمة قائماً ما ولي عليهم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش)، مراده من ذلك الخلفاء الأربعة و معاوية رضي الله عنه وابنه يزيد ، ثم عبد الملك بن مروان وأولاده الأربعة و عمر بن عبد العزيز ، وهؤلاء اثنا عشر خليفة. والمقصود: أن الأئمة الاثني عشر في الأقرب والأصوب ينتهي عددهم بهشام بن عبد الملك ، فإن الدين في زمانهم قائم، والإسلام منتشر، والحق ظاهر، والجهاد قائم، وما وقع بعد موت يزيد من الاختلاف والانشقاق في الخلافة وتولي مروان في الشام وابن الزبير في الحجاز لم يضر المسلمين في ظهور دينهم؛ فدينهم ظاهر، وأمرهم قائم، وعدوهم

مكبوت، مع وجود هذا الخلاف الذي جرى، ثم زال بحمد الله بتمام البيعة لعبد الملك واجتماع الناس بعدما جرى من الخطوب ما جرى على يد الحجاج وغيره، وبهذا يتبين أن هذا الأمر الذي أخبر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد وقع ومضى وانتهى، وأما أمر المهدي فيكون في آخر الزمان، وليس له تعلق بحديث جابر بن سمرة . وأما كون المهدي يكون عند نزول عيسى فقد قال ابن كثير في الفتن والملاحم: أظنه يكون عند نزول المسيح، والحديث الذي رواه الحارث بن أبي أسامة يرشد ويدل على هذا؛ لأنه قال: (أميرهم المهدي) فهو يرشد إلى أنه يكون عند نزول عيسى بن مريم كما يرشد إليه بعض روايات مسلم وبعض الروايات الأخرى، لكن ليست بالصريحة، فهذا هو الأقوم والأظهر، ولكنه ليس بالأمر القطعي. وأما كونه سيخرج ويوجد في آخر الزمان كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم فهذا أمر معلوم، والأحاديث ظاهرة في ذلك، والحق كما قاله الأئمة والعلماء في ذلك: أنه لابد من خروجه وظهوره، وأما أمر المسيح بن مريم عليه الصلاة والسلام وأمر المسيح الدجال فأمرهما أظهر وأظهر، فالأمر فيهما قطعي، وقد أجمع على ذلك علماء الأمة، وبينوا للناس أن المسيح نازل في آخر الزمان، كما أن الدجال خارج في آخر الزمان، وقد تواترت بذلك الأخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم، وكلها صحيحة متواترة بنزول عيسى عليه الصلاة والسلام في آخر الزمان، وحكمه بشريعة محمد عليه الصلاة والسلام، وقتله الدجال مسيح الضلالة، فهذا حق، وهكذا خروج الدجال حق. وأما من أنكر ذلك وزعم أن نزول المسيح بن مريم ووجود المهدي إشارة إلى ظهور الخير، وأن وجود الدجال ويأجوج ومأجوج وما أشبه ذلك إشارة إلى ظهور الشر، فهذه أقوال فاسدة بل باطلة في الحقيقة لا ينبغي أن تذكر، فأهلها قد حادوا عن الصواب وقالوا أمراً منكراً وخطيراً لا وجه له في الشرع، ولا وجه له في الأثر ولا في النظر، والواجب تلقي ما قال الرسول صلى الله عليه وسلم بالقبول والإيمان به والتسليم، فمتى صح الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يجوز لأحد أن يعارضه برأيه واجتهاده، بل يجب التسليم، كما قال الله عز وجل: فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا [النساء:٦٥]. وقد أخبر صلى الله عليه وسلم بهذا الأمر عن الدجال، وعن المهدي، وعن عيسى المسيح بن مريم، فوجب تلقي ما قاله بالقبول، والإيمان بذلك، والحذر من تحكيم الرأي والتقليد الأعمى الذي يضر صاحبه ولا ينفع لا في الدنيا ولا في الآخرة. أسأل الله عز وجل أن يوفق الجميع لما فيه رضاه، وأن يمنحنا جميعاً الفقه في دينه، والثبات على الحق حتى نلقى ربنا سبحانه وتعالى. وأعود أيضاً فأشكر فضيلة الأستاذ على محاضرته القيمة الواسعة، وأسأل الله له المعونة على الإتمام والإكمال حتى تطبع وتنتشر فينتفع بها الناس، وصلى الله على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه أجمعين. هذه كلمة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله التي علق بها على المحاضرة بعد إلقائها، وهي واضحة في بيان و إيضاح ما ذكره العلماء من أن أحاديث المهدي متواترة تواتراً معنوياً، وأن القول بخلاف ذلك أنه من الشذوذ، وأنه قول شاذ مخالف لما عليه الأحاديث الصحيحة الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. "

". (١)

---

(١) شرح سنن أبي داود – عبدالمحسن العباد، ص/٢

"شرح سنن أبي داود [٥٤٠]

الميزان من أمور يوم القيامة الثابتة بالكتاب السنة، فقد وردت الآيات والسنن بوزن الأعمال؛ لإقامة الحجة على الناس، وإظهار عدل الله، ولذا فلا ينكره إلا الضلال التاركين للسنة. والدجال من علامات الساعة الكبرى ويكون خروجه آخر الزمان لورود الأحاديث الصحيحة بذلك، وما من نبي إلا حذر قومه منه، وقد ذكر فيه نبينا عليه الصلاة والسلام ما لم يذكره نبي قبله.

ذكر الميزان

شرح حديث عائشة في ذكر الميزان

قال المصنف رحمه الله تعالى: [باب في ذكر الميزان. حدثنا يعقوب بن إبراهيم و حميد بن مسعدة أن إسماعيل بن إبراهيم حدثهم قال: أخبرنا يونس عن الحسن عن عائشة (أنها ذكرت النار فبكت، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما يبكيك؟ قالت: ذكرت النار فبكيت، فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما في ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحداً: عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أو يثقل، وعند الكتاب حين يقال: هَاؤُمْ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ [الحاقة:١٩] حتى يعلم أين يقع كتابه أفي يمينه أم في شماله أم من وراء ظهره، وعند الصراط إذا وضع بين ظهري جهنم). قال يعقوب : عن يونس ، وهذا لفظ حديثه]. أورد أبو داود باب في الميزان، والميزان هو الذي توزن به أعمال العباد، وتعرف به مقاديرها من حيث الرجحان وعدمه، والميزان له كفتان كما جاء في حديث البطاقة والسجلات. والوزن إنما هو لإظهار عدل الله عز وجل، وأن كلاً يجازى بما يستحقه، وأنه لا يظلم بحيث ينقص من حسناته أو يزاد في سيئاته، وليس الوزن من أجل أن يعلم الله الراجح من المرجوح، فإن الله تعالى عالم بكل شيء. وبعض الفرق الضالة أنكرت الميزان من جهة العقل فقالوا: إن الميزان يحتاج إليه البقال، والناس هم الذين يحتاجون إلى معرفة الراجح والمرجوح، والله عز وجل لا يحتاج إلى ذلك، لعلمه بكل شيء، وهذا هو البلاء الذي حصل لمن ابتلي من المبتدعة، بأن قاس الله على خلقه، ففر من إثبات شيء ثابت بحجة أن ذلك يكون فيه مشابهة، مع أن الله عز وجل لا يشبه شيئاً من خلقه، وما يضاف إلى الله عز وجل فإنه على ما يليق به، وما يضاف إلى المخلوقين فعلى ما يليق بهم، والوزن إنما هو من أجل العباد، وليس من أجل شيء يرجع إلى الله سبحانه وتعالى. وقد جاءت الآيات في كتاب الله والأحاديث في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم مثبتة لذلك، ومن ذلك حديث البطاقة والسجلات الذي يدل على أن له كفتين، ومن ذلك قول الله عز وجل: وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ [الأنبياء:٤٧]. وفي آخر حديث في صحيح البخاري عن أبي هريرة : (كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم)، وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه مسلم عن أبي مالك

الأشعري : (الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن -أو تملأ- ما بين السماء والأرض). وعلى هذا فالوزن ثابت في كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. وأورد أبو داود حديث عائشة رضي الله عنها (أنها ذكرت النار فبكت، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما يبكيك؟ قالت: ذكرت النار فبكيت، فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة)؟ والحديث من رواية الحسن عن عائشة بالعنعنة وهو مدلس، ولا أدري هل روايته عن عائشة متصلة أو غير متصلة، لكن سواء روى عنها أم لم يرو فما دام أن ذلك بالعنعنة وهو مدلس فإن ذلك يقدح في الرواية. وأيضاً من ناحية المعنى وأنهم لا يذكرون أهليهم، فهم من حين يخرجون من قبورهم وهم في أمر يذهل بعضهم عن بعض، ولهذا جاء في الحشر أنهم يخرجون حفاة عراة غرلاً، قالت عائشة رضي الله عنها: (الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال: الأمر أعظم من أن يهمهم ذلك) يعني: أنهم لا يفكرون بالشهوات واللذات وما كان يجري في الدنيا من فتنة الرجال بالنساء والنساء بالرجال؛ لأنهم في حال أكبر من أن يفكروا بهذا الأمر، فهذا كما هو معلوم مما ينسيهم أهليهم، فكل مشغول بنفسه وكل يقول: نفسي نفسي! وأيضاً أولو العزم من الرسل كل واحد منهم يقول في ذلك الموقف: نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، ولا يشفع! فقصْرُه نسيان الأهل على هذه المواقف الثلاثة مع أن الذهول موجود من حين الموقف يدل على أن في المتن نكارة، والإسناد فيه تدليس.

تراجم رجال إسناد حديث عائشة في ذكر الميزان

قوله: [حدثنا يعقوب بن إبراهيم]. يعقوب بن إبراهيم الدورقي ، وهو ثقة أخرج له أصحاب الكتب الستة، بل هو شيخ لأصحاب الكتب الستة، وكذلك هو ومحمد بن بشار و محمد بن المثنى من صغار شيوخ البخاري ، وهم من شيوخ أصحاب الكتب الستة، وقد مات الثلاثة في سنة واحدة، وهي سنة مائتين واثنتين وخمسين، أي قبل وفاة البخاري بأربع سنوات. [و حميد بن مسعدة]. صدوق أخرج له مسلم وأصحاب السنن. [أن إسماعيل بن إبراهيم]. إسماعيل بن إبراهيم ابن علية ، ثقة أخرج له أصحاب الكتب الستة. [أخبرنا يونس]. يونس بن عبيد ، وهو ثقة أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن الحسن]. الحسن بن أبي الحسن البصري ، ثقة أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن عائشة]. عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها وأرضاها، الصديقة بنت الصديق، وهي واحدة من سبعة أشخاص عرفوا بكثرة الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم. [قال يعقوب : عن يونس ، وهذا لفظ حديثه]. أي أن يعقوب عندما ساق الإسناد ذكر أن ابن علية عنعن عن يونس ، أي: أن لفظ الإخبار إنما هو لحميد بن مسعدة ، وأما لفظ المتن فليعقوب .

الأسئلة

ذكر ما يوزن يوم القيامة

السؤال: ما هو الذي يوزن يوم القيامة؟ الجواب: توزن الأعمال وتوزن الصحائف، وقيل أيضاً: إنه يوزن الإنسان نفسه، كما جاء في قصة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن ساقه أثقل من جبل أحد.

هل تتعدد الموازين

السؤال: هل هو ميزان واحد أم أنها موازين متعددة؟ الجواب: الله أعلم، لكن كما هو معلوم أن الله على كل شيء قدير، والمهم أن الوزن يحصل سواء كان الميزان واحداً أو متعدداً، وكونه واحداً أيضاً ليس فيه إشكال، كما أن الله عز وجل يسأل الناس واحداً واحداً، ومعلوم أن أمور الآخرة تختلف عن أمور الدنيا. وقوله تعالى: ((وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ)) وقوله: ((خَفَّتْ مَوَازِينُهُ)) لا تعني أنه لا بد وأن تكون الموازين جمعاً؛ لأنه من الممكن أن يكون واحداً ممكن، فليس ذلك بمستحيل من ناحية العقل.

كيف توزن الأعمال

السؤال: كيف يوزن العمل مع أنه أمر معنوي؟ الجواب: تقلب الأعراض أعياناً فتوزن، وهذا مثل الكلام الذي هو صفة للإنسان وليس له جرم، ولكن الله تعالى يقلب الأعراض ويجعلها أعياناً تقبل الوزن.

وزن أعمال الكفار

السؤال: هل توزن أعمال الكفار مع العلم بأنهم من أهل النار، أم أنها توزن فقط لإقامة الحجة عليهم؟ الجواب: معلوم أن الكفار ليس لهم حسنات حتى توضع في كفة والسيئات في كفة، والذي يحصل لهم هو الحساب، وذلك أنهم يقررون عليها ويقال: عملت كذا وحصل منك كذا وكذا، وفي ذلك زيادة تبكيت وتقريع لهم. وقد جاء في القرآن: وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ [المؤمنون:١٠٣]، والكفار هم الذين يخلدون في النار، وأما من ناحية الوزن والمقابلة بين كفة وكفة فليس عندهم حسنات حتى تكون في الكفة الثانية.

الترتيب بين الصراط والميزان والحوض

السؤال: ما هو الترتيب الصحيح بين الصراط والميزان والحوض؟ الجواب: الذي يبدو أن الحوض في عرصات القيامة قبل

الميزان، والميزان يكون بعد الحساب، والحساب يكون في إنهاء الموقف الذي يموج فيه الناس بعضهم في بعض ويستشفعون، ويأتي الله عز وجل لفصل القضاء بينهم بالحساب، وعندما يثبت العمل ويكون جاهزاً فعند ذلك يأتي الوزن من أجل أن يوقف العباد على عدل الله عز وجل، وبعد الميزان الصراط؛ لأن الصراط ليس بعده إلا النار أو الجنة، وهو فوق النار، ومن جاء على ظهره يريد العبور إلى الجنة فإنه يقع في النار إذا كان من أهلها، وإذا كان ممن وفقه الله فإنه يتجاوز الصراط على الكيفية التي يتفاوت الناس فيها بالسير على الصراط، وذلك حسب أعمالهم، وعلى هذا فالحوض أولاً، والميزان بعده، والصراط بعد ذلك، وذكر بعضهم لترتيبها لفظ: (حمص).

للميزان كفتان لا لسان

السؤال: هل للميزان كفتان ولسان؟ الشيخ: أما أن له لساناً فلا أعلم ذلك؛ لأن الإنسان لا يعرف عن ذلك شيئاً، وإنما له كفتان كما جاء في حديث البطاقة والسجلات.

الدجال

شرح حديث أبي عبيدة في ذكر الدجال

قال المصنف رحمه الله تعالى: [باب في الدجال حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد عن خالد الحذاء عن عبد الله بن شقيق عن عبد الله بن سراقة عن أبي عبيدة بن الجراح قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (إنه لم يكن نبي بعد نوح إلا وقد أنذر الدجال قومه، وإني أنذركموه، فوصفه لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: لعله سيدركه من قد رآني وسمع كلامي! قالوا: يا رسول الله! كيف قلوبنا يومئذ أمثلها اليوم؟ قال: أو خير)]. أورد بعد ذلك أبو داود باباً في الدجال، والدجال: هو إنسان من بني آدم يخرج في آخر الزمان، ويكون ذلك قرب قيام الساعة في زمن عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام، ويكون موجوداً قبل أن ينزل عيسى، ويكون أيضاً في زمن المهدي ، فقد جاء في الحديث أن عيسى بن مريم يصلي وراء إمام المسلمين، وقد جاء في بعض الأحاديث أنه المهدي ، ثم بعد ذلك يخرج الدجال ويقتله عيسى بباب لد، فهو من علامات الساعة التي تكون في آخر الزمان، وهو فتنة عظيمة، ويأتي الناس بأمور عجيبة غريبة فيفتنون به، وقد أعطي القدرة على الانتقال، فجاء أن سيره في الأرض كالغيث استدبرته الريح، ويطوف المدن ولا يمنع من شيء منها إلا من مكة والمدينة، ويأتي الناس بجنة ونار، وناره جنة وجنته نار، ولا يستطيع دخول المدينة بل تمنعه الملائكة من دخولها، وجاء في الحديث أنها ترجف ثلاث رجفات فيخرج إليه كل كافر وكافرة وكل منافق ومنافقة، ويتبعونه. وقد جاء فيه أحاديث كثيرة متواترة في الصحيحين وفي غير الصحيحين، وقد جاء أن الأنبياء حذروا أممهم منه، وحذر النبي صلى الله عليه وسلم

أمته منه، وجاء عنه أحاديث تدل على أنه قريب جداً، وقد جاء أنه قال: (إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه، وإلا فكل امرئ حجيج نفسه)، ولعل هذا كان قبل أن يعلم أن وقته متأخر؛ لأنه جاء عنه عليه الصلاة والسلام نصوص تدل على تأخر وقته، وعلى وجود أمور تقع قبل وقته، فما جاء من الأحاديث يحمل على أنه لم يكن قد أوحي إليه بالوقت الذي يخرج فيه بالتحديد، ولكنه قريب، فقد أخبر عليه السلام أنه بعث والساعة كهاتين، والدجال من علامات الساعة، ولكن جاء في بعض الأحاديث ما يدل على قربه، وأنه قد يخرج وهو فيهم، وقد يخرج وهو ليس فيهم، وجاءت بعد ذلك نصوص تدل على أنه لا يخرج وهو فيهم، وإنما يكون في وقت متأخر، وأن عيسى هو الذي يتولى قتله، ويكون ذلك في أمور ليست متصلة بزمانه صلوات الله وسلامه وبركاته عليه. وأورد أبو داود حديث أبي عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح رضي الله تعالى عنه. قوله: [(إنه لم يكن نبي بعد نوح إلا وقد أنذر الدجال قومه)]. يعني: أنذرهم فتنة الدجال. قوله: [(وإني أنذركموه، فوصفه لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: لعله سيدركه من قد رآني وسمع كلامي)]. معناه: أنه قد يخرج في زمن قريب، وأن الذين رأوا الرسول صلى الله عليه وسلم وصحبوه قد يدركونه ويرونه، وهذا يشبه الحديث الذي قال: (إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه، وإلا فكل امرئ حجيج نفسه). قوله: [(قالوا: يا رسول الله! كيف قلوبنا يومئذ، أمثلها اليوم؟ قال: أو خير)]. أي: كيف تكون قلوبنا يوم خروج الدجال من ناحية الثبات؛ لأنه إذا جاء بالفتنة فإن بعض الناس سيتأثر ويتغير ما في نفسه، لأنه يرى أموراً مذهلة. وهنا أشار إلى أن قلوبهم مثل الآن أو خير، أي: أنهم سيثبتون ولا يحصل لهم الافتتان به، فلا يصدقونه ويتبعونه، وقد أخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم عن أخباره، وأن جنته نار وناره جنة. والحديث ضعفه الألباني ؛ ففي إسناده عبد الله بن سراقة قال البخاري : إنه لم يسمع من أبي عبيدة .

تراجم رجال إسناد حديث أبي عبيدة في ذكر الدجال

قوله: [حدثنا موسى بن إسماعيل]. موسى بن إسماعيل التبوذكي ، ثقة أخرج له أصحاب الكتب الستة. [حدثنا حماد]. حماد بن سلمة بن دينار البصري ، ثقة أخرج له البخاري تعليقاً و مسلم وأصحاب السنن. [عن خالد الحذاء]. خالد بن مهران الحذاء ، ثقة أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن عبد الله بن شقيق]. وهو ثقة أخرج له البخاري في الأدب المفرد و مسلم وأصحاب السنن. [عن عبد الله بن سراقة]. عبد الله بن سراقة وثقه العجلي ، وقال البخاري : إنه لم يسمع من أبي عبيدة ، أخرج له أبو داود و الترمذي . الملقي: [عن أبي عبيدة بن الجراح]. أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح رضي الله تعالى عنه، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وحديثه أخرجه أصحاب الكتب الستة.

شرح حديث ابن عمر في ذكر الدجال

قال المصنف رحمه الله تعالى: [حدثنا مخلد بن خالد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن سالم عن أبيه قال: (قام النبي صلى الله عليه وسلم في الناس فأثنى على الله بما هو أهله، فذكر الدجال فقال: إني لأنذركموه، وما من نبي إلا

قد أنذره قومه، لقد أنذره نوح قومه، ولكني سأقول لكم فيه قولاً لم يقله نبي لقومه: تعلمون أنه أعور وأن الله ليس بأعور)]. أورد أبو داود حديث ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن الرسول صلى الله عليه وسلم خطب الناس وحذرهم من فتنة الدجال، وذكر لهم أنه ما من نبي إلا وقد أنذره قومه، وأنه صلى الله عليه وسلم سيقول فيه قولاً ما قاله نبي قبله، ومعنى ذلك أن الله تعالى قد أعطاه من العلم ما لم يعطه أحداً قبله من الأنبياء الذين أنذروا أقوامهم إياه، فإنه قد وصفه لهم في حديثه هذا أنه أعور والله عز وجل ليس بأعور، وهو يدعي الألوهية، ومع ذلك فهو يحمل شاهداً يدل على كذبه، وهو أنه لا يستطيع أن يغير هذا الأمر الذي فيه من التشويه والهيئة القبيحة. والحديث يدل على أن هذا الكلام الذي جاء في آخر الحديث والذي أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه به ليس مما كان عند الأنبياء السابقين، وإنما أطلعه الله عز وجل عليه. وهو يدل أيضاً على وصف الله عز وجل بأن لله عينين، وهو من الأدلة التي يستدل بها أهل السنة والجماعة على إثبات العينين لله عز وجل، لأنه قال: (إن ربكم ليس بأعور)، والعور هو ألا يكون معه إلا عين واحدة، والله عز وجل له عينان.

تراجم رجال إسناد حديث ابن عمر في ذكر الدجال

قوله: [حدثنا مخلد بن خالد]. مخلد بن خالد الشعيري ، وهو ثقة أخرج له مسلم و أبو داود . [حدثنا عبد الرزاق]. عبد الرزاق بن همام الصنعاني اليماني ، ثقة أخرج له أصحاب الكتب الستة. [أخبرنا معمر]. معمر بن راشد الأزدي البصري ثم اليماني ، ثقة أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن الزهري]. محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري ، ثقة أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن سالم]. سالم بن عبد الله بن عمر ، وهو ثقة أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن أبيه]. عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما، أحد العبادلة الأربعة من الصحابة، وأحد السبعة المعروفين بكثرة الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم.

الأسئلة

إذا أدرك الصحابة الدجال فإنهم لن ينخدعوا به

السؤال: هل يفهم من قول الصحابة رضي الله عنهم في حديث الدجال: (كيف قلوبنا يومئذ أمثلها اليوم؟) وقول النبي صلى الله عليه وسلم: (أو خير) أن من يدرك الدجال من المؤمنين فقلوبهم خير من قلوب الصحابة؟ الجواب: لا؛ لأن الكلام والخطاب للصحابة، ومعناه: أنكم إذا أدركتموه فأنتم تسلمون منه وقلوبكم يكون فيها من الثبات ومن اليقين ما يجعلكم لا تنخدعون به ولا تتبعونه.

بناء المقابر في البلاد التي يقرب الماء فيها من السطح

السؤال: المقابر في بلادنا في وسط المزارع، ولذلك فإن مستوى الماء بعد متر من الحفر فيقوم الناس ببناء القبور بالطوب وبعضهم يجعلونها أعلى من الأرض بمتر أو مترين، فهل يجوز مثل هذا؟ الجواب: المناسب أن تكون القبور في أماكن ليس فيها ماء، وعلى الناس أن يبحثوا عن أماكن بعيدة من الماء فيدفنوا الموتى فيها، فإن عسر ذلك واقتضى الأمر جعل الميت في شيء من أجل ألا يذهب في الماء فلا بأس به، وأما كونه يرفع البنيان كمثل المقصورة ويدفن الميت كذلك فإن هذا من أسباب الفتن التي تجعل الناس يفتنون بالموتى ويعظمونهم.

تزاور الأرواح في القبور

السؤال: هذا يسأل عن أحاديث تزاور الأرواح، فيذكر أن الشيخ الألباني صحح أو حسن حديث تزاور الأرواح، وأثبت ابن تيمية رحمه الله حديث تزاور الأرواح في القبور في الفتاوى الكبرى، فما رأيكم؟ الجواب: أنا لا أعلم عن ذلك شيئاً.

ضمة القبر للمؤمن ليست من قبيل العذاب

السؤال: ماذا تقولون في ضمة القبر التي قال عنها الرسول صلى الله عليه وسلم: (لو نجا منها أحد لنجا منها سعد) هل هذه الضمة تساوي ضمة الكافر أم لا؟ الجواب: لا يمكن أن يكون كذلك؛ لأن سعد بن معاذ قد اهتز لموته عرش الرحمن، ومع ذلك ينجو منها، ولذا فالذي يبدو -والله أعلم- أنها ليست بعذاب في حق مثله. فالكافر يضيق عليه القبر حتى تختلف أضلاعه ويعذب بذلك، وأما المؤمن الذي هو دون سعد بن معاذ وغيره من الصحابة فيفسح له في قبره.

وصف ملكي القبر بالسواد والزرقة

السؤال: ورد في حديث ثابت: (أن من صفات في القبر أنهما أسودان أزرقان)؟ الجواب: لا أعلم ثبوت هذا، ولكن أقول: إذا ثبت ذلك عن الرسول صلى الله عليه وسلم قلنا به، فالناس لا يعرفون ولا يعتقدون إلا ما تثبتت به السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأن هذه أمور غيبية، فنقتصر فيها على ما جاء في الوحي.

سؤال الشهيد والمرابط في القبر

السؤال: ورد أن الشهداء لا يفتنون في القبور، حيث قال صلى الله عليه وسلم: (كفى ببارقة السيوف فوق رأسه فتنة)، وكذا ورد في المرابط أنه: (يؤمن الفتان)؟ الجواب: هذا لا يدل على أنهم لا يسألون، ويمكن أنه يؤمن من فتن أخرى غير أمر السؤال، وأما السؤال فهو كما ذكر عن ابن تيمية أن المكلفين يسألون في قبورهم ولا يستثنى من ذلك إلا الأنبياء، وفيهم خلاف كما قال.

حكم إعطاء مدير المؤسسة للموظف مالاً دون إذن المالك

السؤال: أنا أعمل لدى إحدى المؤسسات وأستلم راتباً شهرياً، وكان في المحل مدير يعطيني كل يوم عشرة ريالات دون أن يعلم صاحب المحل، فهل هذه العشرة الريالات حلال أم حرام علماً بأن هذه الفلوس بلغت ثلاثة آلاف وستمائة خلال عامين؟ الجواب: يرجع السائل إلى الذي كان يعطيه الفلوس ويسأله: هل يعطيه بإذن من المالك أم بغير إذن؟ فإن كان بإذن فهو يستحقها، وإن كان بغير إذن فهو لا يستحقها، وعليه إرجاعها إلى مال صاحب المحل أو التحلل منه.

العقيقة عن المولود بعد ست سنوات من ولادته

السؤال: لي طفلة عمرها ست سنوات ولم أعق عنها، فهل يجوز لي أن أتصدق الآن بذبيحة في مكة؛ علماً أني جئت هنا للعمرة؟ الجواب: نعم. يعق عنها الآن، وله أن يتصدق بهذه الذبيحة في مكة وإن كان من غير أهل مكة.

حكم السعي بين الصفا والمروة على مركوب

السؤال: أنا مصاب بمرض الدوالي في ساقي وأخاف من المضاعفات وأنا ذاهب للعمرة ولا أستطيع أن أسعى بين الصفا والمروة على رجلي، فهل يجوز لي أن أستخدم عجلة؟ وهل تلزمني الفدية إن فعلت ذلك؟ الجواب: له أن يركب العربيات التي تستخدم للسعي بين الصفا والمروة إذا كان يتضرر من المشي، وليس عليه فدية إذا فعل ذلك، قال تعالى: لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا [البقرة:٢٨٦].

إغلاق باب الاجتهاد

السؤال: القول بأن باب الاجتهاد مغلق، هل قاله أحد من السلف؟ وماذا يلزم على هذا القول؟ الجواب: هو مغلق عن الذين ليس عندهم علم، وأما من عنده قدرة فليس مغلقاً دونه.

أول ما خلق الله

السؤال: ما الراجح في الأولية: خلق العرش أم القلم؟ الجواب: بعض أهل العلم يقول: إن القلم هو الأول؛ لحديث: (أول ما خلق الله القلم). ومنهم من يقول: إن العرش أول مخلوق، وإن قوله: (إن أول ما خلق الله القلم قال له: اكتب) معناه أنه أول ما خلقه قال له: اكتب، أي فلم تبق فترة بين خلقه وأمره بالكتابة. وقد ذكر ابن القيم الخلاف في النونية، ورجح أن العرش متقدم، قال: والناس مختلفون في القلم الذي كتب القضاء به من الديان هل كان قبل العرش أو هو بعده قولان لاهل العلم مشهوران والحق أن العرش قبل لأنه قبل الكتابة كان ذا أركان"
". (١)

"تاسعا : في دفاعه عن المهدي ابن تومرت الموحدي:
ادعى محمد بن عبد الله تومرت الهرغي المصمودي البربري (ت٥٢٤هـ) ، أنه من آل البيت علوي النسب ، و أنه المهدي المنتظر ، رغم أن المعروف عنه أنه من أسرة بربرية من قبيلة مصمودة ، فما هو موقف ابن خلدون من ذلك ؟ .
دافع ابن خلدون عن ابن تومرت بقوة و حماس ، و أيده في ادعائه للعلوية و المهدوية ، و في تبنيه للأشعرية أيضا(١) .
فهل موقفه هذا صحيح تُؤيده الشواهد التاريخية و النقلية و العقلية ؟
فبخصوص مسألة النسب فإنه –أي ابن خلدون– اعتمد عل دليلين ، الأول ذكر فيه أن المؤرخين اختلفوا في نسب ابن تومرت ، فقال بعضهم إنه بربري الأصل ، و قال آخرون إنه علوي النسب ، و في ذلك يقول ابن خلدون : ((و زعم كثير من المؤرخين أن نسبه في أهل البيت)) ، ينتهي إلى الحسين بن علي بن أبي طالب ، ثم قال إن المؤرخ ابن نخيل ذكر أن بعض الطالبيين و هو سليمان بن عبد الله أخ إدريس الأكبر ، نزل بالمغرب على إثر أخيه إدريس و حلّ بتلمسان ، ثم افترق ولده في المغرب ،و اختلطوا بالمصامدة ،و رسخت عروقهم فيهم و التحموا بعصبيتهم ،و لبسوا جلدتهم ، و انتسبوا بنسبتهم ، و صاروا في عدادهم(٢) .

---

(١) المقدمة ، ص: ٢٠، ٢١، ١٨٠ .
(٢) نفسه ، ص: ٢١ . و العبر ، ج ٦ ص: ٣٠٠ .." (٢)

---

(١) شرح سنن أبي داود - عبدالمحسن العباد، ص/٢
(٢) أخطاء ابن خلدون في كتابه المقدمة، ص/١٧٢

"و أما موقفه من ابن تومرت في ادعائه للمهدوية و العصمة ، فقد وصفه بأنه الإمام المهدي ،و أنه ادعى المهدوية و العصمة ، على ((رأي أهل البيت في الإمام المعصوم)) ، لكنه انتقده في مسألة العصمة ،و عندما قال عنه ، ((لم تُحفظ عنه فلتة في البدعة ، إلا ما كان من وفاقه الإمامية من الشيعة في القول بالإمام المعصوم))(١) .

و ردا عليه أقول : أولا إن إلحاقه فكرة الإمام المعصوم بآل البيت هو خطأ فادح ،و كذب مفضوح ، سبق تفنيده ، و بينا أن عليا و أولاده –رضي الله عنهم- كانوا على مذهب أهل السنة ، و لم يكونوا على مذهب الرافضة الإسماعيلية و لا الإثنى عشرية ، و بينا لماذا قال ذلك .

و ثانيا إنه اكتفى بالانكار على ابن تومرت في ادعائه للعصمة ، و لم ينقده في ادعائه بأنه المهدي المنتظر ، و لم يتتبع ما يترتب من وصفه بالبدعة في مسألة العصمة ، لأنه من المعروف بالضرورة من دين الإسلام أنه لا أحد معصوم إلا النبي- عليه الصلاة و السلام- ، لقول رسول الله ((كل ابن آدم خطاء ،و خير الخطائين التوابون))(٢) ،و قال تعالى ((و فوق كل ذي علم عليم)) –سورة يوسف /٧٦- ،و هو سبحانه لم يتعبّدنا إلا باتباع كتابه و سنة رسوله ، و أمرنا بالرد إلي الله و رسوله عند التنازع ، لقوله سبحانه ((فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله و إلى الرسول))-سورة النساء /٥٩- . و عليه فإن زعم ابن تومرت بأنه معصوم ، هو زعم باطل مردود عليه ، و يدل قطعا على أنه كان كاذبا على الله و رسوله و المسلمين ، و مع ذلك سكت عنه ابن خلدون ،و اكتفى بوصفه بالبدعة ،و لم يتتبع ما يستلزمه قوله من نتائج ! .

---

(١) نفس المصدر ، ص: ٢٠، ١٨٠ ، . و العبر ، ج ٦ ص: ٣٠٢، ٣٠٥ .

(٢) الترمذي: السنن ، تحقيق الألباني، ج٢ ص: ٤٢٥١ .." (١)

"و ثالثا إنه سكت عن ابن تومرت في ادعائه بأنه المهدي المنتظر ، فوصفه بالإمام المهدي ،و لم ينتقده في ذلك ! ، و هذا خطأ من ابن خلدون ، و زعم باطل من ابن تومرت و كذب مفضوح منه ، لأن الأحاديث التي صحّت في المهدي ذكرت صفاتا لا تنطبق على ابن تومرت ، منها أن المهدي المنتظر سينتصر و يملك سبع سنين ،و يملأ الأرض قسطا كما مُلئت ظلما و جورا ،و أنه يُمارس ذلك بيده(١). و هذه الصفات لم تتحقق في ابن تومرت ، فهو قد مات سنة ٥٢٤هـ ، قبل انتصار دعوته و ظهور دولته سنة ٥٤١هـ ، و لم يملك و لا مارس الملك بيده ، و لا ملأ الأرض عدلا كما مُلئت ظلما و جورا ، و لا تحقق ذلك على أيدي أتباعه ، فإن دولته ظلت محصورة في المغرب و الأندلس ، من سنة ٥٤١هـ إلى سقوطها نهائيا سنة ٦٦٨هجرية ، و لم تملأ الأرض عدلا و لا قسطا .

و رابعا إن الغريب في الأمر أن ابن خلدون –في موقفه من مهدوية ابن تومرت- اكتفى بوصفه بها و سكت عنه ، ثم أنه في موضع آخر من مقدمته قرر أمرا مناقضا لذلك تماما ، و مع ذلك سكت عن ابن تومرت أيضا ، فلم ينتقده ،و لا كذّبه ،و لا اعتذر له و لا لنفسه مما قاله عنه سابقا . و الشاهدان الآتيان يُثبتان ذلك بوضوح لا لُبس فيه .

أولهما إنه قال إن المشهور بين كافة أهل الإسلام أنه لابد أن يظهر في آخر الزمان رجل من أهل البيت يُسمى المهدي ،

---

(١) أخطاء ابن خلدون في كتابه المقدمة، ص/١٧٧

يُؤيد الدين ،و يُظهر العدل ، و يتبعه المسلمون ، و يستولي على الممالك الإسلامية ، ثم يكون خروج الدجال و ينزل عيسى –عليه السلام– فيقتل الدجال ، أو ينزل مع المهدي فيُساعده على قتله ،و يأتم عيسى بالمهدي في صلاته(٢) . و الشاهد الثاني هو أن ابن خلدون اعترف صراحة أن المهدي المنتظر ما زال لم يظهر بعد ، و إذا ظهر فمن الراجح أنه يظهر من بين الطالبيين بأرض الحجاز كالمدينة و مكة(٣) .

---

(١) ابن القيم : المنار المنيف ، ص: ١٠٨، ١٠٩ .

(٢) المقدمة ، ص: ٢٤٥ .

(٣) نفس المصدر، ص: ٢٥٧ .." [(١)]

"٥- البهائيون (١)[[٤]) ومركزهم طهران.

وينتمي المسلمون إلى مذهبين هما:

الشيعة ويشكلون ٦٤ ٪.

السنة ويشكلون ٣٦٪

–

... ... ١٠٠٪ من المسلمين.

---

(١) البهائية: دعوة من الدعوات المتكررة التي قامت تبغي القضاء على الإسلام مستغلة الجنس وغيره من المغريات للوصول إلى غايتها، ومدعومة من كل أعداء الإسلام في العالم من صليبيين وملحدين حسب الرأي تبشير المسلمين يجب أن يكون بواسطة رسول من أنفسهم ومن بين صفوفهم؛ لأن الشجرة يجب أن يقطعها أحد أعضائها وأن الأفكار الباطنية تبلورت أيام المأمون على أيدي فلول المجوسية المنهزمة وتشعبت إلى فرق تعددت بها السبل تربطها غاية واحدة هي القضاء على الإسلام وشريعته الخالدة، ومن هذه الدعوات كانت الخرمية وكانت القرمطية و... ثم كانت البهائية. ادعى علي محمد رضا الشيرازي المولود عام ١٢٣٥ للهجرة أنه المهدي المنتظر في شيراز عام ١٢٦٠ هـ، وقد نفذ فيه حكم الإعدام عام ١٢٦٥ هـ وكان قد ادعى أنه الباب وعرفت جماعته بالبابية، وقام من بعده الميرزا حسين علي المازندراني فادعى أنه الموعود الحقيقي والمسيح المنتظر وأن الباب لم يكن إلا مبشرًا به، وسجن فتدخلت السفارات الروسية والبريطانية لإخراجه، فأخرج ونفي إلى بغداد عام ١٢٦٩ هـ، ثم نفي إلى تركيا،ومات في منفاه، ودفن في عكا، وهو الذي عرف باسم البهاء، كانت روسيا من خلف هذه الدعوة إذ تدخلت لإنقاذ حياة الباب من الإعدام ولكن سبق أن نفذ فيه كما تدخلت لإخراج البهاء من

---

(١) أخطاء ابن خلدون في كتابه المقدمة، ص/١٧٨

السجن، وأقامت معبدين للبابيين في باكو وعشق آباد، كما أن اليهود قد أوعزوا لمن يعيش منهم في إيران بالانضمام لهذه الدعوة باسم وحدة الأديان والإنسانية وأخيرًا وقعت البابية والبهائية في أحضان الإنكليز.." (١)

"وَمِنْ مَظَاهِرِ هَذَا اَلْعَصْرِ كَثْرَةُ اَلْفِتَنِ بَيْنَ اَلْفِرَقِ اَلْمُنْتَمِيَةِ إِلَى اَلْإِسْلَامِ وَكَانَ اَلصِّرَاعُ فِيمَا بَيْنَهَا عَلَى أَشُدِّهِ، فَقَدْ ذَكَرَ اِبْنُ كَثِيرٍ أَنَّ جَمَاعَةً مِنَ اَلرَّافِضَةِ كَانُوا يَجْتَمِعُونَ فِي مَسْجِدِ (+بِرَاثٍ) (١) فَيَنَالُونَ مِنَ اَلصَّحَابَةِ وَلَا يُصَلُّونَ اَلْجُمْعَةَ وَيُكَاتِبُونَ اَلْقَرَامِطَةَ وَيَدْعُونَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ اَلَّذِي ظَهَرَ فِي اَلْكُوفَةِ وَيَدَّعُونَ أَنَّهُ اَلْمَهْدِيُّ وَيَتَبَرَّءُونَ مِنَ اَلْمُقْتَدِرِ وَمَنْ تَبِعَهُ فَأَمَرَ اَلْخَلِيفَةُ بِهَدْمِ اَلْمَسْجِدِ فَهُدِمَ، وَكَانَتْ هَذِهِ اَلْحَوَادِثُ وَأَمْثَالُهَا دَاعِيَةً إِلَى اِشْتِعَالِ نَارِ اَلْفِتْنَةِ بَيْنَ أَهْلِ اَلسُّنَّةِ. وَالرَّوَافِضِ، كَمَا قَوِيَ نُفُوذُ اَلشِّيعَةِ لِأَنَّ اَلْبُوَيْهِيِّينَ كَانُوا شِيعَةً مُتَعَصِّبِينَ، فَكَانَتِ اَلْفِتَنُ بَيْنَ أَهْلِ اَلسُّنَّةِ وَالشِّيعَةِ تَحْدُثُ دَائِمًا فَفِي سَنَةِ ٣٣٨هـ (٢) حَدَثَتْ فِتْنَةٌ بَيْنَهُمَا نُهِبَتْ فِيهَا اَلْكَرْخُ، ثُمَّ تَجَدَّدَتِ اَلْفِتْنَةُ ثَانِيَةً وَقُتِلَ فِيهَا خَلْقٌ كَثِيرٌ، وَقَدْ ضَغَطَ اَلْبُوَيْهِيُّونَ عَلَى اَلْخَلِيفَةِ مُعِزِّ اَلدَّوْلَةِ، فَأَلْزَمَ أَهْلَ بَغْدَادَ بِالنَّوْحِ وَالْمَأْتَمِ عَلَى اَلْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ وَأَمَرَ بِإِغْلَاقِ اَلْأَسْوَاقِ وَعُلِّقَتْ فِيهَا اَلْمُسُوحُ وَكَانَ ذَلِكَ فِي سَنَةِ ٣٥٢هـ (٣) .

---

(١) – البداية والنهاية لابن كثير ١٣٢/١١ .

(٢) – البداية والنهاية لابن كثير ١٩٩/١١ .

(٣) – البداية و النهاية لابن كثير ٢٢١/١١ .." (٢)

"الثانية: قد ذكر في أحاديث صحيحة خبر الجيش الذي يخسف به بعد ظهور المهدي رضي الله عنه، وهذا الجيش يأتي لقتال المهدي رضي الله عنه عندما يعلمون أن المهدي يلوذ بالبيت الحرام، وإن كانت هذه الأحاديث لم تصرح بأنه المهدي ولكن حملها العلماء على ذلك، فقد روى البخاري (٢٠١٢): عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يغزو جيش الكعبة فإذا كانوا ببيداء من الأرض يخسف بأولهم وآخرهم قالت: قلت: يا رسول الله كيف يخسف بأولهم وآخرهم وفيهم أسواقهم ومن ليس منهم. قال: يخسف بأولهم وآخرهم ثم يبعثون على نياتهم ".

وروى مسلم (٢٨٨٢): عن عبيد الله ابن القبطية قال: دخل الحارث بن أبي ربيعة وعبد الله بن صفوان وأنا معهما على أم سلمة أم المؤمنين فسألاها عن الجيش الذي يخسف به وكان ذلك في أيام ابن الزبير. فقالت:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوذ عائذ بالبيت فيبعث إليه بعث فإذا كانوا ببيداء من الأرض خسف بهم فقلت: يا رسول الله فكيف بمن كان كارها؟ قال: يخسف به معهم، ولكنه يبعث يوم القيامة على نيته ". وقال أبو جعفر هي بيداء المدينة ".." (٣)

---

(١) إيران والخميني، ص/٤٢

(٢) متن كتاب الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة لابن بطة، ص/١٣

(٣) بحث في التفسير بين السنة والشيعة الإمامية الاثنى عشرية، ٨٦/٢

"وإنما قيل لهذا القرمطي صاحب الخال، لأنه كان على خده الأيمن خال، ويعرف بابن المهزول زكرويه بن مهري الصواني، من أهل صوان، من سواد الكوفة وقيل هو وأخوه من قيس من بني عبادة بن عقيل من بني عامر، ثم من بني قرمطي ابن جعفر بن عمرو بن المهيا بن يزيد بن عبد الله بن يزيد بن قيس بن جوثة بن طهفة بن حزن بن عبادة بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية ابن بكر بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان، فادعى أنه من ولد محمد بن اسماعيل بن جعفر، فعلى هذا يكون منسوبا إلى قرمطي، ولا يبعد أن يكون الأمران جميعا، والله أعلم.
وقرأت في رسالة أبي عبد الله محمد بن يوسف الأنباري الكاتب إلى أخيه أبي علي في ذكر أخبار هذا القرمطي: انه ادعى أنه أحمد بن عبد الله بن جعفر، وأنه المهدي، وأنه نظر محمد بن اسماعيل في النسب، فلما وقف على بعد هذا النسب، ادعى بعد وقعة السطح من الكسوة، أنه محمد بن عبد الله بن جعفر، وكتب بذلك كتابا بخطه إلى المعروف بابن حوي السكسكي ممن يسكن بيت لهيا، فصار ابن حوي إلى أبي نصر حمد بن محمد، كاتب طغج، ثم نزع عن هذا النسب إلى عبد الله بن ادريس الحسني القادم من الحجاز إلى مدينة أذرعات من جهة دمشق، وقيل ابن القرمطي من يهود نجران، وأنه دعي وذكر أبو محمد عبد الله بن الحسين الكاتب القطربلي ومحمد بن أبي الأزهر في التاريخ الذي اجتمعا على تأليفه في حوادث سنة تسع وثمانين ومائتين قالا: وفي آخر هذه السنة ظهر رجل يقال له محمد بن عبد الله بن يحيى، من ولد اسماعيل ابن جعفر العلوي بنواحي دمشق، يدعو إلى نفسه، واجتمع إليه خلق كثير من الأعراب، وأتباع الفتن، فسار بهم إلى دمشق، وكان بها طغج بن جف مولى أمير المؤمنين من قبل هارون بن خمارويه عامل أمير المؤمنين على مصر والشام، فلما بلغه خبره استعد لحربه، وتحصن طغج بدمشق، فحصره هذا العلوي بها، وكانت بينهما وقعات، وانقضت.
قالا: وفي هذه السنة - يعني سنة تسعين ومائتين - جرت بين طغج بن جف وبين القرمطي حروب كثيرة كلها على طغج، فكتب إلى هارون يستنجده، فوجه إليه من مصر جيشا بعد جيش، كل ذلك يهزمهم القرمطي.
ثم وجه هرون بن خمارويه ببدر الحمامي، وكتب إلى طغج في معاضدته، وضم إليه وجوه القواد بمصر والشام، فخرج إلى القرمطي، فكانت بينهم حروب كثيرة أتت على أصحاب بدر الحمامي، وكان هذا القرمطي قد جعل علامته ركوب جمل من جماله، وترك ركوب الدواب، ولبس ثيابا واسعة، وتعمم عمة أعرابية، وأمر أصحابه أن لا يحاربوا أحدا وأن أتي عليهم حتى ينبعث الجمل من قبل نفسه من غير أن يثيره أحد، فكانوا إذ فعلوا ذلك لم يهزموا، وكان إذا أشار بيده إلى ناحية من النواحي انهزم من يحاربه، واستغوى بذلك الأعراب.
فخرج إليه بدر يوما لمحاربته، فقصد القرمطي رجل من أصحاب بدر يقال له زهير بزانة، فرماه بها فقتله، ولم يظهر على ذلك أصحاب بدر إلا بعد مدة، فطلب في القتلى فلم يوجد، وكان يكنى أبا القاسم.
قال ابن أبي الأزهر: وحدثني كاتبه المعروف بإسماعيل بن النعمان، ويكنى بأبي المحمدين، وسبب هذه الكنية أنه وافى مع جماعة من القرامطة بعد الصلح وقبولهم الأمان من القاسم بن سيماء، وكان على طريق الفرات، ومن عبد الله بن الحسين بن سعد وكان على القابون، فكان القاسم بن سيماء يكنى أبا محمد وصاحب الخرائط قرابة أبي مروان يكنى أبا محمد، فكني إسماعيل هذا أبا المحمدين، فبقي معروفا بذلك.
فحدثني إسماعيل عن هذه الوقعة قال: فصرت إليه غير مرة وهو راكب على نجيبه، وعليه دراعة ملحم، فقلت له: قد اشتد

الأمر على أصحابنا، وقد قربوا منك، فتنح عن هذا الموضع إلى غيره، فلم يرد علي جوابا، ولم يثر نجيبه، فعدلت إليه ثانية، فقلت له: قم، فانتهرني ولم يرم إلى أن وافته زانة، أو قال: حربة، فسقط عن البعير، وكاثرنا من يريد أخذه، فمنعنا منه، وقتل زهاء مائة إنسان في ذلك الوضع، ثم أخذناه وتنحينا بأجمعنا.

فقلت: هذا الذي أقمتموه مقامه أهو أخوه؟ فقال لا والله ما نعلم ذاك غير أنه وافانا قبل هذه الحادثة بيومين، فسألناه من أنت من الإمام؟ فقال: أنا أخوه، ولم نسمع من الشيخ شيئا في أمره، يعني المكتني أبا القاسم.." (١)

"قال اسحق الأزرق عن بسام الصيرفي:سألت أبا جعفر عن أبي بكر وعمر فقال:والله إني لأتولاهما وأستغفر لهما وما أدركت أحدا من أهل بيتي إلا وهو يتولاهما.روي أنه كان يصلي في اليوم والليلة مائة وخمسين ركعة.

توفي سنة أربع عشرة ومائة على الصحيح وقيل سنة سبع عشرة وقيل غير ذلك.

ويعتقد قوم من الرافضة يعرفون بالباقرية أنه لم يمت وساقوا الإمامة من علي رضي الله عنه في أولاده إلى محمد الباقر وزعموا أنه المهدي المنتظر واستدلوا بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لجابر بن عبد الله الأنصاري:إنك تلقاه فاقرأه مني السلام،وكان جابرا آخر من مات بالمدينة من الصحابة وكان قد عمي آخر عمره فكان يمشي بالمدينة ويقول:يا باقر متى ألقاك؟فمر يوما في بعض سكك المدينة فناولته جارية صبيا في حجرها فقال لها:من هذا؟فقالت:محمد بن علي بن الحسين بن علي،فضمه إلى صدره وقبل رأسه ويديه وقال:يا بني جدك رسول الله يقرئك السلام،ثم قال جابر:نعيت إلي نفسي،فمات في تلك الليلة،فقالت هذه الطائفة:ما أقرأه السلام إلا وهو المهدي المنتظر،يقال لهم:بعد صحة الخبر ينبغي أن يكون أويس القرني مهديا منتظرا لأنه صح أنه قال لعمر وعلي رضي الله عنهما:إنكما تلقيان أويسا القرني فأقرئاه مني السلام.

وكانت وفاته بالحميمة ونقل إلى المدينة ودفن بالبقيع في القبر الذي فيه أبوه وعم أبيه الحسن بن علي في القبة التي فيها قبر العباس.

أبو السفاح محمد الإمام محمد بن علي بن عبد الله بن عباس أبو عبد الله والد السفاح والمنصور.

روى عن أبيه وسعيد بن جبير وعمر بن عبد العزيز وأرسل عن جده وبينه وبين أبيه في المولد أربع عشرة سنة وكان أبوه يخضب فيظن من لا يدري أن محمدا هو الأب،عاش محمد ستين سنة وهو الذي أوصى إليه عبد الله بن محمد بن الحنفية ودفع إليه كتبه وألقى إليه:إن هذا الأمر في ولدك،وكان عبد الله قد قرأ الكتب،وكان ابتداء دعوة بني العباس إلى محمد ولقبوه بالإمام وكاتبوه سرا بعد المائة والعشرين ولم يزل أمره يقوى ويتزايد فعاجلته المنية وقد انتشرت دعوته بخراسان وأوصى بالأمر إلى ابنه إبراهيم فلم تطل مدته بعد أبيه فعهد إلى أخيه أبي العباس السفاح،وقيل إن محمدا كان من أجمل الناس وأمدهم قامة وكان رأسه مع منكب أبيه وكان رأس أبيه مع منكب عبد الله بن العباس وكان رأس عبد الله مع منكب أخيه،وروى عن محمد الجماعة خلا البخاري.

وتوفي سنة أربع وعشرين ومائة.

---

(١) بغية الطلب في تاريخ حلب، ٣٠١/١

شيطان الطاق محمد بن علي بن النعمان الكوفي أبو جعفر.يتشيع وله مع أبي حنيفة خبر ،توفي في حدود الثمانين ومائة وكان معتزليا وكان أحول.

وهو القائل:

ولا تك في حب الأخلاء مفرطا ... وإن أنت أبغضت البغيض فأجمل

فإنك لا تدري متى أنت مبغض ... صديقك أو تعذر عدوك فاعقل

والرافضة تنتحله وتسميه ميمون الطاق،كان صيرفيا بالكوفة بطاق المحامل اختلف هو وصيرفي في نقد درهم فغلبه هذا وقال:أنا شيطان الطاق،فغلب عليه هذا الاسم.

وقال بشار بن برد:شيطان الطاق أشعر مني.وقيل له:ويحك أما استحييت أما اتقيت الله أن تقول في كتاب الإمامة أن الله لم يقل قط في القرآن:ثاني " اثنين إذ هما في الغار " ؟فضحك طويلا.

وساق شيطان الطاق الإمامة إلى موسى بن جعفر وقطع بموت موسى،وشارك هشام بن الحكم في قوله إن الله تعالى يعلم الأشياء بعد وقوعها ولا يعلم أنها ستقع،وقال:إن الله تعالى على صورة إنسان لقوله عليه السلام إن الله خلق آدم على صورة الرحمن لكنه ليس بجسم.

وله طائفة من الرافضة ينسبون إليه يعرفون بالشيطانية وسماهم الشهرستاني في كتابه النعمانية وقال:إنه صنف للرافضة كتبا جمة منها كتاب افعل لم فعلت وكتاب افعل لا تفعل ويذكر فيها أن كبار الفرق أربعة القدرية والخوارج والعامة والشيعة ثم عين الشيعة بالنجاة في الآخرة من هذه الفرق،قال:وذكر عن هشام بن سالم ومحمد بن النعمان أنهما أمسكا عن الكلام في الله تعالى ورويا عمن يوجبان تصديقه أنه سئل عن قول الله تعالى: " وأن إلى ربك المنتهى " قال:إذا بلغ الكلام إلى الله تعالى فأمسكوا،فأمسكا عن القول في الله والتفكر فيه حتى ماتا،هذا قول الوراق.

محمد بن علي بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب.." (١)

"بويع في مالقة سنة أربع وثلاثين وأربعمائة ولقب العالي وقام خطيبا أبو محمد غانم بن الوليد المخزومي أحد علماء مالقة وقال:

استقبل الملك إمام الهدى ... بأربع بعد ثلاثينا

خلافة العالي سمت نحوه ... وهو ابن خمس بعد عشرينا

إني لأرجو يا إمام الهدى ... أن تملك االناس ثمانينا

لا رحم الله امرءا لم يقل ... عند دعائي لك آمينا

ولم يكن في بني حمود مثل العالي أبدا ونبلا وكرما وللشعراء فيه أمداح كثيرة، وقد اشتهرت قصيدة ابن مقانا الأشبوني فيه وقيل إنه أنشدها له والعالي خلف حجاب على العادة في ذلك فلما وصل إلى قوله:

وكأن الشمس لما أشرقت ... فانثنت عنها عيون الناظرين

---

(١) الوافي بالوفيات، ٤٨٦/١

وجه إدريس بن يحيى بن علي ... بن حمود أمير المؤمنين

فقال العالي للحاجب صاحب الستر: قل له مليح مليح: فقال له ذلك ثم مر فيها إلى أن قال:

كتب الجود على أبوابه ... أدخلوها بسلام آمنين

وإذا ما نشرت رايته ... خفقت بين جناحي جبرئين

فقال العالي للحاجب: قل له أحسنت أحسنت. ثم لما قال:

يا بني بنت النبي المصطفى ... حبكم في أرضه دنيا ودين

أنظرونا نقتبس من نوركم ... إنه من نور رب العالمين

أمر برفع الحجاب وأتم بقية القصيدة وهو ينظر إليه ثم أفاض أنواع الإحسان عليه.

وكان العالي يشعر في مجالس منادماته لكنه لا يرضاه ولا يجسر أحد أن يرويه، ومن شعره:

انظر إلى البركة والشمس قد ... ألقت عليها مطرفا مذهبا

والطير قد دارت بأكنافها ... والأنس قد نادى بها مرحبا

فاشرب عليها مثلها رقة ... وبهجة واحلل لديها الحبى

وبلي العالي بأقاربه فنغصوا ملكه حتى انزوى إلى بعض الجبال، وكانت له معهم خطوب طوال آل أمرها إلى أن انقرضت دولتهم، وتغلب باديس ابن حيوس الصنهاجي صاحب غرناطة على مالقة وتفرق بنو حمود في الأقطار فدخل منهم إلى جزيرة صقلية محمد بن عبد الله ابن العالي إدريس المذكور وأشيع عنه أنه المهدي الذي يوافق اسم النبي صلى الله عليه وسلم واسم أبيه.

وأراد ابن الثمنة الثائر هناك قتله فشغله الله عنه واستولى رجار الإفرنجي على صقلية فذكر له أنه من بيت النبوة فأكرمه ونشأ ابنه محمد بن محمد ابن عبد الله رجار وكان أديبا ظريفا شاعرا مغرى بعلم جغرافيا فصنف لرجار الكتاب المشهور في أيدي الناس المنسوب إلى رجار.

الواثق المغربي

إدريس بن عبد الله ابن أبي حفص ابن عبد المؤمن الملك أبو العلاء الواثق بالله أبو دبوس صاحب الغرب القيسي آخر ملوك بني عبد المؤمن. وثب على ابن عمه عمر وقتله سنة خمس ستين، وكان شهما شجاعا مقداما خرج عليه أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق سيد آل مرين وصاحب تلمسان، فجرت بينهم حروب إلى أن قتل أبو دبوس في المحرم سنة ثمان وستين وستمائة بظاهر مراكش في المصاف واستولى المريني على مملكة الغرب وانقضت دولة آل عبد المؤمن.

تقي الدبن ابن مزيز

إدريس محمد ابن أبي الفرج بن الحسين بن مزيز - بزايين - الشيخ الإمام المحدث تقي الدين أبو محمد الحموي. سمع من أبي القاسم بن رواحة وأخيه النفيس وصفية القرشية والموفق يعيش النحوي ومدرك بن حبيش والقاضي أبي إسحاق ابراهيم بن عبد الله بن عبد المنعم وهذه الطبة؛ وكتب الأجزاء وعني بالحديث وتميز فيه. روى عنه الدمياطي والمزي والبرزالي. ذكره ابن الصابوني جمال الدين في كتاب تكملة إكمال الإكمال في مزيز ومرير وصنف الأحكام كبيرا.

الأندلسي الشاعر

إدريس بن اليمان بن سام أبو علي العبدري المعروف بالشبيني الأندلسي الشاعر روى عن أبي العلاء صاعد اللغوي. وتوفي سنة خمسين وأربعمائة ومن شعره:

وموسدين على الأكف رؤوسهم ... قد غالهم في السكر ما قد غالني

ما زلت أسقيهم وأشرب فضلهم ... حتى انثنيت ونالهم ما نالني

والخمر تعرف كيف تأخذ حقها ... إني أملت إناءها فأمالني

ومنه:

وفتيان صدق عرسوا تحت دوحة ... وليس لهم إلا النبات فراش." (١)

"تمرتاش بن جوبان النوين؛ كان حاكم البلاد الرومية، فتتح بلادا وكسر جيوشا، وكان إذا كان وقت اللقاء نزل قعد على الأرض وأمر أصحابه بالقتال، واستعمل الخمر، فإذا انتشى، ركب جواده وحمل فلا يثبت له أحد، ويقول لأصحابه: أي من مات فإقطاعه لوالده أو لقرابته لا يخرج عنه شيء، وأي من هرب فأنا خلفه أينما توجه، أحضره وما أبقيه، فالأولى به أن لا يهرب، وكان قد خطر له أنه المهدي، وتسمى بذلك، فبلغ أباه جوبان الخبر، فأتاه واستتوبه من ذلك وأحضره معه إلى خدمة بو سعيد، فلما حضر معه إلى الأردو رأى الناس ينزلون قريبا من خام الملك، فقطع بالسيف أطناب الخيم ووقف على باب خام السلطان ورمى بالطومار؛ وقال: أينما وقع، ينزل الناس على دائرته. فاعجب ذلك بو سعيد، فلما مات أخوه دمشق خواجا وهرب أبوه. اجتمع هو بالأمير سيف الدين أيتمش وطلب الحضور إلى مصر وحلف له، فحضر في جمع كبير وخرج الأمير سيف الدين تنكز وتلقاه، وتوجه إلى الديار المصرية ولم يخرج له السلطان وأمر برد من حضر معه الا القليل واعطى لكل واحد خمس مائة درهم وخلعة، فعاد الجميع إلا نفر يسير فأراد السلطان أن نقطعه شيئا من أخباز الأمراء، فقال الأمير سيف الدين بكتمر الحاجب: يا خوند إبش يقال عنك أنك وفد عليك واحد، ما كان في بلادك ما تقطعه حتى أخذت له من أخباز الأمراء؟!، فرسم له بقطيا، ثم أمر له كل يوم بألف درهم إلى أن ينحل له إقطاع يناسبه. وكان يأخذ من بيت المال كل يوم ألف درهم. ورسم له السلطان على لسان الأمير سيف الدين قجليس أن يطلق من الخزانة ومن الاسطبل ما يريده ويأخذ منهما ما يختار، فما فعل من ذلك شيئا، ونزل إلى الحمام التي عند حوض ابن هنس، فأعطى الحمامي خمس مائة درهم وللحارس ثلاث مائة درهم. وكان الناس كل يوم موكب يقدون الشمع بين القصرين ويجلس النساء والرجال على الطرق يقولون: ننتظر أنهم يؤمرون تمرتاش، وعبرت عينه على الناس من مماليك السلطان الخاصكية الأمراء، وكان يقول: هذا كان كذا، وهذا كان كذا، وهذا ألماس كان جمالا، فما حمل السلطان منه ذلك. وألبس يوما قباء من أقبية الشتاء، ألبسه إياه حاجب صغير فرماه عن كتفه، وقال ما ألبسه إلا من يد ألماس الحاجب الكبير. ولم يزل في القاهرة إلى أن قتل أبوه جوبان في تلك البلاد، فأمسكه السلطان واعتقله، فوجد لذلك ألما عظيما، وقعد أياما لا يأكل شيئا، إنما يشرب ماء ويأكل البطيخ لما يجد في باطنه من النار. وكان قجليس يدخل إليه ويخرج ويطيب خاطره،

---

(١) الوافي بالوفيات، ٣/١٣٩

ويقول له: إنما فعل السلطان هذا، لأن رسل السلطان بو سعيد على وصول، وما يهون على بو سعيد أن يبلغه أن السلطان أكرمك، وقد حلف كل منهما للآخر، فقال له يوما: أنا ضامن عندكم انكسر علي مال، إن كان شيء فالسيف، وإلا فما فائدة الحبس، والله ما جزائي إلا أن أسمر على جمل ويطاف بي في بلادكم ويقال هذا جزاء وأقل جزاء من يأمن إلى الملوك أو يسمع من أيمانهم. ثم إن الرسل حضروا يطلبون من السلطان تجهيز تمرتاش إلى بو سعيد، فقال ما أسيره ولكن خذوا رأسه، فقالوا ما معنا أمر أن نأخذه إلا حيا، وأما غير ذلك فلا. فأمروا أن يقفوا على قتله، وأخرج من سجنه ومعه أيتمش وقجليس وغيرهما، وخنق جوا باب القرافة، فكان يستغيث ويقول: أين أيتمش، يعني الذي حلف لي، وأيتمش يختبئ حياء منه، وقال: ما عندكم سيف تضربوني به؟، ثم حز رأسه وجهز إلى بو سعيد من جهة السلطان، ولم يتسلمه الرسل، وكتب السلطان إلى بو سعيد يقول: فقد جهزت إليك غريمك فجهز إلي غريمي قراسنقر؛ فما وصل الرأس حتى مات قراسنقر حتف أنفه، فقيل لبو سعيد: ألا تجهز رأس قراسنقر إليه؟، فقال: لا، إن الله أماته بأجله ولم أقتله أنا.." (١)

" شهر ذي الحجة استهل بيوم الخميس بعد أن تراءى الناس الهلال ليلة الأربعاء على العادة بعدة أماكن من الجوامع وغيرها فلم يخبر أحد برؤيته إلا شذوذا يقول الواحد منهم : إنه رأى فإذا حوقق أنكر فبحث عن السبب في ذلك فاعتذروا بأنه شاع بينهم أن السلطان إذا اتفق يوم – العيد يوم الجمعة يلزم أن يخطب له مرتين وقد جرب أن ذلك إذا وقع يكون فيه خوف على السلطان فبلغ السلطان ذلك بعد أيام فأنكره وأظهر الحنق على من ينسب إليه ذلك فقيل له فإن أحمد بن نوروز وهو أحد من يلوذ به من خواصه المعروف بشاد الغنم – ذكر أنه رآه ولم يخبر القاضي بذلك فاستدعاه فاعترف أنه رآه ليلة الأربعاء ومعه جماعة فأرسله مع المحتسب إلى القاضي الشافعي فأدى عنده شهادته فلما شاع ذلك نودي في البلد من رأى هلال ذي الحجة ليلة الأربعاء فليؤد شهادته بذلك عند القاضي الشافعي فسارع غالب من كان شاع عنه دعواه الرؤية في تلك الليلة إلى الشهادة بذلك فلما استوفيت شروط ذلك نودي بأن العيد يوم الجمعة فاعتمدوا على ذلك وصلوا العيد يوم الجمعة ؛ فلما كان في يوم السبت الخامس والعشرين من ذي الحجة وصل المبشر بسلامة الحاج في آخر ذلك اليوم وأخبر أن كل من حضر الموقف من الآفاق لم ينقل عن أحد منهم أنه رأى الهلال ليلة الأربعاء بل استوفوا العدة واستهلوا ذا الحجة بيوم الخميس ووقفوا بعرفات يوم الجمعة – واستمر الأمر بينهم على ذلك وأنه فارقهم آخر النهار يوم السبت فقطع المسافة في أربعة عشر يوما ووصف السنة بالأمن واليمن والرخاء مع كثرة الخلائق – ولله الحمد على ذلك

وفي هذه السنة توجه الشيخ شمس الدين محمد بن أحمد الفرياني المغربي إلى جهة الجبال المقدسة ويقال لها : جبال حميدة وعندها عرب فنزل عند بعض العشير ودعا إلى نفسه أنه المهدي وقيل ادعى أنه القحطاني فانضم إليه جماعة من العرب فاستغواهم ووعدهم وملأ آذانهم بالمواعيد فشاع خبره في آخر السنة فكوتب نائب القدس يخبره فبحث عن قضيته إلى أن أطلع أن ابن عبد القادر شيخ العرب يعرفه فاستدعى به فأنكر أن يكون أطلع على مراده وإنما وصل إليه شيخ معه عدة جمال يشبه أن تكون كتبا علمية وأنه سئل أن يرسل معه من يجيره إلى أن يصل إلى مقصوده من تلك الجهة لضرورات عرضت له فأرسل معه ناسا أوصلوه إلى جهة مقصده وفارقوه ولم يعرفوا المطلوب عنه ؛ فكاتب نائب القدس بذلك ووصف

---

(١) الوافي بالوفيات، ٣/٤٦٤

الرجل بما دل على أنه الفرياني المذكور وهذا الرجل قدم القاهرة قديما وصحب كاتب السر ابن البارزي في حياة والده وأكثر التردد إلى الشيخ تقي الدين المقريزي وواظب الجولان في قرى الريف الأدنى يعمل المواعيد ويذكر الناس وكان يستحضر من التاريخ والاخبار الماضية شيئا كثيرا ولكنه كان يخلط في غالبها ويدعي معرفة الحديث النبوي ورجال الحديث ويبالغ في ذلك عند من يستجهله ويقصر في المذاكرة عند من يعرف أنه من أهل الفن وراج أمره في ذلك دهرا طويلا ثم صحب الأمير زين الدين عبد الرحمن بن الكويز وانقطع إليه مدة ثم فارقه وكان قبل ذلك تحول عن مذهب مالك وادعى أنه يقلد الشافعي وولي قضاء نابلس بعناية القاضي كمال الدين ثم صرف عنها فانقطع إلى ابن الكويز وهجر الكمال إلى أن بدا ما ذكر ؛ وكوتب نائب القدس بأن يجهز إليه من يقبض عليه ويرسله إلى القاهرة وكان بروز الأمر بذلك في العشر الأخير من هذا الشهر

ذكر من مات

في سنة ثمان وأربعين وثمانمائة من الأعيان

أحمد بن . . الفاضل شهاب الدين الحسيني مسكنا الشهير بالحناوي - بكسر المهملة وتشديد النون مع المد - مات في ليلة الجمعة الثامن والعشرين من جمادى الأولى وكان مالكي المذهب سمع من جماعة قبلنا وسمع معنا من شيوخنا وقرأ بنفسه وطلب وقتا وولي نيابة الحكم ودرس في أماكن منها في المنكوتمرية وولي مشيخة خانقاه نور الدين الطنبدي التاجر في تربته بطرف الصحراء وكان من الصوفية البيبرسية وكان وقورا ساكنا قليل الكلام كثير الفضل انتفع به جماعة في العربية وغيرها وقد جاوز الثمانين بيقين لكن يشك في الزيادة فقيل ست وقيل أكثر

حمزة بك بن قرا يلك واسمه عثمان بن طور غلي صاحب ماردين وغيرها من ديار بكر مات في أوائل رجب وكان قبيح السيرة ." (١)

"وأفسدت دنياي وديني سفاهة ... فمن ذا الذي مني بمصرعه أشقى

فيا ليت شعري بعد موتي ما أرى ... لرحمة ربي أم إلى ناره ألقى

ثم عهد إلى ابنه علي ولقبه المكتفي بالله، وأخذ له البيعة قبل موته بثلاثة أيام.

حكى المسعودي أن المعتضد كان مفرطا في الجماع، فاعتل من إفراطه وطالت علته، وغشي عليه؛ فشك من حوله في موته، وكان لا يجسر أحد عليه لشدة هيبته، فتقدم إليه الطبيب ليخبره بجس النبض، ففتح عينيه وفطن لذلك، فرفس الطبيب برجله رفسة رماه أذرعا فمات الطبيب!! ثم مات المعتضد من ساعته.

وكان أسمر اللون، مهيبا جدا، معتدل الشكل. توفي لسبع بقين من ربيع الأول سنة تسع وثمانين ومائتين، وقيل: سنة سبع وثمانين، وكان مدته تسع سنين وتسعة أشهر وأربعة أيام، وعمره ست وأربعون سنة وشهر.

خلافة المكتفي بالله

علي بن المعتضد بن الموفق بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد بن المهدي بن المنصور.

---

(١) انباء الغمر، ص/٧٠٥

لما توفي المعتضد كان ابنه المكتفي غائبا بالرقة، فنهض بأعباء البيعة له الوزير أبو الحسين القاسم بن عبيد الله، وكتب إليه فوصل، وكان يوم دخوله يوما مشهودا زينت له بغداد، ونزل دار الخلافة وخلع على الوزير سبع خلع، ومدحه الشعراء وأنعم عليهم بالجوائز السنية.

كان مولده في غرة ربيع الأول سنة مائتين وأربع وستين. وأمه أم ولد تركية اسمها غنجك، وكان مليح الصورة يضرب بحسنه المثل. قال ابن المعتز: من الكامل:

ميزت بين جمالها وفعالها ... فإذا الملاحة بالجناية لا تفي

والله لا كلمتها ولو أنها ... كالشمس أو كالبدر أو كالمكتفي

كان وسيما جميلا، بديع الحسن، وردى اللون، معتدل الطول، أسود الشعر. قال الصفدي في شرح اللامية: ومن أين للمكتفي صفة الحسن؟ والذي دلت عليه التواريخ أنه كان أسمر أعين قصيرا، وليست هذه من صفات الحسن. قلت: المثبت مقدم على النافي؛ سيما وأكثر التواريخ فيها وصفه بالحسن كما هنا.

وكان إلى حب علي بن أبي طالب. امتدحه شاعر بقصيدة يذكر فيها فضل أولاد العباس على أولاد علي، فقطع المكتفي عليه إنشاده وقال: كأنهم ليسوا ابني عم وإن لم يكونوا خلفاء، ما أحب أن يخاطب أهلنا بشيء من ذلك، ولم يسمع القصيدة ولا أجازه عليها: وذكر عبد الغفار في تاريخ نيسابور عن أبي المديني – وكان معلما للمكتفي قبل أن يلي الخلافة، فلما أفضت إليه كتب إليه بهذين البيتين: من الخفيف:

عند أهل التقى وأهل المروه ... حق الأستاذ فوق حق الأبوة

وأحق الأنام أن يحفظوا ذا ... ك ويرعوه أهل بيت النبوه

ومن أعظم الحوادث في أيام المكتفي ظهور القرامطة الملحدين، بل الكفرة أعداء الدين فأول من خرج منهم يحيى بن بهرويه القرمطي، وكانت دار ملكهم هجر، وهم طائفة إباحية يدعون أن الإمام الحق بعد النبي صلى الله عليه وسلم محمد بن الحنفية، ويسندون إليه أقاويل باطلة لا أصل لها، فجهز عليه المكتفي جيوشا فقتله، فقام بعده أخوه الحسين وظهر شأنه، وظهر ابن عمه عيسى ابن مهرويه، ويلقب بالمدثر، وزعم أنه المراد بالسورة الشريفة يا أيها المدثر، ولقب غلاما مظلما بالمطوق بالنور، وزعم أنه المهدي، ودعا لنفسه على المنابر، وأفسد بالشام وعاث؛ فحارب المكتفي الثلاثة وقتلهم، وطيف برءوسهم في البلاد في سنة إحدى وتسعين ومائتين.

ولم يطل زمان المكتفي؛ توفي ليلة الأحد لاثنتي عشرة خلت من ذي القعدة سنة خمس وتسعين ومائتين، ومدة خلافته ست سنين وسبعة أشهر، وعمره إحدى وثلاثون سنة وثمانية أشهر وثلاثة عشر يوما.

خلافة المقتدر بالله

أبو الفضل جعفر بن المعتضد بن الموفق بالله بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد ابن المهدي بن المنصور.

بويع له بالخلافة ببغداد يوم مات أخوه المكتفي وهو ابن ثلاث عشرة سنة وأربعين يوما، ولم يل الخلافة قبله ولا بعده أصغر منه، وضعف دست الخلافة في أيامه.." (١)

"موسى بن طلحة، وكان في زمانه يرون أنه المهدي، فغشيناه، فإذا هو رجل طويل السكوت، شديد الكآبة والحزن، إلى أن رفع رأسه يوما، فقال: والله لان أعلم أنها فتنة لها انقضاء أحب إلي من كذا وكذا، وأعظم الخطر.

فقال رجل: يا أبا محمد وما الذي ترهب أن يكون أعظم من الفتنة ؟ قال: الهرج.

قالوا: وما الهرج ؟ قال: كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثونا: القتل القتل

حتى تقوم الساعة وهم على ذلك (١).

وعن موسى بن طلحة، قال: صحبت عثمان رضي الله عنه ثنتي عشرة سنة.

قال ابن وهب: رأيت موسى بن طلحة يخضب بالسواد (٢).

وقال عيسى بن عبدالرحمن: رأيت على موسى بن طلحة برنس خز (٣).

روى صالح بن موسى الطلحي، عن عاصم بن أبي النجود، قال: فصحاء الناس ثلاثة: موسى بن طلحة التيمي، وقبيصة بن جابر الاسدي، ويحيى بن يعمر (٣).

وورد مثل هذا القول، عن عبدالملك بن عمير (٤).

مات موسى في آخر سنة ثلاث ومئة.

أخبرنا أحمد بن سلامة، عن أحمد بن محمد التيمي إجازة، أنبأنا أبو علي الحداد، أنبأنا أبو نعيم، حدثنا أبو بكر بن خلاد، حدثنا الحارث بن محمد، حدثنا يزيد بن هارون، أنبأنا أبو مالك الاشجعي، عن موسى بن

---

(١) انظر الخبر مطولا عند ابن سعد في الطبقات ٥ / ١٦٢، وانظر الحلية ٤ / ٣٧١، ٣٧٢ (٢) ابن سعد ٦ / ٢١٢.

(٣) الحلية ٤ / ٣٧١.

(٤) انظر المصدر السابق.

(*)".(٢)

---

(١)



يوسف بن علي الفايز @yaf13 · ١٥ د

ينصح احدهم فيقول : إحذر ان تجلس لوحدك في الصالة والا ستصبح مكتب استعلامات كل من طلع من غرفته يسألك وين امي ابوي جاء هو فيه اكل السواق فيه ما حنا طالعين اليوم وين فلان وفلانه 😄

(٢) سير أعلام النبلاء، ٤/٣٦٦

"بالقيام للدين أبناء المهاجرين والانصار.

اللهم قد فعلوا وفعلوا، فأحصهم عددا واقتلهم بددا، ولا تغادر منهم أحدا (١).

قال علي بن الجعد: كان المنصور يكتب على ألسن قواده إلى محمد بن عبد الله بأنهم معه (٢) فاخرج.

فقال: يثق بالمحال.

وخرج معه مثل ابن عجلان، وعبد الحميد بن جعفر.

قال ابن سعد: فلما قتل أتى والي المدينة بابن عجلان فسبه وأمر بقطع يده.

فقال العلماء: أصلح الله الامير، إن هذا فقيه المدينة وعابدها.

وشبه عليه بأنه المهدي فتركه.

قال: ولزم عبيد الله بن عمر ضيعة له، وخرج أخواه عبد الله، وأبو بكر، فعفا عنهما المنصور.

واختفى جعفر الصادق، ثم إن محمدا استعمل عمالا على المدينة، ولزم

مالك بيته.

قال أبو داود: كان الثوري يتكلم في عبدالحميد بن جعفر لخروجه ويقول: إن مر بك المهدي وأنت في البيت، فلا تخرج إليه حتى يجتمع الناس عليه.

وقيل: بعث محمد إلى إسماعيل بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وقد شاخ ليبايعه، فقال: يا أبن أخي، أنت والله مقتول ! كيف أبايعك ؟ ! فارتدع الناس عنه.

فأتته بنت أخيه معاوية، فقالت: يا عم إن إخوتي قد أسرعوا إلى ابن خالهم، فلا تثبط عنه فيقتل هو وإخوتي.

فأبى.

فيقال: قتلته.

فأراد محمد

---

(١) هذا الكلام مقتبس من قول خبيب رضي الله عنه، حين خرج به المشركون من الحرم ليقتلوه في الحل. انظر الخبر بتمامه في البخاري ٦ / ١١٥ في الجهاد، باب هل يستأمر الرجل، ومن صلى ركعتين عند القتل و ٧ / ٢٤٠ في المغازي و ٧ / ٢٩١ - ٢٩٥ أيضا.

(٢) وتمام الخبر، في الطبري، وتاريخ الاسلام ٦ / ١٢: (فكان محمد يقول: لو التقينا مال إلي القواد كلهم).

(*)."(١)

"مسلم قال: قلت لمالك: إني حدثت عن عائشة رضي الله عنها قالت: لا تحمل المرأة فوق سنتين قدر ظل مغزل، فقال، من يقول هذا ؟ هذه امرأة ابن عجلان جارتنا امرأة صدق، ولدت ثلاث أولاد في ثنتي عشرة سنة.

---

(١) سير أعلام النبلاء، ٢١٥/٦

تحمل أربع سنين قبل أن تلد.

قال سعيد بن داود الزنبري (١): أخبرني (١): أخبرني محمد بن محمد بن عجلان قال: أنا ولدت في أربع سنين في حياة أبي.

وقال الواقدي: سمعت عبد الله بن محمد بن عجلان يقول: حمل بأبي أكثر من ثلاث سنين.

قال الواقدي: وسمعت مالكا يقول، قد يكون الحمل سنتين وأكثر.

أعرف من حمل به كذلك، يعني نفسه.

وروى أبو حاتم الرازي، عن رجل، عن ابن المبارك قال: لم يكن بالمدينة أحد أشبه بأهل العلم من ابن عجلان كنت أشبهه بالياقوتة بين العلماء رحمه الله.

قال مصعب الزبيري: كان لا بن عجلان قدر وفضل بالمدينة، وكان ممن خرج مع محمد بن عبد الله، فأراد جعفر بن سليمان قطع يده، فسمع ضجة، وكان عنده الاكابر.

فقال: ما هذا ؟ قالوا: هذه ضجة أهل المدينة يدعون لابن عجلان.

فلو عفوت عنه ؟ وإنما غر، وأخطأ في الرواية ظن أنه المهدي، فأطلقه وعفا عنه.

أبو بكر بن خلاد، سمعت يحيي بن سعيد يقول، كان ابن عجلان مضطرب الحديث في حديث نافع.

وقال الفلاس: سألت يحيي عن حديث ابن عجلان، عن المقبري، عن

---

(١) نسبة إلى جده " زنبر " وفي المطبوع من تاريخ الاسلام " الزبيري " وهو تحريف.

(*)".(١)

"اتفق وقوع أكثرها، فعظمت فتنة القوم به حتى قتلوا أبناءهم وإخوتهم لقسوتهم وغلظ طباعهم، وإقدامهم على الدماء، فبعث جيشا، وقال: اقصدوا هؤلاء المارقين المبدلين الدين، فادعوهم إلى إماتة المنكر وإزالة البدع، والاقرار بالمهدي المعصوم، فإن أجابوا، فهم إخوانكم، وإلا فالسنة قد أباحت لكم قتالهم، فسار بهم عبدالمؤمن يقصد مراكش، فالتقاه الزبير بن أمير المسلمين، فكلموهم بالدعوة، فردوا أقبح رد، ثم انهزمت المصامدة، وقتل منهم ملحمة، فلما بلغ الخبر ابن تومرت، قال: أنجى عبدالمؤمن ؟ قيل: نعم، قال: لم يفقد أحد، وهون عليهم، وقال: قتلاكم شهداء.

قال الامير عزيز في " أخبار القيروان ": سمى ابن تومرت أصحابه بالموحدين، ومن خالفه بالمجسمين، واشتهر سنة خمس عشرة، وبايعته

هرغة على أنه المهدي، فقصده الملثمون، فكسروا الملثمين، وحازوا الغنائم، ووثقت نفوسهم، وأتتهم أمداد القبائل، ووحدت هنتاتة، وهي من أقوى القبائل.

ثم قال عزيز: لهم تودد وأدب وبشاشة، ويلبسون الثياب القصيرة الرخيصة، ولا يخلون يوما من طراد ومثاقفة ونضال، وكان

---

(١) سير أعلام النبلاء، ٣١٩/٦

في القبائل مفسدون، فطلب ابن تومرت مشايخ القبائل ووعظهم، وقال: لا يصلح دينكم إلا بالنهي عن المنكر، فابحثوا عن كل مفسد، فانهوه، فإن لم ينته، فاكتبوا إلي أسماءهم، ففعلوا، ثم هدد ثانيا، فأخذ ما تكرر من الاسماء، فأفردها، ثم جمع القبائل، وحضهم على أن لا يغيب منهم أحد، ودفع تلك الاسماء إلى البشير، فتأملها، ثم عرضهم رجلا رجلا، فمن وجد اسمه، رده إلى الشمال، ومن لم يجده، بعثه." (١)

"لما ظهر المختار الكذاب بالكوفة، هرب منه ناس، فقدموا علينا البصرة، فكان منهم موسى بن طلحة، وكان في زمانه يرون أنه المهدي، فغشيناه، فإذا هو رجل طويل السكوت، شديد الكآبة والحزن، إلى أن رفع رأسه يوما، فقال: والله لأن أعلم أنها فتنة لها انقضاء، أحب إلي من كذا وكذا، وأعظم الخطر.

فقال رجل: يا أبا محمد، وما الذي ترهب أن يكون أعظم من الفتنة؟

قال: الهرج.

قالوا: وما الهرج؟

قال: كان أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يحدثونا القتل القتل حتى تقوم الساعة وهم على ذلك.

وعن موسى بن طلحة، قال: صحبت عثمان –رضي الله عنه– ثنتي عشرة سنة.

قال ابن موهب: رأيت موسى بن طلحة يخضب بالسواد.

وقال عيسى بن عبد الرحمن: رأيت على موسى بن طلحة برنس خز.

روى: صالح بن موسى الطلحي، عن عاصم بن أبي النجود، قال:

فصحاء الناس ثلاثة: موسى بن طلحة التيمي، وقبيصة بن جابر الأسدي، ويحيى بن يعمر.

وورد مثل هذا القول عن: عبد الملك بن عمير.

مات موسى: في آخر سنة ثلاث ومائة.

". (٢)

"فقال العلماء: أصلح الله الأمير، إن هذا فقيه المدينة، وعابدها، وشبه عليه أنه المهدي، فتركه.

قال: ولزم عبيد الله بن عمر ضيعة له، وخرج أخواه؛ عبد الله وأبو بكر، فعفا عنهما المنصور.

واختفى جعفر الصادق، ثم إن محمدا استعمل عمالا على المدينة، ولزم مالك بيته.

قال أبو داود: كان الثوري يتكلم في عبد الحميد بن جعفر لخروجه، ويقول:

إن مر بك المهدي وأنت في البيت، فلا تخرج إليه حتى يجتمع الناس عليه.

وقيل: بعث محمد إلى إسماعيل بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب – وقد شاخ – ليبايعه، فقال:

يا ابن أخي! أنت –والله– مقتول، كيف أبايعك؟

---

(١) سير أعلام النبلاء، ١٩/٥٤٩

(٢) سير أعلام النبلاء [مشكول + موافق للمطبوع]، ٤١٣/٧

فارتدع الناس عنه، فأتته بنت أخيه معاوية، فقالت: يا عم! إن إخوتي قد أسرعوا إلى ابن خالهم، فلا تثبط عنه، فيقتل هو وإخوتي.

فأبى.

فيقال: قتلته.

فأراد محمد الصلاة عليه، فقال ابنه: تقتل أبي، وتصلي عليه؟

فنحاه الحرس، وتقدم محمد، وكان محمد أسود، جسيما، فيه تمتمة. (٦/٢١٦)

ولما خرج، قامت قيامة المنصور، فقال لآله: اذهبوا إلى هذا الأحمق عبد الله بن علي، فله رأي جيد في الحرب.

فلما دخلوا، قال: لأمر ما جئتم! فما جاء بكم جميعا، وقد هجرتموني من دهر؟

قالوا: استأذنا أمير المؤمنين، فأذن لنا.

". (١)

"وقال يعقوب بن شيبة: حدثنا إبراهيم بن موسى الفراء، حدثنا الوليد بن مسلم، قال:

قلت لمالك: إني حدثت عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: لا تحمل المرأة فوق سنتين قدر ظل مغزل.

فقال: من يقول هذا؟ هذه امرأة ابن عجلان جارتنا، امرأة صدق، ولدت ثلاث أولاد في ثنتي عشرة سنة، تحمل أربع سنين قبل أن تلد. (٦/٣١٩)

قال سعيد بن داود الزنبري: أخبرني محمد بن محمد بن عجلان، قال: أنا ولدت في أربع سنين، في حياة أبي.

وقال الواقدي: سمعت عبد الله بن محمد بن عجلان يقول: حمل بأبي أكثر من ثلاث سنين.

قال الواقدي: وسمعت مالكا يقول:

قد يكون الحمل سنتين وأكثر، أعرف من حمل به كذلك -يعني: نفسه-.

وروى: أبو حاتم الرازي، عن رجل، عن ابن المبارك، قال:

لم يكن بالمدينة أحد أشبه بأهل العلم من ابن عجلان، كنت أشبهه بالياقوتة بين العلماء -رحمه الله-.

قال مصعب الزبيري: كان لابن عجلان قدر وفضل بالمدينة، وكان ممن خرج مع محمد بن عبد الله، فأراد جعفر بن سليمان قطع يده، فسمع ضجة، وكان عنده الأكابر، فقال: ما هذا؟

قالوا: هذه ضجة أهل المدينة، يدعون لابن عجلان، فلو عفوت عنه، وإنما غر، وأخطأ في الرواية، ظن أنه المهدي.

". (٢)

"قال:لم يفقد أحد.

وهون عليهم، وقال:قتلاكم شهداء.(١٩/٥٤٩)

---

(١) سير أعلام النبلاء [مشكول + موافق للمطبوع]، ١١/٢٦٨

(٢) سير أعلام النبلاء [مشكول + موافق للمطبوع]، ١١/٣٨٩

قال الأمير عزيز في(أخبار القيروان):سمى ابن تومرت أصحابه بالموحدين، ومن خالفه بالمجسمين، واشتهر سنة خمس عشرة، وبايعته هرغة على أنه المهدي، فقصده الملثمون، فكسروا الملثمين، وحازوا الغنائم، ووثقت نفوسهم، وأتتهم أمداد القبائل، ووحدت هنتاتة، وهي من أقوى القبائل.

ثم قال عزيز:لهم تودد وأدب وبشاشة، ويلبسون الثياب القصيرة الرخيصة، ولا يخلون يوما من طراد ومثاقفة ونضال، وكان في القبائل مفسدون، فطلب ابن تومرت مشايخ القبائل ووعظهم، وقال:لا يصلح دينكم إلا بالنهي عن المنكر، فابحثوا عن كل مفسد، فانهوه، فإن لم ينته، فاكتبوا إلي أسماءهم، ففعلوا، ثم هدد ثانيا، فأخذ ما تكرر من الأسماء، فأفردها، ثم جمع القبائل، وحضهم على أن لا يغيب منهم أحد، ودفع تلك الأسماء إلى البشير، فتأملها، ثم عرضهم رجلا رجلا، فمن وجد اسمه، رده إلى الشمال، ومن لم يجده، بعثه على اليمين، ثم أمر بتكتيف أهل الشمال، وقال لقراباتهم:هؤلاء أشقياء من أهل النار، فلتقتل كل قبيلة أشقياءها، فقتلوهم، فكانت واقعة عجيبة، وقال:بهذا الفعل صح دينكم، وقوي أمركم.(١٩/٥٥٠) ". (١)

" ٨٩ ابن الحنفية عن سبعين سنة إلا سنة وكلن جمع له بين الإسم والكنية ترخيصا من النبي له قال لعلى سيولد لك غلام بعدي وقد نحلته اسمى وكنيتي ولا يحل لأحد من أمتي بعده وللعلماء في هذا تنازع وكان ابن الحنفية نهاية في العلم غاية في العبادة وتوقف عن حمل راية أبيه يوم الجمل وقال هذه مصيبة عمياء فقال له أبوه ثكلتك أمك أتكون عمياء وأبوك قائدها وروى نحو هذا في يوم صفين عنه وقيل له كيف دان أبوك يقحمك المالك دون أخويك فقال كانا عينيه وكنت يده فكان يتقى عن عينيه بيده وكان شديد القوة قيل استطال أبوه درعا فقطعه من الموضع الذي علم له قيل ان ملك الروم وجه إلى معاوية رجلين أحدهما جسيم طويل والآخر قوى فقال عمرو بن العاص لمعاوية أما الطويل فعندنا كفؤه وهو قيس بن سعد بن عبادة ورأيك في الآخر فقال معاوية ههنا رجلان محمد ابن الحنيفة وعبد الله بن الزبير ومحمد هو اقرب الينا على كل حال فلما حضروا نزع قيس سروايله ورواها إلى العلج فبلغت ثندوته فاطرق العلج مغلوبا وقيل لاموا قيسا على خلع سروايله في المجلس فقال (أردت لكيما يعلم القوم أنها * سراويل قيس والوفود شهود) (وأن لا يقولوا غاب قيس وهذه * سروايل عادي نمته ثمود) وقال محمد بن الحنفية قولوا للعلج أن شاء جلس وأقمته كرها بيدي أو يقعدني وإن شاء فليكن هو القائم وأنا القاعد فاختار الرومي عن أقامته فانصرفا مغلوبين وعند الكيسانية أن ابن الحنفية لم يمت وأنه المهدي الذي يخرج في آخر الزمان وفي ذلك يقول كثيرة عزة (ألا أن الأئمة من قريش * ولاة الحق أربعة سواء) (على والثلاثة من بنيه * هم الأسباط بهم خفاء)." (٢)

" ٧٠ عقيل الأصبهانية سمعت من ابن ريذة معجمي الطبراني سنة خمس وثلاثين وعاشت تسعا وتسعين سنة وتوفيت في شعبان وفيها أبو الأعز قراتكين بن الأسعد الأزجي روى عن الجوهري وجماعة وكان عاميا توفي في رجب ببغداد وفيها أبو عامر العبدوي محمد بن سعدون بن مرجا الميورقي الحافظ الفقيه الظاهري نزيل بغداد أدرك أبا عبد الله البانياسي

---

(١) سير أعلام النبلاء [مشكول + موافق للمطبوع]، ٣٨/١١

(٢) شذرات الذهب – ابن العماد، ٨٣/١

والحميدي وهذه الطبقة قال ابن عساكر كان فقيها على مذهب داود وكان أحفظ شيخ لقيته وقال القاضي أبو بكر بن العربي هو أنبل من لقيه وقال ابن ناصر كان فهما عالما متعففا مع فقره وقال السلفي كان من أعيان علماء الإسلام متصرفا في فنون من العلوم وقال ابن عساكر بلغني أنه قال أهل البدع يحتجون بقوله) ^ ليس كمثله شيء) أي في الإلهية فأما في الصورة فمثلنا ثم يحتج بقوله) ^ لستن كأحد من النساء إن اتقيتن) أي في الحرمة وقال ابن ناصر الدين كان من أعيان الحفاظ لكن تكلم في مذهبه في القرآن ابن ناصر وحط عليه بما لا يثبت عنه ابن عساكر وفيها محمد بن عبد الله بن تومرت المصمودي البربري المدعي أنه علوي حسني وأنه المهدي رحل إلى المشرق ولقي الغزالي وطائفة وحصل فنونا من العلم والأصول والكلام وكان رجلا ورعا ساكنا ناسكا في الجملة زاهدا متقشفا شجاعا جلدا عاقلا عميق الفكر بعيد الغور فصيحا مهيبا لذته في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد ولكن جره أقدامه وجرأته على حب الرياسة والظهور وارتكاب المحظور ودعوى الكذب والزور من أنه حسني وهو هرغي بربري وأنه معصوم وهو بالإجماع مخصوم فبدأ أولا في الإنكار بمكة فآذوه فقدم مصر وأنكر فطردوه فأقام بالثغر مدة فنفوه وركب البحر فشرع ينكر على أهل المركب." (١)

"٧٢ السلف ينافرون الكلام أهله ولما أكثرت أصحابه أخذ يذكر المهدي ويشوق إليه ويروي الأحاديث التي وردت فيه فتلهفوا على لقائه ثم روى ظمأهم وقال أنا هو وساق لهم نسبا ادعاه وصرح بالعصمة وكان على طريقة مثلى لا تنكر معها العصمة فبادروا إلى متابعته وصنف لهم مصنفات مختصرات وقوى أمره في سنة خمس عشرة وخمسمائة فلما كان في سبع عشرة جهز عسكرا من المصامدة أكثرهم من أهل تينمل والسوس وقال اقصدوا هؤلاء المارقين المرابطين فادعوهم إلى إزالة البدع والإقرار بالإمام المعصوم فإن أجابوكم وألا فقاتلوهم وقدم عليهم عبد المؤمن فالتقاهم الزبير ولد أمير المسلمين فانهزمت المصادمة ونجا عبد المؤمن ثم التقوهم مرة أخرى فنصرت المصامدة واستفحل أمرهم وأخذوا في شن الإغارات على بلاد ابن تاشفين وكثر الداخلون في دعوتهم وانضم إليهم كل مفسد ومريب واتسعت عليهم الدنيا وابن تومرت في ذلك كله لون واحد من الزهد والتقلل والعبادة وإقامة السنن والشعائر لولا ما أفسد القضية بالقول بنفي الصفات كالمعتزلة وبأنه المهدي وبتسرعه في الدماء وكان ربما كاشف أصحابه ووعدهم بأمور فتوافق فيفتنون به وكان كهلا أسمر عظيم الهامة ربعة حديد النظر مهيبا طويل الصمت حسن الخشوع والسمت وقبره مشهور معظم ولم يملك شيئا من المدائن إنما مهد الأمور وقرر القواعد فبغته الموت وكانت الفتوحات والممالك لعبد المؤمن قاله في العبر وفيها الآمر بأحكام الله أبو علي منصور بن المستعلى بالله أحمد بن المستنصر بالله معد بن الظاهر بن الحاكم العبيدي الرافضي صاحب مصر كان فاسقا مشتهرا ظالما امتدت دولته ولما كبر وتمكن قتل وزيره الأفضل وأقام في الوزارة البطائحي المأمون ثن صادره وقتله ولى الخلافة سنة خمس وتسعين وهو ابن خميس سنين فانظر إلى هذه الخلافة الباطلة من وجوه أحدها السنن الثاني عدم النسب فإن جدهم دعى في بني فاطمة بلا خلاف الثالث أنهم خوارج." (٢)

(١) شذرات الذهب – ابن العماد، ٦٩/٤

(٢) شذرات الذهب – ابن العماد، ٧١/٤

"٣٥٦ يوسف بن تقي الدين أحمد بن العز إبراهيم بن الخطيب شرف الدين عبد الله بن الشيخ أبي عمر المقدسي الحنبلي أخو مسند عصره صلاح الدين الصالحي إمام مدرسة جده الشيخ أبي عمر سمع من الحجار وغيره ومهر في مذهبه وكان فاضلا جيد الذهن صحيح الفهم معروفا بذلك أثنى عليه ابن حجي بذلك وقال ابن حجر مهر في مذهبه وكان يعاب بفتواه بمسئلة الطلاق البتة أجاز لي انتهى توفي يوم الأحد ثامن عشر رمضان وصلى عليه من الغد ودفن بمقبرة جده أبي عمر سنة تسع وتسعين وسبعمائة فيها وصلت كتب من جهة تمرلنك فعوقب رسله بالشام وأرسلت الكتب التي معهم إلى القاهرة ومضمونها التحريض على إرسال قريبه اطلمش الذي أسره قرا يوسف فأمر السلطان أطلمش المذكور أن يكتب إلى قريبه كتابا يعرفه فيه ما هو عليه من الخير والإحسان بالديار المصرية وأرسل السلطان ذلك مع أجوبته ومضمونها أنك إذا أطلقت الذين عندك من جهتي أطلقت من عندي من جهتك والسلام وفيها توفي إبراهيم بن عبد الله الحلبي الصوفي الملقن قدم دمشق وهو كبير وأقرأ القرآن بالجامع وصارت له جماعة مشهورة ويقال أنه قرأ عليه أكثر من ألف نفس اسمه محمد خاصة وكان الفتوح يأتيه فيفرقه في أهل حلقته وكان أول من يدخل الجامع وآخر من يخرج منه واستسقوا به مرة بدمشق وكان شيخا طوالا كامل البنية وافر الهمة كثير الأكل مات في شعبان عن مائة وعشرين سنة وكانت جنازته حافلة جدا وفيها إبراهيم بن عبد الله وسماه الغساني في تاريخه حسن بن عبد الله قال الغساني المذكور حسن بن عبد الله الأخلاطي الحسيني كان منقطعا في منزله ويقال أنه كان يصنع اللازورد ويعرف الكيمياء واشتهر بذلك وكان يعيش عيش الملوك ولا يتردد لأحد وكان ينسب إلى الرفض لأنه كان لا يصلي الجمعة ويدعى من يتبعه أنه المهدي وكان أول أمره قدم حلب أي من بلاد العجم التي نشأ." (١)

"٢٦٢ من واحد وبأعلى جبل منها سهلة بها مزدرع وعيون وماء وكروم وأقوام في غاية المنعة والقوة من التجأ إليهم أمن ولو حاربه السلطان فمن دونه فنزل الفرياني عندهم وادعى أنه المهدي وقيل ادعى أنه القحطاني وراج أمره هناك وكان قدم القاهرة وأكثر التردد إلى المقريزي وواظب الجولان في قرى الريف الأدنى يعمل المواعيد ويذكر الناس وكان يستحضر كثيرا من التواريخ والأخبار الماضية ويدعي معرفة الحديث النبوي ورجاله وتحول عن مذهب مالك وادعى أنه يقلد الشافعي وولي قضاء نابلس إلى أن ظهر منه ما ظهر وفيها شهاب الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم الفيشي بالفاء والشين المعجمة بينهما تحتية مثناة الحنائي بكسر المهملة وتشديد النون مع المد النحوي المالكي ولد في شعبان سنة ثلاث وستين وسبعمائة قال ابن حجر سمع من جماعة قبلنا وسمع معنا من شيوخنا وقرأ بنفسه وطلب وولي نيابة الحكم ودرس في أماكن وكان من الصوفية البيبرسية وكان وقورا ماكنا قليل الكلام كثير الفضل انتفع به جماعة في العربية وغيرها وقال السيوطي ألف في النحو وسمع منه صاحبنا ابن فهد وتوفي ليلة ثامن عشر جمادى الأولى وفيها زين الدين عبد الرحيم بن علي الحموي الواعظ المعروف بابن الآدمي قال ابن حجر تعانى عمل المواعيد فبرع فيها واشتهر وأثرى وقدم القاهرة بعد اللنكية فاستوطنها إلى أن مات وولي في غضون ذلك خطابة المسجد الأقصى ثم صرف واستمر في عمل المواعيد والكلام في المجالس المعدة لذلك واشتهر اسمه وطار صيته وكان غالبا لا يقرأ إلا من كتاب مع نغمة طيبة وأداء صحيح وكان يقرأ صحيح البخاري في شهر رمضان

---

(١) شذرات الذهب – ابن العماد، ٣٥٥/٦

في عدة أماكن إلى أن مات فجأة في الثاني من ذي القعدة بعد أن عمل يوم موته الميعاد في موضعين وقد جاوز الثمانين وترك أولادا أحدهم شيخ يقرب من الستين وفيها زين الدين عبد الخلاق بن أحمد بن الفرزان الحنبلي الشيخ الإمام." (١)

" ابن الحنفية عن سبعين سنة إلا سنة وكان جمع له بين الإسم والكنية ترخيصا من النبي صلى الله عليه وسلم له قال لعلى سيولد لك غلام بعدي وقد نحلته اسمى وكنيتي ولا يحل لأحد من أمتي بعده وللعلماء في هذا تنازع وكان ابن الحنفية نهاية في العلم غاية في العبادة وتوقف عن حمل راية أبيه يوم الجمل وقال هذه مصيبة عمياء فقال له أبوه ثكلتك أمك أتكون عمياء وأبوك قائدها وروى نحو هذا في يوم صفين عنه وقيل له كيف كان أبوك يقحمك المهالك دون أخويك فقال كانا عينيه وكنت يده فكان يتقى عن عينيه بيده وكان شديد القوة قيل استطال أبوه درعا فقطعه من الموضع الذي علم له قيل ان ملك الروم وجه إلى معاوية رجلين أحدهما جسيم طويل والآخر قوى فقال عمرو بن العاص لمعاوية أما الطويل فعندنا كفؤه وهو قيس بن سعد بن عبادة ورأيك في الآخر فقال معاوية ههنا رجلان محمد ابن الحنفية وعبد الله بن الزبير ومحمد هو اقرب الينا على كل حال فلما حضروا نزع قيس سراويله ورماها إلى العلج فبلغت ثندوته فاطرق العلج مغلوبا وقيل لاموا قيسا على خلع سراويله في المجلس فقال

(أردت لكيما يعلم القوم أنها ** سراويل قيس والوفود شهود)

(وأن لا يقولوا غاب قيس وهذه ** سراويل عادي نمته ثمود)

وقال محمد بن الحنفية قولوا للعلج أن شاء جلس وأقمته كرها بيدي أو يقعدني وإن شاء فليكن هو القائم وأنا القاعد فاختار الرومي الجلوس فأقامه محمد وعجز هو عن إقعاده ثم اختار أن يقعد فعجز الرومي عن أقامته فانصرفا مغلوبين وعند الكيسانية أن ابن الحنفية لم يمت وأنه المهدي الذي يخرج في آخر الزمان وفي ذلك يقول كثيرة عزة

(ألا أن الأئمة من قريش ** ولاة الحق أربعة سواء)

(على والثلاثة من بنيه ** هم الأسباط بهم خفاء)

". (٢)

"

عقيل الأصبهانية سمعت من ابن ريذة معجمي الطبراني سنة خمس وثلاثين وعاشت تسعا وتسعين سنة وتوفيت في شعبان

وفيها أبو الأعز قراتكين بن الأسعد الأزجي روى عن الجوهري وجماعة وكان عاميا توفي في رجب ببغداد

وفيها أبو عامر العبدوي محمد بن سعدون بن مرجا الميورقي الحافظ الفقيه الظاهري نزيل بغداد أدرك أبا عبد الله البانياسي والحميدي وهذه الطبقة قال ابن عساكر كان فقيها على مذهب داود وكان أحفظ شيخ لقيته

---

(١) شذرات الذهب – ابن العماد، ٢٦١/٧

(٢) شذرات الذهب في أخبار من ذهب . مفهرس، ٨٩/١

وقال القاضي أبو بكر بن العربي هو أنبل من لقيته وقال ابن ناصر كان فهما عالما متعففا مع فقره وقال السلفي كان من أعيان علماء الإسلام متصرفا في فنون من العلوم وقال ابن عساكر بلغني أنه قال أهل البدع يحتجون بقوله ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ أي في الآلهية فأما في الصورة فمثلنا ثم يحتج بقوله ﴿ لستن كأحد من النساء إن اتقيتن ﴾ أي في الحرمة وقال ابن ناصر الدين كان من أعيان الحفاظ لكن تكلم في مذهبه في القرآن ابن ناصر وحط عليه بما لا يثبت عنه ابن عساكر

وفيها محمد بن عبد الله بن تومرت المصمودي البربري المدعي أنه علوي حسني وأنه المهدي رحل إلى المشرق ولقي الغزالي وطائفة وحصل فنونا من العلم والأصول والكلام وكان رجلا ورعا ساكنا ناسكا في الجملة زاهدا متقشفا شجاعا جلدا عاقلا عميق الفكر بعيد الغور فصيحا مهيبا لذته في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد ولكن جره أقدامه وجرأته على حب الرياسة والظهور وارتكاب المحظور ودعوى الكذب والزور من أنه حسني وهو هرغي بربري وأنه معصوم وهو بالإجماع مخصوم فبدأ أولا في الإنكار بمكة فآذوه فقدم مصر وأنكر فطردوه فأقام بالثغر مدة فنفوه وركب البحر فشرع ينكر على أهل المركب

---

(١) ".

"

السلف ينافرون الكلام و أهله ولما كثرت أصحابه أخذ يذكر المهدي ويشوق إليه ويروي الأحاديث التي وردت فيه فتلهفوا على لقائه ثم روى ظمأهم وقال أنا هو وساق لهم نسبا ادعاه وصرح بالعصمة وكان على طريقة مثلى لا تنكر معها العصمة فبادروا إلى متابعته وصنف لهم مصنفات مختصرات وقوى أمره في سنة خمس عشرة وخمسمائة فلما كان في سبع عشرة جهز عسكرا من المصامدة أكثرهم من أهل تينمل والسوس وقال اقصدوا هؤلاء المارقين المرابطين فادعوهم إلى إزالة البدع والإقرار بالإمام المعصوم فإن أجابوكم وألا فقاتلوهم وقدم عليهم عبد المؤمن فالتقاهم الزبير ولد أمير المسلمين فانهزمت المصادمة ونجا عبد المؤمن ثم التقوهم مرة أخرى فنصرت المصامدة واستفحل أمرهم وأخذوا في شن الإغارات على بلاد ابن تاشفين وكثر الداخلون في دعوتهم وانضم إليهم كل مفسد ومريب واتسعت عليهم الدنيا وابن تومرت في ذلك كله لون واحد من الزهد والتقلل والعبادة وإقامة السنن والشعائر لولا ما أفسد القضية بالقول بنفي الصفات كالمعتزلة وبأنه المهدي وبتسرعه في الدماء وكان ربما كاشف أصحابه ووعدهم بأمور فتوافق فيفتنون به وكان كهلا أسمر عظيم الهامة ربعة حديد النظر مهيبا طويل الصمت حسن الخشوع والسمت وقبره مشهور معظم ولم يملك شيئا من المدائن إنما مهد الأمور وقرر القواعد فبغته الموت وكانت الفتوحات والممالك لعبد المؤمن

قاله في العبر

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب . مفهرس، ٤/ ٧٠

وفيها الآمر بأحكام الله أبو علي منصور بن المستعلى بالله أحمد بن المستنصر بالله معد بن الظاهر بن الحاكم العبيدي الرافضي صاحب مصر كان فاسقا مشتهرا ظالما امتدت دولته ولما كبر وتمكن قتل وزيره الأفضل وأقام في الوزارة البطائحي المأمون ثم صادره وقتله ولى الخلافة سنة خمس وتسعين وهو ابن خمس سنين فانظر إلى هذه الخلافة الباطلة من وجوه أحدها السن الثاني عدم النسب فإن جدهم دعى في بني فاطمة بلا خلاف الثالث أنهم خوارج

" (١).

" يوسف بن تقي الدين أحمد بن العز إبراهيم بن الخطيب شرف الدين عبد الله بن الشيخ أبي عمر المقدسي الحنبلي أخو مسند عصره صلاح الدين الصالحي إمام مدرسة جده الشيخ أبي عمر سمع من الحجار وغيره ومهر في مذهبه وكان فاضلا جيد الذهن صحيح الفهم معروفا بذلك أثنى عليه ابن حجي بذلك وقال ابن حجر مهر في مذهبه وكان يعاب بفتواه بمسئلة الطلاق البتة أجاز لي انتهى توفي يوم الأحد ثامن عشر رمضان وصلى عليه من الغد ودفن بمقبرة جده أبي عمر سنة تسع وتسعين وسبعمائة

فيها وصلت كتب من جهة تمرلنك فعوقب رسله بالشام وأرسلت الكتب التي معهم إلى القاهرة ومضمونها التحريض على إرسال قريبه اطلمش الذي أسره قرا يوسف فأمر السلطان أطلمش المذكور أن يكتب إلى قريبه كتابا يعرفه فيه ما هو عليه من الخير والإحسان بالديار المصرية وأرسل السلطان ذلك مع أجوبته ومضمونها أنك إذا أطلقت الذين عندك من جهتي أطلقت من عندي من جهتك والسلام

وفيها توفي إبراهيم بن عبد الله الحلبي الصوفي الملقن قدم دمشق وهو كبير وأقرأ القرآن بالجامع وصارت له جماعة مشهورة ويقال أنه قرأ عليه أكثر من ألف نفس اسمه محمد خاصة وكان الفتوح يأتيه فيفرقه في أهل حلقته وكان أول من يدخل الجامع وآخر من يخرج منه واستسقوا به مرة بدمشق وكان شيخا طوالا كامل البنية وافر الهمة كثير الأكل مات في شعبان عن مائة وعشرين سنة وكانت جنازته حافلة جدا وفيها إبراهيم بن عبد الله وسماه الغساني في تاريخه حسن بن عبد الله قال الغساني المذكور حسن بن عبد الله الأخلاطي الحسيني كان منقطعا في منزله ويقال أنه كان يصنع اللازورد ويعرف الكيمياء واشتهر بذلك وكان يعيش عيش الملوك ولا يتردد لأحد وكان ينسب إلى الرفض لأنه كان لا يصلي الجمعة ويدعى من يتبعه أنه المهدي وكان أول أمره قدم حلب أي من بلاد العجم التي نشأ

" (٢).

" من واحد وبأعلى جبل منها سهلة بها مزدرع وعيون ماء وكروم وأقوام في غاية المنعة والقوة من التجأ إليهم أمن ولو حاربه السلطان فمن دونه فنزل الفرياني عندهم وادعى أنه المهدي وقيل ادعى أنه القحطاني وراج أمره هناك وكان قدم

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب . مفهرس، ٤/٧٢

(٢) شذرات الذهب في أخبار من ذهب . مفهرس، ٦/٣٥٦

القاهرة وأكثر التردد إلى المقريزي وواظب الجولان في قرى الريف الأدنى يعمل المواعيد ويذكر الناس وكان يستحضر كثيرا من التواريخ والأخبار الماضية ويدعي معرفة الحديث النبوي ورجاله وتحول عن مذهب مالك وادعى أنه يقلد الشافعي وولي قضاء نابلس إلى أن ظهر منه ما ظهر

وفيها شهاب الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم الفيشي بالفاء والشين المعجمة بينهما تحتية مثناة الحنائي بكسر المهملة وتشديد النون مع المد النحوي المالكي ولد في شعبان سنة ثلاث وستين وسبعمائة قال ابن حجر سمع من جماعة قبلنا وسمع معنا من شيوخنا وقرأ بنفسه وطلب وولي نيابة الحكم ودرس في أماكن وكان من الصوفية البيبرسية وكان وقورا ماكنا قليل الكلام كثير الفضل انتفع به جماعة في العربية وغيرها وقال السيوطي ألف في النحو وسمع منه صاحبنا ابن فهد وتوفي ليلة ثامن عشر جمادى الأولى

وفيها زين الدين عبد الرحيم بن علي الحموي الواعظ المعروف بابن الآدمي قال ابن حجر تعانى عمل المواعيد فبرع فيها واشتهر وأثرى وقدم القاهرة بعد اللنكية فاستوطنها إلى أن مات وولي في غضون ذلك خطابة المسجد الأقصى ثم صرف واستمر في عمل المواعيد والكلام في المجالس المعدة لذلك واشتهر اسمه وطار صيته وكان غالبا لا يقرأ إلا من كتاب مع نغمة طيبة وأداء صحيح وكان يقرأ صحيح البخاري في شهر رمضان في عدة أماكن إلى أن مات فجأة في الثاني من ذي القعدة بعد أن عمل يوم موته الميعاد في موضعين وقد جاوز الثمانين وترك أولادا أحدهم شيخ يقرب من الستين

وفيها زين الدين عبد الخلاق بن أحمد بن الفرزان الحنبلي الشيخ الإمام

---

(١) ".

"٢- ضم اليمن : يدخل ضم اليمن المخطط النوري الهادف إلى توحيد جبهة إسلامية واحدة لمقاومة الغزو الصليبي (١) وقد حققت سياسة صلاح الدين في ضم اليمن إلى :

أ- التضييق على أنصار الفاطميين وبخاصة أن والي اليمن عبد النبي بن مهدي كان شيعيا رافضيا ينتمي إلى خليفة مصر الفاطمي.

ب- استطاع صلاح الدين تأمين حدود مصر الجنوبية، لأن ضم اليمن، الذي يعد مفتاح البحر الأحمر من ناحية الجنوب، يؤمن له السيطرة العسكرية والتجارية على الأقاليم الجنوبية ويبعد احتمال حدوث تقارب بين الصليبيين الذين يتطلعون للسيطرة على البحر الأحمر وبين الحبشة التي تدين بالديانة النصرانية، حتى لا يقع بين فكي الكماشة الصليبية على سواحل البحر المتوسط في الشمال، والأحباش على سواحل البحر الأحمر في الجنوب.

ج- كانت اليمن آنذاك تمر بمرحلة عدم استقرار تتنازعها الأهواء السياسية والدينينة والمذهبية وبخاصة بين زبيد وصنعاء، كما ظهر دعي زعم أنه المهدي المنتظر هو عبدالنبي بن مهدي وتغلب على اليمن، وخطب لنفسه بعد أن قطع الخطبة للعباسيين، وتسمى بالإمام، وبنى على قبر أبيه قبة عظيمة، وأمر أهل اليمن بالحج إليها ومنعهم من الحج إلى مكة.

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب . مفهرس، ٢٦٢/٧

(١) تاريخ اليمن الإسلامي د.محمد عبده السروري ص ٢١١.." (١)

"الشيخ أبو الغيث المعروف بالقشاش المغربي التونسي الأستاذ العالم الولي الرحلة الكبير القدر قطب الأقطاب ولسان الحضرة المتصرف في الأسماء والحروف الكامل في الخلائق والنعوت كان آية من آيات الله تعالى الباهرة رحلة تتعنى إليه الوفود وتستسقى من بحر كرمه العطاش وله الجلالة التي ما رزقها أحد والكرامات التي ما نالها واحد من الخليفة ومآثره وصفاته الحسنة وأحواله العجيبة الغريبة مما لا يحيط بها وصف واصف ولا مدح مادح ولم أر من ذكره إلا ابن نوعي في ذيله التركي فجميع ما تراه إلا القليل مما ذكرته في ترجمته مترجم مما قاله في حقه فأقول أنه ولد بمدينة تونس وساح في ابتداء حاله لتحصيل العلم والأدب فأخذ عن علماء عصره الفنون المتداولة حتى مهر في علم التفسير والحديث والأصول والفروع وأحاط بها وصار في علم الأدب شيخ الفن ثم حصل له جذب الهي فساح في اطراف الجبل المعروف بجبل الزعفران وانتهى إلى خدمة الشيخ محمد الجديدي وكان من كبار أهل الأرشاد فحصل من تلمذته على فيوضات عجيبة فلما انتقل شيخه المذكور بالوفاة إلى رحمة الله تعالى أتى بنية الحج إلى وطنه تونس وجمع جملة من المريدين الصلحاء وأقام هو واياهم يقريهم تارة أنواع العلوم وتارة يذكرهو واياهم ويتواجدون معه وكان أكثر لياليه يحييها هو وأياهم في ذكر وتسبيح وكان إذ ذاك حسن الملبس فهبت عليه نفحة من صوب الفناء فمزق ما عليه من الثياب وتجرد وخرج منفردا بنية أداء الحج فأداه وجاور بالمدينة مقدار سنة ثم لبس ثيابا خشنة وقفل إلى وطنه وأقام مدة قليلة مشتغلا بإفادة العلوم والعبادة ثم تغيرت أطواره وظهرت منه حركات متغيرة وكلمات متنافية فكان تارة يقول أنه المهدي صاحب الزمان وتارة يدعى الأخبار عن الغيب فيبسط مدعاه في الحوادث الآتية ويخرج في ذلك عن طور العقل فتبعه خلق كثير وقاموا بنصرته وترويج مدعاه وأفضى تشعب الأمر فيه أن اجتمعت علماء البلد واتفقوا على ايقاع أمر به يمنعه عما هو فيه فذهبوا إلى حاكم تونس رمضان باشا وطلبوا منه احضاره ليقيموا عليه بمحضر من القاضي دعوى بما أبرموا أمرهم عليه فتكررا حاره إلى مجلس الحاكم المذكور وقاضي البلد وتكرر منهم السكوت وعدم النطق مهابة منه حتى أدى أمر الجميع إلى تركه وما يصنع رأسا فبقي متلون الأحوال ينتقل من طور إلى طور فتارة يلبس عمامة العلماء الكبار ولباسهم ويعقد حلقة درس يفيد فيها الطلاب وتارة يسوح في الجبال عريانا مغلوب الحيرة في زي المجانين إلى أن ترك التلون واختار السكون والتمكن وأنشأ جامعا وخانقاه وتكية واشتهر بأنه ممن ينفق من الغيب أو من صنعة الكيميا ثم ترقي به الحال إلى أن أنشأ اثنين وثلاثين موضعا زوايا ومساجد وجوامع وبني مالا يعد من المدارس الرفيعة والقناطر المنيعة ووقف على كل أثر منها أوقافا عظيمة وعين للمقيمين والمسافرين نفقات وكان يبذل في فكاك أسرى المسلمين أموالا كثيرة وكان في شهر رجب وشعبان ورمضان يعقد مجلسا لقراءة التفسير والبخاري وكان يميل إلى تحصيل نسخ متعددة من البخاري وكان من ملتزماته أنه لا يقبل هدية من أحد إلا إذا أهدى له البخاري فكان يقبله ويقابل مهديه بأنواع الأحسان وجمع من نفائس الكتب مالا يعد ولا يحصى ومن جملة ما وجد في خزانة كتبه ألف نسخة من البخاري وقس عليه الباقي وكان مفرط السخاء مبذول العطاء وأكثر ما كان ينفق ماله على أسرى المسلمين حكى أنه

(١) صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس، ٢٩٣/١

أوصى يوما خدامه أن يجلبوا له ما يكفي كسوة سبعمائة نفس من ثوب وقميص وشاش وحزام وتاسومة متثلوا وصيته وأحضروا ذلك ولم يدروا السر في ذلك فما تم جمع ما طلب إلا وصل الخبر أن ثلاث غلايين من غلايين الفرنج قد انكسرت في قرب ساحل تونس وفيها سبعمائة أسير من المسلمين فخلصوا جميعا وأحضروا إلى زاوية الشيخ فألبسهم ما أعد لهم من اللباس وأكرمهم وحياهم وحكى أن رجلا من الجند مر ليلة بمحل في نواحي تونس فرأى حجر عظيما قد ارتفع وانفتحت تحته مغارة فرأى المغارة ملآنة بالذهب المسكوك فدخلها وملأ جيبه وذيله منها فلما أراد الخروج رأى الباب قد انسد فذهب عقله ثم وضع الدنانير التي أخذها مكانها وتوجه نحو الباب فرآه مفتوحا فكرر الأخذ وتكرر انسداد الباب فعند ذلك قنع بالتفرج وخرج ثم بعد أيام مر بذلك المحل فرأى رجلا قد دخل وعبي عيبة معه من ذلك الذهب وخرج ثم حمله على بغل كان." (١)

"الهمة ولثالث والرابع إلى الثاني عشر وذكرها له ثلاثة شروط الأول كتمانه عن شائر الناس الثاني الطهارة في الحس بالوضوء أو الغسل ولمعني بالأخلاق الحسنة النافية للأخلاق السيئة الثالث المداومة عليها في كل حالوعدم المبالاة تبتيلا وقال تعالى وذكر اسمربه فصلى وإن أراد السالك أن يسرع إليه الخير فليلزم الذكر وليخلص فيه اخلاصا يحقر السرى في عينه كأنه باق على عدميته الأصلية وهو كذلك فلا وجود لشئ مع الحق جل وعلاة ولثالث والرابع إلى الثاني عشر وذكرها له ثلاثة شروط الأول كتمانه عن شائر الناس الثاني الطهارة في الحس بالوضوء أو الغسل ولمعني بالأخلاق الحسنة النافية للأخلاق السيئة الثالث المداومة عليها في كل حالوعدم المبالاة تبتيلا وقال تعالى وذكر اسمربه فصلى وإن أراد السالك أن يسرع إليه الخير فليلزم الذكر وليخلص فيه اخلاصا يحقر السرى في عينه كأنه باق على عدميته الأصلية وهو كذلك فلا وجود لشئ مع الحق جل وعلا أحمد بن علي المحيرثي نسبة إلى المحيرث كدريهم مصغرا بلدة من بلاد كوكبان ذكره ابن أبي الرجال في تاريخه وقال في ترجمته كان من نوادر الزمان نبيها زكيا أحاط بعلوم جمة وتمكن من قواعد المذهب ثم قرأ أكتب الحنفية وولى القضاء للأروام بصنعاء وقضى بمذهبهم وكان في علوم المعقول والأدوات نسيج وحده وكان يقضي للأروام بلغتهم وللفارسيين بلغتهم وللعرب بلغتهم وكان من أعيان الزيدية قرأ على المفتي وغيره منهم ثم أخلط في آخر عمره قال حكى بعض الشافعية اختلط صاحب الترجمة لجودة ذكائه وأحرقت الألمعية عقله وكان يذكر أنه المهدي المنتظر ومن أرجوزة له إلى السيد احمد بن الإمام القاسم ولد أخيه الحسين قال فيها

من الإمام المهدي المرتضى للرشد ... إلى المليك أحمد ثم الحسين الأرشد

إلى آخرها وتارة يقول أنه الدابة التي تكلم الناس وله أجوبة مسكتة وأشعار فائقة في ضبط العلوم ومن شعره قوله

قاضي الجمال أتى يجر ذيوله ... كالغصن حركه النسيم الساري

لبس السواد فعاد بدرا في الدجى ... لبس البياض فكان شمس نهار

قالت رياض الحسن هذا مالكي ... قد أقرأ الحنفي في الأزهار

---

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ٨٩/١

ثم دخل مكة فاشتغل به العلماء هنالك وكان مكي فروخ الحنفي على جلاله قدره يجذمه للطهور وكانت وفاته بمكة في افراد سنة خمسين وألف." (١)

"محمد بن علوي بن محمد بن أبي بكر بن علوي بن أحمد بن أبي بكر بن الشيخ عبد الرحمن السقاف نزيل الحرمين نادرة الزمان وعلم العلماء ذكره الشلي وقال في ترجمته ولد ببندر الشحر وحفظ القرآن ولازم قراءته وصحب العلماء فأول من صحبه الإمام العارف بالله ناصر الدين بن أحمد بن الشيخ أبي بكر بن سالم وتربى في حجره وأخذ التصوف والفقه عن الفقيه السيد عمر باعمر ثم رحل إلى مدينة الأشراف تريم وأخذ عن شمس الشموس زين العابدين ابن علي بن عبد الله العيدروس وعن السيد الجليل عبد الرحمن بن عقيل وعن السيد الكبير أحمد بن حسين العيدروس والعارف بالله عبد الله بن أحمد العيدروس والعارف بالله تعالى زين بن حسين بأفضل وغيرهم وأمره شيخه السيد عبد الرحمن بن عقيل بالخلوة في زاوية مسجد الشيخ على أربعين ففعل وحصل له الفتح وظهرت له أمور ثم رحل إلى قرية السادات المشهورة بعينات فأخذ عن أمامها المقدم الشيخ الحسين بن أبي بكر بن سالم وعن وعن أخويه الحامد والحسن وغيرهم من السادة وأخذ عن الشيخ العرف الأديب الإمام حسن بن أحمد باشعيب الأنصاري ورحل إلى الهند وأخذ عن الشيخين السيدين الجليلين عبد القادر بن شيخ بن عبد الله ومحمد بن عبد الله العيدروسين وأمره الشيخ عبد القادر بالرحلة إلى الشيخ الولي السيد عبد الله بن علي فرحل إليه وهو بالقرية الشهيرة بالوهط ولازم صحبته وألبسه الخرقة وحكمه وأمره بالحج سنة تسع عشرة وألف فحج حجة الإسلام وزار جده رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عاد إلى شيخه وقد أجزل من الفضل فأقبل عليه وزوجه ابنته ثم انتقل شيخه في سنة تسع وثلاثين وألف فحج عن شيخه حجة الإسلام ثم رجع إلى وهط اليمن وأراد أن يجعلها محلا للوطن فلم تطب له فرجع إلى وطنه بندر الشحر وكان في غاية الخمول ويخفى حاله فما مضى عليه زمن إلا حصل له ظهور عجيب وظهرت منه خوارق واشتهر في جميع تلك البلدان وقصده الناس ثم قصد قطر الحجاز وتوطن به واعتقده أهله وانعقد على ولايته الإجماع وكان ملجأ للوافدين قال الشلي وهو من أجل مشايخي في علم الحقيقة أخذ عنه الطريقة ولبس منه الخرقة كثيرون وأما كرمه وإيثاره فكان غاية لا يدرك وله كرامات منها استقامته على طريقة واحدة يواظب على الجمعة والجماعة ولا يمضى عليه ساعة إلا وهو مشتغل بطاعة ومنها أن الدنيا لا تذكر بحضرته ولا الغيبة ولا النميمة ومنها أن من رآه ذكر الله تعالى ومن شاهده ذهل عن الدنيا والآخرة ومنها أنه ما دعا لأحد من أصحابه إلا استجيب دعاؤه ومنها أني أول ملاقاتي له خطر بالبال أن يلقنني الذكر فما استمر خاطري إلا وقد نظر إلي وأقبل بوجهه علي ولقنني الذكر الذي خطر لي وله كرامات غير ما ذكر وعلى الجملة فهو بقية السلف وكانت وفاته بمكة بعد صلاة الجمعة لأربع عشرة خلت من شهر ربيع الثاني سنة إحدى وسبعين وألف وحضر جنازته سلطان مكة فمن دونه ودفن شروق يوم السبت بمقبرة المعلاة وعمل على قبره تابوت عظيم وهو بقرب قبر أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها.

محمد بن علي بن أبي بكر بن عبد الرحمن السقاف الحضرمي كان من كبار العلماء له مناقب مأثورة ومآثر مشهورة قال الشلي ولد بمدينة تريم وحفظ القرآن وأخذ عن والده الشيخ على ولازمه حتى تخرج به وصحب جماعة من العارفين وسمع

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ١٥٧/١

الحديث ولبس الخرقة من والده وغيره وحكمه والده وأجازه بالإلباس والتحكيم ولزم الطاعة وكان والده يثني عليه كثيرا ولما ولد رأى والده وغيره في جهته آية الكرسي واعتقد بعض جهلة العوام أنه المهدي المنتظر وكانت وفاته في سنة اثنتين بعد الألف بمدينة تريم ودفن بها.." (١)

"– منذ خمسين سنة – رحمهم الله – فبت محروما من السرور المنبثق من الاخوة الودودة والشفقة العطوفة في مجالسة أولئك الأعزاء المتقين العلماء... وعوضا عن كل ذلك

وقد أحسن الرحيم سبحانه وتعالى علي، الوفا من الوالدات اللائي يستفدن من رسائل النور استفادة تفوق المعتاد ويتذوقن منها أذواقا روحية..

وأحسن المولى الكريم علي بالألوف من السيدات والشابات، وجعلهن سبحانه وتعالى في موضع أخوات لي، فاستفيد من دعواتهن وتعلقهن برسائل النور ألوفا من الفوائد والثمرات المعنوية والمسرات الروحية...

وأحسن سبحانه وتعالى برحمته علي بمئات الألوف من الأخوة الحقيقيين المضحين في خدمة رسائل النور...

وأنعم سبحانه وتعالى علي بمئات الألوف من الأولاد الأبرياء، من حيث استفادتهم من رسائل النور مستقبلا..(١)

نسبه:(٢)

قال الخبراء في محكمة "دنيزلى"..: لو ادعى سعيد النورسي أنه المهدي فإن جميع طلابه يصدقونه برحابة صدر. وأنا قد قلت لهم في المحكمة:

---

(١) الملاحق – اميرداغ ٢/ ٣٩٧

(٢) ينقل شهود كثيرون أن الأستاذ النورسي كان قد ذكر في مجالسه الخاصة: أن نسبه ينتهي من جهة الأب إلى الإمام الحسن ومن جهة الأم إلى الإمام الحسين رضي الله عنهما إلا أنه لم يصرح بذلك في رسائله حفاظا على الإخلاص وتجنبا عن إحراز مقام معنوي في نظر الناس.

فمثلا: "يا أخي إن المنتسب إلى سيدنا علي رضي الله عنه هو أنا، فما أتاني من شيء إلا من سبيله..". Son ahitler ١ /٢٤٠

ومثلا: "يا أخي صالح إنك سيد – من أهل البيت – حقا، ونورية كذلك سيدة، ومرزا أيضا سيد". Son ahitler ٣ /٢٠١

ومثلا: "إنني سيد – من أهل البيت – ولكن إحذر أن تذكر هذا لأحد، فوالدتي حسينية ، ووالدي حسني". Son ahitler٣ /٢٣٨." (٢)

---

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ٢/٤٥٤

(٢) رسائل عن النورسية، ٤/٧

" المدعى أنه علوي حسنى وأنه المهدي رحل إلى المشرق ولقى الغزالى وطائفة وحصل فنأ من العلم والأصول والكلام وكان رجلا ورعا ساكنا ناسكا في الجملة زاهدا متقشفا شجاعا جلدا عاقلا عميق الفكر بعيد الغور فصيحا مهيبا لذته في الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والجهاد ولكن جره إقدامه وجرأته إلى حب الرئاسة والظهور وارتكاب المحظور ودعوى الكذب والزور من أنه حسنى وهو هرغى بربري وأنه إمام معصوم وهو بالإجماع مخصوم فبدأ أولا بالإنكار بمكة فآذوه فقدم مصر وأنكر فطردوه فأقام بالثغر مدة فنفوه وركب البحر فشرع ينكر على أهل المركب ويأمر وينهى ويلزمهم بالصلاة وكان مهيبا وقورا بزيق الفقر فنزل بالمهدية في غرفة فكان لا يرى منكرا أو لهوا إلا غيره بيده ولسانه فاشتهر وصار له زبون وشباب يقرأون عليه في الأصول فطلبه أمير البلد يحيى بن باديس وجلس له فلما رآى حسن سمته (٥٣ آ) وسمع

". (١)

" لقائه ثم روى ظمأهم وقال أنا هو وساق لهم نسبا ادعاه وصرح بالعصمة وكان على طريقة مثلى لا ينكر معها العصمة فبادروا إلى متابعته وصنف لهم تصانيف مختصرات وقوى أمره في سنة خمس عشرة وخمس مئة فلما كان في سنة سبع عشرة جهز عسكرا من المصامدة أكثرهم من أهل تينمل والسوس وقال اقصدوا هؤلاء المارقين من المرابطين فادعوهم إلى إزالة البدع والإقرار بالإمام المعصوم فإن أجابوكم وإلا فقاتلوهم وقدم عليهم عبد المؤمن فالتقاهم الزبير ولد أمير المسلمين فانهزمت المصامدة ونجا عبد المؤمن ثم التقوهم مرة أخرى فنصرت المصامدة واستفحل أمرهم وأخذوا في شن الإغارات على بلاد ابن تاشفين وكثر الداخلو دعوتهم وانضم إليهم كل مفسد ومريب واتسعت عليهم الدنيا وابن تومرت في ذلك كله لون واحد من الزهد والتقلل والعبادة وإقامة السنن والشعائر لولا ما أفسد القضية بالقول بنفى الصفات كالمعتزلة وبأنه المهدي وبتسرعه في الدماء وكان ربما كاشف أصحابه ووعدهم بأمور فتوافق فيفتنون به وكان كهلا أسمر عظيم الهامة

". (٢)

"هوامش على تاريخ الحجاج!!(١)

(الشبكة الإسلامية) د . عبد العظيم الديب

هناك شخصيات تكون على موعد مع القدر، تهيئها الأقدار لأداء أعمالٍ حاسمة وللقيام بجهود خارقة، تترك أثرًا يملأ سمع الدنيا إلى الأبد، ومن هؤلاء الحجاج بن يوسف الثقفي رحمه الله، ومثل هؤلاء دائمًا يختلف الناس في تقييمهم، وقد اختلف الناس في الحجاج اختلافًا عظيمًا، فأعداؤه – وهم كُثر – قالوا فيه كل مَنْقصة، ووصموه بكل عيب، وبالغ من بالغ، حتى اخترعوا غرائب وعجائب – تصل إلى حد الخرافة – في نشأته ومولده.

(١) العبر في خبر من غبر، ٥٨/٤

(٢) العبر في خبر من غبر، ٦١/٤

ولا شك أنه كان بالحجاج قسوة وبطش، يجعله ذلك يميل إلى توقيع أقصى العقوبة وأبلغها، ولا يميل قيد شعرة إلى اللين.
هذا القدر من أخبار الحجاج متفقٌ عليه بين كل من تكلَّم عنه من مادحٍ وقادحٍ.
ولكن هناك عدة أمور أدت إلى هذه الصورة المستبشعة عن الحجاج، وهي:
١- المبالغة : وذلك أمرٌ فطريٌ، فما عُرف أحد بصفة، واشتهر بها حتى رويت عنه حكايات تبالغ في هذه الصفة، حتى تخرج بها عن حدِّ المعقول، ولا يكون ذلك فيمن عرف بصفة مذمومة فقط، بل من عُرف بصفة ممدوحة أيضًا، فمن عرف بصفة الكرم أو الشجاعة أو التقوى والصلاح، ونحوه، تجد في تاريخه حكايات وأخبارًا من المبالغات تصل إلى حدِّ اختراع وقائع لا يقبلها عقل عاقل.
٢- إن هذه المبالغات تكون أكثر شيوعًا وذيوعًا من الحقائق، وذلك أيضًا أمرٌ فطري، فالناس مولعون برواية العجائب والغرائب، نبه إلى ذلك ابن خلدون، وحذّر منه، نص على ذلك في مقدمته؛ وذلك لأن رواية الأحداث والوقائع المعقولة والممكنة لا يهزَّ السامع، ولا يلفت الناس إلى من يحكي، فاحتاج الإخباريون إلى المبالغة، قصدًا للإثارة وجلبًا للسامعين.
٣- وما عُرف به الحجاج واستقر عنه من القسوة والبطش، والبعد عن اللين، جعل لهذه الحكايات قبولاً "فالشيء من معدنه لا يُستغرب". ولذلك راجت هذه المبالغات حتى عند علماء كرام، وأئمة عظام، من شأنهم أن ينقدوا الأخبار، وينظروا في سندها ومتنها.
٤- ساعد أيضًا على قبول هذه الأخبار ما هو مركوز في طبع البشر من الكراهية والبغض للقسوة والبطش، فلم يلتفتوا لنقد هذه الأخبار، بل قبلوها على علاَّتها؛ حيث تُشبع عاطفتهم وترضي مشاعرهم تجاه الحجاج .
٥- كثرة أعداء الحجاج: فما من أحدٍ - فيما أعتقد - حارب كل الطوائف والفرق مثلما فعل الحجاج. لقد حارب الحجاج - من أجل وحدة الأمة - كل الأطياف السياسية (بلغة العصر): حارب الحجاج الخوارج، وحارب السبئيين، وحارب الباطنية، وحارب الزبيريين، وحارب الطامحين الذين رأوْا الفتن تنشب هنا وهناك؛ فسوّلت لهم أنفسهم أن يتطاولوا للخلافة، ولو أدى ذلك إلى تمزيق الأمة، إلى دويلات مادامو ينالون حكم جزءٍ منها.
٦- من أجل هذه العداوة الشاملة للحجاج جاءت الأخبار والمبالغات، بل والافتراءات ضده من كل الإخباريين، فلا تجد إخباريًّا أو مؤرخًا إلا وله ثأر عند الحجاج.
٧- وظل هذا الطوفان من أخبار الحجاج يزداد، ويربو حتى حجب كل فضائل الحجاج ومآثره، سواء فضائله الشخصية أو أعماله ومآثره في غير مجال الحرب، وعن هذا وجدنا إمامًا جليلاً مثل الإمام الذهبي يقول في ترجمته: "وله حسناتٌ ولكنها مغمورة في بحر ذنوبه".
ولكن مع كل هذا يبقى عِلم أسلافنا الأولين أفضل وأقوم، فهو بين أيدينا بسنده، نعرف رواته، ونعرف الذين دوّنوه، فنستطيع - بشيء من الجهد - أن نصل - إلى حد كبير - إلى التمييز بين الصحيح والسقيم من الروايات، ونتحفظ على أهواء المؤرخين وانحيازهم.
ولكن الذي لا علاج له، أن يصل قلم أديب من أبناء عصرنا إلى أن يفسِّر أعمال الحجاج وقسوته مع ابن الزبير بأنه كان يسعى لمجد نفسه، وليرفع خسيسة أصله، ولينجو من وضاعته؛ حتى يصير جديرًا بإمارة من إمارات الدولة.

يفسِّر عمل الحجاج بهذا التفسير، فيتدسس إلى نفسه، ويصل إلى طويّته، ويدخل إلى قلبه، ويكشف نيته، ويصوّره بهذا السوء، ويعرضه على عامة الناس مجسَّدًا في شخص ممثل قدير، يؤكد هذه المعاني بملامح وجهه، وحركات يديه، ونظرات عينيه؛ فيرى الناس خبث الحجاج مجسدًا مشهودًا ناطقًا، لا يعنيه في سبيل الحصول على إمارة العراق أن يقتل ابن الزبير ومن معه، وأن يرمي البيت الحرام بالمنجنيق!!

ومتى يحدث هذا؟ في فجر الإسلام!! في خير القرون، في عصر الصحابة والتابعين.

إذا كنا قد فعلنا بأنفسنا هذا مبكرًا، فلا حرج على (بوش) أن يفعله الآن ومن أجل إمارة العراق أيضًا.. يا لَلْمفارقة!!

التاريخ يقول غير هذا

أعني أن التاريخ الصحيح نقلاً وعقلاً لا يقول: إن الحجاج كان خبيث النية، سيئ الطوية، قتل الزبير ومن معه، وضرب الكعبة بالمنجنيق من أجل أن ينال ولاية العراق.

نعم؛ لا يقول بذلك العقلُ ولا النقل، بل واقع الأمر أن عبد الله بن الزبير – رَضي الله عنه وعن والديه – دعا لنفسه بالخلافة، فبايعه من بايعه، وقعد عنه من قعد، وعارضه وقاومه عبد الملك بن مروان، الذي استتب له الأمر في عامة أرجاء الدولة الإسلامية، فكان لابد أن يقاتل ابن الزبير بصفته خارجًا على خليفة المسلمين.

ولسنا هنا لتقييم موقف كلٍّ من عبد الملك بن مروان وعبد الله بن الزبير، ووزْن وتقدير حجج كل واحد منهما لنبين أيُّهما كان أحق بالخلافة.

وإن كان لابد أن نبادر – قبل أن يزايد علينا أحد – فنقول: إن فضل عبد الله بن الزبير لا يُجحد، ومنزلته لا تنكر، فهو أول مولودٍ للمسلمين في دار الهجرة، وقد فرح به المسلمون جميعًا، حيث قد أرجف اليهود بأنهم سحروا المسلمين حتى لا يُولد لهم ولد، وأبوه هو الزبير بن العوام، أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى، وحواري رسول الله صَلى الله عليه وسلم، وأحد أبطال الإسلام، وكانت آثار السيوف في جسده شاهدة ناطقة ببلائه أصدق البلاء في سبيل الله ، ذاك أبوه.

وأمه أسماء ذات النطاقين، حاملة الزاد يوم الهجرة والغار ، وجدّه أبو بكر الصديق ، وخالته عائشَة أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق.

ثم هو من العبَّاد الزهَّاد، المجاهدين الأبرار ، لا أحد يجادل في فضل ابن الزبير ومنزلته هذه قضية مفروغ منها. ولكن:

هل كان عبد الملك محقًّا في قتال ابن الزبير؟

أعود فأقول: لسنا هنا الآن – ولا نملك – الإجابة القاطعة لهذا السؤال. ولكن الذي نقطع به أن من قاتل ابن الزبير كان على أسوأ حالاته مأجورًا أجرًا واحدًا؛ بمعنى: أنه قاتله بنية المحافظة على جمع كلمة المسلمين، امتثالاً لأمر رسول الله صَلى الله عليه وسلم في حديثه الصحيح: "من أتاكم وأمركم جميع يريد أن يفرق كلمتكم، ويشق عصاكم، فاضربوه بالسيف كائنًا من كان". فالذين قاتلوا ابن الزبير قاتلوه بتأويل سائغ، وبنية صحيحة؛ فإن صدق اجتهادهم، فلهم أجران، وإن أخطئوا فلهم أجر واحد. هذا عن أصل القتال.

أما ما حدث من تجاوز وإسراف، فله حكم آخر.

عمرو بن الزبير يقاتل أخاه:

ويشهد لما قلناه من أن القضية كانت محتملة، وفيها مجال للاجتهاد، أن عمرو بن الزبير قاد أول جيش خرج من المدينة لقتال أخيه عبد الله بن الزبير. وذلك أنه عندما نجم أول أمر عبد الله بن الزبير بمكة، كان عمرو بن سعيد بن العاص واليًا على المدينة؛ فقال لعمرو بن الزبير – ويبدو أنه كان من خاصته – مَنْ رجلٌ نوجهه إلى قتال أخيك؟ فقال عمرو بن الزبير: إنك لن توجه إليه رجلاً أنكأ له مني، فوجهني إليه. فأخرج له من أهل الديوان عشرات، وخرج من موالي أهل المدينة ناسٌ كثير (...) فعسكر بظاهر المدينة يتهيأ للرحيل، فجاء مروان ابن الحكم إلى عمرو بن سعيد، فقال: لا تغز مكة، واتق الله، ولا تحل حرمة البيت، وخلّوا ابن الزبير، فقد كبر (...) والله لئن لم تقتلوه ليموتنَّ غدًا أو بعد غدٍ.

فقال عمرو بن الزبير: والله لنقاتلنَّه، ولنغزونَّه في جوف الكعبة على رغم أنف من رغم (...) فأرسل إلى أخيه عبد الله: برَّ يمين الخليفة، واجعل في عنقك جامعة، حتى لا يضرب الناس بعضُهم بعضًا، واتق الله، فإنك في بلد الله الحرام.

تأمل!! عمرو بن الزبير يقاتل أخاه!! ويقول له: اتق الله، ولا تفرق بين المسلمين!! ويقول لعمرو بن سعيد بن العاص الأموي: لن تجد أنكأ له مني!! ويقول لمروان حينما خوفه من القتال في الحرم: لنقاتلنَّه ولو في جوف الكعبة.

فالذين اتهموا الحجاج بفساد نيته، وأنه قاتل ابن الزبير، واستحل الحرم من أجل أن يكون أميرًا على العراق، هل يستطيع هؤلاء أن يقولوا ذلك عن عمرو بن الزبير؟ وقد فعل نفس ما فعله الحجاج!!

أجزم بأنهم لا يمكن أن يقولوا ذلك، لا تورّعًا عن اتهام عمرو بن الزبير في نيته فقط، بل لدليل قاطع لا يجدون له دفعًا، فقد ثبت أنه حين حضرت الصلاة قبل أن ينشب القتال بين ابني الزبير، حينما حضرت الصلاة تقدم عمرو بن الزبير فأم الناس، وصلى وراءه أخوه عبد الله ابن الزبير. فهل كان عمرو بن الزبير فاسد النية، يتوصل بالقتال في الحرم إلى الحظوة والمنزلة عند بني أمية؟؟

إن قلتم ذلك، فقد اتهمتهم عبد الله بن الزبير أيضًا، فكيف يصلي وراء فاسد النية الذي يبيع دينه بدنياه، كيف يصلي خلف من يقول: سنقاتله ولو في جوف الكعبة!!؟

قلتُ: لسنا هنا (الآن) للنصل بين ابن الزبير وعبد الملك في استحقاق الخلافة، ولا في الحكم على أعمال الحجاج وقتله وقتاله، ولكن كل همُّنا أولا: براءة الحجاج من فساد النية والاستهانة بحرم الله.

(لِمَ يَضْرب الكعبةَ بالمنجنيق؟)

صار كل من يكتب في التاريخ في عصرنا هذا يذكر ضرب الحجاج للكعبة بالمنجنيق، ويخرج هذا القول مخرج الخبر الثابت الذي لا شك فيه، ومن هنا لا يكلف نفسه بمناقشة الخبر، والنظر في صحته أو سقمه، بل صار هناك منهج عجيب، يجعل شيوع الخبر على ألسنة العامة دليلاً على صحته، وعلى هذا المنهج جرى معظم الأدباء حينما يتناولون التاريخ بأسلوب القصة أو المسرحية ، ولذا رأينا قضية ضرب الكعبة بالمنجنيق – لبشاعتها – مجالاً للتصوير بأقلام الأدباء، والتلوين ببراعتهم وفنهم، ويُعرض هذا بأبلغ صوره، وأفظع هيئة على المشاهدين، فتقشعر لها الأبدان، وتغلي النفوس، ويبوء الحجاج بما يستحقه بسبب هذا الجرم الشائن، وهو بالقطع بريء من هذا.

شيخ الإسلام ينفي هذا

يقول شيخ الإسلام بن تيمية: "ومن قال إن أحدًا من خلق الله قصد رمي الكعبة بمنجنيق أو عذرة، فقد كذب، فإن هذا لم يكن في الجاهلية ولا في الإسلام، والذين لا يحترمون الكعبة كأصحاب الفيل والقرامطة لم يفعلوا هذا، فكيف بالمسلمين الذين يعظمون الكعبة!! ولما قُتل ابن الزبير، دخلوا بعد هذا إلى المسجد الحرام، فطافوا بالكعبة، وحج بالناس الحجاجُ بن يوسف ذلك العام، وأمره عبد الملك بن مروان ألا يخالف عبد الله بن عمر في أمر الحج، فلو كان قصدهم بالكعبة شرًّا، لفعلوا ذلك بعد". انتهى كلام شيخ الإسلام بنصه.

وهذا هو الكلام الذي يقتضيه عقل العقلاء المنصفين، ولا يُمليه تحامل المتحاملين، وبغضاء المبغضين.

فلو قصد الحجاج الكعبة بالمنجنيق، وضربها من هذا الارتفاع الشاهق، من فوق جبل أبي قبيس، فهل كان يبقى منها حجر فوق حجر – والعياذ بالله – وهل يقبل العقل أن مسلمًا يصلي الخمس مستقبل القبلة يفعل هذا ؟ ولو فرضنا جدلاً أن الحجاج انسلخ من الدين – حاشاه – وأراد بالكعبة شرًّا، فهل كان جنوده وأركان حربه كلهم مثله؟ أيقبل عقل عاقل أن يرتد عن الإسلام جيش الحجاج بكامله، فلا يوجد فيهم من يصيح في وجه الحجاج: ويلك يا عدوَّ الله؟ أم تراهم كانوا خانعين خاضعين أذلاء يضربون الكعبة التي يعظمونها ويصلّون إليها ولا يستطيعون أن يقولوا للحجاج: لا ؟ أيصح هذا في عقل عاقل ؟؟

سيقول قائل: ولكن المنجنيق قد نصب، والضرب قد حدث، فهل تنكرون ذلك؟؟

ونقول: فرقٌ كبير، وبونٌ شاسع بين أن يقال: نصبت المنجنيق لضرب ابن الزبير، وأن يقال: نصبت لضرب الكعبة. فرق كبير وبون شاسع بين أن يقال: ضرب الحجاج معسكر ابن الزبير بالمنجنيق، وأن يقال: ضرب الكعبة بالمنجنيق.

وشاهدٌ من مآسي عصرنا..

في فجر اليوم الأول من المحرم سنة ١٤٠٠هـ فوجئ المصلُّون بجماعة تبايع شخصًا بين الملتزم والحجر الأسود على أنه المهدي المنتظر، ورفعوا السلاح، وغلقت أبواب الحرم، ودوّى الرصاص في أرجائه، ونادى هؤلاء المعتصمون بالحرم كل الحكام والمسؤولين بالسمع والطاعة والبيعة لهذا (المهدي)!!!

وكان ما كان من حصار هؤلاء في داخل الحرم، واستخدام أفانين وضروب من الأسلحة لفك أسر الرهائن من المصلين والطائفين الذين أغلقوا عليهم أبواب الحرم أولاً، ثم لتطهير الحرم منهم ثانيًا.

كان ما كان مما تقشعر الأبدان لذكره!! فهل يقول قائل: إن الحكومة قصفت الحرم بالقنابل، وأحرقته بالغازات، وهدمته بالدبابات؟؟ حاشا لله!!

هذه حادثة عشناها، ورأيناها، وأحاط الجميع بها خبرًا، وهي تشبه واقعة ابن الزبير تمامًا، فكلاهما لاذ بالحرم، وكلاهما لقي مقاومة من السلطان حتى استسلم ، وفي الحالين كانت دماء وقتلى في داخل الحرم ، فلماذا موقف الحجاج وحده يفسَّر بأنه عدوان على الكعبة بالمنجنيق؟؟ ولماذا هذه البشاعة في تصوير موقف الحجاج؟ واتهامه بكائنةٍ لا تكون من مسلم يقول:لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله، هل أدمنَّا جَلْد ماضينا؟ هل صار تشويه تاريخنا متعة لنا، وملهاة نتلهى بها عن واقعنا

البئيس ؟ ثم هل من حق من يتناول التاريخ في عمل أدبي أن يخترع أحداثاً لم تكن؟؟ (وللحديث بقية)
___." (١)

"بالغين كأمثالها.

ص -٢٨٣-

كان مرزا غلام أحمد ادعى أنه المهدي المنتظر ثم ترقى عن دعوته المهدوية لنفسه إلى دعوى المسيحية وتحول عن اشتغاله بمناظرة المسحيين (وارياسماج) من الهندوس إلى مناظرة علماء المسلمين، وكان لا يناظر إلا بالقرآن معرضا عن الأحاديث وأقوال الصحابة واشتهر أمره حتى صرح بطلب المبارزة، حينئذ أمرت بيكم بهوبال الشيخ محمد بشير أن يتوجه إلى دلهي لمناظرة المرزا، ولما لم يرض مرزا بالمناظرة الشفوية تناظرا كتابة وهما في دلهي وكل منهما في محله.
كان مرزا يصرح بموت المسيح مستدلا بقوله تعالى: ﴿إني متوفيك ورافعك إلي﴾ فعارضه الشيخ مثبتا حياة المسيح بقوله تعالى: ﴿وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته﴾ ثم أخذ مرزا على عادته يجادل بالتأويلات وينتقد القواعد النحوية والصرفية ليستدل على أن الآية لا تثبت حياة المسيح. فرد عليه الشيخ بأجوبة لم يستطع ردها، فانقطع عن المناظرة معتذرا بأن أحد أقاربه بقاديان مريض وأنه سيسافر لعيادته، وجميع المكاتبات التي دارت في هذه المناظرة حتى انقطع المرزا مدونة في كتاب (الحق الصريح، في إثبات حياة المسيح) وهو مطبوع وكانت تلك المناظرة في سنة ١٣١٢هـ.
وفي مدة إقامته في دلهي كتب رسالة سماها (القول المحمود في رد السود)(١) وكان أصل تلك المسألة من الشيخ نذير أحمد الدهلوي.
ومن مفردات الشيخ أنه كان يجيز الأضحية إلى آخر ذي الحجة، وخالفه أهل العلم في ذلك فجمع كتابا استدل فيه على رأيه بأقوال أهل العلم فجاء كتابا ضخما ولكنه لم يطبع - وصنف كتابا مبسوطا في مسألة القراءة خلف الإمام سماه (البرهان العجاب، في مسألة فرضية أم الكتاب) طبع بعد وفاته وله غير ذلك رسائل دينية منسوبة إلى بعض تلاميذه.

---

(١) أي الربا والسود لغة أوردية.

ص -٢٨٤-." (٢)

"أبوك يقحمك المهالك ويولجك المضايق دون أخويك الحسن والحسين فقال: لأنهما كانا عينيه، وكنت يديه، فكان يقي عينيه بيديه.

---

(١) مشاهير أعلام المسلمين، ص/٥١

(٢) مشاهير علماء نجد وغيرهم، ٧٩/٣

ومن كلامه: ليس بحكيم من لم يعاشر بالمعروف من لا يجد من معاشرته بدا حتى يجعل الله له فرجا.

ولما دعا ابن الزبير إلى نفسه وبايعه أهل الحجاز بالخلافة دعا عبد الله بن العباس ومحمد بن الحنفية رضي الله عنهما إلى البيعة، فأبيا ذلك وقالا: لا نبايعك حتى تجتمع لك البلاد، ويتفق الناس، فأساء جوارهم وحصرهم وآذاهم، وقال لهم (١) : لئن لم (٢) تبايعا أحرقتكما بالنار، والشرح في ذلك يطول.

وكانت ولادته لسنتين بقيتا من خلافة عمر، وتوفي رحمه الله في أول المحرم سنة إحدى وثمانين للهجرة، وقيل سنة ثلاث وثمانين، وقيل سنة اثنتين أو ثلاث وسبعين بالمدينة، وصلى عليه أبان بن عثمان بن عفان، وكان والي المدينة يومئذ، ودفن بالبقيع، وقيل إنه خرج إلى الطائف هاربا من ابن الزبير فمات هناك، وقيل إنه مات ببلاد أيلة.

والفرقة الكيسانية تعتقد إمامته وأنه مقيم بجبل رضوى، وإلى هذا أشار كثير عزة بقوله من جملة أبيات، وكان كيساني الاعتقاد : (٣)

وسبط لا يذوق الموت حتى ... يقود الخيل يقدمها اللواء

تغيب لا يرى فيهم زمانا ... برضوى عنده عسل وماء وكان المختار بن أبي عبيد الثقفي يدعو الناس إلى إمامة محمد بن الحنفية، ويزعم أنه المهدي، وقال الجوهري في كتاب " الصحاح " (٤) : كيسان لقب

---

(١) كذا في جميع النسخ ما عدا بر، بصيغة الجمع.

(٢) س لي ل: والله إن لم.

(٣) نسب البيتان لكثير في أكثر المصادر (عيون الأخبار ٢: ١٤٤ والشعر والشعراء: ٤٢٣ والأغاني ٩: ١٤ ومروج الذهب ٣: ٨٧ وغيرهما) وقال أبو الفرج في الأغاني ٧: ٢٣٨ الأبيات للسيد الحميري وأضاف: وهذه الأبيات يعينها تروى لكثير.

(٤) الصحاح ٢: ٩٧٠ (كيس).." (١)

"وغير ذلك من شطحاته في الملائكة والجن ونحو ذلك، كما في "تفسير المنار" نقلا عنه.

وذلك المهدي في السودان رضي أن يطلق عليه المهدي، بل أعلن أنه قد رأى رؤية للنبي - صلى الله عليه وسلم - يدعوه فيه إلى قيادة المؤمنين كمهدي مخلص أرشده الله، وتدافع عليه الآلاف يحلفون له على الطاعة(١).

وهذا يدل على أنه اغتر بنفسه أنه المهدي، بناء على إعلانه أنه رأى رؤية للنبي - صلى الله عليه وسلم - ثم إن هذه الرؤية لم يبين هل هي منام أو يقظة؛

كما يدعيه جهلة الصوفية أنهم أو أحدهم يرى النبي - صلى الله عليه وسلم - في اليقظة، ويحضر المولد أو ما أشبه ذلك، وهذا أقبح الغلط، وغاية التلبيس، وأعظم الخطإ المخالف للكتاب والسنة وإجماع أهل العلم، لأن الموتى إنما يخرجون من قبورهم يوم القيامة لا في الدنيا، ومن قال خلاف ذلك، فهو كاذب كذبا بينا، أو غالط ملبس عليه، لم يعرف الحق الذي

---

(١) وفيات الأعيان، ١٧٢/٤

عرفه السلف الصالح ودرج عليه أصحاب الرسول – صلى الله عليه وسلم – وأتباعهم بإحسان.

ولو تبين أن هذه الرؤية منام، فعلى كل الاحتمالين هي ليست بصحيحة، لأن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لا يدعو إلى خلاف الحق، ولا يشير ولا يقول بخلاف الحق لا في حياته ولا بعد موته(٢).

وقد تبين أن مهدي السودان ليس هو المهدي الذي يقود المؤمنين كمهدي مخلص أرشده الله، بل لم يخلص حتى أهل السودان من الخرافات ومخالفة التوحيد ومن الاستعمار النصراني، فقد استولى كتشنر الإنكليزي على السودان، وأمر بتدمير قبر المهدي، والتمثيل بجثته، وعرض رأسه في القاهرة(٣) وكان أتباعه يعتقدون بمعجزة رجوعه(٤).

---

(١) "انتشار دعوة الشيخ .." تأليف محمد كمال جمعة (ص ٢٢٤).

(٢) انظر: "التحذير من البدع" للشيخ عبد العزيز بن باز (ص ١٨ – ١٩).

(٣) انظر: "انتشار دعوة الشيخ .." تأليف محمد كمال جمعة (ص ٢٢٤ – ٢٢٥).

(٤) انظر: "انتشار دعوة الشيخ .." تأليف محمد كمال جمعة (ص ٢٢٤ – ٢٢٥).." [١]

"(السيدين) الأسرار بجملتها من علم التأويل والباطن وعلم الآفاق والأنفس(١). والحق أن ابن الحنفية لم يقر الغلو الذي قيل فيه، ولم يعترف بأنه المهدي المنتظر، وروى ابن سعد حديثا رفعه إلى أبي العريان المجاشعي قال: فبلغ محمدا أنهم يقولون: إن عندهم شيئا أي من العلم. قال: فقام فينا وقال: إنا والله ما ورثنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا ما بين هذين اللوحتين. ثم قال: اللهم خلا وهذه الصحيفة في ذؤابة سيفي فسألت وما كان في الصحيفة؟ قال: من أحدث حدثا أو آوى محدثا(٢). وقال محمد للرجل الذي قابله وسأله عن أشياء سرية نميت إلى الرجل عن محمد: أما بعد فإياكم وهذه الأحاديث فإنها عيب عليكم، وعليكم بكتاب الله، فإنه به هدي أولكم وبه يهدي آخركم(٣).. ويظهر أن المختار هو الذي روج فكرة مهدية محمد لأسباب سياسية أي أنه أراد يحكم باسمه دون إشراكه بالسلطة الفعلية. وعندما هم ابن الحنفية أن يقدم إلى الكوفة، وبلغ ذلك المختار فثقل عليه قدومه فقال: إن في المهدي علامة، يقدم بلدكم هذه فيضربه رجل في السوق بالسيف لم تضره.. فبلغ ذلك ابن الحنفية فأقام(٤)

وقال كثير بن عزة في ابن الحنفية:

ألا إن الأئمة من قريش *** ولاة الحق أربعة سواء

علي والثلاثة من بنيه *** هم الأسباط ليس بهم خفاء

فسبط سبط إيمان وبر *** وسبط غيبته كربلاء

وسبط لا تراه العين حتى *** يقود الخيل يقدمها لواء

تغيب . لا يرى عنهم زمانا *** برضوى عنده عسل وماء(٥).

سادسا : حركة عمرو بن سعيد بن العاص (الأشدق) ومقتله :

---

(١) عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي، ص/٣٨٤

(١) المصدر (١/١٣١) .

(٢) الشيعة العربية والزيدية صـ٢٥٩ .

(٣) الطبقات (٥/٧٠) .

(٤) سير أعلام النبلاء (٤/١١٨) .

(٥) المصدر نفسه (٤/١١٢) .." [١]

""""" صفحة رقم ١١٧ """"

وأخذ يذكر المهدي ويشوق إليه وجمع الأحاديث التي جاءت في فضله

فلما قرر عندهم عظمة المهدي ونسبه ونعته ادعى ذلك لنفسه وقال أنا محمد ابن عبد الله وسرد له نسبا إلى علي عليه السلام وصرح بدعوى العصمة لنفسه وأنه المهدي المعصوم وبسط يده للمبايعة فبايعوه

فقال أبايعكم على ما بايع عليه أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم)

ثم صنف لهم تصانيف في العلم منها كتاب سماه أعز ما يطلب وعقائد على مذهب الأشعري في أكثر المسائل إلا في إثبات الصفات فإنه وافق المعتزلة في نفيها وفي مسائل قليلة غيرها

وكان يبطن شيئا من التشيع

ورتب أصحابه طبقات فجعل منهم العشرة . . .

٦٤١ محمد بن عبد الله بن القاسم بن المظفر بن علي أبو الفضل بن أبي محمد الشهرزوري الموصلي قاضي القضاة كمال الدين

ولد سنة إحدى وتسعين وأربعمائة

وتفقه ببغداد على أسعد الميهني." [٢]

"كرامات، فكيف إذا كانت بالحقيقة من الشياطين تغويهم بها؟! فإني أَعرف من تخاطبه النباتات بما فيها من المنافع، وإنما يُخاطِبُهُ الشيطان الذي دخل فيها، وأَعْرِفُ من يخاطبهم الحجرُ والشجر، وتقول: "هَنيئًا لك يا ولي الله"، فيقرأ آية الكرسي، فيذهب ذلك.

وأعرف من يقصد صيد الطير، فتخاطبه العصافير وغيرها، وتقول: "خذني حتى يأكلني الفقراء"، ويكون الشيطان قد دخل فيها، كما يدخل في الإنس، ويخاطبه بذلك، ومنهم من يكون في البيت وهو مغلق، فيرى نفسه خارجه وهو لم يفتح، وبالعكس، وكذلك في أبواب المدينة، وتكون الجن قد أَدخلته وأَخرجته بسرعة، أَو تريهِ أَنوارًا، وتُحْضِر عنده من يطلبه، ويكون ذلك من الشياطين، يتصورون بصورة صاحبه، فإذا قرأ آية الكرسي مرة بعد مرة، ذهب ذلك كله.

---

(١) عمر بن عبد العزيز معالم الإصلاح والتجديد، ٢/٤٣٠

(٢) طبقات الشافعية الكبرى ـ موافق للمطبوع، ٦/١١٧

وأعرف من يخاطبه مخاطبٌ، ويقول له: "أَنا مِن أَمْرِ اللَّه"، ويعده بأنه المهدي الذي بَشَّر به النبي –صلى الله عليه وسلم–، ويُظْهِرُ له الخوارق؛ مثل أَن يخطر بقلبه تصرف في الطير والجراد في الهواء، فإذا خطر بقلبه ذهاب الطير أَو الجراد يمينا وشمالًا، ذهب حيث أَراد، وإذا خطر بقلبه قيام بعض المواشي، أَو نومُه، أَو ذَهَابُه؛ حصل له ما أَراد من غير حركة منه في الظاهر، وتحمله إلى مكة، وتأتي به، وتأتيه بأَشخاص في صورة جميلة، وتقول له: "هذه الملائكة الكروبيون أَرادوا زيارتك"، فيقول في نفسه: "كيف تصوروا بصورة المُرْدان؟ "، فيرفع رأسه فيجدهم بِلِحَى، ويقول له: "علامة أَنك المهدي:

= لو كان عندي بصل أو كرات عالجته، فإذا عصفور قد جاء فسقط على المثقب في منقاره بصلة، فلما رأيته أضربت عما أردت، وخفت أن يكون من الشيطان). وبالأسناد عن محمد بن يزيد قال: كانوا يرون لوهيب أنه من أهل الجنة، فإذا أُخبر بها اشتد بكاؤه، وقال: قد خشيت أن يكون هذا من الشيطان". اهـ. من "تلبيس إبليس" ص (٥٣٥، ٥٣٦).." (١)

"خسارة الرافضة في تعليق الجهاد بالإمام المعصوم

قال رحمه الله تعالى: [وقد تقدم بعض نظائر هذا الحديث في الإمامة، ولم يقل: إن الإمام يجب أن يكون معصوما، والرافضة أخسر الناس صفقة في هذه المسألة؛ لأنهم جعلوا الإمام المعصوم هو الإمام المعدوم الذي لم ينفعهم في دين ولا دنيا].

لأنهم فرضوا له صفات لا يمكن أن تكون في البشر، فهو معدوم فعلا، فتلك الصفات لا توجد في أحد من خلق الله عز وجل ولا من الذين يدعون أنهم أئمة معصومون، فهؤلاء الذين يدعون أنهم معصومون هم أناس من البشر منهم الصالحون ومنهم دون ذلك، والصالحون منهم ليس عندهم هذه الخصائص التي ادعتها الرافضة، سواء منهم من يعلقون عليه بعض الآمال مثل المهدي الموهوم، أو الأحياء منهم أو الأموات الذين كان لهم وجود، ألقوا عليهم من الصفات والآمال وافترضوا فيهم من الخصال ما لا يوجد في مخلوق.

إذا: فهم توهموا أمورا معدومة وليست حقيقية، فلذلك بقوا طيلة الدهر ينتظرون موهوما حتى جاء الخميني وأظهر لهم فكرة جديدة، وهي فكرة (ولاية الفقية) الوسيط بين الإمام المزعوم الموهوم وبين الأجيال الحاضرة، وقال: لا بد أن نتولى بعض صلاحيات الإمام المعصوم المنتظر، فنفخ هذه الروح الوهمية أيضا فانتفضوا انتفاضتهم المعلومة، لكنهم لا يزالون على أفكارهم الخيالية.

قال رحمه الله تعالى: [فإنهم يدعون أن الإمام المنتظر محمد بن الحسن العسكري الذي دخل السرداب في زعمهم سنة ستين ومائتين أو قريبا من ذلك بسامراء، وقد يقيمون هناك دابة –إما بغلة وإما حرسا– ليركبها إذا خرج، ويقيمون هناك في أوقات عينوها لمن ينادي عليه بالخروج: يا مولانا! اخرج، يا مولانا! اخرج، ويشهرون السلاح، ولا أحد هناك يقاتلهم! إلى غير ذلك من الأمور التي يضحك عليهم فيها العقلاء!].

ذكر المحقق في الهامش بعض الترجمة للعسكري التي توهم أن هذا الرجل له وجود، وأن له ولادة ووفاة إلى آخره.

وهم يزعمون أنه المهدي، ويسمونه صاحب الزمان والمنتظر والحجة وصاحب السرداب، وقد ولد بزعمهم في سامراء، ومات

(١) أصول بلا أصول، محمد إسماعيل المقدم ص/١١٨

أبوه وله خمس سنين، وكل هذه ليست حقائق بإجماع المؤرخين، فكل ما قالوه من هذا أوهام لا وجود لها تاريخيا أبدا حتى في كتبهم، وقد قرأنا في كتبهم ما يدل على أن هذا وهم وكذب، ولا أدري كيف يروون هذه الروايات التي يعتمدونها عندهم ثم يقولون بهذه الأكذوبة، فيكذبون ثم يصدقون أنفسهم، أقول: حتى في كتبهم المسندة يوجد ما يكذب القول بأن هناك رجلا اسمه كذا إلى آخره؛ إذ إن أباه كان عقيما ومات عقيما ليس له ولد ولا ذرية، وهذا معروف عند المؤرخين من غير الشيعة، وبعض الرافضة يثبت هذا.

قال رحمه الله تعالى: [وقوله: (مع أولي الأمر برهم وفاجرهم) لأن الحج والجهاد فرضان يتعلقان بالسفر، فلا بد من سائس يسوس الناس فيهما، ويقاوم العدو، وهذا المعنى كما يحصل بالإمام البر يحصل بالإمام الفاجر]..» (١)

"حكم الكتب التي تتكلم في المغيبات وأشراط الساعة

Q انتشر في الآونة الأخيرة بعض الكتب مثل كتاب عمر أمة الإسلام، وكتاب هرمجدون، فما رأيكم فيها؟

A مع الأسف أن كثيرا من الناس عندما ينظر إلى الواقع المؤلم للمسلمين يبدأ يشتغل بالقراءة في كتب الفتن وأشراط الساعة وأخبار آخر الزمان فيقع عند قراءته هذه في زلات، إما أن يتعطل عن العمل وينتظر المهدي، وإما أن يدعي في إنسان أنه المهدي وهو ليس كذلك، وإما أن يحاول أن يطبق هذه النصوص التي يقرأها على الواقع، فيقول مثلا: السفياني هو فلان، والذي يأتي وينقض الكعبة فلان، ومعركة هرمجدون ستقع بعد فترة وقدرها كذا، وهكذا.

وهذه الطريقة ليست بطريقة مشروعة؛ لأن تنزيل أخبار النبي صلى الله عليه وسلم على الواقع هي من جنس الظن الذي ليس عليه دليل، والظن كما تعلمون هو أكذب الحديث، ولا ينبغي للإنسان أن يشتغل بهذا.

والحقيقة أن من الخطأ اشتغال كثير من الناس بما يتعلق بالنبوءات، سواء نبوءات أهل الكتاب أو نبوءات المسلمين؛ نعم يمكن لنا أن نقرأ مثل هذه الأشياء وأن نستفيد منها، وأن نفكر في المستقبل، لكن من الخطأ الكبير أن يحاول الإنسان أن يطبق ذلك، ولذلك تجد مثلا من يقول: إن أمريكا ضربت العراق من أجل سببين: الأول: النفط، وهذا ليس مشكلا.

والثاني: من أجل جبل الذهب الذي يظهر عند انحسار نهر الفرات.

نعم الحديث صحيح، لكن هو خرافة بالنسبة أمريكا، لأن أمريكا أصلا لا تؤمن بالحديث ولا فكرت في الحديث، وإنما لها مبررات أخرى تفيدها هي في ذاتها وفي شخصها.

فالاشتغال بمثل هذه القضايا لا يفيد الإنسان، بل ينبغي على الإنسان أن يبتعد عن مثل هذه الأمور..» (٢)

"حكم الاعتماد على الرؤى لإنشاء أحكام شرعية

Q سمعت من أحد الشباب: أن امرأة رأت في المنام أنها ولدت، وولدها كان يرضع من القمر، وسألت مفسر الأحلام فاستحلفها على ذلك فأجابها بقوله: إن المهدي ولد؟

A كثير من الناس مع الأسف يبني أشياء في الشريعة على رؤى وأحلام.

---

(١) شرح الطحاوية لناصر العقل، ناصر العقل ٤/٨٣

(٢) دراسة موضوعية للحائية ولمعة الاعتقاد والواسطية، عبد الرحيم السلمي ١٩/٢

أولا: قد يكون هذا من حديث الشيطان مع هذه المرأة، فكيف يدعي أن المهدي ولد؟ هل مجرد أن هذه المرأة رأت طفلا يرضع من القمر يثبت ذلك، ربما يفسرها مفسر آخر بأن هذا الطفل سيخرج عالما في القرآن؛ لأن القمر هو عبارة عن نور، والله عز وجل وصف القرآن بأنه نور، فكونه يرضع منه فهو يقبل هذا النور ويصير عالما، ما المانع أن يكون هذا هو التفسير؟ لماذا يحدد تفسيرا معينا، هل جاءه ملك من السماء وأخبره أن التفسير هو كذا؟ هذه اجتهادات، والاجتهادات لا يصلح للإنسان أن يتخذها منهجا.

وبعض الخرافيين أصبحوا الآن يرددون، يقول أحدهم: أنا عندي مائة رؤيا على أن المهدي سيولد، بل بعضهم يحدد ويقول: سقوط هذه الدولة سيكون في الوقت الفلاني، وسقوط هذه الأمة سيكون في الوقت الفلاني، والمهدي سيخرج بعد أربعة أشهر.

وفي عام ألف وأربعمائة ظهر مجموعة من الشباب اشتغلوا بهذه القضية، فأخرجوا لنا رجلا اسمه عبد الله القحطاني، وادعوا أنه المهدي وبنوا على رؤى، وجاءوا به إلى الحرم مسلحين وادعوا له المهدية، وأمروا بإغلاق الأبواب، وأصبحت مأساة في تاريخنا مع الأسف، وأصبحت مصيبة من المصائب، لماذا صارت مأساة؟ لأنهم قاتلوا في المسجد الحرام، في الشهر الحرام ومنعوا مساجد الله أن يذكر فيها اسمه، وحجب الناس عن الصلاة أكثر من خمسة عشر يوما، وقاتلوا المسلمين وحصلت فتنة مبناها وأساسها فاسد، ولهذا خالفهم كبار علماء المسلمين في ذلك الوقت.

فأقول: الذين يشتغلون بهذا الأمر بدءوا في طريق منحرف عن السنة، فإن هذه الرؤى هي عبارة عن أشياء مبشرة، والناس يختلفون في تأويلها، قد يجتهد فلان فيؤولها بمعنى، ويجتهد فلان فيؤولها بمعنى آخر، ويجتهد فلان ويؤولها بمعنى ثالث.

أما أن يتخذها الإنسان منهجا في حياته فهذا انحراف، بعض الناس الآن أصبح كل ليلة يرى رؤيا، مع أنه قبل سنتين ما كان يرى، لكن انقلب فكره وصار مهتما بالرؤى فصار يراها، وتتلاعب به الشياطين.

وبالذات قبل أحداث الحادي عشر من سبتمبر، ما كان يرى رؤى، ولا كان يفكر فيها، ولا يخطر في باله أنه سوف يرى رؤى، لكن بعدما اهتم بهذا الجانب أصبح كلما نام يرى رؤيا، ثم يجمع الرؤى ويقول: أنا عندي عشر رؤى تدل على أن الوزير الفلاني سيموت عندي ثمانون رؤيا تدل على أن أمريكا ستسقط، ومعلوم أن كل دولة ظالمة تستمر فترة من الزمن بهذا الظلم والتعسف ثم تسقط، لكن بعض الأحيان يحددون: ستسقط بعد أربعة أشهر، وهؤلاء سينكشف أمرهم بعد أربعة أشهر، وإذا بهم طواغيت في كل مكان يذبحون خلق الله عز وجل، فيقال: أين رؤاك، قال: لا.

هناك رؤى ثانية تدل على أن هذا بعد سنة، وهكذا.

وهذا المنهج الرديء منهج مخالف للكتاب والسنة قطعا؛ لأن الرؤى ليس لها قيمة في الشرع، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يسأل أصحابه عن الرؤى ويجيب؛ لكن هل بنى حياته الدعوية أو السياسية أو الاجتماعية على الرؤى؟ لا.

بل خاض غزوة بدر وغيرها من الغزوات بدون رؤى، وبنى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم دولة عملاقة ضخمة استطاعوا أن يسيطروا بها على العالم بأكمله بدون أي رؤى، وهل كان الصحابة رضوان الله عليهم يوميا -مثل بعض الناس- يرون رؤى بهذا الأسلوب؟ ما كانوا بهذه الطريقة.

الشاهد: أن هذا الأسلوب هو الموضة الجديدة عند بعض الشباب مع الأسف، الرؤى ومعالجة المرضى عن طريق الجن

المسلمين، وفي كل سنة تظهر لنا موضة، والمشكلة عندما يتبناها أشخاص كانوا يوما من الأيام من الدعاة إلى الله عز وجل. لكن ينبغي على الإنسان أن يحمد الله سبحانه وتعالى على الالتزام بالسنة، والإنسان مهما يكن قد ينحرف عنها، سواء كان هذا الانحراف قليلا أو كبيرا، لكن ينبغي أن يدرك الإنسان أن المنهاج الشرعي هو التعامل مع الكتاب والسنة.

وقد أمرنا الله عز وجل أن نقاوم المنافقين والكافرين، وأن نجتهد في عمل الصالحات، وأن ندعو إلى الله، وأن نصلح المجتمع. ولم يأمرنا الله عز وجل في أي نص من النصوص بأن نجمع الرؤى؛ لنتكلم عن الغيب، كهذه الطريقة التي يسعون لها، واتخذوها منهجا.

هناك فرق بين من يتكلم في الرؤى مرة ومرتين وثلاثا أو يتكلم بها في شيء عابر، وبين من يتخذها منهجا، حتى صارت ديدنا له، يتكلم بها في كل وقت، لو يطلع معك في سيارة ويغفو قليلا يرى رؤيا، لا يمكن أن ينام بدون رؤيا، ولا يمكن أن تكون هذه الرؤية شيئا عاديا، فلا بد من مهدي يطلع، ودولة تسقط، وحاكم سيموت، والمسلمون سيبتلون ببلية، الرؤى كلها موضوعها محدود، إما سياسية أو تتعلق بأخبار الساعة كلها حسب اهتمامات الشخص، أو أن فلانا من الدعاة إلى الله عز وجل سيصير حاكما لدولة عظيمة أكبر من أمريكا، لماذا؟ لأنه يحدث نفسه بها، ويفكر في هذا الموضوع." (١)

"تزيين الشيطان عمل من يدعي أنه المهدي حتى يدعي الألوهية

Q يوجد بالطالبية شاب متعلم، ويحفظ بعضا من القرآن الكريم، وعنده شيء من علم الشرع، ويصلي بالليل ويبكي كما تقول زوجته، ويشاهد التلفزيون وزوجته متبرجة، ويدعي أنه المهدي المنتظر، وهذا الادعاء منذ سنوات، وعقله صحيح سليم، فعندما كلمته وأثبت أنه كذاب ضحك مني وسخر، وأقر على ذلك.

ويدعي أيضا أنه الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وأنه مخلوق من نور الله، ورغم ذلك هو يسخر من صاحب اللحية والجلباب القصير، فهل هو كافر أم ماذا يكون حكمه؟

A انتظروا شهرين أو ثلاثة أشهر وسيدعي الألوهية، وهذا الأمر ليس فيه خلاف، ولو قرأت في تاريخ الفرق فإنك ستجد في الفرق أنما ادعت الألوهية، وذلك بعد أن كان الواحد منهم يدعي أنه المهدي، فإن لم يجد ذلك ادعى النبوة، فإن لم يجد النبوة ادعى الألوهية، وخاصة لو أراد الحكم ومعه العتاد والعدة، ففرعون ادعى الإلوهية؛ لأن معه المجرمين الذين يشيرون عليه، ويفرضون على الأمة المصرية أنه إله شاءوا أم أبوا، فكل من يدعي هذا ماذا يقصد من وراء ذلك؟ إن المسلم عندما يسمع هذا الكلام فإنه يقول: ما أحلم ربي! وما أعظم صبره على من يسبونه ويفترون عليه! بل ويغذيهم ويطعمهم ويسقيهم ويصحهم، ويكسوهم من عري، ويقويهم من ضعف.." (٢)

"حادثة دخول جهيمان العتيبي ورفاقه الحرم المكي الشريف.

عليه الصلاة والسلام ١٤٠٠ رضي الله عنه محرم ¤ ١٩٧٩ ١/٨

درس جهيمان بن محمد بن سيف العتيبي الموظف في الحرس الوطني السعودي لمدة ثمانية عشر عاما في جامعة أم القرى،

(١) دراسة موضوعية للحائية ولمعة الاعتقاد والواسطية، عبد الرحيم السلمي ٩/١٨

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي – حسن أبو الأشبال، حسن أبو الأشبال الزهيري ١٧/١٨

وانتقل بعدها إلى الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، وهناك التقى بمحمد بن عبدالله القحطاني، تزوج محمد القحطاني بأخت جهيمان العتيبي، وفي غرة محرم من العام ١٤٠٠ من الهجرة وبعد صلاة الفجر دخل جهيمان وجماعته المسجد الحرام في مكة المكرمة لأداء صلاة الفجر، وما أن انقضت صلاة الفجر، حتى قام جهيمان وصهره أمام المصلين في المسجد الحرام ليعلن للناس نبأ ظهور المهدي المنتظر وفراره من "أعداء الله" واعتصامه في المسجد الحرام. قدم جهيمان صهره محمد بن عبدالله القحطاني بأنه المهدي المنتظر، ومجدد هذا الدين، ثم قام جهيمان وأتباعه بمبايعة "المهدي المنتظر"، وطلب من جموع المصلين مبايعته، وأوصد أبواب المسجد الحرام، ووجد المصلون أنفسهم محاصرين داخل المسجد الحرام. ثم أخلي سبيل النساء والأطفال، تدافعت قوات الأمن السعودية معززة بقوات الكوماندوز السعودية، وتبادل الطرفان النيران الكثيفة، وأصاب المسجد الحرام ضرر بالغ جراء القصف وسقط من أتباع جهيمان صهره محمد بن عبدالله ونفر من أتباعه، واستسلم جهيمان ومن بقي معه، وصدر حكم المحكمة بإعدام ٦١ منهم، وكان جهيمان من ضمن قائمة المحكوم عليهم بالإعدام.

٢/٣." (١)

"اجتماع الرافضة في مسجد براثي للنيل من الصحابة.

عليه الصلاة والسلام ٣١٣ رضي الله عنه صفر ¤ ٩٢٥ ١/٨

بلغ الخليفة المقتدر أن جماعة من الرافضة يجتمعون في مسجد براثي فينالون من الصحابة ولا يصلون الجمعة، ويكاتبون القرامطة ويدعون إلى محمد بن إسماعيل الذي ظهر بين الكوفة وبغداد، ويدعون أنه المهدي، ويتبرؤون من المقتدر وممن تبعه، فأمر بالاحتياط عليهم واستفتى العلماء بالمسجد فأفتوا بأنه مسجد ضرار، فضرب من قدر عليه منهم الضرب المبرح، ونودي عليهم، وأمر بهدم ذلك المسجد المذكور فهدم، هدمه نازوك، وأمر الوزير الخاقاني فجعل مكانه مقبرة فدفن فيها جماعة من الموالي.

٢/٣." (٢)

"ظهور رجل ببغداد ادعى أنه المهدي.

عليه الصلاة والسلام ٣٥٧ ¤ ٩٦٧ ١/٨

شاع الخبر ببغداد وغيرها من البلاد أن رجلا ظهر يقال له محمد بن عبد الله وتلقب بالمهدي وزعم أنه الموعود به، وأنه يدعو إلى الخير وينهى عن الشر، ودعا إليه ناس من الشيعة، وقالوا: هذا علوي من شيعتنا، وكان هذا الرجل إذ ذاك مقيما بمصر عند كافور الإخشيدي قبل أن يموت وكان يكرمه، وكان من جملة المستحسنين له سبكتكين الحاجب، وكان شيعيا فظنه علويا، وكتب إليه أن يقدم إلى بغداد ليأخذ له البلاد، فترحل عن مصر قاصدا العراق فتلقاه سبكتكين الحاجب إلى قريب الأنبار، فلما رآه عرفه وإذا هو محمد بن المستكفي بالله العباسي، فلما تحقق أنه عباسي وليس بعلوي انثنى رأيه فيه، فتفرق شمله وتمزق أمره، وذهب أصحابه كل مذهب، وحمل إلى معز الدولة فأمنه وسلمه إلى المطيع لله فجدع أنفه واختفى أمره،

---

(١) الموسوعة التاريخية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٢٨٥/١٠

(٢) الموسوعة التاريخية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٤٨٦/٢

فلم يظهر له خبر بالكلية بعد ذلك.

٢/٣." (١)

"قيام دولة الموحدين في المغرب.

عليه الصلاة والسلام ٥٠١¤١١٠٧ ١/٨

ظهر المهدي بن تومرت في القرن السادس الهجري، وبدأ دعوته الإصلاحية في المغرب؛ وسميت الدولة التي قامت على دعوته دولة الموحدين، وجهر بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ودعا لنفسه على أنه المهدي المنتظر وكان المهدي بن تومرت يطوف بمدن المغرب يدعو الناس إلى الإصلاح والالتزام بالشرع ومحاربة البدع والمنكرات، وقد لاقت دعوته قبولا بين الناس، أقام المهدي بن تومرت في مراكش وأخذ في الدعوة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واعترض على سياسة الدولة في بعض الأمور التي رآها مخالفة للشرع، ووعظ السلطان حين قابله في المسجد وطالبه بتغيير المنكر، فلما استفحل أمره وتجمع الناس حوله دعا الأمير علي بن يوسف العلماء إلى مناظرته فغلبهم بقوة لسانه وحدة ذكائه وسعة علمه، ولم يجد الأمير مفرا من طرده من عاصمته، معتقدا أن ذلك كاف لزوال خطره على سلطانه، واتجه المهدى بأتباعه إلى تينملل وبدأ في تنظيمهم وإعدادهم، وجعلهم في طبقات على رأسها الجماعة التي تمثل أعلى سلطة في حكومته، وهي تتألف من عشرة رجال، كان من بينهم عبد المؤمن بن علي الكومي، ثم أخذ البيعة لنفسه في (غرة المحرم ٥١٦هـ = ١٢ من مارس ١١٢٢م)، واستعد لمواجهة المرابطين بجذب الأتباع والأنصار وتجهيز الحملات العسكرية التي حققت بعض الانتصارات، وشارك المهدي في تسع غزوات منها، ولكنها لم تكن كافية لتقويض الحكم المرابطي، وشجعت هذه الانتصارات زعيم الموحدين فأرسل حملة كبيرة بلغت ٤٠ ألف جندي لمهاجمة مراكش عاصمة المرابطين والاستيلاء عليها، ولكنها لقيت هزيمة ساحقة سنة (٥٢٤ هـ = ١١٣٠م) في معركة سميت بمعركة البحيرة، على مقربة من أسوار مراكش، وقتل معظم الجيش الموحدي، ولم ينج من القتل سوى عدد قليل، تسلل تحت جنح الظلام إلى تينملل، ولما وصلت أنباء الهزيمة إلى المهدي الذي كان مريضا ساءت صحته وخاب أمله ثم لم يلبث أن توفي في (١٣ رمضان ٥٢٤هـ = ٢٠ من أغسطس ١١٣٠م).

٢/٣." (٢)

"مملوك يدعي أنه المهدي في مصر.

عليه الصلاة والسلام ٧٢٩ رضي الله عنه ذو القعدة¤١٣٢٩ ١/٨

في يوم الجمعة سادس ذي القعدة بعد أذان الجمعة صعد إلى منبر جامع الحكم بمصر شخص من مماليك الجاولي يقال له أرصى، فادعى أنه المهدي وسجع سجعات يسيرة على رأي الكهان، فأنزل في شرخيبة، وذلك قبل حضور الخطيب بالجامع

---

(١) الموسوعة التاريخية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٣/١٣٤

(٢) الموسوعة التاريخية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٤/١٨١

المذكور.

٢/٣." (١)

"وفاة ابن محلي المدعي أنه المهدي المنتظر.

عليه الصلاة والسلام١٠٢٢¤١٦١٣ ١/٨

أحمد بن عبدالله السجلماسي أبو العباس المعروف بابن محلي، متصوف ادعى أنه المهدي الفاطمي المنتظر، ولد بمدينة سجلماسة وطلب العلم بفاس، تصوف وكثر أتباعه وذهب إلى جنوب المغرب فكاتب رؤساء القبائل وعظماء البلدان أنه المهدي الفاطمي المنتظر مدعيا أنه من سلالة العباس بن عبدالمطلب، وزحف على سجلماسة واستولى عليها بعد قتال، وأرسل السلطان زيدان بن أحمد السعدي صاحب المغرب جيشا لقتاله فانهزم الجيش وقوي أمر المدعي فزحف على مراكش واستقر بها ملكا تاركا التصوف والتنسك فهاج عليه يحيى بن عبدالله أحد المتصوفة وجرت بينهما حرب على أبواب مراكش أصيب ابن محلي فيها برصاصة أردته قتيلا وعلق رأسه على أسوار مراكش.

٢/٣." (٢)

"ظهور الفرقة القاديانية في الهند.

عليه الصلاة والسلام١٣٢١¤١٩٠٣ ١/٨

إن مما قام به الإنكليز في الهند لتوطيد بقائهم وسيطرتهم فيها أن عملوا على إنشاء الفرق الضالة أو على الأقل دعمها أو السكوت عنها وتركها تنشر ضلالها، فكان مما عملته أن شجعت مرزا غلام أحمد القادياني على إحياء ما دعا إليه الملك المغولي أكبر شاه فأنشأ القاديانية وكتب البراهين الأحمدية ثم تطور أمره فادعى عام ١٣٢٢هـ أنه المهدي المنتظر وأعلن أن الإنكليز هم أولوا الأمر فيجب طاعتهم ولا يصح الخروج عليهم ولا قتالهم ولا الجهاد ضدهم مع أحد، وعمل على التوفيق بين الأديان فادعى أنه يتقمص روح المسيح عليه السلام وروح الإله كرشنا رب الخير عند الهندوس، وأصبح له أتباع وقوي أمره وكل هذا والدعم سار إليه والحماية أيضا، ثم لما توفي عام ١٣٢٦هـ انقسمت جماعته إلى قسمين الأحمدية وتدعي أنه كان رجلا مصلحا، والقاديانية وتقول بنبوته وتدعو إلى ما كان عليه من أفكار ومعتقدات باطلة،

٢/٣." (٣)

"حكم من يدعي النبوة

Q ظهر رجل في إحدى دول الخليج يدعي أنه المهدي المنتظر، ثم ادعى الآن أنه الرسول، وله أتباع كثيرون مؤمنون به إلى حد اليقين، فما الحكم فيه وفي أتباعه، وقد تم توزيع كتب ومنشورات له في تلك الدولة وخارجها؟

A هذا الرجل الذي ادعى أنه المهدي، ثم ادعى أنه نبي وله أتباع، هو بين أحد أمرين: إما أن يكون في عقله خلل، فإذا

---

(١) الموسوعة التاريخية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٢٧٦/٦

(٢) الموسوعة التاريخية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ١١١/٨

(٣) الموسوعة التاريخية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٢٤٦/٩

كان في عقله خلل فهذا مرفوع عنه القلم، وإذا لم يكن في عقله خلل فإنه إذا كان عندنا في هذه البلاد فيجب أن يرفع به إلى المحكمة؛ حتى يقتل إذا ثبت أنه يدعي النبوة، ويقام عليه الحد ويقتل.." (١)

"أجناس الخوارق

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وأولياء الله العارفون يعرفون ذلك ويعلمون أن للشيطان فيه نصيبا وافرا، ولهذا تاب منه خيار من حضره منهم.

ومن كان أبعد عن المعرفة وعن كمال ولاية الله كان نصيب الشيطان فيه أكثر وهو بمنزلة الخمر يؤثر في النفوس أعظم من تأثير الخمر.

ولهذا إذا قويت سكرة أهله نزلت عليهم الشياطين، وتكلمت على ألسنة بعضهم، وحملت بعضهم في الهواء، وقد تحصل بينهم عداوة كما تحصل بين شراب الخمر، فتكون شياطين أحدهم أقوى من شياطين الآخر فيقتلونه، ويظن الجهال أن هذا من كرامات أولياء الله المتقين، وإنما هذا مبعد لصاحبه عن الله، وهو من أحوال الشياطين، فإن قتل المسلم لا يحل إلا بما أحله الله، فكيف يكون قتل معصوم الدم مما يكرم الله به أولياءه؟ وإنما غاية الكرامة لزوم الاستقامة، فلم يكرم الله عبدا بمثل أن يعينه على ما يحبه ويرضاه، ويزيده مما يقربه إليه ويرفع به درجته.

وذلك أن الخوارق منها ما هو من جنس العلم كالمكاشفات، ومنها ما هو من جنس القدرة والملك كالتصرفات الخارقة للعادات ومنها ما هو من جنس الغنى، من جنس ما يعطاه الناس في الظاهر من العلم والسلطان والمال والغنى.

وجميع ما يؤتيه الله لعبده من هذه الأمور إن استعان به على ما يحبه الله ويرضاه ويقربه إليه ويرفع درجته ويأمره الله به ورسوله صلى الله عليه وسلم ازداد بذلك رفعة وقربا إلى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وعلت درجته.

وإن استعان به على ما نهى الله عنه ورسوله صلى الله عليه وسلم كالشرك والظلم والفواحش استحق بذلك الذم والعقاب، فإن لم يتداركه الله تعالى بتوبة أو حسنات ماحية وإلا كان كأمثاله من المذنبين، ولهذا كثيرا ما يعاقب أصحاب الخوارق تارة بسلبها كما يعزل الملك عن ملكه، ويسلب العالم علمه، وتارة بسلب التطوعات فينقل من الولاية الخاصة إلى العامة، وتارة ينزل إلى درجة الفساق، وتارة يرتد عن الإسلام -نعوذ بالله- وهذا يكون فيمن له خوارق شيطانية، فإن كثيرا من هؤلاء يرتد عن الإسلام.

وكثير منهم لا يعرف أن هذه شيطانية بل يظنها من كرامات أولياء الله، ويظن من يظن منهم أن الله عز وجل إذا أعطى عبدا خرق عادة لم يحاسبه على ذلك، كمن ظن أن الله إذا أعطى عبدا ملكا ومالا وتصرفا لم يحاسبه عليه].

فهو يعتبر نفسه أنه أصبح في منزلة من لا يسأل عما يفعل، فيظن أنه بملكه هذا أصبح لا يسأل عما يفعل؛ لأن الله أعطاه المال والملك لعلمه به أنه من أهل الكرامة، وإذا مات أحدهم فإنه يموت فيعتبرونه في رحاب الله وفي فسيح الجنات، وهذا لأجل أنه كان رئيسا أو ملكا والعياذ بالله! قال المؤلف رحمه الله تعالى: [ومنهم من يستعين بالخوارق على أمور مباحة لا مأمور بها ولا منهي عنها، فهذا يكون من عموم الأولياء وهم الأبرار المقتصدون، وأما السابقون المقربون فأعلى من هؤلاء،

---

(١) شرح عقيدة السلف وأصحاب الحديث - الراجحي، عبد العزيز الراجحي ٧/١٥

كما أن العبد الرسول أعلى من النبي الملك.

ولما كانت الخوارق كثيرا ما تنقص بها درجة الرجل كان كثير من الصالحين يتوب من مثل ذلك، ويستغفر الله، كما يتوب من الذنوب كالزنا والسرقة، وتعرض على بعضهم فيسأل الله زوالها، وكلهم يأمر المريد السالك ألا يقف عندها، ولا يجعلها همته، ولا يتبجح بها مع ظنهم أنها كرامات، فكيف إذا كانت بالحقيقة من الشياطين تغويهم بها؟! فإني أعرف من تخاطبه النباتات بما فيها من المنافع، وإنما يخاطبه الشيطان الذي دخل فيها، وأعرف من يخاطبهم الحجر والشجر وتقول: هنيئا لك يا ولي الله! فيقرأ آية الكرسي فيذهب ذلك].

ولو كان هذا فعلا من الكرامات لاستمرت معه عند قراءة آية الكرسي.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [ومنهم من يقصد صيد الطير فتخاطبه العصافير وغيرها وتقول: خذني حتى يأكلني الفقراء].

وكل هذا من خدعة الشياطين لأجل أن يظنوا من أنفسهم أنهم أولياء، والشيطان أصلا هدفه أن يغتر الإنسان بنفسه فيجعل نفسه وليا، وهذا هدف كبير جدا، فهو إما بعد ذلك يزكي نفسه، أو أن الجن هم الذين يكلموه إلى غاية أن يقول: فعلا أنا ولي! قال المؤلف رحمه الله تعالى: [ويكون الشيطان قد دخل فيها كما يدخل في الإنس ويخاطبه بمثل ذلك.

ومنهم من يكون في البيت وهو مغلق فيرى نفسه خارجه وهو لم يفتح، وبالعكس، وكذلك في أبواب المدينة وتكون الجن قد أدخلته وأخرجته بسرعة وتريه أنوارا وتحضر عنده من يطلبه ويكون ذلك من الشياطين يتصورون بصورة صاحبه فإذا قرأ آية الكرسي مرة بعد مرة ذهب ذلك كله].

أي: أنه يخرج من البيت فيجد نفسه داخل البيت، وتكون الجن قد أدخلته وأخرجته بسرعة، أو تمر به أنوار أو تحضر الجن من يطلبه، أي: الشخص الذي هو يريده.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وأعرف من يخاطبه مخاطب، ويقول له: أنا من أمر الله ويعده بأنه المهدي الذي بشر به النبي صلى الله عليه وسلم، ويظهر له الخوارق مثل أن يخطر بقلبه تصرف في الطير والجراد في الهواء].

فإذا خطر بقلبه ذهاب الطير أو الجراد يمينا أو شمالا ذهب حيث أراد.

فيقع في قلبه ويقول له الطير: هذا ما خطر بقلبك وما كنت تريده، فيظن أن هذا الكلام كله كرامة.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وفي المواشي فإذا خطر بقلبه ذهاب الطير أو الجراد يمينا وشمالا ذهب حيث أراد، وإذا خطر بقلبه قيام بعض المواشي أو نومه أو ذهابه حصل له ما أراد من غير حركة منه في الظاهر، وتحمله إلى مكة وتأتي به، وتأتيه بأشخاص في صورة جميلة وتقول له: هذه الملائكة الكروبيون أرادوا زيارتك؛ فيقول في نفسه: كيف تصوروا بصورة المردان؟ فيرفع رأسه فيجدهم بلحى، ويقول له: علامة أنك المهدي أن تنبت في جسدك شامة فتنبت ويراها، وغير ذلك، وكله من مكر الشيطان.

وهذا باب واسع لو ذكرت ما أعرفه منه لاحتاج إلى مجلد كبير].

والإمام ابن تيمية يقصد بهذا سيرة الصوفية وما يحصل لهم، فهو رحمه الله كان يخاطب الصوفية كثيرا، وتاب على يديه جماعات منهم ابن القيم رحمه الله، فـ ابن القيم كان أصله من أصحاب الطرق الصوفية، ولما التقى بشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عرف الحق وتاب، ومن أمثاله ابن رجب فقد صار إلى السنة على يد شيخ الإسلام ابن تيمية رحمهم الله، ولذلك

تجد منهم من يتكلم عن الصوفية في هذه الأشياء التي قد لا يعرفها غيرهم، وكم من أناس كانت تحصل لهم هذه الأشياء والمكاشفات، ثم إذا بهم يخرجون من هذا النفق المظلم.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وهذا باب واسع لو ذكرت ما أعرفه منه لاحتاج إلى مجلد كبير، وقد قال تعالى: ﴿فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن * وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن﴾ [الفجر:١٥ - ١٦].

قال الله تبارك وتعالى: ﴿كلا﴾ [الفجر:١٧] ولفظ (كلا) فيها زجر وتنبيه عن مثل هذا القول، وتنبيه على ما يخبر به ويؤمر به بعده، وذلك أنه ليس كل من حصل له نعم دنيوية تعد كرامة، يكون الله عز وجل مكرما له بها، ولا كل من قدر عليه ذلك -من الضيق- يكون مهينا له بذلك، بل هو سبحانه يبتلي عبده بالسراء والضراء، فقد يعطي النعم الدنيوية لمن لا يحبه ولا هو كريم عنده؛ ليستدرجه بذلك، وقد يحمي منها من يحبه ويواليه؛ لئلا تنقص بذلك مرتبته عنده، أو يقع بسببها فيما يكرهه منه.

وأيضا كرامات أولياء الله لا بد أن يكون سببها الإيمان والتقوى.

فما كان سببه الكفر والفسوق والعصيان فهو من خوارق أعداء الله لا من كرامات أولياء الله].

وهذا مثلما يجري على أيدي النصارى؛ فإنهم في كل فترة يقولون: العذراء ظهرت على الكنيسة الفلانية، ونحو ذلك، وهذه كلها سببها الكفر والفسوق والعصيان، وهذه لا بد أن تكون من خوارق العادات التي يتكلم فيها أعداء الله.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [فمن كانت خوارقه لا تحصل بالصلاة والقراءة والذكر وقيام الليل والدعاء وإنما تحصل عند الشرك مثل: دعاء الميت والغائب، أو بالفسق والعصيان، وأكل المحرمات: كالحيات والزنابير -يقصد الثعابين فهو محرم أكلها- والخنافس والدم وغيرها من النجاسات، ومثل الغناء والرقص لا سيما مع النسوة الأجانب والمردان، وحالة خوارقه تنقص عند سماع القرآن، وتقوى عند سماع مزامير الشيطان، فيرقص ليلا طويلا].

والمراد: أنه يهتز في ليلة الحضرة، ولذلك تجد في كتاب الإحياء: أن الإنسان أحيانا يفضل استماع الرقص على سماع القرآن؛ لأنه يقول: إنه يؤثر في النفوس أكثر، وهذا من البدع المنكرة المحدثة، فهو يقول: إن أي مجلس فيه سماع شيطان بهذه الطريقة يكون أحسن في حق أي إنسان حتى ولو وجد في نفسه ما وجد، والأصل: أن يرد هذا الوجد والذوق إلى الكتاب والسنة، حتى يبقى الذوق والوجد صحيحا، أما إذا وقع في قلبه ذلك وليس على منهاج الكتاب والسنة فلا بد أن يجتنبه.

يقول المؤلف رحمه الله تعالى: [فيرقص ليلا طويلا، فإذا جاءت الصلاة صلى قاعدا -من كثرة الرقص- أو ينقر الصلاة نقر الديك، وهو يبغض سماع القرآن وينفر عنه، أو يتكلفه ليس له فيه محبة ولا ذوق ولا لذة عند وجده، ويحب سماع المكاء والتصدية، ويجد عنده مواجيد، فهذه أحوال شيطانية، وهو ممن يتناوله قوله تعالى: ﴿ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين﴾ [الزخرف:٣٦]، فالقرآن هو ذكر الرحمن، قال الله تعالى: ﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى * قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا * قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى﴾ [طه:١٢٤ - ١٢٦].

يعني: تركت العمل بها.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: تكفل الله لمن قرأ كتابه وعمل بما فيه ألا يضل في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة ثم قرأ هذه الآية].

فإن من يتك." (١)

"٤ – رجال من الحكام الماضين ادعوا المهدية أو ادعاها لهم أقوام

وبعض هؤلاء رجال صالحون لقب الواحد منهم بالمهدي لا على أنه ذلك المهدي الذي أخبر عنه الرسول صلى الله عليه وسلم بل تفاؤلا بأن يكون من الأئمة المهديين الذين يقولون بالحق وبه يحكمون ومن هؤلاء المهدي الخليفة العباسي. وبعض الذين ادعوا المهدية من الحكام أو ادعيت لهم أقوام فجرة مثل الملحد عبيد الله بن ميمون القداح المتوفى ٣٢٢هـ، ومهدي المغاربة محمد بن تومرت، ومهدي الفرقة المدعوة بالكيسانية وهم يزعمون أنه محمد بن الحنفية. القيامة الصغرى لعمر بن سليمان الأشقر – ص ٢٠٦

– مهدي القرامطة الباطنية:

هو الملحد عبيد الله بن ميمون القداح وكان جده يهوديا من بيت مجوسي، فانتسب بالكذب والزور إلى أهل البيت، وادعى أنه المهدي الذي بشر به النبي صلى الله عليه وسلم وملك تغلب، واستفحل أمره إلى أن استولت ذريته الملاحدة المنافقون الذين كانوا أعظم الناس عداوة لله ولرسوله على بلاد المغرب، ومصر، والحجاز، والشام، واستشرت غربة الإسلام ومحنته ومصيبته بهم، وكانوا يدعون الإلهية، ويدعون أن للشريعة باطنا يخالف ظاهرها، وهم ملوك القرامطة الباطنية أعداء الدين، فتستروا بالرفض والانتساب كذبا إلى أهل البيت، ودانوا بدين أهل الإلحاد وروجوه، ولم يزل أمرهم ظاهرا إلى أن أنقذ الله الملة الإسلامية منهم وأبادهم، وعادت مصر دار إسلام بعد أن كانت دار نفاق وإلحاد في زمنهم.

– مهدي المغاربة:

هو محمد بن تومرت، فإنه رجل كذاب ظالم متغلب بالباطل، ملك بالظلم والتغلب والتخيل، فقتل النفوس، وأباح حريم المسلمين، وسبى ذراريهم، وأخذ أموالهم.

وكان يودع بطن الأرض في القبور جماعة من أصحابه أحياء، يأمرهم أن يقولوا للناس: إنه المهدي الذي بشر به النبي صلى الله عليه وسلم ثم يردم عليهم ليلا لئلا يكذبوه بعد ذلك. الرسالة في الفتن والملاحم وأشراط الساعة لماهر بن صالح آل مبارك— ص: ٩٤

ولهذا لما كان الحديث المعروف عند السلف والخلف أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في المهدي يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي صار يطمع كثير من الناس في أن يكون هو المهدي حتى سمى المنصور ابنه محمد ولقبه بالمهدي مواطأة لاسمه باسمه واسم أبيه باسم أبيه ولكن لم يكن هو الموعود به وأبو عبدالله محمد بن التومرت الملقب بالمهدي الذي ظهر بالمغرب ولقب طائفته بالموحدين وأحواله معروفة كان يقول إنه المهدي المبشر به وكان أصحابه يخطبون له على منابرهم فيقولون في خطبتهم الإمام المعصوم المهدي المعلوم الذي بشرت به في صريح وحيك الذي اكتنفته بالنور الواضح والعدل اللائح الذي

---

(١) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ياسر برهامي ٩/٥

ملأ البرية قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا وهذا الملقب بالمهدي ظهر سنة بضع وخمسمائة وتوفى سنة أربع وعشرين وخمسمائة وكان ينتسب إلى أنه من ولد الحسن لأنه كان أعلم بالحديث فادعى أنه هو المبشر به ولم يكن الأمر كذلك ولا ملأ الأرض كلها قسطا ولا عدلا بل دخل في أمور منكرة منهاج السنة النبوية لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية – ٤/ ٤٠." (١)

"قال الجونبوري وهو من مدعي المهدية في الهند: (كثر الخلاف في الحديث ويصعب تمييز الصحيح من السقيم، فالذي يوافق كتاب الله تعالى: ويوافق أحوالي فاقبلوه). فهل يقول مثل هذا عاقل؟ وهل يقر به متجرد عن الهوى؟ اللهم لا، ولما سأل علماء هرات الجونبوري: على أي أساس تدعي المهدية لنفسك؟ قال: أنا لا أدعيها من عند نفسي، بل أدعيها بأمر من الله سبحانه وتعالى، وسئل مرة: إن اسم أبي المهدي عبدالله، وأنت ابن سيدخان، فأجاب قائلا: أليس الله بقادر على أن يبعث مهديا ابن سيدخان؟! وأجاب مرة ثانية: اسألوا الله لماذا بعث ابن سيدخان مهديا؟! وقال مرة ثالثة: اذهبوا فقاتلوا الله تعالى: لماذا بعث ابن سيدخان، فتأمل كيف يسيطر الهوى على أمثال أولئك ويردون النصوص ويحرفونها لتسلم لهم دعاويهم الفارغة. أما أتباع بعض دعاة المهدية فحالهم كذلك عجيب خذ مثلا ما نشر في (العروة الوثقى) (١): لقد أخذ الاعتقاد بمحمد أحمد سبيلا في قلوب الهنديين، حتى كتب إلينا أحد أصدقائنا في لاهور أن محمد أحمد لو كان دجالا لأوجبت علينا الضرورة أن نعتقده مهديا، وأن لا نفرط في شيء مما يؤيده. نعم و (لو كان دجالا لأوجبت علينا الضرورة أن نعتقده مهديا) هل يقول هذا عاقل متجرد لنصرة الحق؟ أم هو من أقوال من غلبتهم أهواؤهم فأعمتهم وأصمتهم؟ نسأل الله الهداية، ولذا فإن كثيرا من تلكم الدعوات القائمة على دعوى المهدوية تستمر ولو مات المهدي المزعوم أو قتل، ولا يكون في مثل ذلك عبرة وعظة للأتباع لمعرفة حجم الضلال والانحراف الذي وقع بهم ومنهم، ويصعب عليهم العود إلى الحق، فيلوون عنق الواقع، كما لووا عنق النصوص، فلان ما مات، فلان حي وسيعود، فلان في دور الستر وسيخرج، فلان قد رئي العام عند الكعبة وهكذا، ومثال هذا ما ذكره البرزنجي قال: وقد ذكر الشيخ علي المتقي في رسالة له في أمر المهدي: أن في زمانه خرج رجل بالهند ادعى أنه المهدي المنتظر واتبعه خلق كثير، وظهر أمره وطار صيته، ثم إنه مات بعد مدة، وأن أتباعه لم يرجعوا عن اعتقادهم، ... وأن أولئك القوم إلى الآن على ذلك الاعتقاد الخبيث، وأنهم يعرفون بالمهدوية، وربما سموا بالقتالية، لأن كل من قال لهم: إن اعتقادكم باطل، قتلوه، حتى إن الرجل الواحد منهم يكون بين الجمع الكثير من المسلمين، فإذا قيل له: إن اعتقادك باطل، قتل القائل، ولا يبالي أيقتل أم يسلم، وهم خلق كثير، وقد ضموا إلى ذلك الاعتقاد بدعا أخر خرجوا بها عن سواء الصراط)، قال صديق حسن خان: (قلت: وهذا هو السيد محمد الجونفوري).
والمقصود أن من أراد أن يلج هذا الباب – ... باب تنزيل النصوص على الواقع– فيجب عليه أن يلقي على عتبته أهواءه ليسلم له دينه أولا، ويصح له تنزيله ثانيا، أما أن يبقى على هواه ويريد أن يصح التنزيل فلا، وليعلم أنه سيكون ساعتئذ منزلا لهواه على الواقع لا لنصوص مولاه وأقوال نبيه صلى الله عليه وسلم. منارات وعلامات في تنزيل أحاديث الفتن على الوقائع والحوادث لعبد الله بن صالح العجيري – بتصرف– ص١٢٣

---

(١) الموسوعة العقدية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٤/ ٢٣٥

(١) ((العروة الوثقى)) (ص٢٠٨ - ٢٠٩).." (١)

"٢٠٨٣٨ - أخبرنا عبد الرزاق، عن معمر، عن أيوب، أو غيره، عن ابن سيرين، قال: «ﷺينزل ابن مريم عليه لأمته، وممصرتان بين الأذان والإقامة، فيقولون له: تقدم، فيقول: بل يصلي بكم إمامكم، أنتم أمراء بعضكم على بعض» ،

٢٠٨٣٩ - أخبرنا عبد الرزاق، عن معمر، قال: كان ابن سيرين يرى أنه المهدي الذي يصلي وراءه عيسى." (٢)

"٤٠٥ - حدثنا ابن المبارك، عن الأسود بن شيبان السدوسي، عن خالد بن سمير، قال: هرب موسى بن طلحة بن عبيد الله من المختار إلى البصرة مع وجوه أهل الكوفة، وكان الناس يرون في زمانه أنه المهدي، فسمعته يوما وذكر الفتنة فقال: «رحم الله عبد الله بن عمر، أو أبا عبد الرحمن، والله إني لأحسبه على عهد النبي صلى الله عليه وسلم الذي عهد إليه، ﷺلم يفتن بعده، ولم يتغير، والله ما استفزته قريش في فتنتها الأولى» فقلت في نفسي: إن هذا ليزري على أبيه في مقتله." (٣)

"٢٦٩ - محمد بن عجلان مولى فاطمة بنت الوليد بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، ويكنى أبا عبد الله ، وكان عابدا ناسكا فقيها ، وكانت له حلقة في المسجد ، وكان -[٣٥٥]- يفتي ، وكان داود بن قيس الفراء يجلس إليه. قال محمد بن عمر: سمعت عبد الله بن محمد بن عجلان يقول: حمل بأبي أكثر من ثلاث سنين قال محمد بن عمر: وسمعت نساء آل جحاف من ولد زيد بن الخطاب يقلن: ما حملت منا امرأة أقل من ثلاثين شهرا والحمل كذلك ، أراد توطأ ثم ترفعها الحيضة ثلاث سنين أو أقل أو أكثر ، ثم يستبين الحمل من غير وطء حادث قال: وسمعت مالك بن أنس يقول: قد يكون الحمل سنتين أو أكثر ، وأعرف من حمل به أكثر من سنتين يعني نفسه قال: وخرج محمد بن عجلان مع محمد بن عبد الله بن حسن حين خرج بالمدينة ، فلما قتل محمد بن عبد الله وولي جعفر بن سليمان بن علي المدينة بعث إلى محمد بن عجلان فأتي به فبكته وكلمه كلاما، وقال: خرجت مع الكذاب وأمر به تقطع يده ، فلم يتكلم محمد بن عجلان بكلمة إلا أنه يحرك شفتيه بشيء لا يدرى ما هو ، يظن أنه يدعو ، قال: فقام من حضر جعفر بن سليمان من فقهاء أهل المدينة وأشرافهم ، فقالوا: أصلح الله -[٣٥٦]- الأمير ، محمد بن عجلان فقيه أهل المدينة وعابدها وإنما شبه عليه ، وظهر أنه المهدي الذي جاءت فيه الرواية. فلم يزالوا يطلبون إليه حتى تركه ، فولى محمد بن عجلان منصرفا لم يتكلم بكلمة

---

(١) الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٢٣٦/٤

(٢) جامع معمر بن راشد معمر بن راشد ٣٩٩/١١

(٣) الفتن لنعيم بن حماد نعيم بن حماد المروزي ١٥٨/١

حتى أتى منزله قال محمد بن عمر: قد رأيته وسمعت منه ، ومات سنة ثمان ، أو تسع وأربعين ومائة بالمدينة في خلافة أبي جعفر المنصور ، وكان ثقة كثير الحديث." (١)

"الأمير، محمد بن عجلان فقيه أهل المدينة وعابدها! وإنما شبه عليه وظن أنه المهدي الذي جاءت فيه الرواية فلم يزالوا يطلبون إليه حتى تركه، فولى محمد بن عجلان منصرفا لم يتكلم بكلمة حتى أتى منزله"١.

قال محمد بن عمر: "قد رأيته وسمعت منه، ومات سنة ثمان، أو تسع وأربعين ومائة بالمدينة في خلافة أبي جعفر المنصور، وكان ثقة٢ كثير الحديث"٣.

٢٧٠ محمد بن أبي مريم

مولى لبني سليم، ثم لبني ناصرة، توفي بعد مخرج محمد بن عبد الله بن حسن٤ بالمدينة٥.

وأخوه:

---

١ انظر تذكرة الحفاظ ١/١٦٥. وميزان الاعتدال ٣/٦٤٥.

٢ ووثقه أحمد، وابن عيينة، وابن معين، وأبو زرعة، وأبو حاتم، والنسائي، والعجلي، وابن حبان. وقال يعقوب بن شيبة: "صدوق وسط"، وقال الساجي: "هو من أهل الصدق"، وقال العقيلي: "يضطرب في حديث نافع"، ونقل البخاري عن القطان: "أنه اختلطت عليه أحاديث أبي هريرة". وقال الذهبي: "إمام صدوق مشهور، وقد تكلم فيه المتأخرون من أئمتنا في سوء حفظه". وقال ابن حجر: "صدوق إلا أنه اختلطت عليه أحاديث أبي هريرة وقد أخرج له البخاري تعليقا، ومسلم متابعة، والأربعة". (انظر: التاريخ الكبير للبخاري ١/١/١٩٦. والجرح والتعديل ٤/١/٤٩. ومشاهير علماء الأمصار ١٤٠. وتذكرة الحفاظ ١/١٦٥. وميزان الاعتدال ٣/٦٤٤. وتهذيب التهذيب ٩/٣٤١. وتقريب التهذيب ٣١١)

٣ أوردها ابن حجر في تهذيب التهذيب ٩/٣٤٢، نقلا عن الواقدي ويحذف (بالمدينة ... المنصور) .

٤ وكان مخرج محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن سنة ١٤٥هـ. وستأتي ترجمته رقم ٢٩٨.

٥ ذكر ابن أبي حاتم، محمد بن أبي مريم وسكت عنه. (انظر: الجرح والتعديل ٤/١/١٠٧) .." (٢)

"بالمدينة. فلما قتل محمد بن عبد الله وولي جعفر بن سليمان بن على المدينة. بعث إلى محمد بن عجلان فأتي به. فبكته وكلمه كلاما. وقال: خرجت مع الكذاب. وأمر به تقطع يده. فلم يتكلم محمد بن عجلان بكلمة. إلا أنه يحرك شفتيه بشيء لا يدري ما هو. يظن أنه يدعو. قال: فقام من حضر جعفر بن سليمان من فقهاء أهل المدينة وأشرافهم. فقالوا: أصلح الله الأمير. محمد بن عجلان فقيه أهل المدينة وعابدها! وإنما شبه عليه وظهر أنه المهدي الذي جاءت فيه الرواية. فلم يزالوا يطلبون إليه حتى تركه. فولى محمد بن عجلان منصرفا لم يتكلم بكلمه حتى أتى منزله.

قال محمد بن عمر: قد رأيته وسمعت منه. ومات سنة ثمان. أو تسع وأربعين ومائة بالمدينة في خلافة أبي جعفر المنصور.

---

(١) الطبقات الكبرى – متمم التابعين – مخرجا ابن سعد ص/٣٥٤

(٢) الطبقات الكبرى – متمم التابعين – محققا ابن سعد ص/٣٥٦

وكان ثقة كثير الحديث.

١٢٦٥- محمد بن أبي مريم

مولى لبني سليم. ثم لبني ناصرة. توفي بعد مخرج محمد بن عبد الله بن حسن بالمدينة.

١٢٦٦- وأخوه عبد الله بن أبي مريم

وهو أبو يحيى بن عبد الله بن أبي مريم.

الذي كان مع هارون أمير المؤمنين. وتوفي بعد خروج محمد بن عبد الله بن حسن.

وقد روي عنه.

١٢٦٧- مسلم بن أبي مريم

مولى لبعض أهل المدينة. وليس بأخ بمحمد وعبد الله ابني أبي مريم. وقد روى عنه مالك. وقد كان شديدا على القدرية.

وكان ثقة قليل الحديث.

أخبرنا محمد بن عمر. قال: أخبرنا محمد بن عبد الرحمن بن أبي الزناد.

قال: كان مسلم بن أبي مريم شديدا على القدرية. عائبا لهم ولكلامهم. قال:

فانكسرت رجله فتركها لم يجبرها. فكلم في ذلك. فقال: يكسرها هو وأجبرها أنا! لقد عاندته إذا.

١٢٦٨- الحارث بن عبد الرحمن

بن سعد بن أبي ذباب الدوسي من أنفسهم. وكان

١٢٦٧ تهذيب الكمال (١٣٢٧) ، وتهذيب التهذيب (٩/ ١٣٨) ، وتقريب التهذيب (٢/ ٢٤٧) ، والتاريخ الكبير (٧/ ٢٧٥) ، والجرح والتعديل (٨/ ١٩٦) .

١٢٦٨ تهذيب الكمال (٢١٦) ، وتهذيب التهذيب (٢/ ١٤٨) ، وتقريب التهذيب (١/ ١٤٢) ، والتاريخ الكبير (٢/ ٢٧٢) ، والجرح والتعديل (٣/ ٨٠) ، ومعرفة الرجال (١/ ٢٥٥) ، (٢/ ٤٧٥) ، ومشاهير علماء الأمصار (١٠١٤) ، والمجروحين لابن حبان (٢/ ١٨٩) ، وموضح أوهام الجمع (١/ ١٨) ، والجمع لابن القيسراني (١/ ٣٧١) ، وتذهيب التهذيب (١/ ١١٤) ، والكاشف (١/ ١٩٥) ، وميزان الاعتدال (١/ ٤٣٧) ، والمغني (١/ ١٢٣٧) ، وتاريخ الإسلام (٦/ ٤٩) ، وخلاصة الخزرجي (١/ ١١٤٣) .." (١)

"لكم كمحمد بن الحنفية! وقد سمعتم أخباره وأنه قبض على درع فاضلة فجذبها فقطع ذيلها ما استدار منه كله. وسمعتم حديث الأيد القوي الذي أرسله ملك الروم إلى معاوية يفخر به على العرب، وأن محمدا قعد له ليقيمه فلم يستطع فكأنما يحرك جبلا، وأن الرومي قعد ليقيمه محمد فرفعه فوق رأسه ثم جلد به الأرض. هذا مع الشجاعة المشهورة والفقه في الدين والحلم والصبر والفصاحة والعلم بالملاحم والإخبار عن الغيوب حتى ادعى له أنه المهدي. وقد سمعتم أحاديث أبي

---

(١) الطبقات الكبرى ط العلمية ابن سعد ٤٣١/٥

اسحق المعتصم وأن أحمد بن أبي دؤاد عض ساعده بأسنانه أشد العض فلم يؤثر فيه، وأنه قال: ما أظن الأسنة ولا السهام تؤثر في جسده؟! وإن كان الفخر بالبشر وطلاقة الأوجه وسجاحة الأخلاق، فمن مثل علي بن أبي طالب؟ وقد بلغ من سجاحة خلقه وطلاقة وجهه أن عيب بالدعابة. ومن الذي يسوى بين عبد شمس وهاشم في ذلك! كان الوليد جبارا، وكان هشام شرس الأخلاق، وكان مروان بن محمد لا يزال قاطبا عابسا، وكذلك كان يزيد بن الوليد الناقص. وكان المهدي بن المنصور أسرى خلق الله وألطفهم خلقا، وكذلك محمد الأمين وأخوه المأمون. وكان السفاح يضرب به المثل في السرو وسجاحة الخلق.

قالوا: ولنا من أفراد الرجال من ليس لكم مثله. منا يحيى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، كان شجاعا [جريئا] ، وهو الذي ولى الموصل لأخيه السفاح فاستعرض أهلها حتى ساخت الأقدام في الدم. ومنا يعقوب بن ابراهيم بن عيسى بن أبي جعفر المنصور، كان شاعرا فصيحا، وهو المعروف بأبي الأسباط. ومنا محمد وجعفر ابنا سليمان بن علي، كانا أعظم من ملوك بني أمية وأجل قدرا وأكثر أموالا ومكانا عند الناس. وأهدى محمد بن سليمان من البصرة إلى الخيزران مائة وصيفة في يد كل واحدة منهن جام من ذهب وزنه ألف مثقال مملوء مسكا. وكان لجعفر بن سليمان ألفا عبد من السودان خاصة، فكم يكون ليت شعري غيرهم من البيض ومن الإماء! وما رؤى جعفر بن محمد راكبا قط إلا ظن أنه الخليفة. ومن رجالنا محمد بن السفاح، كان جوادا أيدا شديد." (١)

"قال أبو داود: لفظ عمر وأبي بكر بمعنى سفيان. ولم يقل أبو بكر: "العرب".

= ١١/ ٢٥١: والحاصل أن عاصم بن بهدلة -وهو عاصم بن أبي النجود نفسه- ثقة على رأي أحمد وأبي زرعة، وحسن الحديث صالح الاحتجاج على رأي غيرهما، ولم يكن فيه إلا سوء الحفظ، فرد الحديث بعاصم ليس من دأب المنصفين، على أن الحديث قد جاء من غير طريق عاصم أيضا، فارتفعت عن عاصم مظنة الوهم، والله أعلم.

قلنا: ولكن المهدي المذكور في هذه الأحاديث ليس هو مهدي الرافضة المزعوم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في "منهاج السنة" ٨/ ٢٥٩ بعد أن ذكر عددا ممن ادعى أنه المهدي كمحمد بن تومرت، وأن منهم من قتل ومنهم من ادعى ذلك فيه أصحابه، قال: وهؤلاء كثيرون، لا يحصي عددهم إلا الله، وربما حصل بأحدهم نفع لقوم، وإن حصل به ضرر لآخرين، كما حصل بمهدي المغرب: انتفع به طوائف وتضرر به طوائف، وكان فيه ما يحمد وإن كان فيه ما يذم، وبكل حال فهو وأمثاله خير من مهدي الرافضة، الذي ليس له عين ولا أثر، ولا يعرف له حس ولا خبر، لم ينتفع به أحد لا في الدنيا ولا في الدين، بل حصل باعتقاد وجوده من الشر والفساد، ما لا يحصيه إلا رب العباد.

وقال ابن القيم في "المنار المنيف" ص ١٥٢ - ١٥٣ عن معتقد الرافضة في مهديهم: دخل سرداب سامراء طفلا صغيرا، من أكثر من خمس مئة سنة (ونقول نحن: من أكثر من ألف سنة) فلم تره بعد ذلك عين، ولم يحس فيه بخبر ولا أثر، وهم ينتظرونه كل يوم، يقفون بالخيل على باب السرداب، ويصيحون به أن يخرج إليهم: اخرج يا مولانا، اخرج يا مولانا، ثم

---

(١) الرسائل السياسية الجاحظ ص/٤٥٩

يرجعون بالخيبة والحرمان فهذا دأبهم ودأبه ... إلى أن قال: ولقد أصبح هؤلاء عارا على بني آدم، وضحكة يسخر منهم كل عاقل.

وقال ابن كثير في "النهاية في الفتن والملاحم" ١/ ٥٥: يخرج المهدي، ويكون ظهوره من بلاد المشرق، لا من سرداب سامراء، كما تزعمه جهلة الرافضة من أنه موجود فيه الآن، وهم ينتظرون خروجه في آخر الزمان، فإن هذا نوع من الهذيان، وقسط كثير من الخذلان وهوس شديد من الشيطان، إذ لا دليل عليه ولا برهان، لا من كتاب ولا من سنة ولا من معقول صحيح ولا استحسان.." (١)

"٣١١٨- سمعت يحيى بن معين يقول كان يحيى بن سعيد لا يرضي محمد بن عجلان ولا كثيرا من المكيين.

٣١١٩- وسمعت يحيى بن معين يقول: سمعت يحيى بن سعيد يقول: لو جزيت من أروي عنه لم أرو إلا عن القليل.

٣١٢٠- وأخبرني مصعب، قال: العجلان مولى فاطمة بنت عتبة بن ربيعة، روى عجلان عن أبي هريرة، كان ابنه محمد روى عنه أبيه عن أبي هريرة، وكان له ... قدر بالمدينة وكان ممن خرج مع محمد بن عبد الله فأراد جعفر بن سليمان قطع يده فسمع صيحة أهل المدينة، فقال: ما هذه الصيحة؟ فقالوا: صيحة أهل المدينة يدعون لابن عجلان، فلو أن الأمين عفا عنه فإن له عند أهل المدينة قدرا، وإنما غر أخطأ في الرواية وظن أنه المهدي فأطلقه وعفا عنه.

٣١٢١- رأيت في كتاب علي بن المديني: قال يحيى بن سعيد: هذا محمد بن عجلان قد خرج، قلت له: مع محمد؟ قال: نعم فادس.

٣١٢٢- حدثنا هيثم بن خارجة، قال: سمعت الوليد بن مسلم، قال." (٢)

"يا خير من ضمنت يدا ... هـ كم في يديك من الذمام

كم في يديك من الندى ... وضروب ألوان الحمام

حوض الخليفة بالندى ... يشفي الغليل من الأوام

إن الخليفة في يدي ... هـ سجال عفو وانتقام

كان سلم الخاسر يذهب بالمهدي إلى أنه المهدي الذي وصف رسول الله صلى الله عليه وآله.

ومما يستحسن من شعره قصيدته في موسى الهادي بن المهدي وهي هذه:

سألت الديار وأطلالها ... وما إن تجاوب سؤالها

منازل قد أقفرت بعدنا ... وجرت بها الريح أذيالها

وصهباء تعمل في الناظرين ... شربت على الريق سلسالها

وقد كنت للكأس والغانيات ... إذا هجر القوم وصالها

وكم قد رفعت ستور الملوك ... وزاولت بالشعر أزوالها

---

(١) سنن أبي داود ت الأرنؤوط السجستاني، أبو داود ٣٤٠/٦

(٢) التاريخ الكبير = تاريخ ابن أبي خيثمة - السفر الثالث ابن أبي خيثمة ٣١٨/٢

ونلت مجالس مشهورة ... ينال الكرام بمن نالها

ولقد جعل الله في راحتيك ... حياة النفوس وآجالها

وجدناك في كتب الأولي ... ن محي النفوس وقتالها

وموسى شبيه أبي جعفر ... ومعطي الرغائب سؤالها

ولولا مكانك من بعده ... لأنكرت العوذ أطفالها." (١)

"أبو جعفر محمد بن علي وأن الإمام بعد أبي جعفر محمد بن عبد الله بن الحسن الخارج بالمدينة وزعموا أنه المهدي وأنكروا إمامة المغيرة بن سعد.

١٥ - والصنف الخامس عشر من الرافضة يسوقون الإمامة من علي حتى ينتهوا بها إلى علي بن الحسين ويزعمون أن علي بن الحسين نص على إمامة أبي جعفر محمد بن علي وأن أبا جعفر محمد بن علي أوصى إلى أبي منصور ثم اختلفوا فرقتين:

الحسينية ١:

فرقة يقال لها الحسينية يزعمون أن أبا منصور أوصى إلى ابنه الحسين بن أبي منصور وهو الإمام بعده.

المحمدية ٢:

وفرقة أخرى يقال لها المحمدية مالت إلى تثبيت أمر محمد بن عبد الله بن الحسن وإلى القول بإمامته وقالوا: إنما أوصى أبو جعفر إلى أبي منصور دون بني هاشم كما أوصى موسى صلى الله عليه إلى يوشع بن نون٣ دون ولده ودون ولد هارون ثم إن الأمر بعد أبي منصور راجع إلى ولد علي كما رجع الأمر بعد يوشع بن نون إلى ولد هارون.

قالوا: وإنما أوصى موسى عليه السلام إلى يوشع بن نون دون ولده ودون ولد هارون لئلا يكون بين البطنين اختلاف فيكون يوشع هو الذي يدل على صاحب الأمر فكذلك أبو جعفر أوصى إلى أبي منصور وزعموا أن أبا منصور قال: إنما أنا مستودع وليس لي أن أضعها في غيري ولكن القائم هو محمد بن عبد الله.

الناوسية ٤:

١٦ - والصنف السادس عشر من الرافضة يسوقون الإمامة إلى أبي جعفر

---

١ الحسينية: المقالات والفرق: ٧٤ الحور العين: ١٥٦ - ١٥٧، ١٦٩، ٢٥٢ و ٢٥٩. اعتقادات فرق المسلمين: ٤٥.

٢ المحمدية: المقالات والفرق: ٥٩، ٦١، ١٩٢ الفرق بين الفرق: ٤٣ - ٤٥ التبصير: ٣٩ و ١٠٩ - ١١٠.

٣ يوشع بن نون: هو صاحب موسى عليه السلام وفتاه الذي ردت له الشمس. تاج العروس مادة: وش ع.

٤ الناوسية: المقالات والفرق: ٨٠، ٢١٢ الفرق بين الفرق: ٤٦ التبصير: ٤٠ الملل والنحل: ١/ ١٣٤ الحور العين: ١٦٢ و ٢٥١.." (٢)

---

(١) طبقات الشعراء لابن المعتز ابن المعتز ص/١٠٤

(٢) مقالات الإسلاميين ت زرزور أبو الحسن الأشعري ٣٩/١

"وعمومها وبنيهم وكانت تلبس المسوح ولا تجعل بين جسدها وبينها شعارا حتى لحقت بالله، وكانت تندبهم وتبكي حتى يغشى عليها [١].

ولا نعرف إذا ما كان الحسين بن علي الفخي قد شارك أخواله في ثورتهم ويروي أبو الفرج عن علي بن إبراهيم العلوي [٢]-وهو مؤلف كتاب «أخبار صاحب فخ»، وكتاب «أخبار يحيى بن عبد الله بن الحسن» -بسنده إلى الحسين صاحب فخ قوله [٣]: «لما خرجت مع محمد بن عبد الله قال لي: يا بني ارجع لعلك تقوم بهذا الأمر من بعدي». ولا يشير هذا الخبر إلى خروجه معه أو عدمه، ولا نعلم إذا ما كان خرج مع إبراهيم بن عبد الله بعد ذلك أو أنه تخفى أو سجن فيمن سجن بعد القضاء على الثورتين. وإذا افترضنا أنه سجن فيكون في عداد من أطلقهم المهدي من سجن المنصور بعد توليته الخلافة واستعماله سياسة اللين والمهادنة مع العلويين، ويكون عمره آنذاك ثلاثين عاما. على أن هذا الخبر يحمل في طياته علائم الوضع المتأخر، وكأنه يلمح إلى أن النفس الزكية قد بارك خروج الحسين بن علي وتنبأ به قبل وقوعه بربع قرن وأنه يفوضه غيابيا تولي أمور بني الحسن، وكأن محمد ابن عبد الله النفس الزكية الذي كان يرى أنه المهدي، استشرف هزيمته وهزيمة أخيه قبل وقوعها.

على أي حال فقد سكتت المصادر عن ذكر الحسين بن علي ويحي بن عبد الله وادريس بن عبد الله، أخوي النفس الزكية، في عداد من خرج مع النفس الزكية، كما سكتت عن أخبارهم قبل موقعة فخ. فلا يطالعنا ذكرهم إلا عند الحديث عن خروج الحسين بن علي، وهنا يشار إلى الحسين بن علي بأنه كبير القوم ورئيسهم،

[١] مقاتل الطالبيين ٤٣١ - ٤٣٢

[٢] Gunther,Quellenuntersuchungen. S١٤١ -٤٤١.

[٣] مقاتل الطالبيين ٢٧٩.." (١)

"قتل أخوي محمدا وإبراهيم، صلوات الله عليهما، العابدين العالمين المجتهدين، الذائدين عن محارم الله، شريا والله أنفسهما لله جل ثناؤه، فنصب رؤوسهما في مساجد الله على الرماح، حتى قصمه قاصم الجبارين؛ ثم ملك بعده ابنه الضال فانتهك الحرمات واتبع الشهوات، واتخذ القينات، وحكم بالهوى، واستشار الإماء ولعبت به الدنى، وزعم أنه المهدي الذي بشرت به الأنبياء، فضيق على ذرية محمد، صلى الله عليه وآله وسلم، وطردهم وكفل من ظهر منهم وعرضهم طرفي النهار، حتى ان الرجل ليموت من ذرية محمد، صلى الله عليه وآله وسلم، فما يخرج به حتى يتغير؛ ثم بعث إلي (١) وقيدني وأمر بقتلي، فقصمه قاصم الجبارين، وجرت عليه سنة الظالمين فخسر الدنيا والآخرة، ذلك هو الخسران المبين (الحج ٢٢/ ١١)؛ ثم ملك بعده ابنه الفاسق في دين الله، فسار/بما لا تبلغه الصفة من الجرأة على رب العالمين، ثم بعث/ليأخذ نفرا منا (٢) فيضرب أعناقهم بين قبر (٣) رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومنبره (٤)، فكان من ذلك ما لا أظنه إلا قد بلغ كل مسلم، ثم قتل أخي سليمان بن عبد الله، وقتل ابن عمي الحسين بن علي، صلوات الله عليه، في حرم الله، وذبح ابن أخي

(١) أخبار فخ وخبر يحيي بن عبد الله وأخيه إدريس بن عبد الله أحمد بن سهل الرازي ص/٤٥

الحسن بن محمد بن عبد الله في حرم الله بعدما أعطي أمان الله.

وأنا ابن نبيكم، صلى الله عليه وآله وسلم، أدعوكم إلى كتاب الله

---

(١) ص: لي.

(٢) ص: منا نفرا منا.

(٣) د: منبر.

(٤) «ومنبره»، ليست في د.." (١)

"وكان أهل بيته يسمونه المهدي، ويقدرون أنه الذي جاءت فيه الرواية.

وكان علماء آل أبي طالب يرون فيه أنه النفس الزكية «١» ، وأنه المقتول بأحجار الزيت.

وكان من أفضل أهل بيته، وأكبر أهل زمانه في زمانه، في علمه بكتاب الله، وحفظه له، وفقهه في الدين، وشجاعته، وجوده، وبأسه، وكل أمر يجمل بمثله، حتى لم يشك أحد أنه المهدي، وشاع ذلك له في العامة وبايعه رجال من بني هاشم جميعا، من آل أبي طالب، وآل العباس، وساير بني هاشم ثم ظهر من جعفر بن محمد قول في أنه لا يملك، وأن الملك يكون في بني العباس، فانتبهوا من ذلك لأمر لم يكونوا يطمعون فيه.

وخرجت دعاة بني هاشم إلى النواحي عند مقتل الوليد بن يزيد، واختلاف كلمة بني مروان، فكان أول ما يظهرونه فضل علي بن أبي طالب وولده، وما لحقهم من القتل والخوف والتشريد، فإذا استتب لهم الأمر ادعى كل فريق منهم الوصية لمن يدعو إليه. فلما ظهرت الدعوة لبني العباس وملكوا، حرص السفاح، والمنصور على الظفر بمحمد وإبراهيم «٢» لما في أعناقهم من البيعة لمحمد وتواريات فلم يزالا ينتقلان في الاستتار، والطلب يزعجهما من ناحية إلى أخرى، حتى ظهرا فقتلا، صلوات الله عليهما ورضوانه! قال أبو الفرج الأصبهاني:

وأنا أذكر من ذلك طرفا يتسق به خبرهما دون الإطالة لسائر ما عندي من ذلك، إذ كان هذا كتابا مختصرا قريب المأخذ، وكان شرح جميع ما روى في ذلك- على كثرته- يطول به الكتاب.." (٢)

"سمعت أبا جعفر المنصور يقول في أيام بني أمية، وهو في نفر من بني أبيه [عند محمد بن عبد الله بن حسن] قال: ما في آل محمد (ص) أعلم بدين الله، ولا أحق بولاية الأمر من محمد بن عبد الله، وبايع له، وكان يعرفني بصحبته والخروج معه. قال يعقوب بن عربي: فلما قتل محمد حبسني بضع عشرة سنة.

أخبرني «١» يحي بن علي، وأحمد بن عبد العزيز، وعمر بن عبيد الله العتكي، قالوا: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثني محمد بن يحيي، عن عبد العزيز بن عمران، عن عبد الله بن جعفر بن عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة، قال أبو زيد، وحدثني جعفر بن محمد بن إسماعيل بن الفضل الهاشمي، عن رجل من بني كنانة، قال أبو زيد، وحدثني عبد الرحمن بن عمرو بن

---

(١) أخبار فخ وخبر يحيي بن عبد الله وأخيه إدريس بن عبد الله أحمد بن سهل الرازي ص/٣٢٣

(٢) مقاتل الطالبيين أبو الفرج الأصبهاني ص/٢٠٧

حبيب، عن الحسن بن أيوب مولى بني نمير، عن عبد الأعلى بن أعين. كل هؤلاء قد روى هذا الحديث بألفاظ مختلفة، ومعان قريبة، فجمعت رواياتهم، لئلا يطول الكتاب بتكرير الأسانيد:

أن بني هاشم اجتمعوا فخطبهم عبد الله بن الحسن فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

إنكم أهل البيت قد فضلكم الله بالرسالة، واختاركم لها، وأكثركم بركة يا ذرية محمد (ص) بنو عمه وعترته، وأولى الناس بالفزع في أمر الله، من وضعه الله موضعكم من نبيه (ص) ، وقد ترون كتاب الله معطلا، وسنة نبيه متروكة، والباطل حيا، والحق ميتا. قاتلوا لله في الطلب لرضاه بما هو أهله، قبل أن ينزع منكم اسمكم، وتهونوا عليه كما هانت بنوا إسرائيل، وكانوا أحب خلقه إليه. وقد علمتم أنا لم نزل نسمع أن هؤلاء القوم إذا قتل بعضهم بعضا خرج الأمر من أيديهم، فقد قتلوا صاحبهم- يعني الوليد بن يزيد- فهلم نبايع محمدا، فقد علمتم أنه المهدي.." (١)

"أخبرني عيسى بن الحسين، قال: حدثنا هرون بن موسى الفروي، قال:

وخرج عبد الواحد بن أبي عون «١» ، مع محمد بن عبد الله وكان من دوس، وكان منقطعا إلى عبد الله بن الحسن، فطلبه أبو جعفر فيمن طلب بعد مقتل محمد، فتوارى عند محمد بن يعقوب بن عيينة، فمات عنده فجاءه في سنة أربع وأربعين ومائة. وقد حمل عنه الحديث، وكان ثقة.

أخبرني وكيع، قال: حدثنا إسماعيل بن مجمع، عن الواقدي، قال:

كان ابن عجلان فقيه أهل المدينة وعابدهم غير مدافع. وكان له حلقة في مسجد النبي (ص) يفتي فيها الناس ويحدثهم. فلما خرج محمد بن عبد الله بن الحسن خرج معه، فلما قتل محمد، وولي جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس المدينة بعث إلى ابن عجلان فأتي به فسكت فقال له: أخرجت مع الكذاب؟ وأمر بقطع يده، فلم يتكلم ابن عجلان بكلمة إلا أنه كان يحرك شفتيه بشيء لا يدري ما هو، فظن أنه يدعو، فقام من حضر جعفرا من فقهاء المدينة وأشرافها فقالوا له: أصلح الله الأمير، محمد بن عجلان فقيه أهل المدينة وعابدهم، وإنما شبه عليه، وظن أنه المهدي الذي جاءت فيه الرواية، فلم يزالوا يطلبون إليه، حتى تركه. فولى ابن عجلان منصرفا، فلم يتكلم بكلمة حتى أتى منزله.

قال الواقدي: وقد رأيته وسمعت منه، وكان ثقة كثير الحديث. مات بالمدينة سنة ثمان أو تسع وأربعين ومائة، في خلافة أبي جعفر «٢» .

أخبرني وكيع، قال: حدثنا إسماعيل بن مجمع، عن الواقدي، قال:

خرج عبد الله بن عمر بن العمري «٣» ، مع محمد بن عبد الله، هو." (٢)

"أخبرني محمد بن خلف بن وكيع: قال: حدثنا إسماعيل بن مجمع، عن الواقدي قال:

خرج عبد الله بن جعفر بن عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة، مع محمد بن عبد الله بن الحسن «١» وكان من ثقات أصحاب محمد، وكان يعلم علمه في تواريه، وكان إذا دخل المدينة مستخفيا فجاءه فنزل في داره، فكان أبو جعفر يدخل على الأمراء

---

(١) مقاتل الطالبيين أبو الفرج الأصبهاني ص/٢٢٤

(٢) مقاتل الطالبيين أبو الفرج الأصبهاني ص/٢٥٤

يسمع كلامهم، ويعرف أمورهم سائر نهاره يروح إليه فيخبره بذلك.

وكان من رجال أهل المدينة، علما بالفقه، وصدقا بالحديث وتقدما بالفتوى، وكان يرشح للقضاء.

قال الواقدي: ولقد حدثني بن أبي الزياد أنه ما مات قاض بالمدينة، ولا عزل إلا ظنوا أن عبد الله بن جعفر يتولى مكانه، لكمال علمه ومروءته، وفضله، فمات وما ولى القضاء، ولا قعد به عن ذلك عندهم إلا خروجه إليهم مع محمد. فلما قتل محمد توارى فلم يزل في تواريه حتى استؤمن له فأومن.

قال: وكان عبد الله بن جعفر لما دخل إلى جعفر بن سليمان قال له: ما حملك على الخروج مع محمد على ما أنت عليه من العلم والفقه؟.

فقال: ما خرجت معه وأنا أشك في أنه المهدي، لما روي لنا في أمره، فما زلت أرى أنه هو، حتى رأيته مقتولا، ولا اغتررت بأحد بعده. فاستحيي منه وأطلقه.

أخبرنا جعفر بن محمد بن الحسن بن جعفر بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب أبو عبد الله. وحدثني أبو عبيد محمد بن أحمد المؤمل الصيرفي، قالا: حدثنا محمد بن علي بن خلف العطار، قال: أخبرنا محمد بن عمرو الرازي، قال: حدثني الحسين بن المنزل قال:." (١)

"مني تفرغ لك، فانتهز الفرصة لتنهنهه عني وأنهنه عنك، ففعل ملك الروم ذلك، وسار حتى فتح ربطره وكان له من الأثر في المسلمين ما هو معروف.

وكان له مع صاحب الزنج من الحرب مثل ذلك أيام المعتمد، فإن صاحب الزنج شغل السلطان عن ملك الروم فأعانه ملك الروم، وانتهز الفرصة وسار فأخذ لؤلؤة من أيدي المسلمين، وهي بلد عظيم ومصر جليل.

وكان صاحب الزنج يدعي أنه المهدي، / وآثاره معروفة، وسيرته في المسلمين معلومة في أن آمنهم ثم قتلهم بعد الأمان وقتل الأطفال، إلى غير ذلك.

وكان يذكر أنه علوي، ولقد أخذ أبا يعقوب الشحام فقال له «١» : لم لا تجيء أنت وأصحابك فتجاهدون معي وتأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر، ولكنكم معشر المعتزلة منافقون تقولون بما لا تفعلون، فقال له أبو يعقوب:

أجيب عن هذا وأنا آمن، قال: نعم، قال: أنا آمن قبل الجواب وبعد الجواب على نفسي وأهلي ومالي، قال: نعم فتوثق منه ثم قال له: أخبرني أيما خير، أنت أو علي بن أبي طالب، قال: بل علي، قال: فأيما شر من عاداك أو عادى علي بن أبي طالب، قال بل من عادى عليا. قال:

فهل بلغك أنه آمنهم ثم قتلهم، لقد حاربوه فما قتل لهم أسيرا ولا أجهز لهم على جريح ولا اتبع لهم موليا ولا سبى لهم ذرية ولا هجم لهم على منزل، ولقد كانت الخوارج مقيمة معه فما بدأهم بحرب وهم يكفرونه، فقد كان ينبغي أن تسلك سبيله لأنك أنت تدعي أنك من شيعته، فقال له: لولا أني قد آمنتك، ولولا ما بيني وبينك لقتلتك. فقام أبو يعقوب وخرج وهرب ولم يأمنه. وقد كان صاحب الزنج قبل أن يملك البصرة يغشى العلماء ويجلس إليهم

---

(١) مقاتل الطالبيين أبو الفرج الأصبهاني ص/٢٥٦

(١) من كبار رجال الاعتزال انظر المنية والأمل (طبقات المعتزلة لابن المرتضى)." (١)

"الأرض كلها لك والخليفة ببغداد يومئذ جعفر المقتدر بالله، وهو صبي ونحن أجلسناه، وله اثنتا عشر سنة، وأولياؤه ومن حوله شيعته، من آل الفرات وآل بسطام وآل القاسم بن عبد الله وآل أبي البغل والكرخيين وآل نوبخت، فسير ابنه في سنة ثلثمائة في عساكر عظيمة من البر والبحر، وعنده أنه يظهر على الأرض كلها بسبب ما تقدم ذكره، ولأجل من بخراسان والبحرين من أهل هذه الدعوة.

فقدم مصر ونزل عليها في سنة اثنين وثلثمائة، وإذا أبو سعيد الجنابي قد قتل بالبحرين وقد ظهرت الفضيحة بها، ولقيه بظاهر مصر القاسم بن سيما الفرغاني في سبعة الاف فرد تلك العساكر كلها ورجع ابن عبيد الله إلى أبيه بالمغرب بالخيبة والهزيمة، وذهبت تلك الاموال، وجاءت جواسيسه إلى الشيعة المقدم ذكرهم بالعراق تعنفهم فيما كان من إطماعهم له وما كان من القاسم بن سيما الفرغاني، فاعتذروا إليه وقالوا له: ارجع، فرد ابنه في سنة سبع وثلثمائة بأكثر من تلك الجيوش في البر والبحر، فنزل على مصر سنين متوالية، ونزل على/ عسكره في الماء ثمل الخادم من طرسوس في ثمانية عشر مركبا فهزمهم، فرجع إلى أبيه بالخيبة والهزيمة، ثم رد العسكر إلى مصر. وقد قتل المقتدر، فرجع بالخيبة والهزيمة. وكان مع هذه الحال يشتد على أهل القيروان وما يملكه من أرض المغرب بالجور وقتل الرجال واستصفاء الأموال وقصد الفقهاء والعلماء، وقد كان بث دعاته فيها يدعون الناس إليه وإلى طاعته، ويأخذون عليهم العهود، ويلقون إلى الناس من أمره بحسب عقولهم واحتمال كل طبقة منهم، فمنهم من يلقون إليهم أنه المهدي ابن رسول الله وحجة الله على خلقه، ومنهم من يلقي أنه رسول الله وحجة الله، ومنهم من يلقي أنه الله الخالق الرازق، فكان إذا ضج الناس من هذا وظهر منهم الانكار يأخذ." (٢)

"ألغت مسامعه الملام وغادرت ... سمة على أنف اللئام تلوح

أي جعلته لغو ساقطا لا يبالي به وروى ابن جنى ألفت أي لكثرة ما سمعت اللوم ألفته وغيره من الناس اطاعوا اللائم فصاروا لئما يرى عليهم أثر اللؤم طاهرا كما ترى السمة على الأنف

هذا الذي خلت القرون وذكره ... وحديثه في كتبها مشروح

لم يعرف ابن جنى البيت فلم يفسره وفرسه ابن دوست بخلاف الصواب فقال أن الله تعالى بشر به في كبت الماضين وهذا كذب صريح لن الله لا يبشر بغير نبي أولم يسمع قول أبي الطيب، إلى سيد لو بشر الله أمة، بغير نبي بشرتنا به الرسل، والمعنى أن الكتب مشحونة بذكر الكرم ونعت الكرام واخلاقهم وهو المعنى بذلك إذ الحقيقة منها له فذكره إذن في الكتب مشروح ويجوز أن يريد أنه المهدي الذيذكر في الكتب خروجه ولم يقل مشروحان لن الذكر والحديث واحد

(١) تثبيت دلائل النبوة القاضى عبد الجبار ٣٤١/٢

(٢) تثبيت دلائل النبوة القاضى عبد الجبار ٦٠٠/٢

ألبابنا بجماله مبهورة ... وسحابنا بنواله مفضوح
يقول عقولنا مغلوبة بجماله فنحن متحيرون في جمال لم نر مثله وزاد نواله على امطار السحاب حتى فضح نوال السحاب

يغشى الطعان فلا يرد قناته ... مكسورة ومن الكماة صحيح
أي يأتي الحرب فلا يرد رماحه مكسورة إلا بعد أن لا يبقى منهم صحيح وهذا كقول الفرزدق، بأيدي رجال لم يشيموا سيوفهم، ولم تكثر القتلى بها حين سلت، أي لم يغمدوها إلا بعد أن كثرت بها القتلى وقوله مكسورة حشو أراد أن يطابق بينها وبين الصحيح لأنه لا فائدة في أن ترد القناة من الحرب مكسورة ولو ردها صحيحة لم يلحقه نقص

وعلى التراب من الدماء مجاسد ... وعلى السماء من العجاج مسوح
المجاسد جمع المجسد وهو المصبوغ بالجساد وهو الزعفران يقول لكثرة ما يسفك من الدم صبغ الأرض بلونه حتى كان عليها مجاسد واسودت السماء بالغبار فكان عليها مسوحا

يخطو القتيل إلى القتيل أمامه ... رب الجواد وخلفه المبطوح
يقول قد امتلأت المعركة من القتلى فالفارس على الفرس الجواد يخطو من قتيل إلى قتيل ويخلف وراءه فارسا مبطوحا أي مطروحا على وجهه ويجوز أن يكون رب الجواد الممدوح

فمقيل حب محبه فرح به ... ومقيل غيظ عدوه مقروح
المقيل المستقر ومنه، ضرب يزيل الهام عن مقيله، ومقيل الحب هو القلب وكذلك مقيل الغيظ والمقروح المجروح ويروى بالفاء وهو الذي أصيب فرحه

يخفى العداوة وهي غير خفية ... نظر العدو بما أسر يبوح
عدوه يخفى العداوة خوفا منه وهي لا تخفى لأن نظر العدو إلى من يعاديه يظهر من في قلبه من العداوة كما قال ابن الرومي، يخبرني العينان ما القلب كاتم، ولا جن بالبغضاء والنظر الشزر، وكما قال الآخر، تكاشرني كرها كأنك ناصح، وعينك تبدي أن صدرك لي دوى، وقال الآخر، خليلي للبغضاء عين مبينة، وللحب آيات ترى ومعارف،

يا ابن الذي ما ضم برد كابنه ... شرفا ولا كالجد ضم ضريح
يقول للممدوح يا ابن الذي لم يشتمل برد على أحد كابنه في الشرف ويريد بالابن الممدوح ولا ضم قبر أحدا في الشرف كجده يعني جد أبيه والمعنى ليس في الأحياء مثلك شرفا ولا في الأموات مثل جد أبيك في الشرف

نفديك من سيل إذا سئل الندى ... هول إذا اختلطا دم ومسيح

يروى من سبل وهو المطر يقول أنت عند العطاء سيل وعند الحرب هول تهول اعداءك والمسيح العرق قال الشاعر، يا ربها حين بدا مسيحي، وابتل ثوباي من النضيح، وقال اختلطا والوجه اختلط

لو كانت بحرا لم يكن لك ساحل ... أو كنت غيثا ضاق عنك اللوح

الغيث الساحب فيه مطرواللوح الهواء أي لم يكن يسعك الهواء لو كنت سحابا

وخشيت منك على البلاد وأهلها ... ما كان أنذر قوم نوح نوح

وخشيت عطف على قوله ضاق أي لو كنت غيثا خشيت منك الطوفان الذي أنذر به نوح قومه

عجز بحر فاقة ووراءه ... رزق الإله وبابك المفتوح

من العجز أن يقاسي الحرب الفاقة ولا يطلب رزق الله بان يأتي بابك الذي لا يحجب عنه أحد يعني أن الله تعالى قد وسع بك الرزق على الناس فمن لم يأتك طالبا للرزق فذلك لعجزه كما قال أبو تمام، خاب أمرء بخس الحوادث رزقه، وأقام عنك وأنت سعد الأسعد،

إن القريض شج بعطفي عائذ ... من أن يكون سواءك الممدوح." (١)

"(وادعى أنه نزل) «١» عليه قرآنهم الذي يقرءونه إلى اليوم. قال زمور: وهو صالح المؤمنين الذي ذكره الله عز وجل في قرآن محمد – صلى الله عليه وسلم – في سورة التحريم «٢» .

١٣٧٠ وعهد صالح إلى ابنه الياس بديانته وعلمه شرائعه وفقهه «٣» في دينه وأمره ألا يظهر ذلك إلا إذا قوي وأمن، فإنه يدعو حينئذ إلى ملته ويقتل من خالفه.

وأمره بموالاة أمير الأندلس. وخرج صالح إلى المشرق ووعد أنه ينصرف إليهم في دولة السابع من ملوكهم، وزعم أنه المهدي الأكبر الذي يخرج في آخر الزمان لقتال الدجال، وأن عيسى بن مريم يكون من أصحابه ويصلي خلفه، وأنه يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا، وتكلم لهم في ذلك كلاما كثيرا نسبه إلى موسى الكليم عليه السلام وإلى سطيح الكاهن وإلى ابن عباس. وزعم أن اسمه في العربي صالح وفي السرياني مالك «٤» وفي الأعجمي عالم وفي العبراني وربيا وفي البربرية ورياورى، أي الذي ليس بعده شيء. وتولى ألياس الأمر بعد خروج أبيه يظهر ديانة الإسلام ويسر «٥» الذي عهد إليه به أبوه خوفا وتقية، وكان طاهرا عفيفا لم يلتبس بشيء من الدنيا إلى أن هلك بعد أن ملك خمسين سنة.

١٣٧١ وولد ألياس جماعة منهم يونس، فتولى الأمر بعد أبيه فأظهر ديانتهم ودعا إليها وقتل من لم يدخل فيها حتى أخلى ثلاثمائة مدينة وسبعا وثمانين مدينة، حمل جميع أهلها على السيف لمخالفتهم إياه وقتل منهم بموضع يقال له." (٢)

---

(١) شرح ديوان المتنبي للواحدي الواحدي ص/٥٨

(٢) المسالك والممالك للبكري أبو عبيد البكري ٢/٨٢٠

"خرج من مصر سنة ٥١١ في زي الفقهاء بعد الطلب بها وبغيرها ووصل بجاية.

ومن هذه المصادر التي اعتمدها في دخول المهدي المهدية "تاريخ القيروان" (٢١) كما اعتمد ابن خلكان كتاب "المغرب، عن سيرة ملوك المغرب" فنقل عنه أن المهدي اطلع على جفر من علوم أهل البيت فوقف على أنه المهدي كما نقل عنه ثانيا ترجمة في المهدي.

ويدل هذا الاعتناء أنه ملم بترجمته، مستقص لأخباره، فلو أنه حين دخل المهدية أخذ عن إمامها الإمام المازري لذكر ذلك كما ذكر شيوخه بالشرق، فقد اجتمع بالغزالي سنة (٥٠٥). واجتماعه به محل نظر.

كما ذكر أخذه عن الكيا الهراسي. والطرطوشي، وهو محمد بن الوليد ابن خلف القرشي الأندلسي أبو بكر، ويقال له: ابن رندقة. له كتب متعددة من أشهرها "سراج الملوك"، وكتاب "الحوادث والبدع" (٥٢٠) إلا أنه بعد ما ذكر من أخذ عنهم المهدي وهم المتقدمون ذكر أنه أخذ عن غيرهم فلعله يقصد المازري وغيره.

* أبو الحسن بن عامر:

أبو الحسن صالح بن أبي صالح بن خلف بن عامر الأنصاري الأوسي.

قال ابن الأبار: هو من أهل مالقة.

شيوخه: أبو علي منصور بن الخير (٢٢) وهو غير ابن خير صاحب

---

(٢١) الوفيات (ج٥ ص ٤٥).

(٢٢) جاء في الشجرة عن ابن خير والصواب ما أثبتناه لأن ابن خير هو صاحب الفهرست وهو أبو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة (٥٧٥).." (١)

"العربي متفطنا للظروف والملابسات ومقاصد السؤال الموجه إليه، فلم يقتصر على مقتضى المتبادر من الألفاظ، وهو مجرد الرؤية أو اللقيا، وإنما أجاب عن سؤال مضمر غير منطوق ومقتضاه: ما رأي الغزالي في محمد بن تومرت، وهل كان يرى أنه المهدي المنتظر، وأنه يتحتم ظهوره؟ فكان الجواب أن الغزالي كان يقول: "لا بد من ظهوره"، وهكذا يكون ابن العربي قد فتح صفحة جديدة في علاقته بالموحدين، يكفر بها عن سوابقه مع غرمائهم المرابطن، الذين تقدمت خدماته لهم وإكرامهم إياه، وإسناد الوظائف له والمهمات، بل لا نبالغ إذا قلنا بأن خدمة المرابطن كانت إرثا تأثله عن أبيه، بل لا نبالغ إذا قلنا بأن خدمة السلطة والسعي لرضاها كان يجري في دمه، وأنه ورثه من أبويه: أخواله الهوازنة، وأسرته المعافرية اللتين لعبتا الأدوار الأساسية على عهد العبادية والمرابطية، فيصعب عليه أن يتخلص من شهوة السلطة والطموح والنفوذ والوجاهة، والعرق غلاب ودساس، وكل ميسر لما خلق له.

وكان من الأجدر لصاحبنا وهو في شيخوخته العالية ألا يتجشم مشاق الرحلة إلى مراكش، ومتاعب الغربة عن الأهل في

---

(١) المعلم بفوائد مسلم المازري ٤٦/١

إشبيلية، ولكن الذين استحلوا القرب من أصحاب السلطان، يحسبون أن كل صيحة عليهم، فيتوهمون أن عدم المشاركة في الوفد الذي يقدم فروض الولاء والطاعة، قد تفسره السلطة على أنه استمرار في الولاء لأعدائهم المرابطين، وربما كان يرى ابن العربي أن رئاسته لهذا الوفد فرصة سانحة لربط الخيوط بالدولة الجديدة، والتنصل من أن يحسب على العهد القديم، فتنفتح له قلوب الموحدين، ويحظى بالوجاهة والمكانة، ولم لا بالمنصب الرفيع: القضاء أو المشاورة، ذلك ما نرجح -والله أعلم- أنه كان يلح على خاطر ابن العربي، ويناسب طموحه المعهود فيه.." (١)

"خالد بن سمير (١) قال لما قدم الكذاب الكوفة هرب منه ناس من وجوه أهل الكوفة فقدموا البصرة وقدم فيهم موسى بن طلحة بن عبيد الله وكان في زمانه يرون أنه المهدي أنبأنا أبو علي الحداد أنا أبو نعيم الحافظ (٢) نا عبد الله بن محمد نا محمد بن سهل نا أبو مسعود نا أبو داود نا الأسود بن شيبان عن خالد بن سمير قال لما خرج المختار بالكوفة قدم علينا موسى بن طلحة وكانوا يرونه في زمانهم المهدي فغشيه الناس فإذا رجل طويل السكوت قليل الكلام طويل الحزن والكآبة أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن محمد أنا أبو الغنائم محمد بن علي بن الحسن أنا عبد الواحد بن محمد بن عبد الله نا محمد بن أحمد بن يعقوب بن شيبة نا جدي نا سليمان بن حرب نا الأسود بن شيبان (٣) نا خالد بن سمير قال لما ظهر الكذاب بالكوفة يعني المختار بن أبي عبيد هرب منه ناس من وجوه أهل الكوفة فقدموا علينا البصرة وكان فيمن قدم موسى بن طلحة بن عبيد الله وكان في زمانه يرون أنه المهدي فغشيه الناس وغشيته فيمن يغشاه من الناس فغشينا رجلا طويل السكوت شديد الكآبة والحزن إلى أن رفع رأسه يوما فقال والله لأن أعلم أنها فتنة لها انقضاء أحب إلي من كذا وكذا وأعظم الخطر قال فقال له رجل يا أبا محمد وما الذي ترهب أن تكون أعظم من الفتنة قال الهرج قال له وما الهرج قال الذي كان أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يحدثونا القتل القتل حتى تقوم الساعة وهم على ذلك والله لوددت أنه لو كان أني على رأس جبل لا أسمع لكم صوتا ولا أرى (٤) لكم داعيا حتى يأتيني داعي الله قال ثم سكت ساعة فقال رحم الله أبا عبد الرحمن أو قال عبد الله بن عمر إما سماه وإما كناه والله إني أحسبه على العهد الذي عهد إليه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لم يبدل (٥) ولم يغير والله ما استفزته قريش زاد غير سليمان في حديثه في فتنتها الأولى قال فقلت في نفسي إن هذا ليزري على أبيه في مقتله

(١) تحرفت بالأصل إلى: " سمين " والتصويب عن م و " ز " ود

(٢) رواه أبو نعيم الحافظ في حلية الأولياء ٤ / ٣٧١ - ٣٧٢

(٣) من طريقه روي الخبر في تهذيب الكمال ١٨ / ٤٧٦ طبعة دار الفكر وسير أعلام النبلاء ٤ / ٣٦٥ - ٣٦٦ وطبقات ابن سعد ٥ / ١٦٢ - ١٦٣

(١) المسالك في شرح موطأ مالك ابن العربي ٧٥/١

(٤) كذا بالأصل ود و " ز " وم وفي ابن سعد: ألبي

(٥) في ابن سعد: لم يفتن ولم يتغير." (١)

"وإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نص على الحسن والحسين عليهما السلام بمثل نصه على علي، ثم الأمام بعد هؤلاء الثلاثة ليس بمنصوص عليه، ولكن الإمامة شورى بين الأفاضل من ولد الحسن والحسين، فمن شهر منهم سيفه، ودعا إلى سبيل ربه، وباين الظالمين، وكان صحيح النسب، من هذين البطنين، وكان عالما زاهدا شجاعا، فهو الإمام.

وافترقت الجارودية في نوع آخر ثلاث فرق: أ - فرقة زعمت أن محمد بن عبد الله النفس الزكية بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب لم يمت، ولا يموت، حتى يملأ الأرض عدلا، وأنه القائم المهدي المنتظر عندهم؛ وكان محمد بن عبد الله خرج على المنصور فقتل بالمدينة.

ب - وفرقة زعمت أن محمد بن القاسم بن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب، حي لم يمت، ولا يموت، حتى يملأ الأرض عدلا، وأنه المهدي المنتظر عندهم؛ وكان محمد بن القاسم هذا خرج على المعتصم بالطالقان فأسره المعتصم، فلم يدر بعد ذلك كيف كان خبره.

ج - وفرقة زعمت أن يحيى بن عمر بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن لعي بن أبي طالب حي لم يمت، وأنه القائم المهدي المنتظر عندهم، ولا يموت حتى يملأ الأرض عدلا؛ وكان يحيى بن عمر هذا خرج على المستعين، فقتل بالكوفة.

هذه رواية أبي القاسم البلخي عن الزيدية، وليس باليمن من فرق الزيدية غير الجارودية وهم بصنعاء وصعدة وما يليهما.

ومنهم فرقة، يقال لها الحسينية يقولون: إن الحسن بن القاسم بن علي ابن عبد الله بن محمد بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن ابن علي بن أبي طالب حي لم يمت، ولا يموت، حتى يملأ الأرض عدلا، وأنه." (٢)

"سليمان المدينة بعث إلى محمد بن عجلان فأتي به فبكته وكلمه كلاما شديدا وقال له:

خرجت مع الكلاب. وأمر بقطع يده. فلم يتكلم محمد بن عجلان بكلمة إلا أنه يحرك شفتيه بشيء لا ندري ما هو، يظن أنه يدعو. قال: فقام من حضر جعفر بن سليمان من فقهاء المدينة وأشرافهم. فقالوا: أصلح الله الأمير، محمد بن عجلان فقيه أهل المدينة وعابدها، وإنما شبه عليه، فظن أنه المهدي الذي جاءت فيه الرواية، فلم يزالوا يشفعون إليه حتى تركه. فولى محمد بن عجلان منصرفا لم يتكلم بكلمة إلى منزله.." (٣)

"وتناسلوا. والبربر أجفى خلق الله وأكثرهم طيشا وأسرعهم إلى الفتنة وأطوعهم لداعية الضلالة وأصغاهم لنمق الجهالة، ولم تخل جبالهم من الفتن وسفك الدماء قط، ولهم أحوال عجيبة واصطلاحات غريبة، وقد حسن لهم الشيطان الغوايات

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٤٣١/٦٠

(٢) الحور العين الحميري، نشوان ص/١٥٦

(٣) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ١١٥/٨

وزين لهم الضلالات حتى صارت طبائعهم إلى الباطل مائلة وغرائزهم في ضد الحق جائلة، فكم من ادعى فيهم النبوة فقبلوا، وكم زاعم فيهم أنه المهدي الموعود به فأجابوا داعيه ولمذهبه انتحلوا، وكم ادعى فيهم مذاهب الخوارج فإلى مذهبه بعد الإسلام انتقلوا ثم سفكوا الدماء المحرمة واستباحوا الفروج بغير حق ونهبوا الأموال واستباحوا الرجال، لا بشجاعة فيهم معروفة ولكن بكثرة العدد وتواتر المدد. وتحكى عنهم عجائب، منها ما ذكره ابن حوقل التاجر الموصلي وكان قد طاف تلك البلاد وأثبت ما شاهد منهم ومن غيرهم، قال: وأكثر بربر المغرب من سجلماسة إلى السوس وأغمات وفاس إلى نواحي تاهرت وإلى تونس والمسيلة وطبنة وباغاية إلى اكزبال وازفون ونواحي بونة إلى مدينة قسطنطينة الهواء وكتامة وميلة وسطيف، يضيفون المارة ويطعمون الطعام ويكرمون الضيف حتى بأولادهم الذكور لا يمتنعون من طالب البتة بل لو طلب الضيف هذا المعنى من أكبرهم قدرا وأكثرهم حمية وشجاعة لم يمتنع عليه، وقد جاهدهم أبو عبد الله الشيعي على ذلك حتى بلغ بهم أشد مبلغ فما تركوه، قال: وسمعت أبا علي ابن أبي سعيد يقول: إنه ليبلغ بهم فرط المحبة في إكرام الضيف أن يؤمر الصبي الجليل الأب والأصل الخطير في نفسه وماله بمضاجعة الضيف ليقضي منه وطره، ويرون ذلك كرما والإباء عنه عارا ونقصا، ولهم من هذا فضائح، ذكر بعضها إمام أهل المغرب أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الأندلسي في كتاب له سماه الفضائح فيه تصديق لقول ابن حوقل، وقد ذكرت ذلك في كتابي الذي رسمته بأخبار أهل الملل وقصص أهل النحل في مقالات أهل الإسلام.
وذكر محمد بن أحمد الهمذاني في كتابه مرفوعا إلى أنس بن مالك قال: جئت إلى النبي، صلى الله عليه وسلم، ومعي وصيف بربري، فقال: يا أنس ما جنس هذا الغلام؟ فقلت: بربري يا رسول الله، فقال: يا أنس بعه ولو بدينار، فقلت له: ولم يا رسول الله؟ قال: إنهم أمة بعث الله إليهم نبيا فذبحوه وطبخوه وأكلوا لحمه وبعثوا من المرق إلى النساء فلم يتحسوه، فقال الله تعالى: لا اتخذت منكم نبيا ولا بعثت فيكم رسولا، وكان يقال: تزوجوا في نسائهم ولا تؤاخوا رجالهم، ويقال: إن الحدة والطيش عشرة أجزاء تسعة في البربر وجزء في سائر الخلق. ويروى عن النبي، صلى الله عليه وسلم، أنه قال: ما تحت أديم السماء ولا على الأرض خلق شر من البربر، ولئن أتصدق بعلاقة سوطي في سبيل الله أحب إلي من أن أعتق رقبة بربري، قلت: هكذا وردت هذه الآثار ولا أدري ما المراد بها السود أم البيض، أنشدني أبو القاسم النحوي الأندلسي الملقب بالعلم لبعض المغاربة يهجو البربر فقال:

رأيت آدم في نومي فقلت له: ... أبا البرية! إن الناس قد حكموا:
أن البرابر نسل منك، قال: أنا؟ ... حواء طالقة إن كان ما زعموا

بربرة:
هذه بلاد أخرى بين بلاد الحبش والزنج واليمن على ساحل بحر اليمن وبحر الزنج، وأهلها سودان جدا ولهم لغة برأسها لا يفهمها غيرهم، وهم بواد معيشتهم من صيد الوحش، وفي بلادهم وحوش." (١)

---

(١) معجم البلدان الحموي، ياقوت ١/٣٦٩

"في نفوسهم فضيلة المهدي ونسبه ونعته، ادعى ذلك لنفسه، وقال: أنا محمد بن عبد الله ... ورفع نسبه إلى النبي –صلى الله عليه وسلم–؛ وصرح بدعوى العصمة لنفسه، وأنه المهدي المعصوم. وروى في ذلك أحاديث كثيرة، حتى استقر عندهم أنه المهدي، وبسط يده فبايعوه على ذلك، وقال: أبايعكم على ما بايع عليه أصحاب رسول الله –صلى الله عليه وسلم– رسول الله.

ثم صنف لهم تصانيف في العلم، منها كتاب سماه: أعز ما يطلب، وعقائد في أصول الدين، وكان على مذهب أبي الحسن الأشعري١ في أكثر المسائل، إلا في إثبات الصفات، فإنه وافق المعتزلة في نفيها وفي مسائل قليلة غيرها. وكان يبطن شيئا من التشيع، غير أنه لم يظهر منه إلى العامة شيء.

طبقات الموحدين

وصنف أصحابه طبقات؛ فجعل منهم العشرة، وهم المهاجرون الأولون الذين أسرعوا إلى إجابته، وهم المسمون بـ الجماعة، وجعل منهم الخمسين، وهم الطبقة الثانية. وهذه الطبقات لا تجمعها قبيلة واحدة، بل هم من قبائل شتى، وكان يسميهم المؤمنين، ويقول لهم: ما على وجه الأرض من يؤمن إيمانكم. وأنتم العصابة المعنيون بقوله عليه الصلاة والسلام: "لا تزال طائفة بالمغرب ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله"، وأنتم الذين يفتح الله بكم فارس والروم، ويقتل الدجال، ومنكم الأمير الذي يصلي بعيسى ابن مريم، ولا يزال الأمر فيكم إلى قيام الساعة. هذا مع جزئيات كان يخبرهم بها وقع أكثرها، وكان يقول: لو شئت أن أعد خلفاءكم خليفة خليفة ...

فزادت فتنة القوم به، وأظهروا له شدة الطاعة.

وقد نظم هذا الذي وصفناه من قول ابن تومرت في تخليد هذا الأمر، رجل من أهل الجزائر –مدينة من أعمال بجاية– وفد على أمير المؤمنين أبي يعقوب وهو بتينمل؛ فقام على قبر ابن تومرت بمحضر من الموحدين وأنشد قصيدة أولها: من الطويل

سلام على قبر الإمام الممجد ... سلالة خير العالمين محمد

١- هو أبو الحسن، علي بن إسماعيل بن إسحاق الأشعري، من نسل الصحابي أبي موسى الأشعري: إمام، متكلم، مجتهد، وإليه تنسب الأشعرية. ولد في البصرة، وتوفي ببغداد سنة ٣٢٤هـ/٩٣٦م. "الأعلام، الزركلي: ٤/٢٦٣".." (١)

"ابن محمد بن علي، ونسبوا الى قرمط، وهو حمدان بن الاشعث، كان (١٨٩- و) بسواد الكوفة، وانما سمي قرمطا لأنه كان رجلا قصيرا، وكان رجلاه قصيرتين، وكان خطوه متقاربا، فسمي بهذا السبب قرمطا، وكان قرمط قد أظهر الزهد والورع وتسوق به على الناس مكيدة وخبثا.

وكان أول سنة ظهر فيها أمر القرامطة سنة أربع وستين ومائتين، وذكر بعض العلماء أن لفظة قرامطة انما هو نسبة الى مذهب يقال له القرمطة خارج عن مذاهب الاسلام، فيكون على هذه المقالة عزوة الى مذهب باطل، لا الى رجل «١» . وانما قيل لهذا القرمطي صاحب الخال، لانه كان على خده الايمن خال «٢» ، ويعرف بابن المهزول زكرويه بن مهري

---

(١) المعجب في تلخيص أخبار المغرب عبد الواحد المَرَّاكُشي ص/١٤١

الصواني، من أهل صوان، من سواد الكوفة وقيل هو وأخوه من قيس من بني عبادة بن عقيل من بني عامر، ثم من بني قرمطي ابن جعفر بن عمرو بن المهيا بن يزيد بن يزيد بن عبد الله بن يزيد بن قيس بن جوثة بن طهفة بن حزن بن عبادة بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية ابن بكر بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان، فادعى أنه من ولد محمد بن اسماعيل بن جعفر، فعلى هذا يكون منسوبا الى قرمطي، ولا يبعد أن يكون الأمران جميعا، والله أعلم.
وقرأت في رسالة أبي عبد الله محمد بن يوسف الانباري «٣» الكاتب الى أخيه أبي علي في ذكر أخبار هذا (١٨٩- ظ) القرمطي: انه ادعى أنه أحمد بن عبد الله بن جعفر، وأنه المهدي، وأنه نظر محمد بن اسماعيل في النسب، فلما وقف على بعد هذا النسب، ادعى بعد وقعة السطح «٤» من الكسوة، أنه محمد بن
بغية الطلب في تاريخ حلب م (٥٩)." (١)

"أبوك يقحمك المهالك ويولجك المضايق دون أخويك الحسن والحسين فقال: لأنهما كانا عينيه، وكنت يديه، فكان يقي عينيه بيديه.
ومن كلامه: ليس بحكيم من لم يعاشر بالمعروف من لا يجد من معاشرته بدا حتى يجعل الله له فرجا.
ولما دعا ابن الزبير إلى نفسه وبايعه أهل الحجاز بالخلافة دعا عبد الله بن العباس ومحمد بن الحنفية رضي الله عنهما إلى البيعة، فأبيا ذلك وقالا: لا نبايعك حتى تجتمع لك البلاد، ويتفق الناس، فأساء جوارهم وحصرهم وآذاهم، وقال لهم (١) : لئن لم (٢) تبايعا أحرقتكما بالنار، والشرح في ذلك يطول.
وكانت ولادته لسنتين بقيتا من خلافة عمر، وتوفي رحمه الله في أول المحرم سنة إحدى وثمانين للهجرة، وقيل سنة ثلاث وثمانين، وقيل سنة اثنتين أو ثلاث وسبعين بالمدينة، وصلى عليه أبان بن عثمان بن عفان، وكان والي المدينة يومئذ، ودفن بالبقيع، وقيل إنه خرج إلى الطائف هاربا من ابن الزبير فمات هناك، وقيل إنه مات ببلاد أيلة.
والفرقة الكيسانية تعتقد إمامته وأنه مقيم بجبل رضوى، وإلى هذا أشار كثير عزة بقوله من جملة أبيات، وكان كيساني الاعتقاد (٣) :
وسبط لا يذوق الموت حتى ... يقود الخيل يقدمها اللواء
تغيب لا يرى فيهم زمانا ... برضوى عنده عسل وماء وكان المختار بن أبي عبيد الثقفي يدعو الناس إلى إمامة محمد بن الحنفية، ويزعم أنه المهدي، وقال الجوهري في كتاب " الصحاح " (٤) : كيسان لقب

(١) كذا في جميع النسخ ما عدا بر، بصيغة الجمع.
(٢) س لي ل: والله إن لم.
(٣) نسب البيتان لكثير في أكثر المصادر (عيون الأخبار ٢: ١٤٤ والشعر والشعراء: ٤٢٣ والأغاني ٩: ١٤ ومروج الذهب ٣: ٨٧ وغيرهما) وقال أبو الفرج في الأغاني ٧: ٢٣٨ الأبيات للسيد الحميري وأضاف: وهذه الأبيات يعينها تروى

(١) بغية الطلب فى تاريخ حلب ابن العديم ٢/٩٢٩

لكثير.

(٤) الصحاح ٢: ٩٧٠ (كيس) .." (١)

"وكان على دين الإسلام وإليه تنسب جزيرة طريف، فبقي أميرا عليهم، إلى أن هلك. وترك أربعة أولاد. فولى الأمر من بعده صالح بن طريف، وكلن مولده سنة ١١٠ من لبهجرة، فتنبأ فيهم، وشرع لهم ديانة، وسمى نفسه صالح المؤمنين، وعهد إلى ابنه إلياس بديانته، وأمره ألا يظهر ذلك غلا إذا قوى أمره، وحينئذ يدعوا إلى مذهبه ويقتل من خالفه فيه من قومه. وأمره بموالاة أمير الأندلس. وخرج صالح إلى المشرق، وزعم أنه يعود إليهم في دولة السابع من ملوكهم، وزعم أنه المهدي الأكبر الذي يخرج في آخر الزمان لقتال الدجال، وأنه يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا، وتكلم لهم في ذلك بكلام كثير نسبه لموسى – عم – ولسطيح الكاهن وغيره.

ثم ولي بعده إلياس بن صالح بن طريف فأظهر ديانة الإسلام والعفاف وبقي أميرا خمسين سنة إلى أن هلك. وترك جمعة من الأولاد. فولى ابنه يونس بن إلياس، وذلك بعد ما وصل من المشرق، وحج ولم يحج أحد من أهل بيته. فتظهر ديانة جده، ودعا إليها وقتل من لم يدخل فبها حتى أخلى ثمانمائة موضع من مواضع البربر، يل أنه قتل منهم سبعة آلاف ونحو سبعمائة. وهلك بعد أن ملك نحو أربعين سنة، وخرج الأمير عن بينه وقام أبو عفير يحمد بمن معاذ بن اليسع بن صالح بن طريف، فاستولى على ملك تلك البلاد، ودان بديانة آبائه. واشتدت شوكته، وعظم أمره. وكانت له وقائع في البربر مشهورة، منها وقعة تامعزا، أقام القتل فيها ثمانية أيام، ومنها وقعة بهت، عجز الإحصاء عن عد من قتل فيها. وكان لأبي عفير من الزوجات أربع وأربعون، وكان له من الأولاد بعددهن. ومات بعد أن ملك تسعا وعشرين سنة. ثم ولى عبد بن أبي عفير، وهو أبو الأنصار، وذلك عند تمام المائة الثالثة، وكان سخيا ظريفا، يفي بالوعد والعهد، يحفظ الجار ويكافئ على الهدية بأضعافها. وصفته: أفطس، شديد الأدمة في الوجه، ناصع بياض الجسم،." (٢)

"صفاته، ولا مقداره، ولكن يشابهه ويحكيه نوع مشابهة وحكاية، والمشابهة من وجه لا تقتضي المماثلة في الذات والصفات والمقدار.

وهذا المثال الإدراكي لا يمتنع في اجتماع ما هما ضدان في الخارج، بل يجتمع فيه مثال السواد والبياض، ويجتمع فيه المثلان كالسوادين، ويجتمع فيه مثال وجود الشيء وعدمه، فيجتمع فيه تقدير الوجود والعدم، لا يمتنع فيه اجتماع مثالي النقيضين، كما امتنع اجتماع النقيضين في الخارج، ويتمثل فيه الموجود والمعدوم والممتنع، وما له وجود في الخارج، وما ليس وجود في الخارج.

فهو أوسع بهذا الاعتبار من الوجود الخارجي.

لكن تلك الأمور مثل خيالية، ليست حقائق موجوده في أنفسها.

وقد يشتبه على بعض الناس ما يتخيله فيه، فيظنه موجودا في الخارج، وطائفة من فلاسفة الصوفية،كابن عربي، يسمي هذا

---

(١) وفيات الأعيان ابن خلكان ١٧٢/٤

(٢) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ابن عذاري المراكشي ٢٢٤/١

أرض الحقيقة، ويذكر فيه من العوالم وأنواعها وأقدارها ما يطول وصفه.

وذلك أن الخيال لا حد له، بل تخيلات النفوس لما ليس له وجود في الخارج، أعظم من أن تحصر.

فهؤلاء الضالون قالوا: هذا أرض الحقيقة، وهو عالم الخيال.

وقد يشتبه على بعضهم فيظنه في الخارج، ويتخيل لهم فيه مدائن ورجال عوالم، كما يتخيل للنائم.

ويتخيل لأحدهم أنه صار إلها ونبيا، أو أنه المهدي، أو خاتم الأولياء، غلى غير ذلك مما يطول." (١)

"يبين هذا أن البدن والنفس يؤثر كل منها في الآخر، والنفس إذا أحبت ورضيت وفرحت وحزنت، أثر ذلك في البدن، والبدن إذا سخن أو برد، أو جاع أو شبع، أثر ذلك في النفس، فالتأثير مشترك.

وإذا كان البدن جسما معينا يؤثر فيها دون غيرها من الأنفس، فلا بد أن يشير إليها ويعينها دون غيرها من الأنفس، وإشارة البدن لا تكون إلا إشارة حسية.

والكلام على هذا مبسوط في موضعه.

قال ابن رشد: وأما ما حصله الإمام المهدي يعني محمد بن التومرت الذي ادعى أنه المهدي المبشر به، وأقام الملك المعروف بملك الموحدين، وكان كثير من مصنفي العلم في مملكة أتباعه يراعون ذكره وأقواله، حتى يذكروا اسمه بعد اسم النبي صلى الله عليه وسلم، لأنه دعا الناس إلى أقواله بالسيف، واستحل دماء من خالفه فيما ذكره من التوحيد وإمامته وغير ذلك، وكأصول التوحيد الذي هو توحيد الجهمية نفاة الصفات، وكان يقول بالوجود المطلق، وعلى منواله نسج ابن سبعين وأمثاله في التوحيد.

عود إلى كلام ابن رشد في مناهج الأدلة ورد ابن تيمية

قال ابن رشد: وأما ما حصله الإمام المهدي من." (٢)

"والشيطان الذي يقول لمن ليس بنبي: إنك نبي صادق، والله أرسلني إليك، يكون من أعظم الناس كذبا، والكذب يستلزم الفجور فلا بد أن يأمره بما ليس برا بل إثما، ويخبره بما ليس صدقا بل كذبا كما هو الواقع ممن تضله الشياطين من جهلة العباد، وممن يزين له أنه نبي أو أنه المهدي أو خاتم الأولياء، وكل هؤلاء لا بد أن تأمره الشياطين بإثم، ولا بد أن يكذب في بعض ما تخبره به تحقيقا لقوله تعالى:

﴿هل أنبئكم على من تنزل الشياطين﴾ [الشعراء: ٢٢١] (٢٢١) ﴿تنزل على كل أفاك أثيم﴾ [الشعراء: ٢٢٢]

وحينئذ فمثل هذا لا يكون مع دعوى النبوة من الأبرار الذين عودهم الله إجابة دعائهم إجابة خارجة عن العادات، بل لا يكون مع دعوى النبوة إلا من الأفاكين الفجار، وإذا كان صادقا في دعوى النبوة عالما بأنه صادق ثبت أنه نبي.

---

(١) درء تعارض العقل والنقل ابن تيمية ١٠٨/١٠

(٢) درء تعارض العقل والنقل ابن تيمية ٢٩٨/١٠

والأنبياء معصومون من الإقرار على الخطأ فيما يبلغونه عن الله باتفاق الناس، وحينئذ فكل ما يبلغه عن الله فهو حق، وهو." (١)

"وقال الأسود بن شيبان (١) عن خالد بن سمير: لما ظهر الكذاب بالكوفة، يعني المختار بن أبي عبيد – هرب منه ناس من وجوه أهل الكوفة، فقدموا علينا البصرة، وكان فيمن قدم موسى بن طلحة بن عبيد الله، وكان في زمانه يرون أنه المهدي، فغشيه الناس وغشيته فيمن يغشاه من الناس، فغشينا رجلا طويل السكوت شديد الكآبة والحزن، إلى أن رفع رأسه يوما فقال: والله لأن أعلم أنها فتنة لها انقضاء أحب إلي من كذا وكذا، وأعظم الخطر. قال: فقال له رجل: يا أبا محمد وما الذي ترهب أن يكون أعظم من الفتنة؟ قال: الهرج. قال له: وما الهرج؟ قال: الذي كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثونا: القتل القتل حتى تقوم الساعة وهم على ذلك.

وقال صالح بن موسى الطلحي، عن عاصم بن أبي النجود: كان فصحاء الناس ثلاثة: موسى بن طلحة، وقبيصة بن جابر، ويحيى بن يعمر.

وقال قيس بن الربيع عن عبد الملك بن عمير: كان يقال: فصحاء العرب: موسى بن طلحة، ويحيى بن يعمر، وقبيصة بن جابر (٢) .

وقال محمد بن عثمان بن أبي شيبة، عن منجاب بن الحارث: أخبرنا أبو عثمان مولى آل عمرو بن حريث، عن

---

(١) انظر طبقات ابن سعد: ٥ / ١٦٢.

(٢) حلية الاولياء: ٤ / ٣٧١.." (٢)

"هذا؛ فقال السمرقندي: هذا بذاك؛ وقلت: إنما نحترمك ما احترمت الأئمة، فقال: والله لقد علمت من علم الحديث ما لم يعلمه غيري ممن تقدم؛ وإني لأعلم من صحيح البخاري ومسلم ما لم يعلما؛ فقلت مستهزئا: فعلمك إذا إلهام؛ وهاجرته قال: وكان سيئ الاعتقاد، يعتقد من أحاديث الصفات ظاهرها، بلغني أنه قال في ﴿يوم يكشف عن ساق﴾ [القلم: ٤٢] وضرب على ساقه فقال: ساق كساقي هذه.

قلت: هذه حكاية منقطعة، وهذا قول الضلال المجسمة، وما أعتقد أن بلغ بالعبدري هذا. ثم قال: وبلغني أنه قال: إن أهل البدع يحتجون بقوله تعالى: ﴿ليس كمثله شيء﴾ [الشورى: ١١] أي: في الإلهية، أما في الصورة فهو مثلي ومثلك. قلت: تعالى الله عن ذلك وتقدس وهذا لا يتفوه به مؤمن، فإن الله تعالى لا مثل له أبدا. قال: ثم تلا قوله تعالى: ﴿يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن﴾ [الأحزاب: ٣٢] أي: في الحرمة، إلى أن قال بن عساكر: وكان شنيع الصورة، زري اللباس.

قال أبو سعد بن السمعاني: حافظ مبرز في صناعة الحديث داودي المذهب ونسخ الكثير وكان يسمع وينسخ. وقال بن

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية ابن تيمية ٢٩٨/٦

(٢) تهذيب الكمال في أسماء الرجال المزي، جمال الدين ٨٥/٢٩

ناصر: كان يتحدث وقت السماع ويقول: يكفيني حضور المجلس؛ ومذهبه في القرآن مذهب سوء، مات في ربيع الآخر سنة أربع وعشرين وخمسمائة.

قلت: حدث عنه الحافظ بن عساكر بعد ذاك الحط ويحي بن يوش وأبو الفتح المندائي.

ومعه مات أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت الذي ادعى أنه المهدي المعصوم، ومات مسند أصبهان إسماعيل بن الفضل بن الإخشيد السراج، ومقرئ بغداد وشاعرها أبو عبد الله الحسين بن محمد بن عبد الوهاب الدباس البارع، ومسندة الوقت بأصبهان فاطمة بنت عبد الله بن أحمد أم الخير الجوزدانية خاتمة من روى عن بن ريزة، والمسند أبو الأعز قراتكين بن أسعد البغدادي، ومسند مرو المعمر أبو منصور محمد بن علي بن محمود المروزي الكراعي، ومحدث دمشق الأمير أبو محمد هبة الله بن أحمد الأنصاري بن الأكفاني جامع "الوفيات" وله ثمانون سنة، والمسند أبو سعد هبة الله بن القاسم بن عطاء المهراني النيسابوري.

أنبأنا أحمد بن سلامة الحداد عن يحي بن أسعد أنا أبو عامر الحافظ سنة سبع عشرة "ح" وأنا سنقر الحلبي بها أنا عبد اللطيف بن يوسف والأنجب الحمامي ومحمد بن محمد بن السباك وعلي بن أبي الفخار وابن القبيطي قالوا: أنا أبو الفتح بن البطي قالا: أنا." (١)

"وقال ابن ناصر: كان فهما عاليا متعففا مع فقرة.

وقال السلفي: كان من أعيان علماء الإسلام، متصرفا في فنون من العلوم.

وقال ابن عساكر: بلغني أنه قال: أهل البدع يحتجون بقوله ليس كمثله شيء أي في الإلهية. فأما في الصورة فمثلنا. ثم يحتج بقوله لستن كأحد من النساء إن اتقيتن أي في الحرمة.

ومحمد بن عبد الله بن تومرت المصمودي البربري المدعي أنه علوي حسني وأنه المهدي. رحل إلى المشرق ولقي الغزالي وطائفة وحصل فنا من العلم والأصول والكلام، وكان رجلا ورعا ساكنا ناسكا في الجملة، زاهدا متقشفا شجاعا جلدا عاقلا عميق الفكر بعيد الغور، فصيحا مهيبا.

لذته في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد. ولكن جره إقدامه وجرأته إلى حب الرئاسة والظهور، وارتكاب المحظور، ودعوى الكذب والزور من أنه حسني، وهو هرغي بربري، وأنه إمام معصوم، وهو بالإجماع مخصوم. فبدأ أولا بالإنكار بمكة، فآذوه، فقدم مصر وأنكر، فطردوه. فأقام بالثغر مده فنفوه، وركب البحر فشرع ينكر على أهل المركب ويأمر وينهى ويلزمهم بالصلاة. وكان مهيبا وقورا بزيق الفقر. فنزل بالمهدية في غرفة، فكان لا يرى منكرا أو لهوا إلا غيرة بيده ولسانه. فاشتهر، وصار له زبون وشباب يقرأون عليه في الأصول. فطلبه أمير البلد يحي بن باديس وجلس له. فلما رأى حسن سمته وسمع كلامه احترمه وسأله الدعاء. فتحول إلى بجاية وأنكر بها.

(١) تذكرة الحفاظ = طبقات الحفاظ للذهبي الذهبي، شمس الدين ٤/٤٨

فأخرجوه، فلقي بقرية ملالة عبد المؤمن ابن علي شابا مختطا مليحا. فربطه عليه وأفضى إليه بسره وأفاده جملة من العل: وصار معه نحو خمسة أنفس. فدخل." (١)

"إلى متابعته، وصنف لهم تصانيف مختصرات. وقوى أمره في سنة خمس عشرة وخمس مئة. فلما كان في سنة سبع عشرة جهز عسكرا من المصامدة أكثرهم من أهل تينمل والسوس وقال: اقصدوا هؤلاء المارقين من المرابطين، فادعوهم إلى إزالة البدع والإقرار بالإمام المعصوم: فإن أجابوكم وإلا فقاتلوهم. وقدم عليهم عبد المؤمن. فالتقاهم الزبير ولد أمير المسلمين. فانهزمت المصامدة ونجا عبد المؤمن. ثم التقوهم مرة أخرى فنصرت المصامدة واستفحل أمرهم، وأخذوا في شن الإغارات على بلاد ابن تاشفين، وكثر الداخلون في دعوتهم، وانضم إليهم كل مفسد ومريب، واتسعت عليهم الدنيا، وابن تومرت في ذلك كله لون واحد من الزهد والتقلل والعبادة وإقامة السنن والشعائر، لولا ما أفسد القضية بالقول بنفي الصفات كالمعتزلة، وبأنه المهدي، وبتسرعه في الدماء. وكان ربما كاشف أصحابه ووعدهم بأمور فتوافق، فيفتنون به. وكان كهلا أسمر عظيم الهامة ربعة حديد النظر مهيبا طويل الصمت حسن الخشوع والسمت وقبره مشهور معظم ولم يملك شيئا من المدائن إنما مهد الأمور وقرر القواعد فبغته الموت. وكانت الفتوحات والممالك لعبد المؤمن. وقد طولت ترجمة هذين في تاريخي الكبير. والله أعلم.

والآمر بأحكام الله أبو علي منصور بن المستعلي بالله أحمد بن المستنصر بالله معد بن الظاهر بن الحاكم العبيدي الرافضي صاحب مصر. كان فاسقا مستهترا ظالما، امتدت دولته. ولما كبر وتمكن قتل وزيره الأفضل، وأقام في الوزارة البطائحي المأمون، ثم صادره وقتله. ولي الخلافة سنة خمس وتسعين." (٢)

"وفي صفر الزيادة العظمى في بعلبك، فغرق في البلد مئة وبضعة وأربعين نسمة، ثم تدكدك بعد مكانه بمسيرة نحو من خمسمائة ذراع، فكان ذلك آية بينة. وتهدم من البيوت والحوانيت؛ نحو ستمائة موضع. وفيها قدم السلطان إلى غزة وإلى الكرك ثم رجع.

وفيها ظهر جبلي ادعى أنه المهدي بجبلة، وثار معه خلق من النصيرية والجهلة فقال: أنا محمد المصطفى. ومرة قال: أنا علي. وتارة قال: أنا محمد بن الحسن المنتظر. وزعم أن الناس كفرة، وأن دين النصيرية هو الحق. وأن الناصر صاحب مصر قد مات. وعاثوا بالساحل واستباحوا جبلة، ورفعوا أصواتهم بقول: لا إله إلا علي، ولا حجاب إلا محمد، ولا باب إلا سلمان. ولعنوا الشيخين، وخربوا المساجد، وكانوا يحضرون المسلم إلى طاغيتهم ويقولون: اسجد لإلهك. فسار إليهم عسكر طرابلس وقتل الطاغية وجماعة وتمزقوا.

وفيها أعيدت إمرة العرب إلى مهنا. وفي أول جمادى الأولى جلس على تخت الملك السلطان أبو سعيد بن خربندا بالسلطانية، وهو ابن إحدى عشرة سنة.

وفيه سار السلطان الملك الناصر إلى القدس، وزار الخليل عليه السلام، ودخل الكرك وتصيد، ثم رجع.

---

(١) العبر في خبر من غبر الذهبي، شمس الدين ٢/ ٤٢١

(٢) العبر في خبر من غبر الذهبي، شمس الدين ٢/ ٤٢٣

ومات المحدث الإمام الشيخ علي بن محمد الجبني الصوفي في المحرم عن سبع وأربعين سنة. روى عن الفخر علي، وتاج الدين الفزاري. وكان دينا، تقيا، كثير المحاسن.

وقتل وزير التتار ومدبر دولتهم رشيد الدولة فضل الله بن أبي الخير الهمذاني الطبيب، كان أبوه يهوديا عطارا، فاشتغل هذا في المنطق والفلسفة." (١)

"وثقه أحمد العجلي، وغيره.

وروى الأسود بن شيبان، عن خالد بن سمير، قال: لما ظهر المختار الكذاب بالكوفة، هرب منه ناس، فقدموا علينا البصرة، فكان منهم موسى بن طلحة، وكان في زمانه يرون أنه المهدي، فغشيناه، فإذا هو رجل طويل السكوت، شديد الكآبة والحزن، إلى أن رفع رأسه يوما، فقال: والله لأن أعلم أنها فتنة لها انقضاء، أحب إلي من كذا وكذا، وأعظم الخطر. فقال رجل: يا أبا محمد، وما الذي ترهب أن يكون أعظم من الفتنة؟ قال: الهرج قالوا: وما الهرج. قال كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثونا القتل القتل حتى تقوم الساعة وهم على ذلك.

وعن موسى بن طلحة، قال: صحبت عثمان -رضي الله عنه- ثنتي عشرة سنة.

قال ابن موهب: رأيت موسى بن طلحة يخضب بالسواد.

وقال عيسى بن عبد الرحمن: رأيت على موسى بن طلحة برنس خز.

روى صالح بن موسى الطلحي، عن عاصم بن أبي النجود، قال: فصحاء الناس ثلاثة: موسى بن طلحة التيمي، وقبيصة بن جابر الأسدي، ويحيى بن يعمر.

وورد مثل هذا القول عن: عبد الملك بن عمير.

مات موسى في آخر سنة ثلاث ومائة.

أخبرنا أحمد بن سلامة، عن أحمد بن محمد التيمي إجازة، أنبأنا أبو علي الحداد، أنبأنا أبو نعيم، حدثنا أبو بكر بن خلاد، حدثنا الحارث بن محمد، حدثنا يزيد بن هارون، أنبأنا أبو مالك الأشجعي، عن موسى بن طلحة، عن أبي أيوب الأنصاري: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أسلم، وغفار، وجهينة، وأشجع، ومن كان من بني كعب موالي دون الناس والله رسوله مولاهم" ١.

---

١ صحيح: أخرجه أبو نعيم "في الحلية" "٤/ ٣٧٤"، والحاكم "٤/ ٨٢"، من طريق يزيد بن هارون، به. وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي في "التلخيص".

قلت: إسناده صحيح، رجاله ثقات، وأبو مالك الأشجعي، هو سعد بن طارق، ثقة.." (٢)

---

(١) العبر في خبر من غبر الذهبي، شمس الدين ٤٦/٤

(٢) سير أعلام النبلاء ط الحديث الذهبي، شمس الدين ٢١٤/٥

"وعن أبي نعيم، قال: بلغني أن عبيد الله بن عمر، وابن أبي ذئب، وعبد الحميد بن جعفر دخلوا على محمد بن عبد الله، وقالوا: ما تنتظر! والله ما نجد في هذا البلد أشأم عليها منك.

وأما رياح، فطلب جعفر الصادق وبني عمه إلى داره، فسمع التكبير في الليل، فاختفى رياح. فظهر محمد في مائتين وخمسين نفسا، فأخرج أهل السجن -وكان على حمار- في أول رجب، سنة خمس وأربعين، فحبس رياحا وجماعة، وخطب، فقال: أما بعد: فإنه كان من أمر هذا الطاغية أبي جعفر ما لم يخف عليكم، من بنائه القبة الخضراء التي بناها تصغيرا لكعبة الله، وإن أحق الناس بالقيام للدين أبناء المهاجرين والأنصار، اللهم قد فعلوا وفعلوا، فأحصهم عددا، واقتلهم بددا، ولا تغادر منهم أحدا.

قال علي بن الجعد: كان المنصور يكتب على ألسن قواده إلى محمد بن عبد الله بأنهم معه، فاخرج فقال: يثق بالمحال. وخرج معه مثل ابن عجلان، وعبد الحميد بن جعفر.

قال ابن سعد: فلما قتل، أتى والي المدينة بابن عجلان، فسبه، وأمر بقطع يده. فقال العلماء: أصلح الله الأمير، إن هذا فقيه المدينة، وعابدها، وشبه عليه أنه المهدي فتركه قال ولزم عبيد الله بن عمر ضيعة له وخرج أخواه عبد الله وأبو بكر فعفا عنهما المنصور.

واختفى جعفر الصادق، ثم إن محمدا استعمل عمالا على المدينة ولزم مالك بيته.

قال أبو داود كان الثوري يتكلم في عبد الحميد بن جعفر لخروجه ويقول إن مر بك المهدي وأنت في البيت فلا تخرج إليه حتى يجتمع الناس عليه.

وقيل: بعث محمد إلى إسماعيل بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وقد شاخ ليبايعه فقال: يا ابن أخي أنت والله مقتول كيف أبايعك فارتدع الناس عنه فأتته بنت أخيه معاوية فقالت: يا عم إن إخوتي قد أسرعوا إلى ابن خالهم، فلا تثبط عنه فيقتل هو وإخوتي فأبى فيقال: قتلته فأراد محمد الصلاة عليه. فقال ابنه: تقتل أبي وتصلي عليه فنحاه الحرس وتقدم محمد وكان محمد أسود جسيما فيه تمتمة ولما خرج قامت قيامة المنصور فقال: لآله اذهبوا إلى هذا الأحمق عبد الله بن علي فله رأي جيد في الحرب فلما دخلوا قال: لأمر ما جئتم فما جاء بكم جميعا وقد هجرتموني من دهر قالوا: استأذنا أمير المؤمنين فأذن لنا قال: ليس ذا بشيء ما الخبر قالوا: خرج محمد قال: فما ترون ابن سلامة صانعا يعني المنصور قالوا: لا ندري قال: إن البخل قد قتله فليخرج الأموال ويكرم الجند، فإن غلب فما أوشك أن يعود إليه ماله.." (١)

"في شيء، والأشعرية في شيء، وكان فيه تشيع، ورتب أصحابه، فمنهم العشرة، فهم أول من لباه، ثم الخمسين، وكان يسميهم المؤمنين، ويقول: ما في الأرض من يؤمن إيمانكم، وأنتم العصابة الذين عنى النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: "لا يزال أهل الغرب ظاهرين" ١ وأنتم تفتحون الروم، وتقتلون الدجال، ومنكم الذي يؤم بعيسى، وحدثهم بجزئيات اتفق وقوع أكثرها، فعظمت فتنة القوم به حتى قتلوا أبناءهم وإخوتهم لقسوتهم وغلظ طباعهم، وإقدامهم على الدماء، فبعث جيشا، وقال: اقصدوا هؤلاء المارقين المبدلين الدين، فادعوهم إلى إماتة المنكر وإزالة البدع، والإقرار بالمهدي المعصوم، فإن

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الحديث الذهبي، شمس الدين ٦/٣٣٦

أجابوا، فهم إخوانكم، وإلا فالسنة قد أباحت لكم قتالهم، فسار بهم عبد المؤمن يقصد مراكش، فالتقاه الزبير ابن أمير المسلمين، فكلموهم بالدعوة، فردوا أقبح رد، ثم انهزمت المصامدة، وقتل منهم ملحمة، فلما بلغ الخبر ابن تومرت، قال: أنجى عبد المؤمن؟ قيل: نعم. قال: لم يفقد أحد. وهون عليهم، وقال: قتلاكم شهداء.

قال الأمير عزيز في "أخبار القيروان": سمى ابن تومرت أصحابه بالموحدين، ومن خالفه بالمجسمين، واشتهر سنة خمس عشرة، وبايعته هرغة على أنه المهدي، فقصده الملثمون، فكسروا الملثمين، وحازوا الغنائم، ووثقت نفوسهم، وأتتهم أمداد القبائل، ووحدت هنتاتة، وهي من أقوى القبائل.

ثم قال عزيز: لهم تودد وأدب وبشاشة، ويلبسون الثياب القصيرة الرخيصة، ولا يخلون يوما من طراد ومثاقفة ونضال، وكان في القبائل مفسدون، فطلب ابن تومرت مشايخ القبائل ووعظهم، وقال: لا يصلح دينكم إلا بالنهي عن المنكر، فابحثوا عن كل مفسد، فانهوه، فإن لم ينته، فاكتبوا إلي أسماءهم، ففعلوا، ثم هدد ثانيا، فأخذ ما تكرر من الأسماء، فأفردها ثم جمع القبائل، وحضهم على أنه لا يغيب منهم أحد، ودفع تلك الأسماء إلى البشير، فتأملها، ثم عرضهم رجلا رجلا، فمن وجد اسمه، رده إلى الشمال، ومن لم يجده، بعثه على اليمين، ثم أمر بتكتيف أهل الشمال، وقال لقراباتهم: هؤلاء أشقياء من أهل النار، فلتقتل كل قبيلة أشقياءها، فقتلوهم، فكانت واقعة عجيبة، وقال: بهذا الفعل صح دينكم، وقوي أمركم.

وأهل العشرة هم: عبد المؤمن، والهزرجي، وعمرو بن يحيى الهنتاتي، وعبد الله البشير،

---

١ صحيح: أخرجه مسلم "١٩٢٥"، من حديث سعد بن أبي وقاص مرفوعا وتمامه: لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة".." (١)

"اتفق وقوع أكثرها، فعظمت فتنة القوم به حتى قتلوا أبناءهم وإخوتهم لقسوتهم وغلظ طباعهم، وإقدامهم على الدماء، فبعث جيشا، وقال: اقصدوا هؤلاء المارقين المبدلين الدين، فادعوهم إلى إماتة المنكر وإزالة البدع، والإقرار بالمهدي المعصوم، فإن أجابوا، فهم إخوانكم، وإلا فالسنة قد أباحت لكم قتالهم، فسار بهم عبد المؤمن يقصد مراكش، فالتقاه الزبير بن أمير المسلمين، فكلموهم بالدعوة، فردوا أقبح رد، ثم انهزمت المصامدة، وقتل منهم ملحمة، فلما بلغ الخبر ابن تومرت، قال: أنجى عبد المؤمن؟

قيل: نعم.

قال: لم يفقد أحد.

وهون عليهم، وقال: قتلاكم شهداء.

قال الأمير عزيز في (أخبار القيروان) :سمى ابن تومرت أصحابه بالموحدين، ومن خالفه بالمجسمين، واشتهر سنة خمس عشرة، وبايعته هرغة على أنه المهدي، فقصده الملثمون، فكسروا الملثمين، وحازوا الغنائم، ووثقت نفوسهم، وأتتهم أمداد القبائل، ووحدت هنتاتة، وهي من أقوى القبائل.

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الحديث الذهبي، شمس الدين ١٤/ ٣٨١

ثم قال عزيز: لهم تودد وأدب وبشاشة، ويلبسون الثياب القصيرة الرخيصة، ولا يخلون يوما من طراد ومثاقفة ونضال، وكان في القبائل مفسدون، فطلب ابن تومرت مشايخ القبائل ووعظهم، وقال: لا يصلح دينكم إلا بالنهي عن المنكر، فابحثوا عن كل مفسد، فانهوه، فإن لم ينته، فاكتبوا إلي أسماءهم، ففعلوا، ثم هدد ثانيا، فأخذ ما تكرر من الأسماء، فأفردها، ثم جمع القبائل، وحضهم على أن لا يغيب منهم أحد، ودفع تلك الأسماء إلى البشير، فتأملها، ثم عرضهم رجلا رجلا، فمن وجد اسمه، رده إلى الشمال، ومن لم يجده، بعثه." (١)

"موسى بن طلحة، وكان في زمانه يرون أنه المهدي، فغشيناه، فإذا هو رجل طويل السكوت، شديد الكآبة والحزن، إلى أن رفع رأسه يوما، فقال: والله لأن أعلم أنها فتنة لها انقضاء، أحب إلي من كذا وكذا، وأعظم الخطر.

فقال رجل: يا أبا محمد، وما الذي ترهب أن يكون أعظم من الفتنة؟

قال: الهرج.

قالوا: وما الهرج؟

قال: كان أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يحدثونا القتل القتل حتى تقوم الساعة وهم على ذلك (١) .

وعن موسى بن طلحة، قال: صحبت عثمان -رضي الله عنه- ثنتي عشرة سنة.

قال ابن موهب: رأيت موسى بن طلحة يخضب بالسواد (٢) .

وقال عيسى بن عبد الرحمن: رأيت على موسى بن طلحة برنس خز (٣) .

روى: صالح بن موسى الطلحي، عن عاصم بن أبي النجود، قال:

فصحاء الناس ثلاثة: موسى بن طلحة التيمي، وقبيصة بن جابر الأسدي، ويحي بن يعمر (٣) .

وورد مثل هذا القول عن: عبد الملك بن عمير (٤) .

مات موسى: في آخر سنة ثلاث ومائة.

أخبرنا أحمد بن سلامة، عن أحمد بن محمد التيمي إجازة، أنبأنا أبو علي الحداد، أنبأنا أبو نعيم، حدثنا أبو بكر بن خلاد، حدثنا الحارث بن محمد، حدثنا يزيد بن هارون، أنبأنا أبو مالك الأشجعي، عن موسى بن

---

(١) انظر الخبر مطولا عند ابن سعد في الطبقات ٥ / ١٦٢، وانظر الحلية ٤ / ٣٧١، ٣٧٢

(٢) ابن سعد ٦ / ٢١٢.

(٣) الحلية ٤ / ٣٧١.

(٤) انظر المصدر السابق.." (٢)

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة الذهبي، شمس الدين ٥٤٩/١٩

(٢) سير أعلام النبلاء ط الرسالة الذهبي، شمس الدين ٣٦٦/٤

"بالقيام للدين أبناء المهاجرين والأنصار، اللهم قد فعلوا وفعلوا، فأحصهم عددا، واقتلهم بددا، ولا تغادر منهم أحدا (١) .

قال علي بن الجعد: كان المنصور يكتب على ألسن قواده إلى محمد بن عبد الله بأنهم معه (٢) ، فاخرج.

فقال: يثق بالمحال.

وخرج معه مثل ابن عجلان، وعبد الحميد بن جعفر.

قال ابن سعد: فلما قتل، أتى والي المدينة بابن عجلان، فسبه، وأمر بقطع يده.

فقال العلماء: أصلح الله الأمير، إن هذا فقيه المدينة، وعابدها، وشبه عليه أنه المهدي، فتركه.

قال: ولزم عبيد الله بن عمر ضيعة له، وخرج أخواه؛ عبد الله وأبو بكر، فعفا عنهما المنصور.

واختفى جعفر الصادق، ثم إن محمدا استعمل عمالا على المدينة، ولزم مالك بيته.

قال أبو داود: كان الثوري يتكلم في عبد الحميد بن جعفر لخروجه، ويقول:

إن مر بك المهدي وأنت في البيت، فلا تخرج إليه حتى يجتمع الناس عليه.

وقيل: بعث محمد إلى إسماعيل بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب - وقد شاخ - ليبايعه، فقال:

يا ابن أخي! أنت -والله- مقتول، كيف أبايعك؟

فارتدع الناس عنه، فأتته بنت أخيه معاوية، فقالت: يا عم! إن إخوتي قد أسرعوا إلى ابن خالهم، فلا تثبط عنه، فيقتل هو وإخوتي.

فأبى.

فيقال: قتلته.

فأراد محمد

---

(١) هذا الكلام مقتبس من قول خبيب رضي الله عنه، حين خرج به المشركون من الحرم ليقتلوه في الحل. انظر الخبر بتمامه في البخاري ٦ / ١١٥ في الجهاد، باب هل يستأمر الرجل، ومن صلى ركعتين عند القتل و٧ / ٢٤٠ في المغازي و٧ / ٢٩١ - ٢٩٥ أيضا.

(٢) وتمام الخبر، في الطبري، وتاريخ الإسلام ٦ / ١٢: (فكان محمد يقول: لو التقينا مال إلي القواد كلهم) .." [1]

"مسلم، قال:

قلت لمالك: إني حدثت عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: لا تحمل المرأة فوق سنتين قدر ظل مغزل.

فقال: من يقول هذا؟ هذه امرأة ابن عجلان جارتنا، امرأة صدق، ولدت ثلاث أولاد في ثنتي عشرة سنة، تحمل أربع سنين قبل أن تلد.

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة الذهبي، شمس الدين ٦/٢١٥

قال سعيد بن داود الزنبري (١) : أخبرني محمد بن محمد بن عجلان، قال: أنا ولدت في أربع سنين، في حياة أبي.

وقال الواقدي: سمعت عبد الله بن محمد بن عجلان يقول: حمل بأبي أكثر من ثلاث سنين.

قال الواقدي: وسمعت مالكا يقول:

قد يكون الحمل سنتين وأكثر، أعرف من حمل به كذلك -يعني: نفسه-.

وروى: أبو حاتم الرازي، عن رجل، عن ابن المبارك، قال:

لم يكن بالمدينة أحد أشبه بأهل العلم من ابن عجلان، كنت أشبهه بالياقوتة بين العلماء -رحمه الله-.

قال مصعب الزبيري: كان لابن عجلان قدر وفضل بالمدينة، وكان ممن خرج مع محمد بن عبد الله، فأراد جعفر بن سليمان قطع يده، فسمع ضجة، وكان عنده الأكابر، فقال: ما هذا؟

قالوا: هذه ضجة أهل المدينة، يدعون لابن عجلان، فلو عفوت عنه، وإنما غر، وأخطأ في الرواية، ظن أنه المهدي. فأطلقه، وعفا عنه.

أبو بكر بن خلاد: سمعت يحيى بن سعيد يقول:

كان ابن عجلان مضطرب الحديث في حديث نافع.

وقال الفلاس: سألت يحيى عن حديث ابن عجلان، عن المقبري، عن

---

(١) نسبة إلى جده " زنبر " وفي المطبوع من تاريخ الإسلام " الزبيري " وهو تحريف.." [1]

"إسحاق بن طلحة، وطلحة، وإسحاق ابنا يحيى، وسماك بن حرب، وبيان بن بشر، وعبد الملك بن عمير، وعثمان بن عبد الله بن موهب، وولداه محمد، وعمرو ابنا عثمان، وآخرون.

قال أبو حاتم الرازي: هو أفضل ولد طلحة بعد محمد.

قلت: ولد لطلحة جماعة أولاد، فأجلهم محمد، وقد قتل مع أبيه يوم الجمل، ثم أفضلهم موسى، ثم عيسى، وقد مر سنة مائة، وأخوهم يحيى وله عدة بنين، ويعقوب كان أحد الأجواد قتل يوم الحرة، وزكريا وهو ابن أم كلثوم بنت الصديق، وإسحاق وله عدة أولاد بالكوفة، وعمران وكان له أولاد انقرضوا. ذكر ذلك ابن سعد بعد ترجمة موسى بن طلحة، ويقال: كان يسمى المهدي. وثقه أحمد العجلي وغيره.

وقال الأسود بن شيبان، عن خالد بن سمير قال: لما ظهر المختار الكذاب بالكوفة هرب منه ناس، فقدموا علينا البصرة، فكان منهم وموسى بن طلحة، وكان في زمانه يرون أنه المهدي فغشيناه، فإذا هو رجل طويل السكوت شديد الكآبة والحزن إلى أن رفع رأسه فقال: والله لأن اعلم أنها فتنة لها انقضاء أحب إلي من كذا وكذا وأعظم الخطر! فقال له رجل: يا أبا محمد، وما الذي ترهب أن يكون أعظم من الفتنة؟ قال: الهرج، قالوا: وما الهرج؟ قال: الذي كان أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم- يحدثونا القتل القتل حتى تقوم الساعة وهم على ذلك[1].

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة الذهبي، شمس الدين ٦/٣١٩

وروى صالح بن موسى الطلحي، عن عاصم بن أبي النجود قال: فصحاء الناس ثلاثة: موسى بن طلحة التيمي، وقبيصة بن جابر الأسدي، ويحيى بن يعمر، وقال مثل ذلك عبد الملك بن عمير، وعن موسى بن طلة قال: صحبت عثمان -رضي الله عنهم- ثنتي عشرة سنة. وقال ابن موهب: رأيت موسى بن طلحة يخضب بالسواد. وقال عيسى بن عبد الرحمن: رأيت على موسى بن طلحة برنس خز٢.

توفي آخر سنة ثلاث ومائة على الصحيح.

---

١ أخرجه ابن سعد في طبقاته "٥/ ١٦٢-١٦٣"، وأبو نعيم في الحلية "٤/ ٣٧١-٣٧٢".

٢ أخرجه ابن سعد في طبقاته "٥/ ١٦٣"، وأبو نعيم في الحلية "٤/ ٣٧١".." (١)

"ثم قال: أما بعد، فإنه كان من أمر هذا الطاغية عدو الله أبي جعفر ما لم يخف عليكم من بنائه القبة الخضراء التي بناها معاندة لله في ملكه وتصغيرا لكعبة الله، وإنما أخذ الله فرعون حين قال: ﴿أنا ربكم الأعلى﴾ [النازعات: ٢٤] إن أحق الناس بالقيام في هذا الدين أبناء المهاجرين والأنصار، اللهم إنهم قد فعلوا وفعلوا فاحصهم عددا واقتلهم بددا ولا تغادر منهم أحدا١.

قال علي بن الجعد: كان المنصور يكتب إلى محمد بن عبد الله عن أحسن قواده يدعونه إلى الظهور ويخبرونه أنهم معه فكان محمد يقول: لو التقينا لمال إلي القواد كلهم، وقد خرج معه مثل ابن عجلان وعبد الحميد بن جعفر.

قال محمد بن سعد: خرج ابن عجلان معه فلما قتل وولي المدينة جعفر بن سليمان أتوه بابن عجلان فكلمه جعفر كلاما شديدا وقال: خرجت مع الكذاب وأمر بقطع يده. فلم ينطق إلا أنه حرك شفتيه، فقال من حضر من العلماء فقالوا: أصلح الله الأمير، إن ابن عجلان فقيه المدينة وعابدها، وإنما شبه عليه وظن أنه المهدي الذي جاءت فيه الرواية، ولم يزالوا يرغبون إليه حتى تركه، ولزم عبيد الله بن عمر ضيعة له واعتزل فيها، وخرج أخواه عبد الله وأبو بكر مع محمد بن عبد الله ولم يقتلا، عفا عنهما المنصور. واختفى جعفر الصادق وذهب إلى مال له بالفرع معتزلا للفتنة٢ رحمه الله، ثم إن محمدا استعمل عماله على المدينة ولم يتخلف عنه من الوجوه إلا نفر، منهم الضحاك بن عثمان وعبد الله بن منذر الخرميان، وخبيب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير.

قال سعد بن عبد الحميد بن جعفر: أخبرني غير واحد أن مالكا استفتي في الخروج مع محمد، وقيل له: إن في أعناقنا بيعة للمنصور، فقال: إنما بايعتم مكروهين وليس على مكره يمين، فأسرع الناس إلى محمد ولزم مالك بيته.

قال أبو داود السجستاني: كان سفيان الثوري يتكلم في عبد الحميد بن جعفر لخروجه مع محمد ويقول: إن مر بك المهدي وأنت في البيت فلا تخرج إليه حتى يجتمع عليه الناس.

---

(١) تاريخ الإسلام ط التوفيقية الذهبي، شمس الدين ١٦٣/٧

١ راجع تاريخ الطبري "٧/ ٥٥٨".

٢ يعني بالفتنة هنا: هذا البلاء أو الابتلاء، وفي القرآن الكريم يقول الله جل وعلا: ﴿ونبلوكم بالشر والخير فتنة﴾ .." (١)

"عجلان فلو عفوت عنه، وإنما غر وأخطأ في الرواية ظن أنه المهدي، فعفا عنه وأطلقه.

قال أبو بكر بن خلاد: سمعت يحيى بن سعيد يقول: كان ابن عجلان مضطرب الحديث في حديث نافع١.

وقال الفلاس: سألت يحيى عن حديث ابن عجلان عن المقبري عن أبي هريرة أن رجلا قال: "يا رسول الله إن قاتلت في سبيل الله" فأبى أن يحدثني فقلت له: خالفه يحيى بن سعيد الأنصاري فقال: عن المقبري عن عبد الله بن أبي قتادة عن أبيه، وقال: أحدث به! أحدث به! كان يعجب٢.

وقال أبو زيد بن أبي الغمر: ثنا عبد الرحمن بن القاسم قال: قيل لمالك إن ناسا من أهل العلم يحدثون، فقال: من هم؟ قيل: ابن عجلان، فقال: لم يكن يعرف ابن عجلان هذه الأشياء ولم يكن عالما.

قلت: هذا قاله أبو عبد الله لما بلغه أن ابن عجلان روى حديث "خلق الله آدم على صورته" ٣، والحديث في الصحيح من غير طريق ابن عجلان، ولم ينفرد به ابن عجلان، وقد وثقه أحمد وابن معين وحدث عنه شعبة ومالك، وغير ابن عجلان أقوى منه.

قال الحاكم: أخرج له مسلم في كتابه ثلاثة عشر حديثا كلها في الشواهد، وقد تكلم المتأخرون من أئمتنا في سوء حفظه.

قلت: وقلما روى عنه شعبة ومالك. وحديثه من قبيل الحسن.

مات في سنة ثمان وأربعين ومائة.

٣٩٤- محمد بن علي بن ربيعة أبو عتاب السلمي٤.

روى عن أبي وائل وعبد الله بن معبد بن عباس. وعنه هشيم ومحمد بن ربيعة وعبيد الله بن موسى وجماعة. وكان شيعيا عراقيا، وثقه ابن معين. وقال أبو حاتم:

---

١ انظر المصدر السابق.

٢ انظر السابق.

٣ "حديث صحيح": أخرجه البخاري "٦٢٢٧"، ومسلم "٢٨٤" وغيرهما.

٤ الجرح والتعديل "٨/ ٢٦"، والتاريخ لابن معين "٣٠١٠".." (٢)

"من كبار الفقهاء بإصبهان.

سمع من: سهل بن عثمان، وأبي جعفر الفلاس.

وما كان روى شيئا.

---

(١) تاريخ الإسلام ط التوفيقية الذهبي، شمس الدين ٩/١٤

(٢) تاريخ الإسلام ط التوفيقية الذهبي، شمس الدين ٩/١٧٨

توفي سنة خمس وستين كهلا.

١٣٤- محمد بن الحسن العسكري بن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم.

أبو القاسم العلوي الحسني، خاتم الاثني عشر إماما للشيعة.

وهو منظر الرافضة الذي يزعمون أنه المهدي.

وأنه صحب الزمان، وأنه الخلف الحجة.

وهو صاحب السرداب بسامراء، ولهم أربعمائة وخمسون سنة ينتظرون ظهوره. ويدعون أنه دخل سردابا في البيت الذي لوالده وأمه تنظر إليه، فلم يخرج منه وإلى الآن.

فدخل السرداب وعدم وهو ابن تسع سنين.

وأما أبو محمد بن حزم فقال: إن أباه الحسن مات عن غير عقب. وثبت جمهور الرافضة على أن للحسن ابنا أخفاه.

وقيل: بل ولد بعد موته من جارية اسمها نرجس أو سوسن. والأظهر عندهم أنها صقيل؛ لأنها ادعت الحمل به بعد سيدها فوقف ميراثه لذلك سبع سنين، ونازعها في ذلك أخوه جعفر بن علي، وتعصب لها جماعة، وله آخرون. ثم انفش ذلك الحمل وبطل وأخذ الميراث جعفر وأخ له.

وكان موت الحسن سنة ستين ومائتين.

قال: وزادت فتنة الرافضة بصقيل هذه، وبدعواها، إلى أن حبسها المعتضد بعد نيف وعشرين سنة من موت سيدها وبقيت في قصره إلى أن ماتت في زمن مقتدر.

وذكره القاضي شمس الدين بن خلكان فقال: وقيل: بل دخل السرداب وله سبع." (١)

"وزعمت المغاربة أنه يتيم رباه، وليس بابنه، وكناه أبا القاسم، وجعله ولي عهده. وقتل عبيد خلقا من العساكر والعلماء، وبث دعاته في الأرض. وكانت طائفة تزعم أنه الخالق الرازق، وطائفة تزعم أنه نبي، وطائفة تزعم أنه المهدي حقيقة.

قول الباقلاني في القداح:

وقال القاضي أبو بكر بن الباقلاني: إن القداح جد عبيد الله كان مجوسيا. ودخل عبيد الله المغرب، وأدعى أنه علوي، ولم يعرفه أحد من علماء النسب، وكان باطنيا خبيثا، حريصا على إزالة ملة الإسلام. أعدم العلماء والفقهاء ليتمكن من إغواء الخلق. وجاء أولاده على أسلوبه. أباحوا الخمور والفروج، وأشاعوا الرفض، وبثوا دعاة، فأفسدوا عقائد خلق من جبال الشام كالنصيرية والدرزية.

وكان القداح كاذبا ممخرقا. وهو أصل دعاة القرامطة.

وقال أيضا في كتاب "كشف أسرار الباطنية". أول من وضع هذه الدعوى طائفة من المجوس وأبناء الأكاسرة. فذكر فصلا، ثم قال: ثم اتفقوا على عبد الله بن عمرو بن ميمون القداح الأهوازي وأمدوه بالأموال في سنة ثلاثين ومائتين أو قبلها، وكان

---

(١) تاريخ الإسلام ط التوفيقية الذهبي، شمس الدين ١١١/٢٠

مشعوذا ممخرقا يظهر الزهد، ويزعم أن الأرض تطوى له.

وجد القداح هو ديصان أحد الثنوية. وجاء ابن القداح على أسلوب أبيه، وكذا ابنه، وابن ابنه سعيد بن حسين بن أحمد بن محمد بن عبد الله.

وهو الذي يقال له عبيد الله. يلقب بالمهدي صاحب القيروان، وجد بني عبيد الذين تسميهم جهلة الناس الخلفاء الفاطميين.

قول ابن خلكان في نسب المهدي:

قال ابن خلكان: اختلف في نسبه، فقال صاحب "تاريخ القيروان": هو عبيد الله بن الحسن بن علي بن محمد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفرالصادق.

وقال غيره: هو عبيد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق.

وقيل: هو علي بن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن الحسن بن محمد بن زين العابدين علي بن الحسين.." (١)

"فجمع والي فاس الفقهاء له، فناظرهم، فظهر عليهم لأنه وجد جوا خاليا وناسا لا علم لهم بالكلام، فأشاروا على المتولي بإخراجه. فسار إلى مراكش، وكتبوا بخبره إلى ابن تاشفين، فجمع له الفقهاء، فلم يكن فيهم من يعرف المناظرة إلا مالك بن وهيب، وكان متفننا قد نظر في الفلسفة. فلما سمع كلامه استشعر حدته وذكاءه فأشار على أمير المسلمين ابن تاشفين بقتله، وقال: هذا لا تؤمن عائلته، وإن وقع في بلاد المصامدة قوي شره، فتوقف عن قتله دينا، فأشار عليه بحبسه، فقال: علام أسجن مسلما لم يتعين لنا عليه حق. ولكن يخرج عنا.

فذهب هو وأصحابه إلى السوس، ونزل تينمل. ومن هذا الموضع قام أمره، وبه قبره، فلما نزله اجتمع إليه المصامدة، فشرع في بث العلم والدعاء إلى الخير. وكتم أمره، وصنف لهم عقيدة بلسانهم، وعظم في أعينهم، وأحبته قلوبهم.

فلما استوثق منهم دعا إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونهاهم عن سفك الدماء، فأقاموا على ذلك مدة، وأمر رجالا منهم ممن استصلح عقولهم بنصب الدعوة. واستمال رؤساء القبائل، وأخذ يذكر المهدي ويشوق إليه، وجمع الأحاديث التي جاءت في فضله، فلما قرر عندهم عظمة المهدي ونسبه ونعته، ادعى ذلك لنفسه، وقال: أنا محمد بن عبد الله، وسرد له نسبا إلى علي عليه السلام، وصرح بدعوى العصمة لنفسه، وأنه المهدي المعصوم، وبسط يده للمبايعة فبايعوه، فقال: أبايعكم على ما أبايع عليه أصحاب رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ورسول الله –صلى الله عليه وسلم، وصنف لهم تصانيف في العلم، منها كتاب سماه "أعز ما يطلب"، وعقائد على مذهب الأشعري في أكثر المسائل إلا في إثبات الصفات، فإنه وافق المعتزلة في نفيها، وفي مسائل غيرها قليلة.

وكان يبطن شيئا من التشيع. ورتب أصحابه طبقات، فجعل منهم العشرة، وهم الأولون السابقون إلى إجابته.

وهم الملقبون بالجماعة.

وجعل منهم الخمسين، وهم الطبقة الثانية.

---

(١) تاريخ الإسلام ط التوفيقية الذهبي، شمس الدين ١٦/٢٤

وهذه الطبقات لا تجمعها قبيلة، بل هم من قبائل متفرقة. وكان يسميهم المؤمنين، ويقول لهم: ما على وجه الأرض من يؤمن إيمانكم، وأنتم العصابة المعنيون." (١)

"ابن تومرت، فردوا عليهم أسوأ رد، ووقع القتال، فانهزم المصامدة، وقتل منهم مقتلة، ونجا عبد المؤمن.

فلما بلغ الخبر ابن تومرت قال: أليس قد نجا عبد المؤمن؟ قيل: نعم.

قال: لم يفقد أحد.

ثم أخذ يهون عليهم، ويقرر عندهم أن قتلاهم شهداء، فزادهم حرصا على الحرب.

وقال الأمير عزيز في كتاب "الجمع والبيان في أخبار القيروان" إن ابن تومرت أقام بتينمل، وسمى أصحابه وأتباعه بالموحدين، والمخالفين أمره: مجسمين.

وأقام على ذلك نحو العام، فاشتهر أمره سنة خمس عشرة، وبايعته هرغة على أنه المهدي، فجهز له علي بن يوسف جيشا من الملثمين، فقال ابن تومرت لأصحابه الذين بايعوه: إن هؤلاء قد جاءوا في طلبي، وأخاف عليكم منهم، والرأي أن أخرج عنكم بنفسي إلى غير هذه البلاد لتسلموا أنتم.

فقام بين يديه ابن توفيان، من مشايخ هرغة، وقال له: تخاف شيئا من السماء؟ قال: لا، بل من السماء تنصر.

فقال ابن توفيان: فدع كل من في الأرض يأتينا.

ووافقه جميع قبيلته على ذلك القول.

فقال: إنما أردت أن أختبر صبركم وثباتكم وأما الآن، فأبشروا بالنصر، وأنكم تغلبون هؤلاء الشرذمة، وبعد قليل تستأصلون دولتهم، وترثون أرضهم.

فالتقوا جيش الملثمين فهزموهم، وأخذوا الغنيمة، ووثقت نفوسهم بالمهدي، وأقبلت إليه أفواج القبائل من النواحي ووحدت قبيلة هنتانة، وهي من أقوى القبائل؛ إلى أن قال: ثم نهج لهم طريق التودد والآداب، فلا يخاطبون الواحد منهم إلا بضمير الجمع في وقار وبشاشة، ولا يلبسون إلا الثياب القصيرة الرخيصة، ولا يخلون يوما من طراد ومناصفة ونضارة.

وكان في كل قبيلة قوم أشرار مفسدون، فنظر ابن تومرت في ذلك، فطلب مشايخ القبائل ووعظهم، وقال: لا يصح دينكم إلا بالنهي عن المنكر، فابحثوا عن كل مفسد وانهوه، فإن لم ينته فاكتبوا أسماءهم، وارفعوها إلي.." (٢)

"أبو القاسم العلوي الحسيني، خاتم الاثني عشر إماما للشيعة.

وهو منتظر الرافضة الذي يزعمون أنه المهدي.

وأنه صاحب الزمان، وأنه الخلف الحجة.

وهو صاحب السرداب بسامراء، ولهم أربعمائة وخمسون سنة ينتظرون ظهوره. ويدعون أنه دخل سردابا في البيت الذي لوالده وأمه تنظر إليه، فلم يخرج منه وإلى الآن.

---

(١) تاريخ الإسلام ط التوفيقية الذهبي، شمس الدين ٣٦/٨٠

(٢) تاريخ الإسلام ط التوفيقية الذهبي، شمس الدين ٣٦/٨٢

فدخل السرداب وعدم وهو ابن تسع سنين.
وأما أبو محمد بن حزم فقال: إن أباه الحسن مات عن غير عقب. وثبت جمهور الرافضة على أن للحسن ابنا أخفاه.
وقيل: بل ولد بعد موته من جارية اسمها «نرجس» أو «سوسن» [١] .
والأظهر عندهم أنها صقيل، لأنها ادعت الحمل به بعد سيدها فوقف ميراثه لذلك سبع سنين، ونازعها في ذلك أخوه جعفر بن علي، وتعصب لها جماعة، وله آخرون. ثم انفش ذلك الحمل وبطل وأخذ الميراث جعفر وأخ له.
وكان موت الحسن سنة ستين ومائتين.
قال: وزادت فتنة الرافضة بصقيل هذه، وبدعواها، إلى أن حبسها المعتضد بعد نيف وعشرين سنة من موت سيدها وبقيت في قصره إلى أن ماتت في زمن المقتدر [٢] .
وذكره القاضي شمس الدين بن خلكان فقال [٣] : وقيل: بل دخل السرداب وله سبع عشرة سنة في سنة خمس وسبعين ومائتين. والأصح الأول، وأن ذلك كان سنة خمس وستين.
قلت: وفي الجملة جهل الرافضة ما عليه مزيد. اللهم أمتنا على حب محمد وآل محمد صلى الله عليه وسلم، والذي يعتقده الرافضة في هذا المنتظر لو اعتقد المسلم في علي بل في النبي صلى الله عليه وسلم لما جاز له ذلك ولا أقر عليه.
قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى فإنما أنا عبد،

---

[١] وقيل: «خمط» . (الأئمة الاثنا عشر) .
[٢] سير أعلام النبلاء ١٢/ ١٢١.
[٣] في وفيات الأعيان ٤/ ١٧٦.." (١)
"[مقاطعة ابن بويه للراضي على البلاد]
وفيها بعث علي بن بويه إلى الراضي يقاطعه على البلاد التي استولى عليها بثمانية آلاف ألف درهم كل سنة. فبعث له لواء وخلعا. ثم أخذ ابن بويه يماطل بحمل المال [١] .
[وفاة المهدي صاحب المغرب]
وفيها في نصف ربيع الأول مات المهدي عبيد الله صاحب المغرب عن اثنتين وستين سنه. وكانت أيامه خمسا وعشرين سنة وأشهرا. وقام بالأمر بعده ابنه القائم بأمر الله أبو القاسم محمد، فبقي إلى سنة أربع وثلاثين [٢] .
[نسب المهدي]
وقال القاضي عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار البصري: اسم جد الخلفاء المصريين سعيد، ويلقب بالمصري. وكان أبوه يهوديا حدادا [٣] بسلمية.
زعم سعيد هذا أنه ابن ابن الحسين بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن ميمون القداح. وأهل الدعوة أبو القاسم بن الأبيض

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ١٦١/٢٠

العلوي، وغيره يزعمون أن سعيدا إنما هو ابن امرأة الحسين المذكور. وأن الحسين رباه وعلمه أسرار الدعوة، وزوجه بنت أبي الشلغلغ فجاءه ابن سماه عبد الرحمن، فلما دخل المغرب وأخذ سجلماسة تسمى بعبيد وتكنى بأبي محمد، وسمى ابنه الحسن. وزعمت المغاربة أنه يتيم رباه، وليس بابنه، وكناه أبا القاسم، وجعله ولي عهده. وقتل عبيد خلقا من العساكر والعلماء، وبث دعاته في الأرض.

وكانت طائفة تزعم أنه الخالق الرازق، وطائفة تزعم أنه نبي، وطائفة تزعم أنه المهدي حقيقة.

---

[١] تجارب الأمم ٥/ ٢٩٩، ٣٠٠، العيون والحدائق ج ٤ ق ٢/ ٣٤، النجوم الزاهرة ٣/ ٢٤٦.

[٢] العيون والحدائق ج ٤ ق ٢/ ٢٧، رسالة افتتاح الدعوة ٢٧٦ و ٢٧٩، تاريخ حلب ٢٨٧، الكامل في التاريخ ٨/ ٢٨٤، المختصر في أخبار البشر ٢/ ٨٠، العبر ٢/ ١٩٣، دول الإسلام ١/ ١٩٧، ١٩٨، الدرة المضية ١٠٩، ١١٠، البيان المغرب ١/ ٢٠٦، اتعاظ الحنفاء ١/ ٧٢، المواعظ والاعتبار ١/ ٣٥١، تاريخ ابن الوردي ١/ ٢٦٦، مرآة الجنان ٢/ ٢٨٥، البداية والنهاية ١١/ ١٧٩، ١٨٠، النجوم الزاهرة ٣/ ٢٤٦، تاريخ الخلفاء ٣٩١.

[٣] وقيل: صباغا. (البداية والنهاية ١١/ ١٨٠) .." (١)

"كبرائها. فأتى فاس، وأظهر الأمر بالمعروف، وكان جل ما يدعو إليه علم الاعتقاد على طريقة الأشعرية. وكان أهل المغرب ينافرون هذه العلوم، ويعادون من ظهرت عليه. فجمع والي فاس الفقهاء له، فناظرهم، فظهر عليهم لأنه وجد جوا خاليا وناسا لا علم لهم بالكلام، فأشاروا على المتولي بإخراجه. فسار إلى مراكش، وكتبوا بخبره إلى ابن تاشفين، فجمع له الفقهاء، فلم يكن فيهم من يعرف المناظرة إلا مالك بن وهيب، وكان متفننا قد نظر في الفلسفة. فلما سمع كلامه استشعر حدته وذكاءه [١] فأشار على أمير المسلمين ابن تاشفين بقتله، وقال:

هذا لا تؤمن عائلته، وإن وقع في بلاد المصامدة قوي شره، فتوقف عن قتله دينا، فأشار عليه بحبسه، فقال: علام أسجن مسلما لم يتعين لنا عليه حق.

ولكن يخرج عنا.

فذهب هو وأصحابه إلى السوس، ونزل تينمل. ومن هذا الموضع قام أمره، وبه قبره، فلما نزله اجتمع إليه المصامدة، فشرع في بث العلم والدعاء إلى الخير. وكتم أمره، وصنف لهم عقيدة بلسانهم، وعظم في أعينهم، وأحبته قلوبهم. فلما استوثق منهم دعا إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونهاهم عن سفك الدماء، فأقاموا على ذلك مدة، وأمر رجالا منهم ممن استصلح عقولهم بنصب الدعوة. واستمال رؤساء القبائل، وأخذ يذكر المهدي ويشوق إليه، وجمع الأحاديث التي جاءت في فضله، فلما قرر عندهم عظمة المهدي ونسبه ونعته، ادعى ذلك لنفسه، وقال: أنا محمد بن عبد الله، وسرد له نسبا إلى علي عليه السلام، وصرح بدعوى العصمة لنفسه، وأنه المهدي المعصوم، وبسط يده للمبايعة فبايعوه، فقال: أبايعكم على ما أبايع عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم، وصنف لهم تصانيف في العلم، منها [٢]

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٢٢/٢٤

كتاب سماه «أعز ما يطلب» ، وعقائد على مذهب الأشعري في أكثر المسائل إلا في إثبات الصفات، فإنه وافق المعتزلة في نفيها، وفي مسائل غيرها قليلة.

وكان يبطن شيئا من التشيع. ورتب أصحابه طبقات، فجعل منهم العشرة، وهم الأولون السابقون إلى إجابته. وهم الملقبون بالجماعة.

---

[١] في الأصل: «وذكائه» .

[٢] في الأصل: «منهم» .." (١)

"ابن أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين، فلما تراءى الجمعان كلموا المرابطين بما أمرهم به ابن تومرت، فردوا عليهم أسوأ رد، ووقع القتال، فانهزم المصامدة، وقتل منهم مقتلة، ونجا عبد المؤمن. فلما بلغ الخبر ابن تومرت قال: أليس قد نجا عبد المؤمن؟

قيل: نعم.

قال: لم يفقد أحد.

ثم أخذ يهون عليهم، ويقرر عندهم أن قتلاهم شهداء، فزادهم حرصا على الحرب.

وقال الأمير عزيز في كتاب «الجمع والبيان في أخبار القيروان» إن ابن تومرت أقام بتينمل، وسمى أصحابه وأتباعه بالموحدين، والمخالفين أمره:

مجسمين. وأقام على ذلك نحو العام، فاشتهر أمره سنة خمس عشرة، وبايعته هرغة على أنه المهدي، فجهز له علي بن يوسف جيشا من الملثمين، فقال ابن تومرت لأصحابه الذين بايعوه: إن هؤلاء قد جاءوا في طلبي، وأخاف عليكم منهم، والرأي أن أخرج عنكم بنفسي إلى غير هذه البلاد لتسلموا أنتم.

فقام بين يده ابن توفيان، من مشايخ هرغة، وقال له: تخاف شيئا من السماء؟ قال: لا، بل من السماء تنصر. فقال ابن توفيان: فدع كل من في الأرض يأتينا. ووافقه جميع قبيلته على ذلك القول. فقال: إنما أردت أن أختبر صبركم وثباتكم وأما الآن، فأبشروا بالنصر، وأنكم تغلبون هؤلاء الشرذمة، بعد قليل تستأصلون دولتهم، وترثون أرضهم. فالتقوا جيش الملثمين فهزموهم، وأخذوا الغنيمة، ووثقت نفوسهم بالمهدي، وأقبلت إليه أفواج القبائل من النواحي ووحدت قبيلة هنتاتة، وهي من أقوى القبائل، إلى أن قال:

ثم نهج لهم طريق التودد والآداب، فلا يخاطبون الواحد منهم إلا بضمير الجمع في وقار وبشاشة، ولا يلبسون إلا الثياب القصيرة الرخيصة، ولا يخلون يوما من طراد ومناصفة ونضارة [١] . وكان في كل قبيلة قوم أشرار مفسدون، فنظر

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ١١٣/٣٦

[١] في الأصل: «ونضالا» .." (١)

"وقال الأسود بن شيبان، عن خالد بن سمير [١] قال: لما ظهر المختار الكذاب بالكوفة هرب منه ناس، فقدموا علينا البصرة، فكان منهم موسى بن طلحة، وكان في زمانه يرون أنه المهدي فغشيناه، فإذا هو رجل طويل السكوت شديد الكآبة والحزن إلى أن رفع رأسه فقال: والله لأن اعلم أنها فتنة لها انقضاء أحب إلي من كذا وكذا وأعظم الخطر! فقال له رجل: يا أبا محمد، وما الذي ترهب أن يكون أعظم من الفتنة؟ قال: الهرج، قالوا: وما الهرج؟ قال: الذي كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحدثونا القتل القتل حتى تقوم الساعة وهم على ذلك [٢] .

وروى صالح بن موسى الطلحي، عن عاصم بن أبي النجود قال:

فصحاء الناس ثلاثة: موسى بن طلحة التيمي، وقبيصة بن جابر الأسدي، ويحيى بن يعمر، وقال مثل ذلك عبد الملك بن عمير [٣] . وعن موسى بن طلحة قال: صحبت عثمان رضي الله عنه ثنتي عشرة سنة. وقال ابن موهب:

رأيت موسى بن طلحة يخضب بالسواد [٤] . وقال عيسى بن عبد الرحمن:

رأيت على موسى بن طلحة برنس خز [٥] .

توفي آخر سنة ثلاث ومائة على الصحيح.

---

[١] في الأصل «سحر» ، والتقييد من الإكمال لابن ماكولا وتبصير المنتبه لابن حجر، وورد مصحفا بالشين المعجمة في خلاصة تذهيب التهذيب ١٠١ وتهذيب التهذيب لابن حجر.

[٢] الطبقات الكبرى ٥/ ١٦٢- ١٦٣، حلية الأولياء ٤/ ٣٧١- ٣٧٢.

[٣] حلية الأولياء ٤/ ٣٧١.

[٤] الطبقات الكبرى ٦/ ٢١٢.

[٥] الطبقات الكبرى ٥/ ١٦٣، حلية الأولياء ٤/ ٣٧١.." (٢)

"ليلة، قال راوي القصة: إنا لعنده، إذ سمعت التكبير فقام رياح فاختفى وخرجنا نحن فكان ظهور محمد بالمدينة في مائتي رجل وخمسين رجلا، فمر بالسوق ثم مر بالسجن، فأخرج من فيه، ودخل داره وأتى على حماره وذلك في أول رجب، ثم أمر برياح وابني مسلم فحبسوا بعد أن مانع أصحاب رياح بعض الشيء. ولما خطب محمد حمد الله تعالى، ثم قال: أما بعد، فإنه كان من أمر هذا الطاغية عدو الله أبي جعفر ما لم يخف عليكم من بنائه القبة الخضراء التي بناها معاندة لله في ملكه وتصغيرا لكعبة الله، وإنما أخذ الله فرعون حين قال: أنا ربكم الأعلى ٧٩: ٢٤ [١] إن أحق الناس بالقيام في هذا الدين أبناء المهاجرين والأنصار، اللهم إنهم قد فعلوا وفعلوا فاحصهم عددا واقتلهم بددا ولا تغادر منهم أحدا [٢] .

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ١١٥/٣٦

(٢) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٢٦٦/٧

قال علي بن الجعد: كان المنصور يكتب إلى محمد بن عبد الله عن ألسن قواده يدعونه إلى الظهور ويخبرونه أنهم معه فكان محمد يقول: لو التقينا لمال إلي القواد كلهم. وقد خرج معه مثل ابن عجلان وعبد الحميد بن جعفر.

وقال محمد بن سعد: خرج ابن عجلان معه فلما قتل وولي المدينة جعفر ابن سليمان أتوه بابن عجلان فكلمه جعفر كلاما شديدا وقال: خرجت مع الكذاب وأمر بقطع يده. فلم ينطق إلا أنه حرك شفتيه، فقام من حضر من العلماء فقالوا: أصلح الله الأمير، إن ابن عجلان فقيه المدينة وعابدها، وإنما شبه عليه وظن أنه المهدي الذي جاءت فيه الرواية، ولم يزالوا يرغبون إليه حتى تركه، ولزم عبيد الله بن عمر ضيعة له واعتزل فيها، وخرج أخواه عبد الله وأبو بكر مع محمد بن عبد الله ولم يقتلا، عفا عنهما المنصور. واختفى جعفر الصادق وذهب إلى مال له بالفرع معتزلا للفتنة رحمه الله، ثم إن محمدا

---

[١] قرآن كريم- سورة النازعات- الآية ٢٤.

[٢] انظر الطبري ٧/ ٥٥٨.." (١)

"عجلان في بطن أمه ثلاث سنين فشق بطنها فأخرج وقد نبتت أسنانه. سمعها عبد العزيز بن أحمد الغافقي من عباس.

وقال يعقوب بن شيبة في مسند علي: ثنا إبراهيم بن موسى الفراء ثنا الوليد ابن مسلم قال: قلت لمالك: إني حدثت عن عائشة أنها قالت: لا تحمل المرأة فوق سنتين قدر ظل مغزل، فقال: من يقول هذا؟ هذه امرأة ابن عجلان جارتنا امرأة صدق ولدت ثلاثة أولاد في ثنتي عشرة سنة تحمل أربع سنين قبل أن تلد.

وقال سعيد بن داود الزبيري: أخبرني محمد بن محمد بن عجلان يقول:

حمل بأبي أكثر من ثلاث سنين.

قال الواقدي: وسمعت مالكا يقول: قد يكون الحمل سنتين وأكثر أعرف من حمل به كذلك، يعني نفسه.

وروى أبو حاتم الرازي عن شيخ له عن ابن المبارك قال: لم يكن بالمدينة أحد أشبه بأهل العلم من ابن عجلان كنت أشبهه بالياقوته بين العلماء رحمة الله تعالى عليه.

وقال يعقوب بن شيبة: ذكر مصعب الزبيري محمد بن عجلان فقال:

كان له قدر وفضل بالمدينة، وكان ممن خرج مع محمد فأراد جعفر بن سليمان قطع يده فسمع ضجة، وكان عنده الأكابر فقال: ما هذا؟ قالوا: هذه ضجة أهل المدينة يدعون لابن عجلان فلو عفوت عنه، وإنما غر وأخطأ في الرواية ظن أنه المهدي، فعفا عنه وأطلقه.

قال أبو بكر بن خلاد: سمعت يحيى بن سعيد يقول: كان ابن عجلان مضطرب الحديث في حديث نافع.." (٢)

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٩/٢٢

(٢) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٩/٢٨١

"الظنون به فكثرت أتباعه فاستحضره أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين فناظر بحضرته الفقهاء فقطعهم، فأشير على ابن تاشفين بقتله أو تخليده في الحبس فأبى وأخرجه من مراكش فسار المهدي إلى أغمات ولحق بالجبل فاجتمع عليه الناس، وادعى أنه المهدي الذي وعد النبي – صلى الله عليه وسلم – بخروجه، فاستفحل أمره وقام عبد المؤمن بن علي في عشرة أنفس وقالوا له: أنت المهدي وبايعوه على ذلك، وتبعهم غيرهم فأرسل ابن تاشفين إليه جيشا فهزمهم فأقبلت القبائل تبايعه، وعظم أمره واستوطن جبلا عند سمليك ورأى في جموعه قوما خافهم فقال: إن الله أعطاني نورا أعرف به أهل الجنة من أهل النار، وجمع الناس إلى رأس جبل وجعل يقول عن كل من يخافه هذا من أهل النار فيلقى من رأس الشاهق، ويقول عمن لا يخافه هذا من أهل الجنة فيجعل عن يمينة حتى قتل على ما قيل سبعين ألفا، وأمن على نفسه وسمى مطيعيه الموحدين، وما برح يعلو إلى سنة أربع وعشرين وخمسمائة فجهز أربعين ألفا فيهم التونشريشي وعبد المؤمن فحصروا أمير المسلمين بمراكش عشرين يوما ثم كشف متولي سجلماسة بالعساكر عن مراكش وطلع أهل مراكش وأمير المسلمين واقتتلوا فقتل التونشريشي وصار عبد المؤمن مقدم العسكر فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم عبد المؤمن فهرب ليلا بالعسكر إلى الجبل وبلغ المهدي وهو مريض ذلك فسأل عن عبد المؤمن فقيل إنه سالم فقال المهدي لم يمت أحد، وأوصى أصحابه باتباع عبد المؤمن وعرفهم أنه هو الذي يفتح البلاد وسماه أمير المؤمنين، ثم مات في مرضه وعمره إحدى وخمسون سنة، وولايته عشر سنين.

وعاد عبد المؤمن فأقام في تنمتليك يؤلف القلوب إلى سنة ثمان وعشرين وخمسمائة، ثم سار عبد المؤمن واستولى على الجبال، وجعل علي بن يوسف بن تاشفين ابنه تاشفين يسير في الوطاءة قبالة عبد المؤمن.

وفي سنة تسع وثلاثين سار عسكر عبد المؤمن إلى وهران وسار تاشفين إليهم وقرب الجمعان فلما كانت ليلة سبع وعشرين من رمضان من هذه السنة وهي ليلة عادة المغاربة تعظيمها سار تاشفين متخفيا في جماعة يسيرة ليزور مكانا على البحر فيه متعبدون للتبرك وبلغ ذلك عمر بن يحيى الهتنائي مقدم جيش عبد المؤمن فأحاط بتاشفين فركب فرسه ليهرب فسقط من جرف فهلك وجهلوه على خشبة وقتل من معه وتفرق عسكره، وسار عبد المؤمن إلى وهران وملكها بالسيف وقتل من المسلمين ما لا يحصى،

ثم ملك قاروت إحدى مدينتي تلمسان وجعل على أغادير الثانية جيشا فحصروها وبين المدينتين شوط فرس وسار إلى فاس فملكها بالأمان في آخر سنة أربعين وخمسمائة ورتب أمرها وفتح سلا سنة إحدى وأربعين وفتح عسكره أغادير بعد حصار سنة وقتل أهلها ثم نزل مراكش وقد مات علي بن يوسف صاحبها، ثم تاشفين بن علي.

ثم ملك أخوه إسحاق بن علي بن يوسف بن تاشفين وهو صبي فحاصرها عبد." (١)

"وفيها: رسم السلطان أن يعمر ببلاد النصيرية في كل قرية مسجدا ويمنعوا من الخطاب.

وفيها: اجتمع إلى ماردين قفل كبير تجار وجفال من الغلا وقصدوا الشام فلما وصلوا إلى خان التاجر أدركتهم فرقة من التتر من أمراء سوتاي النائب بديار بكر إلى حدود العراق واحتجوا عليهم بحجج وصاروا كلما أمسكوا منهم جماعة أبعدوا بهم

---

(١) تاريخ ابن الوردي ابن الوردي الجد، زين الدين ٢/٢٦

وقتلوهم فأكثر الباقون الصراخ فمال التتر عليهم بالنشاب حتى قتلوا الجميع وبقي من أولاد الجفال نحو سبعين صبيا فقالوا: من يقتل هؤلاء منا فقتلهم تترى وأعطوه عن كل صبي دينارا وبلغ القتلى تسعمائة رجال ونساء وصبيان وتألم الناس لذلك، ثم أن سوتاي أمسك من الحرامية وحبسهم وأوصل بعض المال إلى مستحقيه بعد غرامة ما بين النصف إلى الثلث.

وفيها: خرج جماعة من النصيرية عن الطاعة وأقاموا شخصا زعموا أنه المهدي وقاتلوا المسلمين وادعوا أنهم كفرة فكسرهم عسكر المسلمين وقتل مقدمهم وخلقا منهم ومزقهم الله كل ممزق فلله الحمد.

ثم دخلت سنة ثمان عشرة وسبعمائة: فيها كان بديار بكر والموصل وإربل وماردين والجزيرة وميافارقين غلاء وجلاء حتى بيعت الأولاد وأكلت الميتة، وكان الشخص إذا امتنع من شراء أولاد المسلمين تجعل المرأة نفسها نصرانية ليرغب في الشراء نسأل الله العافية ونعوذ بالله من الجوع فإنه بئس الضجيع ونزح من إربل جماعة إلى جهة مراغة فأهلكهم الثلج في الطريق وكان سبب الغلاء جرادا وعدم المطر سنتين وجور التتر لموت خربنده وتغير الدول والغارات، فسبحان الفعال لما يريد.

وفيها: في صفر وصل كريم الدين إلى دمشق وأمر ببناء جامع بالقبيبات وتوجه إلى القدس وعاد إلى القاهرة وشرع في بناء الجامع.

فيه: ثارت ريح عاصفة من جهة البحر على بيوت التركمان عند قرية المعيصرة من الجون من عمر طرابلس فتكونت عمودا أغبر صورة تنين متصل بالسحاب فما تركت شيئا من البيوت والأثاث وأهلكت جماعة وخطفت جملين وارتفعت بهما في الجو مقدار عشرة أرماح وطوت الريح قدور النحاس والصاجات وصارت قطعا، وكان إلى جانبهم عرب فخطفت لهم أربعة أجمال إلى الجو فتقطعت الجمال قطعا، وأهلكت دواب كثيرة، ووقع بعدها مطر برد كبار البردة ثلاث أواق ودونها كأشطاف الحجارة منها مثلث ومربع وأصاب ذلك أربعا وعشرين قوية، وكتب بذلك محضر وثبت عند قاضي طرابلس فنسأل الله العافية.

وفيه: توفي الشيخ القدوة العالم بقية السلف محمد بن أبي بكر بن قوام البالسي بزاويته بالصالحية.

قلت: ومن الله علي بزيارته حيا ثم بعد وفاته أخبرني الشيخ المقري الصالح محمد بن شامة الساكن بالباب قال: صحبت الشيخ محمد المذكور من دمشق قاصدين باب." (١)

"ذكره في موضعه من النسب، وكان يلقب النفس الزكية، وكان أبو جعفر المنصور قد بايعه في الدولة الأموية، وأعطاه يمينه، وأعطاه في عقد المبايعة يمينه، وكان برا تقيا طاهرا زكيا، ولهذا كان يسمى النفس الزكية، ولم يقدر له ظهور في تلك الأيام الأول، ولا على عهد السفاح، فلما قبض المنصور على أبيه خرج عليه بالمدينة، واحتج عليه بمبايعته المتقدمة، ودارت بينهم كتب بديعة في إقامة الحجج، وكان المنصور فيها الألد الخصم والأشد عقدا لا ينفصم، وكان محمد بن عبد الله أيدا «١» ، شرد لأبيه جمل فعدا جماعة خلفه فلم يلحقه أحد سواه، فأمسك بذنبه، فلم يزل يجاذبه حتى انقلع، فرجع بالذنب في يده، وكان يطلب الخلافة أيام بني أمية ويزعم أنه المهدي المبشر به، وكان نهاية في العلم والزهد والشجاعة، وأقام سنين مستترا في جبال طيء «٢» ، مرة يرعى الغنم ومرة يعمل في المهن، وأمسك المنصور أباه وعمه وطائفة من أهله لاحضاره

---

(١) تاريخ ابن الوردي ابن الوردي الجد، زين الدين ٢٥٨/٢

وإحضار أخيه إبراهيم فجحدوا معرفتهما، فحبسهم عليه، ويقال إن المنصور كان قد بايع أباه عبد الله ومحمدا ابنه بعده، وكانت له جارية معها ابن له صغير برضوى «٣» ولد له في حال تستره [ص ٣] فردى «٤» نفسه من الجبل، فقال فيه أبوه:

[السريع]

منخرق الخفين يشكو الوجى ... تبكيه أطراف مرو حداد." (١)

"وفيها، أبطلت (٣٩٧) الفاحشة وضمان الخمور بالسواحل، وقرئت بذلك المراسيم وكثر الدعاء للسلطان.

وظهر للنصيرية رجل زعم أنه المهدي، وكثر جمعه بناحية اللاذقية «١» وبلغوا ثلاثة آلاف، فتارة زعم أنه [محمد بن الحسن] «٢» المنتظر، ومرة قال: إنه علي بن [أبي] «٢» طالب، وتارة أنه محمد المصطفى وأن الأمة كفرة، وعاث في تلك الأرض حتى انتدب له العسكر فقتل من جمعه مئة وعشرون نصيريا، وجرت أمور ثم قتل لا رحمه الله، وكان جبليا حمارا جاهلا.

ودخلت سنة ثماني عشرة وسبع مئة «١٣»

فكان القحط المفرط بديار الموصل وإربل، وأكلوا الجيف، وباعوا أطفالهم، وبلغ الخبز كل أربع أواق بالدمشقي بدرهم، ومات خلق من الجوع حتى إن رجلا با ع ولده برغيف فأكله ثم مات، وجرى ما لا يوصف، واستمر ذلك زمانا.

وحدثني فقيه أنه بقي نحو (ا) من أربع سنين قال: وأكلت أنا وأهلي في نهار واحد [خبزا] «٣» بثمانية عشر درهما، وكانت تباع جرزة خبيز بدرهم قيمتها فلس، وخلت إربل حتى بقي فيها «٤» خمس مئة بيت من خمسة عشر ألف بيت، واتصل الغلاء بالعراق لكن لم يأكلوا الميتة ولا باعوا أبناءهم، ودثرت القرى فلله الأمر، وكان سبب القحط مجيء جراد عظيم أولا بالجزيرة.

وفيها، توفي شيخنا القدوة الشيخ محمد بن عمر بن الشيخ الكبير أبي بكر." (٢)

"عنهم أبو)

جعفر الباقر سيد بني هاشم في وقته

روى عن جديه الحسن والحسين وعائشة وأم سلمة وابن عباس وابن عمر وأبي سعيد الخدري وجابر وسمرة بن جندب وعبد الله بن جعفر وأبيه وسعيد بن المسيب وطائفة وروى له الجماعة

مولده سنة ست وخمسين قال الشيخ شمس الدين فعلى هذا لم يسمع من عائشة ولا من جديه

وكان أحد من جمع العلم والفقه والديانة والثقة والسودد وكان يصلح للخلافة وهو أحد الأئمة الإثني عشر الذين يعتقد الرافضة عصمتهم وسمي بالباقر لأنه بقر العلم أي شقه فعرف أصله وخفيه

قال ابن فضيل عن سالم بن أبي حفصة سألت أبا جعفر وابنه جعفرا الصادق عن أبي بكر وعمر فقالا لي يا أبا سالم تولهما وابرأ من عدوهما فإنهما كانا أمامي هدى وابن فضيل من أعيان الشيعة الصادقين

---

(١) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ٢٦/٢٤

(٢) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ٥١٨/٢٧

قال اسحق الأزرق عن بسام الصيرفي سألت أبا جعفر عن أبي بكر وعمر فقال والله إني لأتولاهما وأستغفر لهما وما أدركت أحدا من أهل بيتي إلا وهو يتولاهما روي أنه كان يصلي في اليوم والليلة مائة وخمسين ركعة

توفي سنة أربع عشرة ومائة على الصحيح وقيل سنة سبع عشرة وقيل غير ذلك

ويعتقد قوم من الرافضة يعرفون بالباقرية أنه لم يمت وساقوا الإمامة من علي رضي الله عنه في أولاده إلى محمد الباقر وزعموا أنه المهدي المنتظر واستدلوا بما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لجابر بن عبد الله الأنصاري إنك تلقاه فاقرأه مني السلام وكان جابرا آخر من مات بالمدينة من الصحابة وكان قد عمي آخر عمره فكان يمشي بالمدينة ويقول يا باقر متى ألقاكفمر يوما في بعض سكك المدينة فناولته جارية صبيا في حجرها فقال لها من هذافقالت محمد بن علي بن الحسين بن علي فضمه إلى صدره وقبل رأسه ويديه وقال يا بني جدك رسول الله يقرئك السلام ثم قال جابر نعيت إلي نفسي فمات في تلك الليلة فقالت هذه الطائفة ما أقرأه السلام إلا وهو المهدي المنتظر يقال لهم بعد صحة الخبر ينبغي أن يكون أويس القرني مهديا منتظرا لأنه صح أنه قال لعمر وعلي رضي الله عنهما إنكما تلقيان أويسا القرني فأقرئاه مني السلام)

وكانت وفاته بالحميمة ونقل إلى المدينة ودفن بالبقيع في القبر الذي فيه أبوه وعم أبيه الحسن بن علي في القبة التي فيها قبر العباس

أبو السفاح محمد الإمام محمد بن علي بن عبد الله بن عباس أبو عبد الله والد." (١)

"(وكأن الشمس لما أشرقت ... فانثنت عنها عيون الناظرين)

(وجه إدريس بن يحيى بن علي ... بن حمود أمير المؤمنين)

فقال العالي للحاجب صاحب الستر قل له مليح مليح فقال له ذلك ثم مر فيها إلى أن قال

(كتب الجود على أبوابه ... أدخلوها بسلام آمنين)

(وإذا ما نشرت رايته ... خفقت بين جناحي جبرئين)

فقال العالي للحاجب قل له أحسنت أحسنت ثم لما قال

(يا بني بنت النبي المصطفى ... حبكم في أرضه دنيا ودين)

(أنظرونا نقتبس من نوركم ... إنه من نور رب العالمين)

أمر برفع الحجاب وأتم بقية القصيدة وهو ينظر إليه ثم أفاض أنواع الإحسان عليه

وكان العالي يشعر في مجالس منادماته لكنه لا يرضاه ولا يجسر أحد أن يرويه ومن شعره

(انظر إلى البركة والشمس قد ... ألقت عليها مطرفا مذهبا)

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ٤/٧٧

(والطير قد دارت بأكنافها ... والأنس قد نادى بها مرحبا)

(فاشرب عليها مثلها رقة ... وبهجة واحلل لديها الحبى)
وبلي العالي بأقاربه فنغصوا ملكه حتى انزوى إلى بعض الجبال وكانت له معهم خطوب طوال آل أمرها إلى أن انقرضت دولتهم وتغلب باديس ابن حيوس الصنهاجي صاحب غرناطة على مالقة وتفرق بنو حمود في الأقطار فدخل منهم إلى جزيرة صقلية محمد بن عبد الله ابن العالي إدريس المذكور وأشيع عنه أنه المهدي الذي يوافق اسم النبي صلى الله عليه وسلم واسم أبيه
وأراد ابن الثمنة الثائر هناك قتله فشغله الله عنه واستولى رجار الإفرنجي على صقلية فذكر له أنه من بيت النبوة فأكرمه ونشأ ابنه محمد بن محمد ابن عبد الله رجار وكان أديبا ظريفا شاعرا مغرى بعلم جغرافيا فصنف لرجار الكتاب المشهور في أيدي الناس المنسوب إلى)
رجار
٣ - (الواثق المغربي)
إدريس بن عبد الله ابن أبي حفص ابن عبد المؤمن الملك أبو العلاء الواثق بالله أبو دبوس صاحب الغرب القيسي آخر ملوك بني عبد المؤمن وثب على ابن عمه عمر وقتله سنة خمس ستين وكان شهما شجاعا مقداما خرج عليه أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق سيد آل مرين وصاحب تلمسان فجرت بينهم حروب إلى أن قتل أبو دبوس في المحرم سنة ثمان وستين وستمائة بظاهر مراكش في المصاف واستولى المريني على مملكة الغرب وانقضت دولة آل عبد المؤمن." (١)
"البغدادي سمع محمد بن أحمد بن المسلمة وحدث باليسير وروى عنه أبو جعفر محمد بن أبي القاسم بن حمزة الساوي وأبو القاسم عبد الواحد بن محمد بن عبد الواحد المديني والحفظ السلفي توفي سنة خمس وخمس مائة
٣ - (ابن جوبان)
تمرتاش بن جوبان النوين كان حاكم البلاد الرومية فتتح بلادا وكسر جيوشا وكان إذا كان وقت اللقاء نزل قعد على الأرض وأمر أصحابه بالقتال واستعمل الخمر فإذا انتشى ركب جواده وحمل فلا يثبت له أحد ويقول لأصحابه أي من مات فإقطاعه لوالده أو لقرابته لا يخرج عنه شيء وأي من هرب فأنا خلفه أينما توجه أحضره وما أبقيه فالأولى به أن لا يهرب وكان قد خطر له أنه المهدي وتسمى بذلك فبلغ أباه جوبان الخير فأتاه واستتوبه من ذلك وأحضره معه إلى خدمة بو سعيد فلما حضر معه إلى الأردو رأى الناس ينزلون قريبا من خام الملك فقطع بالسيف أطناب الخيم ووقف على باب خام السلطان ورمى بالطومار وقال أينما وقع ينزل الناس على دائرته فاعجب ذلك بو سعيد فلما مات أخوه دمشق خواجا وهرب أبوه اجتمع هو بالأمير سيف الدين أيتمش وطلب الحضور إلى مصر وحلف له فحضر في جمع كبير وخرج الأمير سيف الدين تنكز وتلقاه وتوجه إلى الديار المصرية ولم يخرج له السلطان وأمر برد من حضر معه الا القليل واعطى لكل

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ٢١٢/٨

واحد خمس مائة درهم وخلعة فعاد الجميع إلا نفر يسير فأراد السلطان أن نقطعه شيئا من أخباز الأمراء فقال الأمير سيف الدين بكتمر الحاجب يا خوند إبش يقال عنك أنك وفد عليك واحد ما كان في بلادك ما تقطعه حتى أخذت له من أخباز الأمراء فرسم له بقطيا ثم أمر له كل يوم بألف درهم إلى أن ينحل له إقطاع يناسبه وكان يأخذ من بيت المال كل يوم ألف درهم ورسم له السلطان على لسان الأمير سيف الدين قجليس أن يطلق من الخزانة ومن الاسطبل ما يريده ويأخذ منهما ما يختار فما فعل من ذلك شيئا ونزل إلى الحمام التي عند حوض ابن هنس فأعطى الحمامي خمس مائة درهم وللحارس ثلاث مائة درهم وكان الناس كل يوم موكب)

يقدون الشمع بين القصرين ويجلس النساء والرجال على الطرق يقولون ننتظر أنهم يؤمرون تمرتاش وعبرت عينه على الناس من مماليك السلطان الخاصكية الأمراء وكان يقول هذا كان كذا وهذا كان كذا وهذا ألماس كان جمالا فما حمل السلطان منه ذلك وألبس يوما قباء من أقبية الشتاء ألبسه إياه حاجب صغير فرماه عن كتفه وقال ما ألبسه إلا من يد ألماس الحاجب الكبير ولم يزل في القاهرة إلى أن قتل أبوه جوبان في تلك البلاد فأمسكه السلطان واعتقله فوجد لذلك ألما عظيما وقعد أياما لا يأكل شيئا إنما يشرب ماء ويأكل البطيخ لما يجد في باطنه من النار وكان قجليس يدخل إليه ويخرج ويطيب خاطره ويقول له إنما فعل السلطان هذا لأن رسل السلطان بو سعيد على وصول وما يهون على بو سعيد أن يبلغه أن السلطان أكرمك وقد حلف كل منهما." (١)

"وفيها مات بسبتة عالمها النحوي ذو العلوم أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد الغافقي، الإشبيلي، سمع التفسير، وبحث كتاب سيبويه، وتلا بالسبع، له تصانيف وجلالة وتلامذة.

وفيها توفي الإمام العلامة المدرس المفتي الشافعي. أحمد بن أحمد بن مهدي المدلجي الكناني المعروف بعز الدين النسائي، كان من أورع أهل زمانه درس وأفتى بالمدرسة الفاضلية بالقاهرة، واشتغل للطلبة، وانتفعوا به، وتوفي بمكة – رحمه الله تعالى – في ذي القعدة، ودفن بالمعلى.

سنة سبع عشرة وسبع مائة

فيها حدثت الزياة العظمى ببعلبك، فغرق في البلد مائة وبضع وأربعون نسمة، وجرف السيل سورها الحجارة مساحة أربعين ذراعا، ثم تزلزل بعد مكانه مسيرة خمس مائة ذراع، وكان ذلك آية بينة، وتهدم من البيوت والحوانيت نحو ست مائة موضع.

وفيها قدم السلطان إلى غزة، وإلى الكرك، ثم رجع.

وفيها ظهر جبلي، وادعى أنه المهدي بجبلة، وثار معه خلق من النصيرية والجهلة، وبلغوا ثلاثة آلاف، فقال: أنا محمد المصطفى، ومرة قال: أنا علي وتارة قال: أنا محمد بن الحسن المنتظر، فزعم أن الناس كفرة، وأن دين النصيرية هو الحق. وأن الناصر صاحب مصر قد مات، وعاثوا في السواحل، واستباحوا جبلة، ورفعوا أصواتهم يقولون: لا إله إلا علي، ولا حجاب إلا محمد، ولا باب إلا سلمان. ولعنوا الشيخين، وخربوا المساجد، وكانوا يحضرون المسلم إلى طاغيتهم، ويقولون:

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ٢٤٨/١٠

اسجد لإلهك، فسار إليهم عسكر طرابلس، وقتل الطاغية وجماعة ومزقوا.

وفيها مات المحدث الإمام الشيخ علي بن محمد الحسيني الصوفي في المحرم عن سبع وأربعين سنة، روى عن الفخر علي، وتاج الدين الفزاري. كان تقيا دينا مؤثرا، كثير المحاسن.

وفيها مات بدمشق قاضي المالكية المعمر جمال الدين محمد بن سليمان." (١)

"وأخذ يذكر المهدي ويشوق إليه وجمع الأحاديث التي جاءت في فضله

فلما قرر عندهم عظمة المهدي ونسبه ونعته ادعى ذلك لنفسه وقال أنا محمد ابن عبد الله وسرد له نسبا إلى علي عليه السلام وصرح بدعوى العصمة لنفسه وأنه المهدي المعصوم وبسط يده للمبايعة فبايعوه

فقال أبايعكم على ما بايع عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

ثم صنف لهم تصانيف في العلم منها كتاب سماه أعز ما يطلب وعقائد على مذهب الأشعري في أكثر المسائل إلا في إثبات الصفات فإنه وافق المعتزلة في نفيها وفي مسائل قليلة غيرها

وكان يبطن شيئا من التشيع

ورتب أصحابه طبقات فجعل منهم العشرة ...

٦٤١ - محمد بن عبد الله بن القاسم بن المظفر بن علي أبو الفضل بن أبي محمد الشهرزوري الموصلي قاضي القضاة كمال الدين

ولد سنة إحدى وتسعين وأربعمائة

وتفقه ببغداد على أسعد الميهني." (٢)

"محمد بن محمد بن سليمان بن الحارث بن عبد الرحمن أبو بكر الأزدي الواسطي، المعروف بالباغندي، سمع محمد بن عبد الله بن نمير، وابن أبي شيبة وشيبان بن فروخ، وعلي بن المديني، وخلقا من أهل الشام ومصر والكوفة والبصرة وبغداد، ورحل إلى الأمصار البعيدة، وعني بهذا الشأن، واشتغل فيه فأفرط، حتى قيل إنه ربما سرد بعض الأحاديث بأسانيدها في الصلاة والنوم وهو لايشعر، فكانوا يسبحون به حتى يتذكر أنه في الصلاة، وكان يقول: أنا أجيب في ثلثمائة ألف مسألة من الحديث لا أتجاوزه إلى غيره.

وقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامه فقال له: يا رسول الله أيما أثبت في الأحاديث منصور أو الأعمش؟ فقال له: منصور.

وقد كان يعاب بالتدليس حتى قال الدارقطني: هو كثير التدليس، يحدث بما لم يسمع، وربما سرق بعض الأحاديث والله أعلم.

ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة قال ابن الجوزي: في ليلة بقيت من المحرم انقض كوكب من ناحية الجنوب إلى الشمال

---

(١) مرآة الجنان وعبرة اليقظان اليافعي ٤/١٩٣

(٢) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي السبكي، تاج الدين ٦/١١٧

قبل مغيب الشمس، فأضاءت الدنيا منه وسمع له صوت كصوت الرعد الشديد.

وفي صفر منها بلغ الخليفة أن جماعة من الرافضة يجتمعون في مسجد براثى فينالون من الصحابة ولا يصلون الجمعة، ويكاتبون القرامطة ويدعون إلى محمد بن إسماعيل الذي ظهر بين الكوفة وبغداد، ويدعون أنه المهدي، ويتبرأون من المقتدر وممن تبعه.

فأمر بالاحتياط عليهم واستفتى العلماء بالمسجد فأفتوا بأنه مسجد ضرار، فضرب من قدر عليه منهم الضرب المبرح، ونودي عليهم.

وأمر بهدم ذلك المسجد المذكور فهدم، هدمه نازوك، وأمر الوزير الخاقاني فجعل مكانه مقبرة فدفن فيها جماعة من الموالي.

وخرج الناس للحج في ذي القعدة فاعترضهم أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الجنابي القرمطي، فرجع أكثر الناس إلى بلدانهم، ويقال إن بعضهم سأل منه الأمان ليذهبوا فأمنهم.

وقد قاتله جند الخليفة فلم يفد ذلك شيئا لتمرده وشدة بأسه، فانزعج أهل بغداد من ذلك، وترحل أهل الجانب الغربي إلى الجانب الشرقي خوفا منهم، ودخل القرمطي إلى الكوفة فأقام بها شهرا يأخذ من أموالها ونسائهم ما يختار.

قال ابن الجوزي: وكثر الرطب في هذه السنة ببغداد حتى بيع كل ثمانية أرطال بحبة، وعمل منه تمر وحمل إلى البصرة (١) .

وعزل المقتدر وزيره الخاقاني (٢) بعد أن ولاه سنة وستة أشهر ويومين، وولى مكانه أبا القاسم أحمد بن عبيد الله بن أحمد بن الخطيب الخصيبي، لأجل مال بذله من جهة زوجة للحسن بن الفرات، وكان ذلك المال سبعمائة ألف دينار فأمر الخصيبي علي بن

---

(١) زاد في الكامل ٨ / ١٦٠: وواسط.

(٢) قال صاحب الفخري: صودر وعزل ثم توفي في سنة ٣١٢ هـ (ص ٢٦٩) (*) .." (١)

"الكثير وجمع الكتب، وأقام بهراة، وكان صالحا كثير العبادة، توفي بنيسابور في ذي الحجة من هذه السنة والله أعلم.

ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة في المحرم منها ورد إلى الفقيه أبي عبد الله الطبري منشور نظام الملك بتدريس النظامية، فدرس بها، ثم قدم الفقيه أبو محمد عبد الوهاب الشيرازي في ربيع الآخر منها بمنشور بتدريسها فاتفق الحال على أن يدرس هذا يوما وهذا يوما، وفي جمادى الأولى دهم أهل البصرة رجل يقال له بليا (١) ، كان ينظر في النجوم، فاستغوى خلقا من أهلها وزعم أنه المهدي، وأحرق من البصرة شيئا كثيرا، من ذلك دار كتب وقفت على المسلمين لم ير في الإسلام مثلها، وأتلف شيئا كثيرا من الدواليب والمصانع وغير ذلك.

وفيها خلع على أبي القاسم طراد الزينبي بنقابة العباسيين بعد أبيه.

وفيها استفتي على معلمي الصبيان أن يمنعوا من المساجد صيانة لها، فأفتوا بمنعهم، ولم يستثن منهم سوى رجل كان فقيها شافعيا يدري كيف تصان المساجد، واستدل المفتي بقوله عليه الصلاة والسلام " سدوا كل خوخة إلا خوخة أبي بكر "

---

(١) البداية والنهاية ط إحياء التراث ابن كثير ١٧٣/١١

(٢) وحج بالناس خمارتكين على العادة.

وممن توفي فيها من الأعيان ... الوزير أبو نصر بن جهير ابن محمد بن محمد بن جهير عميد الدولة أحد مشاهير الوزراء، وزر للقائم، ثم لولده المقتدي، ثم عزل ملكشاه السلطان وولي ولده فخر الدولة ديار بكر وغيرها، مات بالموصل وهي بلده التي ولده بها وفيها كان مقتل صاحب اليمن الصليحي وقد تقدم ذكره.

ثم دخلت سنة أربع وثمانين وأربعمائة في المحرم منها كتب المنجم الذي أحرق البصرة إلى أهل واسط يدعوهم إلى طاعته، ويذكر في كتابه أنه المهدي صاحب الزمان الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويهدي الخلق إلى الحق، فإن أطعتم أمنتم من العذاب، وإن عدلتم خسف بكم، فآمنوا بالله وبالإمام المهدي، وفيها ألزم أهل

---

(١) في الكامل ١٠ / ١٨٣: تليا.

(٢) أخرجه البخاري في الصلاة باب (٨٠) وأحمد في المسند ١ / ٢٧٠، ومسلم في فضائل الصحابة ح (٢) والترمذي في المناقب باب (١٥) .

(*)."(١)

"الذمة بلبس الغيار وبشد الزنار، وكذاك نساؤهم في الحمامات وغيرها.

وفي جمادى الأولى قدم الشيخ أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي من أصبهان إلى بغداد على تدريس النظامية، ولقبه نظام الملك زين الدين شرف الأئمة.

قال ابن الجوزي: وكان كلامه مقبولا، وذكاؤه شديدا.

وفي رمضان منها عزل الوزير أبو شجاع عن وزارة الخلافة فأنشد عند عزله: تولاها وليس له عدو * وفارقها وليس له صديق ثم جاءه كتاب نظام الملك بأن يخرج من بغداد، فخرج منها إلى عدة أماكن، فلم تطب له، فعزم على الحج، ثم طابت نفس النظام عليه فبعث إليه يسأله أن يكون عديله في ذلك، وناب ابن الموصلايا في الوزارة، وقد كان أسلم قبل هذه المباشرة في أول هذه السنة.

وفي رمضان منها دخل السلطان ملكشاه بغداد ومعه الوزير نظام الملك، وقد خرج لتلقيه قاضي القضاة أبو بكر الشاشي، وابن الموصلايا المسلماني، وجاءت ملوك الأطراف إليه للسلام عليه، منهم أخوه تاج الدولة تتش صاحب دمشق، وإتابكه قسيم الدولة اقسنقر صاحب حلب.

وفي ذي القعدة خرج السلطان ملكشاه وابنه وابن ابنته من الخليفة في خلق كثير من الكوفة.

وفيها استوزر أبو منصور بن جهير وهي النوبة الثانية لوزارته للمقتدي، وخلع عليه، وركب إليه نظام الملك فهنأه في داره بباب العامة، وفي ذي الحجة عمل السلطان الميلاد في دجلة، وأشعلت نيران عظيمة، وأوقدت شموع كثيرة، وجمعت المطربات في السمريات، وكانت ليلة مشهودة عجيبة جدا، وقد نظم فيها الشعراء الشعر، فلما أصبح النهار من هذه الليلة جئ

---

(١) البداية والنهاية ط إحياء التراث ابن كثير ١٦٨/١٢

بالخبيث المنجم الذي حرق البصرة وادعى أنه المهدي، محمولا على جمل ببغداد وجعل يسب الناس والناس يلعنونه، وعلى رأسه طرطورة بودع، والدرة تأخذه من كل جانب، فطافوا به بغداد ثم صلب بعد ذلك.

وفيها أمر السلطان ملكشاه جلال الدولة بعمارة جامعه المنسوب إليه بظاهر السور.

وفي هذه السنة ملك أمير المسلمين يوسف بن تاشفين بعد صاحب بلاد المغرب كثيرا من بلاد الأندلس، وأسر صاحبها المعتمد بن عباد وسجنه وأهله، وقد كان المعتمد هذا موصوفا بالكرم والأدب والحلم، حسن السيرة والعشرة والإحسان إلى الرعية، والرفق بهم، فحزن

الناس عليه، وقال في مصابه الشعراء فأكثروا.

وفيها ملكت الفرنج مدينة صقلية من بلاد المغرب، ومات ملكهم فقام ولده مقامه فسار في الناس سيرة ملوك المسلمين، حتى كأنه منهم، لما ظهر منه من الإحسان إلى المسلمين.

وفيها كانت زلازل كثيرة بالشام وغيرها، فهدمت بنيانا كثيرا، من جملة ذلك تسعون برجا من سور أنطاكية، وهلك تحت الهدم خلق كثير.

وحج بالناس خمارتكين.

وممن توفي فيها من الأعيان ...." (١)

"من قطع البلخش والياقوت والذهب والفضة والأثاث والأمتعة وغير ذلك، ثم باع ما فضل عن ذلك وجمع عليه أعيان التجار، فاستمر البيع فيما بقي هنالك من الأثاث والأمتعة نحوا من عشر سنين، وأرسل إلى الخليفة ببغداد من ذلك هدايا سنية نفيسة، وكذلك إلى الملك نور الدين، أرسل إليه من ذلك جانبا كثيرا صالحا، ولم يدخر لنفسه شيئا مما حصل له من الأموال، بل كان يعطي ذلك من حوله من الأمراء وغيرهم، فكان مما أرسله إلى نور الدين ثلاث قطع بلخش زنة الواحدة إحدى وثلاثون مثقالا، والأخرى ثمانية عشر مثقالا، والثالثة عشرة مثاقيل، وقيل أكثر مع لآلئ كثيرة، وستون ألف دينار، وعطر لم يسمع بمثله، ومن ذلك حمارة وفيل عظيم جدا، فأرسلت الحمارة إلى

الخليفة في جملة هدايا.

قال ابن أبي طي: ووجد خزانة كتب ليس لها في مدائن الإسلام نظير، تشتمل على ألفي ألف مجلد (١) ، قال ومن عجائب ذلك أنه كان بها ألف ومائتان وعشرون نسخة من تاريخ الطبري، وكذا قال العماد الكاتب: كانت الكتب قريبة من مائة وعشرين ألف مجلد.

وقال ابن الأثير: كان فيها من الكتب بالخطوط المنسوبة مائة ألف مجلد، وقد تسلمها القاضي الفاضل، فأخذ منها شيئا كثيرا مما اختاره وانتخبه، قال وقسم القصر الشمالي بين الأمراء فسكنوه، وأسكن أباه نجم الدين أيوب في قصر عظيم على الخليج، يقال له اللؤلؤة (٢) ، الذي فيه بستان الكافوري وأسكن أكثر الأمراء في دور من كان ينتمي إلى الفاطميين، ولا يلقى أحد من الأتراك أحدا من أولئك الذين كانوا بها من الأكابر إلا شلحوه ثيابه ونهبوا داره، حتى تمزق كثير منهم في

---

(١) البداية والنهاية ط إحياء التراث ابن كثير ١٦٩/١٢

البلاد، وتفرقوا شذر مذر وصاروا أيدي سبا.

وقد كانت مدة ملك الفاطميين مائتين وثمانين سنة وكسرا (٣) ، فصاروا كأمس الذاهب كأن لم يغنوا فيها.

وكان أول من ملك منهم المهدي، وكان من سلمية حدادا اسمه عبيد، وكان يهوديا، فدخل بلاد المغرب وتسمى بعبيد الله، وادعى أنه شريف علوي فاطمي، وقال عن نفسه أنه المهدي كما ذكر ذلك غير واحد من العلماء والأئمة بعد الأربعمائة كما قد بسطنا ذلك فيما تقدم، والمقصود أن هذا الدعي الكذاب راج له ما افتراه في تلك البلاد، ووازره جماعة من الجهلة، وصارت له دولة وصولة، ثم تمكن إلى أن بنى مدينة سماها المهدية نسبة إليه، وصار ملكا مطاعا، يظهر الرفض وينطوي على الكفر المحض.

ثم كان من بعده ابنه القائم محمد، ثم ابنه المنصور إسماعيل، ثم ابنه المعز معد، وهو أول من دخل ديار مصر منهم، وبنيت له القاهرة المعزية والقصران، ثم ابنه العزيز نزار، ثم ابنه الحاكم منصور، ثم ابنه الظاهر علي، ثم ابنه المستنصر معد، ثم ابنه المستعلي أحمد،

---

(١) في الروضتين ١ / ٢ / ٥٠٧: ألفي ألف وستمائة ألف كتاب.

(٢) اللؤلؤة أو قصر اللؤلؤة من قصور الفاطميين يطل من شرقيه على البستان الكافوري الذي أنشأه محمد بن طغج الاخشيد واهتم به من بعده ولداه ثم عبده كافور.

(٣) في الكامل ١١ / ٣٧٠: مائتان واثنتان وسبعون سنة وشهر تقريبا.

(*)."(١)

"الأربعاء سابع عشرة، ونزل عن خطابة بطنا للشيخ جمال الدين الملاتي المالكي، فخطب بها يوم الجمعة تاسع عشره.

وفي أواخر هذا الشهر قدم نائب حلب الأمير سيف الدين أرغون إلى دمشق قاصدا باب السلطان، فتلقاه نائب دمشق وأنزله بداره التي عند جامعه، ثم سار نحو مصر فغاب

نحوا من أربعين يوما، ثم عاد راجعا إلى نيابة حلب.

وفي عاشر رجب طلب الصاحب تقي الدين ابن عمر بن الوزير شمس الدين بن السلعوس إلى مصر فولي نظر الدواوين بها حتى مات عن قريب.

وخرج الركب يوم السبت تاسع شوال وأميره سيف الدين بلطي، وقاضيه شهاب الدين القيمري وفي الحجاج زوجة ملك الأمراء تنكز، وفي خدمتها الطواشي شبل الدولة وصدر الدين المالكي، وصلاح الدين ابن أخي الصاحب تقي الدين توبة، وأخوه شرف الدين، والشيخ علي المغربي، والشيخ عبد الله الضرير وجماعة.

وفي بكرة الأربعاء ثالث شوال جلس القاضي ضياء الدين علي بن سليم بن ربيعة للحكم بالعادلية الكبيرة نيابة عن قاضي القضاة القونوي، وعوضا عن الفخر المصري بحكم نزوله عن ذلك وإعراضه عنه تاسع عشر رمضان من هذه السنة.

---

(١) البداية والنهاية ط إحياء التراث ابن كثير ٣٣١/١٢

وفي يوم الجمعة سادس ذي القعدة بعد أذان الجمعة صعد إلى منبر جامع الحكم بمصر شخص من مماليك الجاولي يقال له أرصى، فادعى أنه المهدي وسجع سجعات يسيرة على رأي الكهان، فأنزل في شرخيبة، وذلك قبل حضور الخطيب بالجامع المذكور.

وفي ذي القعدة وما قبله وما بعده من أواخر هذه السنة وأوائل الأخرى وسعت الطرقات والأسواق داخل دمشق وخارجها، مثل سوق السلاح والرصيف والسوق الكبير وباب البريد ومسجد القصب إلى الزنجبيلية (١) ، وخارج باب الجابية إلى مسجد الدبان، وغير ذلك من الأماكن التي كانت تضيق عن سلوك الناس، وذلك بأمر تنكز، وأمر بإصلاح القنوات، واستراح الناس من ترتيش الماء عليهم بالنجاسات.

ثم في العشر الأخير من ذي الحجة رسم بقتل الكلاب فقتل منه شئ كثير جدا، ثم جمعوا خارج باب الصغير مما يلي باب كيسان في الخندق، وفرق بين الذكور منهم والإناث ليموتوا سريعا، ولا يتوالدوا، وكانت الجيف والميتات تنقل إليهم فاستراح الناس من النجاسة من الماء والكلاب، وتوسعت لهم الطرقات.

وفي يوم الجمعة ثاني عشر ذي الحجة حضر مشيخة الشيوخ بالسمساطية قاضي القضاة شرف الدين المالكي بعد وفاة قاضي القضاة القونوي الشافعي، وقرئ تقليده بالسبحة بها وحضره

الأعيان وأعيد إلى ما كان عليه.

---

(١) المدرسة الزنجبيلية (الزنجيلية) هي المدرسة الزنجارية، أنشأها الامير عثمان بن علي الزنجيلي (الزنجبيلي) المتوفى سنة ٦٢٦ هـ.

(الدارس ١ / ٥٢٦) .." (١)

"فقال: أيها الوزير إن أمي منذ كنت صغيرا كل ليلة تضع تحت وسادتي رغيفا، فإذا أصبحت تصدقت به عنى، فلم يزل كذلك دأبها حتى ماتت. فلما ماتت فعلت أنا ذلك مع نفسي، فكل ليلة أضع تحت وسادتي رغيفا ثم أصبح فأتصدق به. فعجب الوزير من ذلك وقال: والله لا ينالك منى بعد اليوم سوء أبدا، ولقد حسنت نيتي فيك، وقد أحببتك. وقد أطال ابن خلكان ترجمته فذكر بعض ما أوردناه في ترجمته.

محمد بن محمد بن سليمان بن الحارث بن عبد الرحمن

أبو بكر الأزدي الواسطي، المعروف بالباغندي، سمع محمد بن عبد الله بن نمير، وابن أبي شيبة وشيبان بن فروخ، وعلي بن المديني، وخلقا من أهل الشام ومصر والكوفة والبصرة وبغداد، ورحل إلى الأمصار البعيدة، وعني بهذا الشأن، واشتغل فيه فأفرط، حتى قيل إنه ربما سرد بعض الأحاديث بأسانيدها في الصلاة والنوم وهو لا يشعر، فكانوا يسبحون به حتى يتذكر أنه في الصلاة، وكان يقول: أنا أجيب في ثلاثمائة ألف مسألة من الحديث لا أتجاوزه إلى غيره. وقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامه فقال له: يا رسول الله أيما أثبت في الأحاديث منصور أو الأعمش؟ فقال له: منصور.

---

(١) البداية والنهاية ط إحياء التراث ابن كثير ١٦٥/١٤

وقد كان يعاب بالتدليس حتى قال الدار قطنى: هو كثير التدليس، يحدث بما لم يسمع، وربما سرق بعض الأحاديث والله أعلم.

ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة

قال ابن الجوزي: في ليلة بقيت من المحرم انقض كوكب من ناحية الجنوب إلى الشمال قبل مغيب الشمس، فأضاءت الدنيا منه وسمع له صوت كصوت الرعد الشديد. وفي صفر منها بلغ الخليفة أن جماعة من الرافضة يجتمعون في مسجد براثى فينالون من الصحابة ولا يصلون الجمعة، ويكاتبون القرامطة ويدعون إلى محمد بن إسماعيل الذي ظهر بين الكوفة وبغداد، ويدعون أنه المهدي، ويتبرءون من المقتدر وممن تبعه. فأمر بالاحتياط عليهم واستفتى العلماء بالمسجد فأفتوا بأنه مسجد ضرار، فضرب من قدر عليه منهم الضرب المبرح، ونودي عليهم. وأمر بهدم ذلك المسجد المذكور فهدم، هدمه نازوك، وأمر الوزير الخاقاني فجعل مكانه مقبرة فدفن فيها جماعة من الموالي. وخرج الناس للحج في ذي القعدة فاعترضهم أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الجنابي القرمطى، فرجع أكثر الناس إلى بلدانهم، ويقال إن بعضهم سأل منه الأمان ليذهبوا فأمنهم. وقد قاتله جند الخليفة فلم يفد ذلك شيئا لتمرده وشدة بأسه، فانزعج أهل بغداد من ذلك، وترحل أهل الجانب الغربي إلى الجانب الشرقي خوفا منهم، ودخل القرمطى إلى الكوفة فأقام بها شهرا يأخذ من أموالها ونسائها ما يختار. قال ابن الجوزي: وكثر الرطب في هذه السنة ببغداد حتى بيع كل ثمانية أرطال بحبة، وعمل." (١)

"وجدليا باهرا

عاصم بن الحسن

ابن محمد بن علي بن عاصم بن مهران، أبو الحسين العاصمي، من أهل الكرخ، سكن باب الشعير ولد سنة سبع وتسعين وثلاثمائة، وكان من أهل الفضل والأدب، وسمع الحديث من الخطيب وغيره، وكان ثقة حافظا، ومن شعره قوله:

لهفي على قوم بكاظمة ... ودعتهم والركب معترض

لم تترك العبرات مذ بعدوا ... لي مقلة ترنو وتغتمض

رحلوا فدمعي واكف هطل ... جار وقلبي حشوه مرض

وتعرضوا لا ذقت فقدهم ... عنى وما لي عنهم عوض

أقرضتهم قلبي على ثقة ... منهم فما ردوا الذي اقترضوا

محمد بن أحمد بن حامد

ابن عبيد، أبو جعفر البخاري المتكلم المعتزلي، أقام ببغداد وتعرف بقاضي حلب، وكان حنفي المذهب في الفروع، معتزليا في الأصول، مات ببغداد في هذه السنة، ودفن بباب حرب.

محمد بن أحمد بن عبد الله

ابن محمد بن إسماعيل الأصبهاني، المعروف بمسلرفة، أحد الحفاظ الجوالين الرحالين، سمع الكثير وجمع الكتب، وأقام بهراة،

---

(١) البداية والنهاية ط الفكر ابن كثير ١٥٢/١١

وكان صالحا كثير العبادة، توفي بنيسابور في ذي الحجة من هذه السنة والله أعلم.

ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة

في المحرم منها ورد إلى الفقيه أبي عبد الله الطبري منشور نظام الملك بتدريس النظامية، فدرس بها، ثم قدم الفقيه أبو محمد عبد الوهاب الشيرازي في ربيع الآخر منها بمنشور بتدريسها فاتفق الحال على أن يدرس هذا يوما وهذا يوما، وفي جمادى الأولى دهم أهل البصرة رجل يقال له بليا، كان ينظر في النجوم، فاستغوى خلقا من أهلها وزعم أنه المهدي، وأحرق من البصرة شيئا كثيرا، من ذلك دار كتب وقفت على المسلمين لم ير في الإسلام مثلها، وأتلف شيئا كثيرا من الدواليب والمصانع وغير ذلك. وفيها خلع على أبي القاسم طراد الزينبي بنقابة العباسيين بعد أبيه. وفيها استفتي على معلمي الصبيان أن يمنعوا من المساجد صيانة لها، فأفتوا بمنعهم، ولم يستثن منهم سوى رجل كان فقيها شافعيا يدري كيف تصان المساجد، واستدل المفتي بقوله عليه الصلاة والسلام «سدوا كل خوخة الاخوخة أبي بكر» وحج بالناس خمارتكين على العادة.

وممن توفي فيها من الأعيان

الوزير أبو نصر بن جهير

ابن محمد بن محمد بن جهير عميد الدولة أحد مشاهير الوزراء، وزر للقائم، ثم لولده المقتدى، ثم." (١)

"عزل ملك شاه السلطان وولى ولده فخر الدولة ديار بكر وغيرها، مات بالموصل وهي بلده التي ولد بها وفيها كان مقتل صاحب اليمن الصليحى وقد تقدم ذكره.

ثم دخلت سنة أربع وثمانين وأربعمائة

في المحرم منها كتب المنجم الذي أحرق البصرة إلى أهل واسط يدعوهم إلى طاعته، ويذكر في كتابه أنه المهدي صاحب الزمان الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويهدي الخلق إلى الحق، فإن أطعتم أمنتم من العذاب، وإن عدلتم خسف بكم، فآمنوا بالله وبالإمام المهدي. وفيها ألزم أهل الذمة بلبس الغيار وبشد الزنار، وكذاك نساؤهم في الحمامات وغيرها. وفي جمادى الأولى قدم الشيخ أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي من أصبهان إلى بغداد على تدريس النظامية، ولقبه نظام الملك زين الدين شرف الأئمة. قال ابن الجوزي: وكان كلامه مقبولا، وذكاؤه شديدا. وفي رمضان منها عزل الوزير أبو شجاع عن وزارة الخلافة فأنشد عند عزله:

تولاها وليس له عدو ... وفارقها وليس له صديق

ثم جاءه كتاب نظام الملك بأن يخرج من بغداد، فخرج منها إلى عدة أماكن، فلم تطب له، فعزم على الحج، ثم طابت نفس النظام عليه فبعث إليه يسأله أن يكون عديله في ذلك، وناب ابن الموصلايا في الوزارة، وقد كان أسلم قبل هذه المباشرة في أول هذه السنة. وفي رمضان منها دخل السلطان ملك شاه بغداد ومعه الوزير نظام الملك، وقد خرج لتلقيه قاضى القضاة أبو بكر الشاشي، وابن الموصلايا المسلماني، وجاءت ملوك الأطراف إليه للسلام عليه، منهم أخوه تاج الدولة تتش صاحب دمشق، وأتابكه قسيم الدولة آقسنقر صاحب حلب. وفي ذي القعدة خرج السلطان ملك شاه وابنه وابن ابنته من الخليفة

---

(١) البداية والنهاية ط الفكر ابن كثير ١٣٦/١٢

في خلق كثير من الكوفة. وفيها استوزر أبو منصور بن جهير وهي النوبة الثانية لوزارته للمقتدي، وخلع عليه، وركب إليه نظام الملك فهنأه في داره بباب العامة، وفي ذي الحجة عمل السلطان الميلاد في دجلة، وأشعلت نيران عظيمة، وأوقدت شموع كثيرة، وجمعت المطربات في السمريات، وكانت ليلة مشهودة عجيبة جدا، وقد نظم فيها الشعراء الشعر، فلما أصبح النهار من هذه الليلة جيء بالخبيث المنجم الذي حرق البصرة وادعى أنه المهدي، محمولا على جمل ببغداد وجعل يسب الناس والناس يلعنونه، وعلى رأسه طرطورة بودع، والدرة تأخذه من كل جانب، فطافوا به بغداد ثم صلب بعد ذلك. وفيها أمر السلطان ملك شاه جلال الدولة بعمارة جامعه المنسوب إليه بظاهر السور. وفي هذه السنة ملك أمير المسلمين يوسف بن تاشفين بعد صاحب بلاد المغرب كثيرا من بلاد الأندلس، وأسر صاحبها المعتمد بن عباد وسجنه وأهله، وقد كان المعتمد هذا موصوفا بالكرم والأدب والحلم، حسن السيرة والعشرة والإحسان إلى الرعية، والرفق بهم، فحزن الناس." (١)

"قاصدا باب السلطان، فتلقاه نائب دمشق وأنزله بداره التي عند جامعه، ثم سار نحو مصر فغاب نحوا من أربعين يوما، ثم عاد راجعا إلى نيابة حلب. وفي عاشر رجب طلب الصاحب تقى الدين ابن عمر بن الوزير شمس الدين بن السلعوس إلى مصر فولي نظر الدواوين بها حتى مات عن قريب.

وخرج الركب يوم السبت تاسع شوال وأميره سيف الدين بلطي، وقاضيه شهاب الدين القيمري وفي الحجاج زوجة ملك الأمراء تنكز، وفي خدمتها الطواشى شبل الدولة وصدر الدين المالكي، وصلاح الدين ابن أخي الصاحب تقي الدين توبة، وأخوه شرف الدين، والشيخ علي المغربي، والشيخ عبد الله الضرير وجماعة.

وفي بكرة الأربعاء ثالث شوال جلس القاضي ضياء الدين علي بن سليم بن ربيعة للحكم بالعادلية الكبيرة نيابة عن قاضي القضاة القونوي، وعوضا عن الفخر المصري بحكم نزوله عن ذلك وإعراضه عنه تاسع عشر رمضان من هذه السنة. وفي يوم الجمعة سادس ذي القعدة بعد أذان الجمعة صعد إلى منبر جامع الحاكم بمصر شخص من مماليك الجاولي يقال له أرصى، فادعى أنه المهدي وسجع سجعات يسيرة على رأي الكهان، فأنزل في شر خيبة، وذلك قبل حضور الخطيب بالجامع المذكور. وفي ذي القعدة وما قبله وما بعده من أواخر هذه السنة وأوائل الأخرى وسعت الطرقات والأسواق داخل دمشق وخارجها، مثل سوق السلاح والرصيف والسوق الكبير وباب البريد ومسجد القصب إلى الزنجبيلية، وخارج باب الجابية إلى مسجد الدبان، وغير ذلك من الأماكن التي كانت تضيق عن سلوك الناس، وذلك بأمر تنكز، وأمر بإصلاح القنوات، واستراح الناس من ترتيش الماء عليهم بالنجاسات. ثم في العشر الأخير من ذي الحجة رسم بقتل الكلاب فقتل منهم شيء كثير جدا، ثم جمعوا خارج باب الصغير مما يلي باب كيسان في الخندق، وفرق بين الذكور منهم والإناث ليموتوا سريعا، ولا يتوالدوا، وكانت الجيف والميتات تنقل إليهم فاستراح الناس من النجاسة من الماء والكلاب، وتوسعت لهم الطرقات.

وفي يوم الجمعة ثاني عشر ذي الحجة حضر مشيخة الشيوخ بالسمساطية قاضي القضاة شرف الدين المالكي بعد وفاة قاضى القضاة القونوي الشافعي، وقرئ تقليده بالسبحة بها وحضره الأعيان وأعيد إلى ما كان عليه.

---

(١) البداية والنهاية ط الفكر ابن كثير ١٣٧/١٢

ومن توفي فيها من الأعيان

الشيخ الإمام العالم الزاهد مفتي المسلمين

نجم الدين أبو عبد الله محمد بن عقيل بن أبي الحسن بن عقيل البالسي الشافعي، شارح التنبيه، ولد سنة ستين وستمائة، وسمع الحديث واشتغل بالفقه وغيره من فنون العلم، فبرع فيها." (١)

"فلما أصبحت نوديت فظننت أني أعلم بوقت الصلاة، ودلي إلي حبل، وقيل لي: اربط هذا الحبل في وسطك. فأخرجوني، فلما نظرت إلى الضياء لم أبصر شيئا، وأوقفت بين يدي الخليفة. فظننته المهدي، فسلمت عليه أنه المهدي، فقال: لست به. قلت: فالهادي؟ فقال: لست به. فقلت: السلام عليك يا أمير المؤمنين الرشيد. فقال: نعم. ثم قال: والله إنه لم يشفع فيك عندي أحد، ولكني البارحة حملت جارية لي صغيرة على عنقي، فذكرت حملك إياي على عنقك، فرحمت ما أنت فيه من الضيق، فأخرجتك. ثم أنعم عليه وأحسن إليه. فغار منه يحيي بن خالد بن برمك، وخشي أن يعيده إلى المنزلة التي كان فيها أيام المهدي، وفهم ذلك يعقوب، فاستأذن الخليفة في الذهاب إلى مكة، فأذن له، فكان بها حتى مات في هذه السنة، رحمه الله.

ويزيد بن زريع أبو معاوية العيشي، كان ثقة عالما عابدا ورعا، توفي أبوه وكان والي البصرة، وترك من المال خمسمائة ألف درهم، فلم يأخذ منها يزيد درهما واحدا، وكان يعمل الخوص، ويأكل منه. وتوفي بالبصرة في هذه السنة، وقيل قبل ذلك. فالله أعلم.." (٢)

"[ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة]

[ما وقع فيها من الأحداث]

قال ابن الجوزي: لليلة بقيت من المحرم انقض كوكب من ناحية الجنوب إلى الشمال قبل مغيب الشمس، فأضاءت الدنيا منه، وسمع له صوت كصوت الرعد الشديد.

وفي صفر بلغ الخليفة المقتدر بالله أن جماعة من الرافضة يجتمعون في مسجد براثا، فينالون من الصحابة، ولا يصلون الجمعة، ويكاتبون القرامطة، ويدعون إلى ولاية محمد بن إسماعيل الذي ظهر بين الكوفة وبغداد، ويدعون أنه المهدي، ويتبرءون من المقتدر وممن يتبعه، فأمر بالاحتياط عليهم، واستفتى العلماء في المسجد المذكور، فأفتوا بأنه مسجد ضرار يهدم كما هدم مسجد الضرار، فضرب من قدر عليه منهم الضرب المبرح، ونودي عليهم، وأمر الخليفة بهدم المسجد المذكور، فهدمه نازوك وأمر الوزير الخاقاني، فجعل مكانه مقبرة، فدفن فيه جماعة من الموتى.

وخرج الناس للحج في ذي القعدة، فاعترضهم أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد." (٣)

---

(١) البداية والنهاية ط الفكر ابن كثير ١٤٤/١٤

(٢) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٦٢١/١٣

(٣) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ١٨/١٥

"[ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة]

[ما وقع فيها من الأحداث]

في المحرم ورد الفقيه أبو عبد الله الطبري بمنشور نظام الملك بالتدريس بالنظامية فدرس بها ثم قدم الفقيه أبو محمد عبد الوهاب الشيرازي بمنشور آخر منه بالتدريس بها. فاتفق الحال على أن يدرس هذا يوما وهذا يوما.

وفي جمادى الأولى دهم أهل البصرة رجل يقال له تليا كان ينظر في النجوم فاستغوى خلقا من أهلها وزعم أنه المهدي وأحرق من البصرة شيئا كثيرا من ذلك دار كتب كانت أول دار كتب وقفت في الإسلام، وأتلف شيئا كثيرا من الدواليب والمصانع وغير ذلك.

وفيها خلع على أبي القاسم علي بن طراد الزينبي بنقابة العباسيين بعد أبيه. وفيها استفتي على معلمي الصبيان أن يمنعوا من المساجد صيانة لها، ولم يستثن منهم سوى رجل كان فقيها شافعيا يدري كيف تصان المساجد، واستدل المفتي بقوله عليه الصلاة والسلام «سدوا كل خوخة إلا خوخة أبي بكر»

وحج بالناس خمارتكين على العادة.." (١)

"[ثم دخلت سنة أربع وثمانين وأربعمائة]

[ما وقع فيها من الأحداث]

في المحرم منها كتب المنجم الذي أحرق البصرة إلى أهل واسط يدعوهم إلى طاعته ويذكر في كتابه أنه المهدي صاحب الزمان الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويهدي الخلق إلى الحق فإن أطعتم أمنتم من العذاب وإن عدلتم عن الحق خسف بكم فآمنوا بالله وبالإمام المهدي.

وفيها ألزم أهل الذمة بلبس الغيار وشد الزنار وكذلك نساؤهم في الحمامات وغيرها وفي جمادى الأولى قدم الشيخ أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي من أصبهان إلى بغداد على تدريس النظامية بها، ولقبه نظام الملك زين الدين شرف الأئمة قال ابن الجوزي: وكان كلامه معسولا وذكاؤه شديدا وفي رمضان منها عزل الوزير أبو شجاع عن وزارة الخلافة، فأنشد عند عزله:

تولاها وليس له عدو ... وفارقها وليس له صديق

ثم جاءه كتاب نظام الملك بأن يخرج من بغداد فخرج منها إلى عدة أماكن فلم تطب له فعزم على الحج ثم طابت نفس النظام عليه فبعث إليه." (٢)

"يسأله أن يكون عديله في ذلك وناب ابن الموصلايا في الوزارة، وقد كان أسلم قبل هذه المباشرة في أول هذه السنة.

وفي رمضان منها دخل السلطان ملكشاه بغداد ومعه الوزير نظام الملك وقد خرج لتلقيه قاضي القضاة أبو بكر الشامي وابن الموصلايا المسلماني وجاءت ملوك الأطراف إليه ؛ للسلام عليه، منهم أخوه تاج الدولة تتش صاحب دمشق وأتابكه

---

(١) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ١١٦/١٦

(٢) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ١١٨/١٦

قسيم الدولة آق سنقر صاحب حلب.

وفي ذي القعدة خرج السلطان ملكشاه وابنه وابن ابنته من الخليفة في خلق كثير إلى الكوفة وفيها استوزر أبو منصور بن جهير وهي النوبة الثانية لوزارته للمقتدي، وخلع عليه وركب إليه نظام الملك فهنأه في داره بباب العامة.

وفي ذي الحجة عمل السلطان الميلاد في دجلة، وأشعلت نيران عظيمة، وأوقدت شموع كثيرة، وكانت ليلة مشهودة عجيبة جدا، وقد نظم فيها الشعراء الشعر، فلما أصبح النهار من هذه الليلة طيف بالخبيث الداعية المدعي أنه المهدي تليا المنجم، على جمل ببغداد وهو يسب الناس والناس يلعنونه وعلى رأسه طرطور بودع والدرة تأخذه من كل جانب ثم صلب بعد ذلك.

وفيها أمر السلطان ملكشاه جلال الدولة بعمارة جامعه المنسوب إليه بظاهر السور وفي هذه السنة ملك أمير المسلمين يوسف بن تاشفين صاحب بلاد المغرب كثيرا من بلاد الأندلس، وأسر صاحبها المعتمد بن عباد، وسجنه وأهله بأغمات، وقد كان المعتمد هذا موصوفا بالكرم والأدب والحلم وحسن." (١)

"وفي يوم الجمعة سادس ذي القعدة بعد أذان الجمعة صعد إلى منبر جامع الحاكم بمصر شخص من مماليك الجاولي يقال له: أرضى، فادعى أنه المهدي، وسجع سجعات يسيرة على رأي الكهان، فأنزل في شر خيبة، وذلك قبل حضور الخطيب بالجامع المذكور.

وفي ذي القعدة وما قبله وما بعده من أواخر هذه السنة وأوائل الأخرى وسعت الطرقات والأسواق داخل دمشق وخارجها، مثل سوق السلاح والرصيف، والسوق الكبير، وباب البريد، ومسجد القصب إلى الزنجيلية، وخارج باب الجابية إلى مسجد الذبان، وغير ذلك من الأماكن التي كانت تضيق عن سلوك الناس، وذلك بأمر تنكز، وأمر بإصلاح القنوات، واستراح الناس من ترشيش الماء عليهم بالنجاسات.

ثم في العشر الأخير من ذي الحجة رسم بقتل الكلاب، فقتل منهم شيء كثير جدا، ثم جمعوا خارج باب الصغير مما يلي باب كيسان في الخندق، وفرق بين الذكور منهم والإناث؛ ليموتوا سريعا ولا يتوالدوا، وكانت الجيف والميتات تنقل إليهم، فاستراح الناس من النجاسة من الماء والكلاب، وتوسعت لهم الطرقات.

وفي يوم الجمعة ثاني عشر ذي الحجة حضر مشيخة الشيوخ بالسميساطية قاضي القضاة شرف الدين المالكي بعد وفاة قاضي القضاة الشافعي القونوي، وقرئ تقليده بالمشيخة بها، وحضره الأعيان، وأعيد إلى ما كان عليه.." (٢)

"العباس أخا أبي عبيد الله الشيعي إلى أخيه بكتامة، ومر بالقيروان، وقد سبق خبرهم إلى زيادة الله وهو يسأل عنهم، فقبض على أبي العباس وسأله فأنكر فحبسه، وكتب إلى عامل طرابلس بالقبض على المهدي ففاته، وسار إلى قسطنطينية فعدل عنها خشية على أبي العباس أخي الشيعي المعتقل بالقيروان، وذهب إلى سجلماسة وبها أليشع بن مدرار فأكرمه. ثم جاءه كتاب زيادة الله ويقال كتاب المكتفي بأنه المهدي الذي داعيه في كتامة فحبسه، وبعث زيادة الله العساكر، الى كتامة

---

(١) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ١١٩/١٦

(٢) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٣١٣/١٨

مع قريبه إبراهيم بن حيش [١] ، وكانوا أربعين ألفا، فانتهى إلى قسطنطينية [٢] فأقام بها وهم متحصنون بخيلهم ستة أشهر. ثم زحف إليهم ودافعهم عند مدينة بلزمة فانهزم إلى القيروان. وكتب أبو عبد الله بالفتح إلى المهدي وهو في محبسه. ثم زحف إلى مدينة طبنة فحاصرها وملكها بالأمان، ثم إلى مدينة بلزمة فملكها عنوة، فبعث زيادة الله العساكر مع هارون الطبني فانتهوا إلى مدينة دار ملوك، وكانوا قد أطاعوا الشيعي فهدمها هارون، وقتل أهلها، وسار إلى الشيعي فانهزم من غير قتال وقتل.

وفتح الشيعي مدينة عيسى فزحف زيادة الله في العساكر سنة خمس وتسعين ونزل الأربس ثم أشار عليه أصحابه بالرجوع إلى القيروان ليكون ردءا للعساكر، فبعث الجيوش مع إبراهيم بن أبي الأغلب من قرابته ورجع، وزحف أبو عبد الله إلى باغاية فهرب عاملها وملكها. ثم إلى مدينة مرماجنة فافتتحها عنوة وقتل عاملها ثم إلى مدينة تيفاش فملكها على الأمان، واستأمن إليه القبائل من كل جهة فأمنهم وسار بنفسه إلى مسلبابة [٣] ثم إلى تبسة ثم إلى مجانة ففتحها على الأمان، ثم سار إلى القصرين من قمودة وأمن أهلها وسار يريد قادة وبلغ الخبر إلى إبراهيم بن أبي الأغلب وهو بالأربس أميرا على الجيش، فخشي على زيادة الله برقادة لقلة عسكره، وارتحل ذاهبا إليه، وسار أبو عبد الله إلى قسطنطينية فحاصرها وافتتحها على الأمان ورجع إلى باغاية فأنزل بها عسكرا وعاد الى ايكجان فسار إبراهيم بن أبي الأغلب إلى باغاية وحاصر أصحاب أبي عبد الله بها، فبعث أبو عبد الله عساكره إلى مج [٤] العرعار فألفوا

---

[١] خنيش: ابن الأثير ج ٨ ص ٤٠.

[٢] هكذا في الأصل وكذلك عند ابن الأثير وفي نسخة اخرى قسنطينه.

[٣] مسكياتة: ابن الأثير ج ٨ ص ٤٣.

[٤] فج: ابن الأثير ج ٨ ص ٤٤.." (١)

"طريقه، فيقال إن ابنه أبا القاسم استردها من برقة حين زحف إلى مصر، ولما انتهى إلى طرابلس وفارقه التجار أهل الرفقة بعث معهم أبا العباس أخا أبي عبد الله الشيعي إلى أخيه بكتامة، ومر بالقيروان وقد سبق خبرهم إلى زيادة الله، وهو يسأل عنهم فقبض على أبي العباس وساء له فأنكر فحبسه. وكتب إلى عامل طرابلس بالقبض على المهدي ففاته وسار الى قسنطينة. ثم عدل عنها خشية على أبي العباس أخي الشيعي المعتقل بالقيروان فذهب إلى سجلماسة وبها اليسع بن مدرار فأكرمه. ثم جاء كتاب زيادة الله ويقال كتاب المكتفي بأنه المهدي الذي داعيته في كتامة فحبسه اليسع، ثم أن أبا عبد الله الشيعي بعد مهلك أبي خوال الذي كان مضايقا لهم اجتمعت اليه سائر كتامة وزحف إلى سطيف فحاصرها مدة، وكان بها علي بن جعفر ابن عسكوجة صاحبها، وأخوه أبو حبيب فملكها وكان بها أيضا داود بن جاثة من كبار لهيعة، لحق بها فيمن لحق من وجوه كتامة فقام بها من بعد علي وأخيه.

واستأمن أهل سطيف فأمنهم أبو عبد الله ودخلها فهدمها، وجهز زيادة الله العساكر إلى كتامة مع قريبه إبراهيم بن حشيش،

---

(١) تاريخ ابن خلدون ابن خلدون ٤٥٣/٣

وكانوا أربعين ألفا فانتهى إلى قسنطينة فأقام بها وهم متحصنون بجبلهم. ثم زحف إليهم وواقعهم عند مدينة يلزمة فانهزم إلى باغاية ولحق بالقيروان. وكتب الشيعي بالفتح إلى المهدي مع رجال من كتامة أخفوا أنفسهم حتى وصلوا إليه وعرفوه بالخبر. ثم زحف الشيعي إلى طبنة فحاصرها وقتل فتح بن يحيى المساكتي، ثم افتتحها على الأمان، ثم زحف إلى يلزمة فملكها عنوة. وجهز زيادة الله العساكر مع هارون الطبني عامل باغاية فانتهوا إلى مدينة أزمول، وكانوا في طاعة الشيعي فهدمها هارون وقتل أهلها وزحف إليه عروبة بن يوسف من أصحاب الشيعي فهزمه وقتله. ثم فتح الشيعي مدينة ينجبت كلها على يد يوسف الغساني ولحق عسكرها بالقيروان وشاع عن الشيعي وفاؤه بالأمان فأمنه الناس، وكثر الإرجاف بزيادة الله فجهز العساكر وأزاح العلل، وأنفق ما في خزائنه وذخائره، وخرج بنفسه سنة خمس وتسعين ونزل الأريس. ثم حاد عن اللقاء وأشار عليه أصحابه بالرجوع إلى القيروان ليكون ردءا للعساكر فرجع، وقدم على العساكر إبراهيم بن أبي الأغلب من قرابته وأمره بالمقام هنالك. ثم زحف الشيعي إلى باغاية فهرب عاملها وملكها صلحا وبعث إلى مدينة قرطاجنة فافتتحها عنوة، وقتل عاملها، وسرح عساكره في إفريقية فرددوا فيها الغارات على قبائل البربر من نفزة وغيرهم. ثم استأمن إليه أهل." (١)

"(الخبر عن برغواطة من بطون المصامدة ودولتهم ومبدإ أمرهم وتصاريف أحوالهم)

وهم الجيل الأول منهم، كان لهم في صدر الإسلام التقدم والكثرة وكانوا شعوبا كثيرة مفترقين، وكانت مواطنهم خصوصا من بين المصامدة في بسائط تامسنا وريف البحر المحيط من سلا وأزمور وأنفى وأسفى. وكان كبيرهم لأول المائة الثانية من الهجرة طريف أبو صبيح [١] وكان من قواد ميسرة الحفير طريف المضفري [٢] القائم بدعوة الصفرية ومعها معزوز بن طالوت. ثم انقرض أمر ميسرة والصفرية، وبقي طريف قائما بأمرهم بتامسنا، ويقال أيضا إنه تنبأ وشرع لهم الشرائع. ثم هلك وولي مكانه ابنه صالح، وقد كان حضر مع أبيه حروب ميسرة وكان من أهل العلم والخير فيهم.

ثم انسلخ من آيات الله، وانتحل دعوى النبوة، وشرع لهم الديانة التي كانوا عليها من بعده، وهي معروفة في كتب المؤرخين. وأدعى أنه نزل عليه قرآن كان يتلو عليهم سورا منه، يسمي منها سورة الديك وسورة الجمل وسورة الفيل وسورة آدم وسورة نوح وكثير من الأنبياء، وسورة هاروت وماروت وإبليس، وسورة غرائب الدنيا، وفيها العلم العظيم بزعمهم، حرم فيها وحلل، وشرع قص، وكانوا يقرءونه في صلواتهم، وكانوا يسمونه صالح المؤمنين كما حكاه البكري عن زمور بن صالح بن هاشم بن وراد الوافد منهم على الحاكم المستنصر الخليفة بقرطبة من قبل ملكهم أبي عيسى بن أبي الأنصاري سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة.

وكان يترجم عنه بجميع خبره داود [٣] بن عمر المسطاسي. قال: وكان ظهور صالح هذا في خلافة هشام بن عبد الملك من سنة سبع وعشرين من المائة الثانية من الهجرة. وقد قيل إن ظهوره كان لأول الهجرة، وأنه إنما انتحل ذلك عنادا ومحاكاة لما بلغه شأن النبي صلى الله عليه وسلم والأول أصح. ثم زعم أنه المهدي الأكبر الذي يخرج في آخر الزمان، وأن عيسى يكون صاحبه ويصلي خلفه، وأن اسمه في

---

(١) تاريخ ابن خلدون ابن خلدون ٤/٤٥

[١] وفي نسخة أخرى: طريف ابو صالح وكذلك في قبائل الغرب/ ٣٢٢.

[٢] المضغري أو المطغري ويجوز الوجهين.

[٣] وفي النسخة الباريسية: ذلواد وفي النسخة التونسية داورد.." (١)

"سنة إحدى وسبعمائة في المحرم: عادت رسل غازان مع الرسل السلطان بجوابه. وفي عاشره: استقر في الوزارة الأمير عز الدين أيبك البغدادي المنصوري عوضا عن سنقر الأعسر وهو غائب بالشام. واستقر الأمير بيبرس التاجي أحد الأمراء البرجية في ولاية القاهرة عوضا عن ناصر الدين محمد بن الشيخي ونقل ابن الشيخي إلى ولاية الجيزة في عشريه. وفيه توجه السلطان إلى الصيد في هذا اليوم. وفيه توجه الأمير أسندمر كرجي إلى نيابة طرابلس عوضا عن الأمير قطلوبك بحكم استعفائه فقدم دمشق في حادي عشر المحرم. وفي شهر المحرم: أيضا استقر الأمير سيف الدين بلبان الجوكندار شاد الدواوين بدمشق عوضا عن الأمير سيف الدين أقجبا ونقل أقجبا إلى نيابة السلطنة بدمشق عوضا عن الأمير ركن الدين بيبرس الموفقي. وظهر بالقاهرة رجل ادعى أنه المهدي فعزر ثم خلى عنه. وفيها مات الخليفة الإمام الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد في ثامن عشر جمادى الأولى. بمناظر الكبش فغسله الشيخ كريم الدين عبد الكريم الأبلي شيخ الشيوخ بخانقاه سعيد السعداء وحضر الأمراء والناس جنازته وصلى عليه بجامع ابن طولون ودفن بجوار المشهد النفيسي. وكانت خلافته بمصر أربعين سنة. وترك من الأولاد أبا الربيع سليمان ولي عهده وإبراهيم بن أبي عبد الله محمد المستمسك بن الحاكم أحمد. فأقيم بعده أبو الربيع وعمره عشرون سنة ولقب المستكفي بالله وكتب تقليده وقرئ بحضرة السلطان في يوم الأحد عشرى جمادى الأولى وكان يوما مشهودا. وخطب له على." (٢)

"الظاهري وشمس الدين سنقر المرزوقي وحج أيضا الأمير شرف الدين عيسى بن مهنا وأخوه محمد في عدة من عرب آل فضل بلغت عدتهم نحو اثنى عشر ألف راحلة. وفيه تمزقت جماعة الثائر بجبلة وكان قد قام في النصيرية وادعى أنه المهدي وأن دين النصيرية حق وأن الملائكة تنصره. فركب العسكر وقاتلوه فقتل ورسم أن يبنى بقرى النصيرية في كل قرية مسجد وتعمل له ارض لعمل مصالحه وأن يمنع النصيرية من الخطاب وهو أن الصبي إذا بلغ الحلم عملت له وليمة فإذا اجتمع الناس وأكلوا وشربوا حلفوا الصبي أربعين يمينا على كتمان ما يودع من الذهب ثم يعلمونه مذهبهم وهو إلهية علي بن أبي طالب وأن الخمر حلال وأن تناسخ الأرواح حق وأن العالم قديم والبعث بعد الموت باطل وإنكار الجنة والنار وأن الصلوات خمس وهي إسماعيل وحسن وحسين ومحسن وفاطمة ولا غسل من جنابة بل ذكر هذه الخمسة يغني عن الغسل وعن الوضوء وأن الصيام عبارة عن ثلاثين رجلا وثلاثين امرأة ذكروهم في كتبهم وأن إلههم علي بن أبي طالب خلق السموات والأرض وهو الرب وأن محمدا هو الحجاب وسلمان هو الباب. من مات في هذه السنة ممن له ذكر شمس الدين أبو العباس أحمد بن يعقوب بن إبراهيم الأسدي الطيبي بطرابلس في سادس عشرى رمضان عن تسع وستين سنة كان أديبا فالملا باشر الإنشاء مدة ونفل إلى طرابلس في توقيعها إلى أن مات ومن شعره: هجرت الخمر لما صح عندي بأن الخمر آفة كل طاعة

---

(١) تاريخ ابن خلدون ابن خلدون ٢٧٦/٦

(٢) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٣٤٥/٢

ولم تر مقلتي في الخمر شيئا سوى أن تجمع الأحباب ساعة ومات الأمير بهاء الدين أرسلان الدوادار الناصري يوم الثلاثاء ثالث عشرى رمضان فوجد له مال جزيل: منه أربعون حياصة ذهبا وأربعون كلفتاه زركش ومبلغ ثلاثين ألف دينار وإليه تنسب خانكاه بهاء الدين بمنشاة المهراني. ومات شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله العمري كاتب السر يوم الثلاثاء ثالث رمضان بدمشق ومولده سابع ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين وستمائة حدث عن ابن عبد السلام وبرع في الأدب وكان دينا عاقلا وقورا ناهضا ثقة أمينا مشكورا. مليح الخط جيد الإنشاء فولي بعده شهاب الدين أبو الثناء محمود بن سليمان." (١)

"فمن أول ما سمع القائد أبو عبد الله بن فاتك الذي قيل له بعد ذلك: المأمون بالقضية، وكان مدبر الأمور في الأيام الأفضلية قال: هو بركات المطلوب، وأمر بإحضار الأستاذين والكشف عن القضية، وإحضار الحمالين، والكشف عن القبر بحضورهم، فإذا تحققوه أمرهم بلعنه، فمن أجاب إلى ذلك منهم أطلقوه، ومن أبى أحضروه، فحققوا معرفته، فمنهم من بصق في وجهه، وتبرأ منه، ومنهم من هم بتقبيله، ولم يتبرأ منه، فجلس الأفضل واستدعى الوالي والسياف، واستدعى من كان تحت الحوطة من أصحابه، فكل من تبرأ منه، ولعنه أطلق سبيله، وبقي من الجماعة ممن لم يتبرأ منه: خمسة نفر وصبي لم يبلغ الحلم، فأمر بضرب رقابهم، وطلب الأستاذين، فلم يقدر عليهما، وقال للصبي: من لفظه تبرأ منه، وأنعم عليك، وأطلق سبيلك فقال له: الله يطالبك إن لم تلحقني بهم، فإني مشاهد ما هم فيه، وأخذ بسيفه على الأفضل، فأمر بضرب عنقه، فلما توفي الأفضل أمر الخليفة الآمر بأحكام الله: وزيره المأمون بن البطائحي باتخاذ دار العلم، وأفسد عقل أستاذ وخياط، وجماعة، وادعى الربوبية فحضر الداعي ابن عبد الحقيق إلى الوزير المأمون، وعرفه بأن هذا قد تعرف بطرف من علم الكلام، على مذهب أبي الحسن الأشعري، ثم انسلخ عن الإسلام، وسلك طريق الحلاج في التمويه فاستهوى من ضعف عقله، وقلة بصيرته، فإن الحلاج في أول أمره كان يدعي أنه: داعية المهدي، ثم ادعى أنه المهدي ثم ادعى الإلهية، وأن الجن تخدمه، وأنه أحيى عدة من الطيور، وكان هذا القصار شيعي الدين، وجرت له أمور في الأيام الأفضلية، ونفي دفعة واعتقل أخرى، ثم هرب بعد ذلك، ثم حضر وصار يواصل طلوع الجبل، واستصحب من استهواء من أصحابه، فإذا أبعد قال لبعضهم بعد أن يصلي ركعتين: نطلب شيئا تأكله أصحابنا فيمضي، ولا يلبث دون أن يعود، ومعه ما كان أعده مع بعض خاصته الذين يطلعون على باطنه، فكانوا يهابونه ويعظمونه حتى أنهم يخافون الإثم في تأمل صورته، فلا ينفكون مطرقين بين يديه، وكان قصيرا دميم الخلقة، وادعى مع ذلك الربوبية وكان ممن اختص بحميد رجل خياط وخصي، فرسم المأمون بالقبض على المذكور، وعلى جميع أصحابه فهرب الخياط، وطلب فلم يوجد، ونودي عليه وبذل لمن يحضر به مال، فلم يقدر عليه، واعتقل القصار وأصحابه، وقرروا فلم يقروا بشيء من حاله، وبعد أيام تماوت في الحبس.

فلما استؤمر عليه أمر بدفنه، فلما حمل ليدفن ظهر أنه حي، فأعيد إلى الاعتقال، وبقي كل من لم يتبرأ منه معتقلا ما خلى الخصي، فإنه لم يتبرأ منه، وذكر أن القتل لا يصل إليه فأمر بقطع لسانه، ورمى قدامه، وهو مصر على ما في نفسه، فأخرج

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٥٢٨/٢

القصار، والخصي، ومن لم يتبرأ منه من أصحابه فصلبوا على الخشب، وضربوا بالنشاب، فماتوا لوقتهم، ثم نودي على الخياط ثانيا، فاحضر وفعل به ما فعل بأصحابه بعد أن قيل له: ها أنت تنظره، فلم يتبرأ منه، وصلب إلى جانبه.." (١)

"شهر ذي الحجة استهل بيوم الخميس بعد أن تراءى الناس الهلال ليلة الأربعاء على العادة بعدة أماكن من الجوامع وغيرها فلم يخبر أحد برؤيته إلا شذوذا، يقول الواحد منهم: إنه رأى، فإذا حوقق أنكر، فبحث عن السبب في ذلك فاعتذروا بأنه شاع بينهم أن السلطان إذا اتفق يوم - العيد يوم الجمعة يلزم أن يخطب له مرتين وقد جرب أن ذلك إذا وقع يكون فيه خوف على السلطان، فبلغ السلطان ذلك بعد أيام فأنكره وأظهر الحنق على من ينسب إليه ذلك، فقيل له فإن أحمد بن نوروز، وهو أحد من يلوذ به من خواصه المعروف بشاد الغنم - ذكر أنه رآه ولم يخبر القاضي بذلك، فاستدعاه فاعترف أنه رآه ليلة الأربعاء ومعه جماعة، فأرسله مع المحتسب إلى القاضي الشافعي فأدى عنده شهادته، فلما شاع ذلك نودي في البلد من رأى هلال ذي الحجة ليلة الأربعاء فليؤد شهادته بذلك عند القاضي الشافعي، فسارع غالب من كان شاع عنه دعواه الرؤية في تلك الليلة إلى الشهادة بذلك، فلما استوفيت شروط ذلك نودي بأن العيد يوم الجمعة، فاعتمدوا على ذلك وصلوا العيد يوم الجمعة؛ فلما كان في يوم السبت الخامس والعشرين من ذي الحجة وصل المبشر بسلامة الحاج في آخر ذلك اليوم، وأخبر أن كل من حضر الموقف من الآفاق لم ينقل عن أحد منهم أنه رأى الهلال ليلة الأربعاء بل استوفوا العدة واستهلوا ذا الحجة بيوم الخميس ووقفوا بعرفات يوم الجمعة -، واستمر الأمر بينهم على ذلك وأنه فارقهم آخر النهار يوم السبت، فقطع المسافة في أربعة عشر يوما، ووصف السنة بالأمن واليمن والرخاء مع كثرة الخلائق - ولله الحمد على ذلك.

وفي هذه السنة توجه الشيخ شمس الدين محمد بن أحمد الفرياني المغربي إلى جهة الجبال المقدسة ويقال لها: جبال حميدة، وعندها عرب، فنزل عند بعض العشير ودعا إلى نفسه أنه المهدي، وقيل ادعى أنه القحطاني، فانضم إليه جماعة من العرب فاستغواهم ووعدهم." (٢)

"صالح عن الأعرج ونسبة البخاري إلى الوهم في ذلك لا تقبل إلا ببيان واضح قاطع ومن أين يوجد وقد ضاق مخرجه على الإسماعيلي فأخرجه من طريق البخاري نفسه معلقا ولم يتعقبه ولا يلزم من عدم وجود هذا المتن بهذا الإسناد بعد التتبع عدمه في نفس الأمر والله أعلم الحديث الثالث حديث بن عمر لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم اثنان قال الكرماني ليست الحكومة في زمننا لقريش فكيف يطابق الحديث وأجاب عن ذلك بأن في بلاد الغرب خليفة من قريش وكذا في مصر وتعقب بأن الذي في الغرب هو الحفصي صاحب تونس وغيرها وهو منسوب إلى أبي حفص رقيق عبد المؤمن صاحب بن تومرت الذي كان على رأس المائة السادسة ادعى أنه المهدي ثم غلب أتباعه على معظم الغرب وسموا بالخلافة وهم عبد المؤمن وذريته ثم انتقل ذلك إلى ذرية أبي حفص ولم يكن عبد المؤمن من قريش وقد تسمى بالخلافة هو وأهل بيته وأما أبو حفص فلم يكن يدعي أنه من قريش في زمانه وإنما ادعاه بعض ولده لما غلبوا على الأمر فزعموا أنهم من ذرية أبي حفص

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ٣٨١/٢

(٢) إنباء الغمر بأبناء العمر ابن حجر العسقلاني ٢٢٨/٤

عمر بن الخطاب وليس بيدهم الآن إلا المغرب الأدنى وأما الأقصى فمع بني الأحمر وهم منسوبون إلى الأنصار وأما الأوسط فمع بني مرين وهم من البربر وأما قوله فخليفة من مصر فصحيح ولكنه لا حل بيده ولا ربط وإنما له من الخلافة الاسم فقط وحينئذ هو خبر بمعنى الأمر وإلا فقد خرج هذا الأمر عن قريش في أكثر البلاد ويحتمل حمله على ظاهره وأن المتغلبين على النظر في أمر الرعية في معظم الأقطار وإن كانوا من غير قريش لكنهم معترفون أن الخلافة في قريش ويكون المراد بالأمر مجرد التسمية بالخلافة لا الاستقلال بالحكم والأول أظهر والله أعلم الحديث الرابع حديث جبير بن مطعم في السؤال عن بني نوفل وعبد شمس تقدم شرحه في كتاب الخمس

[٣٥٠٥] قوله كان عبد الله بن الزبير أحب البشر إلى عائشة هو بن أختها أسماء بنت أبي بكر وكانت قد تولت تربيته حتى كانت تكنى به قوله وكانت لا تمسك شيئا أي لا تدخر شيئا مما يأتيها من المال ينبغي أن يؤخذ على يديها أي يحجر عليها وصرح بذلك في حديث المسور بن مخرمة كما سيأتي بأوضح من هذا السياق لهذه القصة في كتاب الأدب وسأذكر شرحه هناك إن شاء الله تعالى قوله وقالت وددت أني جعلت حين حلفت عملا أعمله فأفرغ منه استدل به على انعقاد النذر المجهول وهو قول المالكية لكنهم يجعلون فيه كفارة يمين وظاهر قول عائشة وصنيعها أن ذلك لا يكفي وأنه يحمل على أكثر ما يمكن أن ينذر ويحتمل أن تكون فعلت ذلك تورعا لتيقن براءة الذمة وأبعد من قال تمنت أن يدوم لها العمل الذي عملته للكفارة أي تصير تعتق دائما وكذا من قال تمنت أنها بادرت إلى الكفارة حين حلفت ولم تكن هجرت عبد الله بن الزبير تلك المدة ووجه بعد الأول أنه لم يكن في السياق ما يقتضي منعها من العتق فكيف تتمنى ما لا مانع لها من إيقاعه ثم إنه يقيد باقتدارها عليه لا إلزامها به مع عدم الاقتدار وأما بعد الثاني فلقولها في بعض طرق الحديث كما سيأتي إنها كانت تذكر نذرها فتبكي حتى يبل دمعها خمارها فإن فيه إشارة إلى أنها كانت تظن أنها ما وفت بما يجب عليها من الكفارة واستشكل بن التين وقوع." (١)

"ليزيد بن معاوية وأصر على ذلك حتى أغرى يزيد بن معاوية مسلم بن عقبة بالمدينة فكانت وقعة الحرة ثم توجه الجيش إلى مكة فمات أميرهم مسلم بن عقبة وقام بأمر الجيش الشامي حصين بن نمير فحصر بن الزبير بمكة ورموا الكعبة بالمنجنيق حتى احترقت ففجأهم الخبر بموت يزيد بن معاوية فرجعوا إلى الشام وقام بن الزبير في بناء الكعبة ثم دعا إلى نفسه فبويع بالخلافة وأطاعه أهل الحجاز ومصر والعراق وخراسان وكثير من أهل الشام ثم غلب مروان على الشام وقتل الضحاك بن قيس الأمير من قبل بن الزبير بمرج راهط ومضى مروان إلى مصر وغلب عليها وذلك كله في سنة أربع وستين وكمل بناء الكعبة في سنة خمس ثم مات مروان في سنة خمس وستين وقام عبد الملك ابنه مقامه وغلب المختار بن أبي عبيد على الكوفة ففر منه من كان من قبل بن الزبير وكان محمد بن علي بن أبي طالب المعروف بابن الحنفية وعبد الله بن عباس مقيمين بمكة منذ قتل الحسين فدعاهما بن الزبير إالىالبيعة له فامتنعا وقالا لا نبايع حتى يجتمع الناس على خليفة وتبعهما جماعة على ذلك فشدد عليهم بن الزبير وحصرهم فبلغ المختار فجهز إليهم جيشا فأخرجوهما واستأذنوهما في قتال بن الزبير فامتنعا وخرجا إلى

---

(١) فتح الباري لابن حجر ابن حجر العسقلاني ٥٣٦/٦

الطائف فأقاما بها حتى مات بن عباس سنة ثمان وستين ورحل بن الحنفية بعده إلى جهة رضوى جبل بينبع فأقام هناك ثم أراد دخول الشام فتوجه إلى نحو أيلة فمات في آخر سنة ثلاث أو أول سنة أربع وسبعين وذلك عقب قتل بن الزبير على الصحيح وقيل عاش إلى سنة ثمانين أو بعد ذلك وعند الواقدي أنه مات بالمدينة سنة إحدى وثمانين وزعمت الكيسانية أنه حي لم يمت وأنه المهدي وأنه لا يموت حتى يملك الأرض في خرافات لهم كثيرة ليس هذا موضعها وإنما لخصت ما ذكرته من طبقات بن سعد وتاريخ الطبري وغيره لبيان المراد بقول بن أبي مليكة حين وقع بينه وبين بن الزبير ولقوله في الطريق الأخرى فغدوت على بن عباس فقلت أتريد أن تقاتل بن الزبير وقول بن عباس قال الناس بايع لابن الزبير فقلت وأين بهذا الأمر عنه أي أنه مستحق لذلك لما له من المناقب المذكورة ولكن أمتنع بن عباس من المبايعة له لما ذكرناه وروى الفاكهي من طريق سعيد بن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال كان بن عباس وبن الحنفية بالمدينة ثم سكنا مكة وطلب منهما بن الزبير البيعة فأبيا حتى يجتمع الناس على رجل فضيق عليهما فبعث رسولا إلى العراق فخرج إليهما جيش في أربعة آلاف فوجدوهما محصورين وقد أحضر الحطب فجعل على الباب يخوفهما بذلك فأخرجوهما إلى الطائف وذكر بن سعد أن هذه القصة وقعت بين بن الزبير وبن عباس في سنة ست وستين قوله وأمه أسماء أي بنت أبي بكر الصديق وقوله وجدته صفية أي بنت عبد المطلب وقوله في الرواية الثانية وأما عمته فزوج النبي صلى الله عليه وسلم يريد خديجة أطلق عليها عمته تجوزا وإنما هي عمة أبيه لأنها خديجة بنت خويلد أي بن أسد والزبير هو بن العوام بن خويلد بن أسد وكذا تجوز في الرواية الثالثة حيث قال بن أبي بكر وإنما هو بن بنته وحيث قال بن أخي خديجة وإنما هو بن بن أخيها العوام قوله فقلت لسفيان إسناده بالنصب أي اذكر إسناده أو بالرفع أي ما إسناده فقال حدثنا فشغله إنسان ولم يقل بن جريج ظاهر هذا أنه صرح له بالتحديث لكن لما لم يقل بن جريج احتمل أن يكون أراد أن يدخل بينهما واسطة واحتمل عدم الواسطة ولذلك استظهر البخاري بإخراج الحديث من وجه آخر عن بن جريج ثم من وجه آخر عن شيخه قوله في الطريق الثانية حجاج هو بن محمد المصيصي قوله قال بن أبي مليكة وكان بينهما شيء كذا أعاد الضمير بالتثنية على غير مذكور اختصارا." (١)

"(قوله باب نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن نكاح المتعة)

أخيرا يعني تزويج المرأة إلى أجل فإذا انقضى وقعت الفرقة وقوله في الترجمة أخيرا يفهم منه أنه كان مباحا وأن النهي عنه وقع في آخر الأمر وليس في أحاديث الباب التي أوردها التصريح بذلك لكن قال في آخر الباب أن عليا بين أنه منسوخ وقد وردت عدة أحاديث صحيحة صريحة بالنهي عنها بعد الإذن فيها وأقرب ما فيها عهدا بالوفاة النبوية ما أخرجه أبو داود من طريق الزهري قال كنا عند عمر بن عبد العزيز فتذاكرنا متعة النساء فقال رجل يقال له ربيع بن سبرة أشهد على أبي أنه حدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عنها في حجة الوداع وسأذكر الاختلاف في حديث سبرة هذا وهو بن معبد بعد هذا الحديث الأول

[٥١١٥] قوله أخبرني الحسن بن محمد بن علي أي بن أبي طالب وأبوه محمد هو الذي يعرف بابن الحنفية وأخوه عبد الله

---

(١) فتح الباري لابن حجر ابن حجر العسقلاني ٣٢٧/٨

بن محمد أما الحسن فأخرج له البخاري غير هذا منها ما تقدم له في الغسل من روايته عن جابر ويأتي له في هذا الباب آخر عن جابر وسلمة بن الأكوع وأما أخوه عبد الله بن محمد فكنيته أبو هاشم وليس له في البخاري سوى هذا الحديث ووثقه بن سعد والنسائي والعجلي وقد تقدمت له طريق أخرى في غزوة خيبر من كتاب المغازي وتأتي أخرى في كتاب الذبائح وأخرى في ترك الحيل وقرنه في المواضع الثلاثة بأخيه الحسن وذكر في التاريخ عن بن عيينة عن الزهري أخبرنا الحسن وعبد الله ابنا محمد بن علي وكان الحسن أوثقهما ولأحمد عن سفيان وكان الحسن أرضاهما إلى أنفسنا وكان عبد الله يتبع السبئية اه والسبئية بمهملة ثم موحدة ينسبون إلى عبد الله بن سبأ وهو من رؤساء الروافض وكان المختار بن أبي عبيد على رأيه ولما غلب على الكوفة وتتبع قتلة الحسين فقتلهم أحبته الشيعة ثم فارقه أكثرهم لما ظهر منه من الأكاذيب وكان من رأي السبئية موالاة محمد بن علي بن أبي طالب وكانوا يزعمون أنه المهدي وأنه لا يموت حتى يخرج في آخر الزمان ومنهم من أقر بموته وزعم أن الأمر بعده صار إلى ابنه أبي هاشم هذا ومات أبو هاشم في آخر ولاية سليمان." (١)

"فمات في حدود الثلاثين وهو ابن الثمانين قاله الذهبي

٤٨١ - أحمد بن عبد الله بن نصر الله بن رسلان بن ... البعلي روى عن ابن الزبيدي وابن اللتي وابن المقير وغيرهم وكان خيرا مات في سابع ذي القعدة سنة ٧٠١

٤٨٢ - أحمد بن عبد الله بن هاشم أبو العباس المعروف بالملثم كان يذكر أن اسم أبيه أزدمر وأنه نشأ ببلاد الترك وقدم القاهرة فولد له الملثم في رمضان سنة ٦٥٨ واشتغل في الفقه على مذهب الشافعي وحفظ التنبيه ولم ينجب وذكر انه لازم الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد في الفقه وسماع الحديث عشرين سنة وأنه سمع على ابن الأنماطي صحيح مسلم بقراءة أبي حيان وسمع عدة من الكتب الكبار على ابن دقيق العيد ثم سلك طريق العبادة فحصل له انحراف مزاج فادعى في سنة ٦٨٩ دعاوي عريضة من رؤية الله تعالى في المنام مرارا وأنه أسري به إلى السماوات السبع ثم إلى سدرة المنتهى ثم إلى العرش ومعه جبريل وجمع من الملائكة وأن الله كلمه وأخبره بأنه المهدي وان البشائر تواردت عليه من الملائكة وأنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم فأعلمه بأنه من ولده وأنه المهدي وأمره أن ينذر الناس ويدعوهم إلى الله فاشتهر أمره فأخذ وحبس وكان الشيخ نصر المنبجي يحط عليه فذكر." (٢)

"عن نفسه أن نصرا أشار عليهم بقتله فطلع إلى القلعة وصرخ بأنه المهدي فأخذ وأرادوا قتله ثم حبسوه ودخل عليه رجل أراد خنقه فذكر عن نفسه أن الرجل جفت يده ثم قيل للسلطان فأفرج عنه ثم ثار في سنة ٦٩٩ فأمسكوه وحبسوه واتفقوا على شنقه فأرسل إليه القاضي تقي الدين ابن دقيق العيد أن يظهر التجانن فكسر الكوز الذي عنده فيه الماء وكسر الزبدية التي فيها الطعام وشطح في الناس فأثبت القاضي أنه مجنون وحكم بذلك وأطلق فبلغ ذلك الشيخ نصرا المنبجي فغضب وأشار على بيبرس وكان يعتقده وعلى سلار أن يسقوه السم فذكر انه سقي مرارا فلم ينجع فيه وجمع هذا الرجل كتابا كبيرا بث فيه الأحوال التي اتفقت له وفيه دعاوي عريضة غالبها منامات ويحلف على كل منها وذكر أنه جلس في

---

(١) فتح الباري لابن حجر ابن حجر العسقلاني ١٦٧/٩

(٢) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ابن حجر العسقلاني ٢١٧/١

حانوت الشهود فرأى جبريل في المنام فقال له المال الذي يتحصل مع الشهود حرام فترك ذلك فاتفق أن المنصور لاجين لما جدد وقف الجامع الطولوني وعمره قرره في مشيخة السبحة وجعل له في كل شهر ثلاثين درهما فاقتنع بها وأن بدر الدين بن جماعة لما ولي القضاء فرأى أن متحصل الجامع لا يفي بجميع المقررين فأراد قطع بعضهم فاتفق الرأي على قطع شيخ السبحة والفقراء المسبحين والقراء وأيتام المكاتب فاجتمع به فقال له يا قاضي لأي." (١)

"في المنام في السنة التي دخل فيها غازان الشام فقال له أخبر أهل الدولة أن العدو قد أذن له في دخول الشام وأنه راسلهم بذلك فكذبه الشيخ نصر والشيخ فخر الدين الإقفاصي وجلال الدين القلانسي وعز الدين البهنسي وآخرون وحلفوا له أنه ما يدخل الشام أحد من التتر في هذه السنة فكان ما كان وذكر في بعض كلامه أن المهدي يخرج في سنة ٧٣٤ أو في سنة ٧٤٤ وذكر عدة منامات أنه هو المهدي ثم ذكر في مواضع أن المعني بكونه المهدي أنه يهدي الناس إلى الحق وليس هو المهدي الموعود به في آخر الزمان وذكر فيمن تعصب عليه شيخ الخانقاه كريم الدين الآملي وابن الخشاب المحتسب وعمر السعودي صهر كريم الدين والقونسي نائب المالكي ونجم الدين ابن عبود وذكر أنه كان مرة نصح ابن الخشاب بسبب مملوك أمرد كان في خدمته فقبل منه ثم نقض عليه وذكر أنهم حبسوه عند المجانين ثم أرسلوا إليه السم فوضع في شراب وسقوه فما أثر فيه وأنهم سقوا نصرانيا من الأسرى منه فمات من ساعته وأنه أطلق وأظهر التوبة من دعواه أنه المهدي وكان مما شهد عليه أنه زعم أنه رسول الله فتنصل من ذلك وقال إنما قلت إني رسول أرسلني رسول الله إليكم لأنذركم ومات هذا الرجل في سنة ٧٤٠ وقد جاوز الثمانين والله أعلم بحاله." (٢)

"شعبان بن حسين ثم تنقل إلى أن ولاه الظاهر برقوق نيابة ملطية في سنة ٣٨ فلم ينشب أن عصى وسيأتي بيان ذلك في حرف الميم لأنه بمنطاش أشهر

١٤١٥ – تمربغا الحسني أحد الطبلخانات بطرابلس مات في رمضان سنة ٧٥٦

١٤١٦ – تمربغا العقيلي نائب الكرك كان مشكور السيرة ويقال أنه كان عنينا مات في جمادى الآخرة سنة ٧٤٩

١٤١٧ – تمرتاش بن النوين جوبان كان شجاعا فاتكا إلا أنه خف عقله فزعم أنه المهدي الذي في آخر الزمان فبلغ ذلك أباه فركب إليه ورده عن هذا المعتقد ثم ولاه بوسعيد الحكم في بلاد الروم وكان جوادا مفرطا ثم وقع له بعد قتل أخيه دمشق خجا خوف من بو سعيد ففر إلى الناصر محمد فتلقاه بالإكرام وصيره أميرا وكان مفرط الكرم وكانت المهادنة بين الناصر وبوسعيد فكتب بوسعيد يطلب منه إرسال تمرتاش فامتنع من إرساله ثم أمر بقتله وإرسال رأسه وتأسف الناس عليه وأرسل الناصر يقول قد أرسلت لك رأس غريمك فأرسل إلي رأس غريمي يعني قرا سنقر فلم يصل الكتاب إلا بعد موت قرا سنقر فكتب بوسعيد إلى الناصر أنه مات حتف أنفه ولو كنت أنا قتلته لأرسلت لك برأسه وكان قتل تمر تاش في شهر رمضان سنة ٧٢٨." (٣)

---

(١) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ابن حجر العسقلاني ٢١٨/١

(٢) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ابن حجر العسقلاني ٢٢٠/١

(٣) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ابن حجر العسقلاني ٦٢/٢

"قال قاضي القضاة بدر الدين محمود العيني الحنفي: كان رجلا منقطعا عن الناس، لا يروح عند أحد، ولا يأذن لأحد في الدخول عليه إلا لمن يختاره.

وكان يعيش عيش الملوك في المأكل، والمشرب، والملبس.

وكان ينسب إلى عمل اللازورد، وبعضهم ينسبه إلى الكيمياء، وبعضهم إلى الاستخدام. والظاهر إنه كان على معرفة من علم الحكمة، ويتعانى صنعة اللازورد. ومع هذا كان ينسب إلى الرفض؛ فلهذا لم يشتهر عنه أنه حضر صلاة الجماعة والجمعات.

وكان يدعي بعض أصحابه أنه المهدي المنتظر في آخر الزمان، وأمثال ذلك؛ فكان أول ما قدم الديار الشامية أقام في حلب منقطعا مدة عن الناس، في مكان يسمى بابلا بطرف حلب، من ناحية المشرق، ثم طلب إلى الديار المصرية، بسبب مداواة ولد السلطان الملك الظاهر برقوق من مرض حصل له في رجله وأفخاذه؛ فقدم، وأقبل عليه السلطان إقبالا عظيما؛ فأقام يداوي ابنه، فلم ينجع. ثم إنه أقام بالديار المصرية مستمرا على حالته المذكورة على على شاطئ النيل إلى أن توفي. وخلف موجودا كثيرا من أصناف القماش، ومن الذهب شيئا كثيرا، ومماليكا، وجوار. ولم يوص لأحد بدرهم، ولا أعتق أحدا من مماليكه وجواريه.

ولما بلغ السلطان خبر وفاته، رسم لقلمطاي الداودار أن ينزل إلى بيته." (١)

"البارزي بحماة حتى برع وشارك في الأصول والعربية وولي قضاء المدينة في آخر سنة ستين فباشره بسياسة ورئاسة وخلق رضى وتحبب إلى الطلبة والخدام وفوض أمر الأوقاف لشيخ الخدام افتخار الدين ياقوت ثم حاول أن يرتجع ذلك فلم يستطع وتمالوا عليه فحج في سنة خمس وستين وتوجه إلى القاهرة وحدث عن الحجاز بالصحيح وناب في الحكم بمصر ومات في.

٣٩٨٣ - محمد بن عثمان بن ربيعة بن أبي عبد الرحمن: المدني مضى في عثمان بن محمد بن ربيعة.

٣٩٨٤ - محمد بن عثمان بن عبد الرحمن بن سعيد بن يربوع: المخزومي القرشي المدني أخو عمر يروي عن جده وسعيد بن المسيب وسالم والقاسم بن محمد وعنه حاتم بن إسماعيل والدراوردي وصفوان بن عيسى وثقه أحمد ثم ابن حبان وقال أبو حاتم: شيخ مدني محله الصدق وقال ابن سعد: قليل الحديث ذكر في التهذيب وتاريخ البخاري وابن أبي حاتم وثقات ابن حبان.

٣٩٨٥ - محمد بن عثمان بن علي الشامي: ويعرف بابن الحريري ممن تلى عليه خير الدين المالكي بعض القرآن للسبع بالمدينة.

٣٩٨٦ - محمد بن عثمان: التاج الصرخدي فيمن جده الخضر قريبا.

٣٩٨٧ - محمد بن عجلان: مولى فاطمة ابنة الوليد بن عتبة بن ربيعة أبو عبد الله القرشي المدني الفقيه أحد الأعلام عن أبيه وأنس ونافع ومحمد بن كعب القرظي وسعيد المقبري وعمرو بن شعيب وغيرهم وعنه السفيانان وبكر بن مصر وبشر

---

(١) المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ابن تغري بردي ١٧٢/٥

بن المفضل وعبد الله بن إدريس ويحيى القطان وأبو عاصم والواقدي وخلق وثقه ابن عيينة وأحمد وابن معين وآخرون وكان أحد من جمع بين العلم والعمل له حلقة في المسجد النبوي ولما خرج مع محمد بن عبد الله بن حسن هم والي المدينة جعفر بن سليمان الهاشمي أن يجلده فقالوا له: أصلحك الله لو رأيت الحسن البصري فعل مثل هذا تضربه؟ قال: لا قيل له: فابن عجلان في أهل المدينة مثل الحسن في أهل البصرة فعفا عنه وقال مصعب الزبيري: كان له قدر وفضل بالمدينة ولما أراد جعفر قطع يده حين خرج مع محمد وكان عنده الأكابر سمع ضجة فقال: ما هذا؟ قالوا: ضجة أهل المدينة يدعون لابن عجلان فلو عفوت عنه فإنه غر وأخطأ في الرؤية ظن أنه المهدي فعفا عنه وأطلقه وقال ابن المبارك: لم يكن بالمدينة لم يكن أحد أشبه بأهل العلم منه كنت أشبهه: بالياقوتة بين العلماء وهو ممن وثقه أحمد." (١)

"عن معاوية قال: إني لأكره النكارة للسيد، وأحب أن يكون عاملها متغافلا [١] .

وأخرج عن محمد بن الحنفية [٢] قال: من كرمت عليه نفسه صغرت الدنيا في عينه [٣] .

وأخرج عن ثعلبة بن سهيل قال: ما تداوى من جاز الأربعين [٤] سنة بمثل الحمام. وأخرج عن سفيان بن عيينة قال: أراد النبي صلى الله عليه وسلم الكلام فاعتاص [٥] عليه، فقال: (إنا معاشر الأنبياء يعترينا البكاء) يعني قلة الكلام [٦] .

وأخرج عن الأحنف [٧] قال: ثلاث خلال لا ينبغي للعاقل أن يدعهن، ومن أطاعه: علم يحثه على عمل يتزوده، وطب يذب به عن جسده، وصنعة يستعين بها على أمر معاشه./

وأخرج عن خالد بن صفوان [٨] قال: استصغر الكبير في طلب المنفعة، واستعظم الصغير في ركوب المضرة. وأخرج عن الأحنف قال: أربع يسود بهن الرجل، العلم، والأدب، والعفة، والأمانة [٩] ، وقال: أنا للعاقل المدبر أرجى مني للأحمق المقبل [١٠] . وقال: ثلاث مجالس لا عيب فيهن على الرجل أن يجلسها، انتظاره الجنازة، وانتظاره إذن السلطان، وطالب العلم، وثلاثة لا عيب فيهن على الرجل: أن يخدم أباه، وضيفه، وفرسه. وأخرج عن الربيع بن برة قال: الأمثال أقرب إلى العقول من المعاني. وأخرج عن ليث [١١] قال، قال لي طاووس: تعلم ما تعلمت لنفسك، فان الناس قد ذهبت منهم الأمانة.

---

[١] في ط، ل: يكون عاقلا مغافلا، والخبر في عيون الأخبار ٣/٢٢٤ وفيه: (لأكره البكارة) ، ومحاضرات الأدباء ص ٦٤ وفيه: (لأكره المكارة) .

[٢] ابن الحنفية: محمد بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي، أحد أبطال الإسلام الأشداء، وهو أخو الحسن والحسين، وأمه خولة بنت جعفر الحنفية، كان واسع العلم ورعا أسود اللون، وكان المختار الثقفي يدعو إلى إمامته ويزعم أنه المهدي، خرج إلى الطائف هربا من ابن الزبير، فتوفي فيها سنة ٨١ هـ. (وفيات الأعيان ١/٤٤٩، طبقات ابن سعد ٥/٦٦، حلية الأولياء ٣/١٧٤، صفة الصفوة ٢/٤٢) .

[٣] الخبر في حلية الأولياء ٣/١٧٦.

---

(١) التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة السخاوي، شمس الدين ٢/٥٣٧

[٤] ط: جاوز الأربعين.

[٥] في ب، ش، ل: أي صعب.

[٦] البيان والتبيين ١٤١/٣.

[٧] الأحنف بن قيس: بن معاوية بن حصين المري السعدي المنقري التميمي، أبو بحر سيد تميم وأحد العظماء الدهاة الفصحاء، توفي سنة ٧٢ هـ. (ابن خلكان ٢٣٠/١، تهذيب ابن عساكر ١٠/٧، ابن سعد ٦٦/٧، الأعلام ٢٧٦/١) .

[٨] خالد بن صفوان: بن عبد الله بن عمرو بن الأهتم التميمي، توفي سنة ١٣٣ هـ. (ابن خلكان ٢٤٣/١، نكت الهميان ص ١٤٨. أمالي المرتضى ١٧٢/٤، الأعلام ٢٩٧/٢) .

[٩] البيان والتبيين ١٤١/٣.

[١٠] بهجة المجالس ٥٤٢/١ منسوب للحسن.

[١١] ليث بن أبي سليم بن رنيم الكوفي: روى عن طاووس ومجاهد وعطاء، توفي سنة ١٤٣ هـ. (التهذيب ٤٦٥/٨) .." (١)

"والظاهر أنهم خمسمائة على ما سبق في الحديث، ثم قال: النجباء هم المشتغلون بحمل أثقال الخلق، وهم أربعون.
أقول: كأنه أخذ هذا المعنى من اللغة، ففي القاموس: ناقة نجيب ونجيبة وجمعه نجائب، وأنسب ما ذكر فيه أيضا من أن النجيب الكريم والجمع نجباء، والمنتجب المختار، ونجائب القرآن أفضله.
هذا وقد أخرج ابن عساكر عن ابن مسعود مرفوعا " «إن لله تعالى ثلاثمائة نفس، قلوبهم على قلب آدم - عليه الصلاة والسلام - وله أربعون قلوبهم على قلب موسى - عليه الصلاة والسلام - وله سبعة قلوبهم على قلب إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - وله خمسة قلوبهم على قلب جبريل - عليه الصلاة والسلام - وله ثلاثة قلوبهم على قلب ميكائيل - عليه الصلاة والسلام - وله واحد قلبه على قلب إسرافيل - عليه الصلاة والسلام - كلما مات الواحد أبدل الله مكانه من الثلاثة، وكلما مات واحد من الثلاثة أبدل الله مكانه من الخمسة، وكلما مات من الخمسة واحد أبدل الله مكانه من السبعة، وكلما مات من السبعة أبدل الله مكانه من الأربعين، وكلما مات واحد من الأربعين أبدل الله مكانه من الثلاثمائة، وكلما مات واحد من الثلاثمائة أبدل الله مكانه من العامة، بهم يدفع الله الهم عن هذه الأمة» ، انتهى.
وأرجو من الله تعالى وحسن فضله وكرمه وعموم جوده أنه إذا وقع محلولا من هذه المناصب العلية أن يجعلني منصوبا على طريق البدلية، ولو من مرتبة العامة إلى أدنى مرتبة الخاصة، ويتم علي هذه النعمة مع الزيادة إلى حسن الخاتمة، ثم في الحديث دلالة على ما ذكرنا من الاحتمال أن الأبدال لا تكون من خواص الأبدال، بل تعم الرجال من أرباب الأحوال، وفيه تنبيه نبيه على أنه لم يذكر أن أحدا يكون على قلب النبي - صلى الله تعالى عليه وسلم - إذ لم يخلق الله في عالمي الخلق والأمر أشرف وألطف من قلبه الأكرم - صلى الله تعالى عليه وسلم - وفيه أيضا ما يشعر بظاهره بتفضيل خواص الملك على خواص البشر، وكذا تفضيل إسرافيل وميكائيل على جبرائيل، والجمهور على خلاف ذلك، والله تعالى أعلم. وهذا وقال

---

(١) المحاضرات والمحاورات السيوطي ص/١٣١

العارف الصمداني الشيخ علاء الدولة السمناني في العروة الوثقى: إن الأبدال من بدلاء السبعة، كما أخبر عنه النبي - صلى الله تعالى عليه وسلم - فقال: " «هو من السبعة وسيدهم» ". أقول: لا بد من ثبوت هذا من ثقات وسندهم، قال: وكان القطب في زمان النبي - صلى الله تعالى عليه وسلم - عم أويس القرني عصاما، فحري أن يقول: إني لأجد نفس الرحمن من قبل اليمن، وهو مظهر خاص للتجلي الرحماني، كما كان النبي - صلى الله تعالى عليه وسلم - مظهرا خاصا للتجلي الإلهي المخصوص باسم الذات وهو الله.

قلت: هذا يفيد مؤيدا لما سبق من أن أحدا لم يشاركه - صلى الله تعالى عليه وسلم - في مقامه الأعظم، لكن في كون القطبية لعصام، وهو غير معروف في أنه من الصحابة أو التابعين، بخلاف أويس فإنه مشهور، وقد ورد في حقه أنه سيد التابعين إشكالا عظيما، فإنه كيف يكون له القطبية الكبرى مع وجود الخلفاء الأربعة وسائر فضلاء الصحابة الذين هم أفضل الناس بعد الأنبياء بالإجماع، وأيضا فقد قال اليافعي - رحمه الله: وقد ستر أحوال القطب وهو الغوث عن العامة والخاصة غيره من الحق عليه، لكني أقول: الظاهر أن هذا غالبي ؛ لثبوت القطبية للسيد عبد القادر - رحمه الله - بلا نزاع، ثم اعلم أن كثيرا من الناس ادعوا أنه المهدي، فمنهم من أراد المعنى اللغوي فلا إشكال، ومنهم من ادعى باطلا وزورا، واجتمع عليه جميع من الأوباش، وأراد الفساد في البلاد ؛ فقتل واستراح منه العباد، ومنهم من رأى واقعة الحال فحملها شيخه على الآفاق، وكان حقه أن يحملها على الأنفس ؛ لئلا يحصل الاختلاف، وهو رئيس النور بخشية أحد مشايخ الكبروية، وقد ظهر في البلاد الهندية جماعة تسمى المهدوية، ولهم رياضات عملية، وكشوفات سفلية، وجهالات ظاهرية، من جملتها أنهم يعتقدون أن المهدي الموعود هو شيخهم الذي ظهر، ومات ودفن في بعض بلاد خراسان، وليس يظهر غيره مهدي في الوجود، ومن ضلالتهم أنهم يعتقدون أن من لم يكن على هذه العقيدة فهو كافر.

وقد جمع شيخنا العارف بالله الولي الشيخ علي المتقي - رحمه الله - رسالة جامعة في علامات المهدي، منتخبة من رسائل السيوطي - رحمه الله - واستفتى من علماء عصره الموجودين في مكة من المذاهب الأربعة، وقد أفتوا." (١)

"٧٤٩٠ - (لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلا من أهل بيتي) لفظ الترمذي لا تذهب الدنيا حتى يملك رجل من أهل بيتي (يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما) القسط بكسر القاف العدل والجور الظلم فالجمع للمبالغة وفيه رد لقول الرافضة إن المهدي هو الإمام أبو القاسم محمد الحجة ابن الإمام أبي محمد الحسن الخالص وأنه المهدي المنتظر لأنه وإن وافق اسمه اسمه لكن اسم أبيه ليس موافقا لاسم أبيه

(حم د عن ابن مسعود) وكذا أخرجه الترمذي وقال: حسن صحيح رمز المصنف لحسنه." (٢)

"الرومي عن إقامته، فانصرفا [١] مغلوبين، وعند الكيسانية [٢] أن ابن الحنفية لم يمت، وأنه المهدي الذي يخرج في آخر الزمان [٣] ، وفي ذلك يقول كثير عزة:

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح الملا على القاري ٣٤٤٣/٨

(٢) فيض القدير المناوي ٣٣٢/٥

ألا إن الأئمة من قريش ... ولاة الحق أربعة سواء

علي والثلاثة من بنيه ... هم الأسباط ليس بهم خفاء

فسبط سبط إيمان وبر ... وسبط غيبته كربلاء

وسبط لا يذوق الموت حتى ... تعود [٤] الخيل يقدمها [٥] اللواء

نراه مخيما بجبال رضوى ... مقيما [٦] عنده عسل وماء [٧]

ولما اتسق الأمر لابن الزبير دعا محمدا وابن عباس إلى بيعته فقالا:

حتى يجتمع الناس على بيعتك، ثم أراد ابن عباس بعد تمهل أن يبايعه، فأبى ابن الزبير، فرد عليه ابن عباس قولا شديدا، يتضمن التنويه بعبد الملك، والغض منه، وذلك مذكور في «صحيح البخاري» [٨] .

وفيها سويد بن غفلة الجعفي بالكوفة، وقدم المدينة وقد دفنوا

---

[١] أي الروميان.

[٢] الكيسانية: طائفة مشهورة من الرافضة، منسوبة للمختار بن أبي عبيد الثقفي. انظر «تاج العروس» للزبيدي «كيس» (١٦/ ٤٦٤) ، و «لسان العرب» «كيس» (٥/ ٣٩٦٧) .

[٣] وذلك فيما ذهب إليه طائفة من الشيعة أنه حي يرزق وأنه ينتظر خروجه في آخر الزمان، كما تنتظر طائفة أخرى منهم الحسن بن محمد العسكري الذي يخرج في زعمهم من سرداب سامرا، وليس على ذلك دليل صحيح (ع) .

[٤] في المطبوع: «تقول» وهو خطأ.

[٥] في الأصل: «يقوم» وهو خطأ.

[٦] في المطبوع: «مقيم» .

[٧] الأبيات في ديوانه ص (٥٢١) بتحقيق الدكتور إحسان عباس، طبع دار الثقافة ببيروت.

[٨] الذي في «البداية والنهاية» لابن كثير (٨/ ٢٣٩) : وبعث عبد الله بن الزبير إلى عبد الله بن عمر، ومحمد بن الحنفية وعبد الله بن عباس ليبايعوا، فأبوا عليه.." (١)

"وفيها محمد بن عبد الله بن تومرت المصمودي البربري، المدعي أنه علوي، حسني، وأنه المهدي. رحل إلى المشرق، ولقي الغزالي وطائفة، وحصل فنونا [١] من العلم، والأصول، والكلام، وكان رجلا ورعا ساكنا ناسكا في الجملة. زاهدا متقشفا شجاعا جلدا عاقلا، عميق الفكر، بعيد الغور، فصيحا مهيبا، لذته في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد، ولكن جره إقدامه وجرأته على حب الرئاسة والظهور وارتكاب المحظور، ودعوى الكذب والزور، من أنه حسني، وهو هرغي [٢] بربري وأنه إمام [٣] معصوم، وهو بالإجماع مخصوم. فبدأ أولا في الإنكار بمكة، فآذوه، فقدم مصر وأنكر، فطردوه، فأقام بالثغر مدة فنفوه، وركب البحر، فشرع ينكر على أهل المركب ويأمر وينهى، ويلزمهم بالصلاة. وكان مهيبا وقورا بزيق

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ابن العِماد الحنبلي ٣٣٢/١

الفقر، فنزل بالمهدية في غرفة، فكان لا يرى منكرا أو لهوا إلا غيره بيده ولسانه، فاشتهر وصار له زبون وشباب يقرؤون عليه في الأصول، فطلبه أمير البلد يحيى بن باديس وجلس له، فلما رأى حسن سمته وسمع كلامه احترمه وسأله الدعاء. فتحول إلى بجاية، وأنكر بها، فأخرجوه، فلقي بقرية ملالة عبد المؤمن بن علي شابا مختطا مليحا. فربطه عليه، وأفضى إليه بسره وأفاده جملة من العلم، وصار معه نحو خمسة [٤] أنفس، فدخل مراكش، وأنكر كعادته، فأشار مالك بن وهيب الفقيه على علي بن يوسف بن تاشفين بالقبض عليهم سدا للذريعة، وخوفا من الغائلة، وكانوا بمسجد داثر بظاهر مراكش،

[١] في «العبر» بطبعتيه: «فنا» .

[٢] قال ابن خلكان في «وفيات الأعيان» (٥/ ٥٥) : الهرغي: بفتح الهاء وسكون الراء، وبعدها غين معجمة، هذه النسبة إلى هرغة، وهي قبيلة كبيرة من المصامدة في جبل السوس في أقصى المغرب تنسب إلى الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، يقال: إنها نزلت في ذلك المكان عند ما فتح المسلمون البلاد على يد موسى بن نصير.

[٣] لفظة «إمام» سقطت من «ط» .

[٤] في «ط» : «خمس» .." (١)

"بل هي لرجل يخرج على ابن تاشفين، ثم يغلب على الأمر.

وكانت تهمة ابن تومرت في إظهار العقيدة والدعاء إليها، وكان أهل المغرب على طريقة السلف ينافرون الكلام وأهله.

ولما كثرت أصحابه أخذ يذكر المهدي ويشوق إليه، ويروي الأحاديث التي وردت فيه. فتلهفوا على لقائه، ثم روى ظمأهم وقال: أنا هو، وساق لهم نسبا ادعاه وصرح بالعصمة، وكان على طريقة مثلي لا تنكر [١] معها العصمة، فبادروا إلى متابعته، وصنف لهم مصنفات مختصرات، وقوي أمره في سنة خمس عشرة وخمسمائة.

فلما كان في [سنة] سبع عشرة جهز عسكرا من المصامدة أكثرهم من أهل تينمل، والسوس، وقال: اقصدوا هؤلاء المارقين [من] المرابطين، فادعوهم إلى إزالة البدع والإقرار بالإمام المعصوم، فإن أجابوكم وإلا فقاتلوهم.

وقدم عليهم عبد المؤمن، فالتقاهم الزبير ولد أمير المسلمين، فانهزمت المصامدة [٢] ونجا عبد المؤمن، ثم التقوهم مرة أخرى فنصرت الصامدة واستفحل أمرهم، وأخذوا في شن الإغارات على بلاد ابن تاشفين، وكثر الداخلون في دعوتهم، وانضم إليهم كل مفسد ومريب، واتسعت عليهم الدنيا، وابن تومرت في ذلك كله لون واحد من الزهد، والتقلل، والعبادة، وإقامة السنن والشعائر، لولا ما أفسد القضية بالقول بنفي الصفات كالمعتزلة، وبأنه المهدي، وبتسرعه في الدماء، وكان ربما كاشف أصحابه ووعدهم بأمور فتوافق، فيفتنون به، وكان كهلا أسمر عظيم الهامة ربعة حديد النظر، مهيبا، طويل الصمت، حسن الخشوع والسمت، وقبره مشهور معظم، ولم

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ابن العِماد الحنبلي ٦/١١٧

[١] في «العبر» بطبعتيه: «لا ينكر» .

[٢] تحرفت في «آ» و «ط» إلى «المصادمة» والتصحيح من «العبر» (٤/ ٦١) .." (١)

"سنة سبع عشرة وسبعمائة

في مستهل صفرها شرع في بناء جامع تنكز [١] ظاهر دمشق.

وفي صفرها أيضا كانت الزيادة العظمى ببعلبك، فغرق في البلد مائة وبضع وأربعون نسمة، وخرق السيل سورها الحجارة مساحة أربعين ذراعا، ثم تدكدك يعد مكانه بمسيرة نحو من خمسمائة ذراع، فكان ذلك آية بينة، وتهدم من البيوت والحوانيت نحو ستمائة موضع.

وفيها ظهر جبلي ادعى أنه المهدي بجبلة [٢] ، وثار معه خلق من النصيرية والجهلة، وبلغوا ثلاثة آلاف، فقال: أنا محمد المصطفى مرة، ومرة قال: أنا علي، وتارة قال: أنا محمد بن الحسن المنتظر، وزعم أن الناس كفرة، وأن دين النصيرية هو الحق، وأن الناصر صاحب مصر قد مات، وعاثوا بالساحل واستباحوا جبلة، ورفعوا أصواتهم بقول [٣] لا إله إلا علي، ولا حجاب إلا محمد، ولا باب إلا سلمان، ولعنوا الشيخين [٤] وخربوا المساجد، وكانوا يحضرون المسلم إلى

---

[١] قلت: وقال ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٤/ ٨١) في تأريخه لأحداث سنة (٧١٦) ما نصه: في صفر شرع في عمارة الجامع الذي أنشأه ملك الأمراء تنكز ظاهر باب القصر تجاه حكر السماق على نهر بانياس، وتردد العلماء والقضاة في تحرير قبلته، فاستقر الحال في أمرها على ما قاله ابن تيمية.

وانظر ما كتبه عن هذا الجامع الدكتور أسعد طلس في «ذيله» على «ثمار المقاصد في ذكر المساجد» لابن المبرد المنشور بتحقيقه ص (٢٠٢) .

[٢] انظر تفاصيل خروج هذا الضال في «دول الإسلام» (٢/ ٢٢٤) و «البداية والنهاية» (١٤/ ٨٣) .

[٣] في «ط» : «وقالوا» .

[٤] يعني أبا بكر وعمر رضي الله عنهما وأرضاهما وجمعنا بهما يوم القيامة تحت لواء سيد المرسلين." (٢)

"واشتهر بذلك، وكان يعيش عيش الملوك ولا يتردد لأحد، وكان ينسب إلى الرفض لأنه كان لا يصلي الجمعة، ويدعي من يتبعه أنه المهدي، وكان في [١] أول أمره قدم حلب- أي من بلاد العجم التي نشأ بها- فنزل بجامعها منقطعا عن الناس، فذكر للظاهر أنه يعرف الطب معرفة جيدة، فأحضره إلى القاهرة ليداوي ولده فلم ينجع، فاستمر مقيما بمنزله على شاطئ النيل إلى أن مات في جمادى الآخرة وقد جاوز الثمانين، وخلف موجودا كثيرا ولم يوص بشيء، فنزل قلمطاي الدويدار الكبير فاحتاط على موجودة فوجد عنده جام ذهب وقوارير فيها خمر وزنانير للرهبان ونسخة من الإنجيل، وكتبا تتعلق بالحكمة والنجوم والرمل، وصندوق فيه فصوص مثمنة على ما قيل.

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ابن العِماد الحنبلي ٦/١١٩

(٢) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ابن العِماد الحنبلي ٨/٧٨

وفيها برهان الدين أبو الوفا إبراهيم بن نور الدين أبي الحسن علي بن محمد بن أبي القاسم فرحون بن محمد بن فرحون اليعمري المدني المالكي [٢] .

ولد بالمدينة الشريفة، ونشأ بها، وسمع من الحافظ جمال الدين المطري، والوادياشي. سمع منه «الموطأ» ، وغيرهما.

وتفقه وبرع، وصنف، وجمع، وحدث، وولي قضاء المالكية بالمدينة المنورة، وكانت وفاته بها في ذي الحجة ودفن بالبقيع وقد جاوز التسعين.

وفيها نجم الدين أحمد [بن إسماعيل] [٣] بن محمد بن أبي العز [بن صالح بن أبي العز] [٤] وهيب [٥] الأذرعي ثم الدمشقي الحنفي، المعروف بابن الكشك [٦] .

---

[١] لفظة «في» سقطت من «ط» .

[٢] انظر «إنباء الغمر» (٣/ ٣٣٨) و «الدرر الكامنة» (١/ ٤٨) و «التحفة اللطيفة» (١/ ١٣٢) .

[٣] ما بين الحاصرتين سقط من «آ» .

[٤] ما بين القوسين سقط من «ط» .

[٥] كذا في «إنباء الغمر» و «الدرر» : «وهيب» وفي «آ» و «ط» : «وهب» .

[٦] انظر «إنباء الغمر» (٣/ ٣٣٩) و «الدرر الكامنة» (١/ ١٠٧) و «النجوم الزاهرة» (١٢/ ١٦٠) و «الطبقات السنية» (١/ ٢٨٤) .." (١)

"سنة ثمان وأربعين وثمانمائة

فيها كان بالقاهرة الطاعون العظيم بحيث كان يخرج في اليوم الواحد ما يزيد على الألف [١] .

وفيها توجه الشيخ شمس الدين محمد بن أحمد الفرياني- بضم الفاء، وكسر الراء المشددة، نسبة إلى فريانة قرية قرب سفاقس- المغربي إلى جبال حميدة بالأرض المقدسة، وهي جبال شاهقة صعبة المرتقى ليس لها مسلك يسع أكثر من واحد وبأعلى جبل منها سهلة بها مزدرع وعيون ماء وكروم، وأقوام في غاية المنعة والقوة، من التجأ إليهم أمن ولو حاربه السلطان فمن دونه، فنزل الفرياني عندهم، وادعى أنه المهدي، وقيل: ادعى أنه القحطاني، وراج أمره هناك، وكان قدم القاهرة وأكثر التردد إلى المقريزي وواظب الجولان في قرى الريف الأدنى بعمل المواعيد ويذكر الناس، وكان يستحضر كثيرا من التواريخ والأخبار الماضية، ويدعى معرفة الحديث النبوي ورجاله، وتحول عن مذهب مالك، وادعى أنه يقلد الشافعي، وولي قضاء نابلس إلى أن ظهر منه ما ظهر [٢] .

وفيها شهاب الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم الفيشي [٣]- بالفاء والشين المعجمة بينهما تحتية مثناة- الحنائي- بكسر المهملة وتشديد النون مع المد [٤]- النحوي المالكي.

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ابن العِماد الحنبلي ٦٠٨/٨

[١] انظر «إنباء الغمر» (٩/ ٢١٩- ٢٢٠) و «حوادث الدهور» (١/ ١٠٣- ١٠٤) .

[٢] انظر خبره في «إنباء الغمر» (٩/ ٢٢٦- ٢٢٨) .

[٣] ترجمته في «إنباء الغمر» (٩/ ٢٢٨) و «الضوء اللامع» (٢/ ٦٩) و «بغية الوعاة» (١/ ٣٥٦) و «معجم الشيوخ» لابن فهد ص (٨٠- ٨١) .

[٤] تنبيه: كذا قيدها المؤلف رحمه الله، والذي في «إنباء الغمر» و «الضوء اللامع» : «الحناوي» .." (١)

"وقد رأينا في وقتنا هذا من استولت عليه هذه الوساويس حتى وقع في شبه صاحب المانلخويا بحيث لو اطلع الناس على ما هو فيه رموه في المارستان، ولكن ستر الله تعالى يغطي على عبيده.

مهدوية أحمد بن أبي محلى

وممن ابتلي بهذا قريبا أحمد بن عبد الله بن أبي محلى، وكان صاحب ابن مبارك التستاوتي في الطريق حتى حصل له نصيب من الذوق، وألف فيها كتبا تدل على ذلك، ثم نزعت به هذه النزعة، فحدثونا أنه في أول أمره كان معاشرا لابن أبي بكر الدلائي المتقدم الذكر، وكان البلد إذ ذاك قد كثرت فيه المناكر وشاعت، فقال لابن أبي بكر ذات ليلة: هل لك أن تخرج غدا إلى الناس فتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، فلم يساعفه لما رأى من تعذر ذلك لفساد الوقت وتفاقم الشر، فلما أصبحا خرجا، فأما ابن أبي بكر فانطلق إلى ناحية النهر فغسل ثيابه وأزال شعثه بالحلق، وأقام صلاته وأوراده في أوقاتها، وأما ابن أبي محلى فتقدم لما هم به من الحسبة فوقع في شر وخصام أداه إلى فوات الصلاة عن الوقت ولم يحصل على طائل، فلما اجتمعا بالليل قال له ابن أبي بكر: أما أنا فقد قضيت مآربي، وحفظت ديني، وانقلبت في سلامة وصفاء، ومن أتى منكرا فالله " هو " حسيبه أو نحو هذا، وأما أنت فانظر ما الذي وقعت فيه. ثم لم ينته إلى أن ذهب إلى بلاد القبلة ودعا لنفسه وادعى أنه المهدي المنتظر، وأنه بصدد الجهاد، فاستخف قلوب العوام واتبعوه، فدخل بلد سجلماسة وهزم عنه والي الملوك السعدية واستولى عليه، ثم أخرجهم من درعة، ثم تبعهم إلى حضرة مراكش، وفيها زيدان بن أحمد المنصور فهزمه. وأخرجه منها، وذهب فاستغاث بأهل السوس الأقصى فخرجوا إلى ابن أبي محلى فقتلوه وهزموا عسكره شذر مذر فكان آخر العهد به، ورجع زيدان إلى ملكه. وحدثونا أنه كان ذات يوم عند أستاذه ابن مبارك قبل ذلك فورد عليه وارد حال فتحرك وجعل يقول: أنا سلطان، أنا سلطان، فقال له الأستاذ: يا أحمد " هب أنك تكون سلطانا ") إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا (.

وفي يوم آخر وقع للفقراء سماع فتحرك وجعل يقول: أنا سلطان، فتحرك فقير أخر في ناحية وجعل يقول: ثلاث سنين غير ربع، وهذه هي مدة ملكه، " وقد رمزوا له ذلك " فقالوا: قام طيشا، ومات كبشا، أي قام في تسعة عشر بعد ألف، ومات في اثنين وعشرين بعدها. وزعموا أن إخوانه من الفقراء ذهبوا إليه حين دخل مراكش برسم زيارته وتهنئته، فلما كانوا بين يديه أخذوا يهنئونه ويفرحون له بما حاز من الملك، وفيهم رجل ساكت لا يتكلم، فقال: ما شأنك لا تتكلم؟ وألح عليه في الكلام، فقال له الرجل: أنت اليوم سلطان، فإن أمنتني على أن أقول الحق قلته، فقال له: أنت آمن فقل، فقال: إن الكرة

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ابن العِماد الحنبلي ٣٨١/٩

التي يلعب بها يتبعها المائتان وأكثر من خلفها، وينكسر الناس وينجرحون، وقد يموتون، ويكثر الصياح والهول فإذا فتشت لم تجد " بداخلها " إلا شراويط أي خرقا بالية ملفوفة فلما سمع ابن أبي محلى هذا المثال وفهمه بكى وقال: رمنا أن نحيي الدين فأتلفناه.

واعلم أن هذه الدعوى أعني دعوى الفاطمية بلوى قديمة كما أشار إلى ذلك بعض الأئمة، وكان الشيعة ادعوا ذلك لزيد بن علي، فلما قام على هشام ظفر به يوسف بن عمر فصلبه، فقال بعض شعراء بني مروان يخاطب الشيعة:

صلبنا لكم زيدا على جذع نخلة ... ولم نر مهديا على الجذع يصلب

لله الأمر من قبل ومن بعد

المهدي بن تومرت وأتباعه." (١)

"ذكره ابن أبي الرجال في تاريخه وقال في ترجمته كان من نوادر الزمان نبيها زكيا أحاط بعلوم جمة وتمكن من قواعد المذهب ثم قرأ كتب الحنفية وولي القضاء للأروام بصنعاء وقضى بمذهبهم وكان في علوم المعقول والأدوات نسيج وحده وكان يقضي للأروام بلغتهم وللفارسيين بلغتهم وللعرب بلغتهم وكان من أعيان الزيدية قرأ على المفتي وغيره منهم ثم أخلط في آخر عمره قال حكى بعض الشافعية اختلط صاحب الترجمة لجودة ذكائه وأحرقت إلا لمعية عقله وكان يذكر أنه المهدي المنتظر ومن أرجوزة له إلى السيد أحمد بن الإمام القاسم وولد أخيه الحسين قال فيها

(من الإمام المهدي المرتضى للرشد ... إلى المليك أحمد ثم الحسين الأرشد)

إلى آخرها وتارة يقول أنه الدابة التي تكلم الناس وله أجوبة مسكتة وأشعار فائقة في ضبط العلوم ومن شعره قوله

(قاضي الجمال أتى يجر ذيوله ... كالغصن حركة النسيم الساري)

(لبس السواد فعاد بدر في الدجى ... لبس البياض فكان شمس نهار)

(قالت رياض الحسن هذا مالكي ... قد أقرأ الحنفي في الأزهار)

ثم دخل مكة فاشتغل به العلماء هنالك وكان مكي فروخ الحنفي على جلالة قدره بخدمة للطهور وكانت وفاته بمكة في إفراد سنة خمسين وألف

أحمد بن علي بن عبد الرحمن بن محمد جلاخ باقشير الشيخ الإمام المفنن في العلوم ولد بحضرموت ببلدة المسماة بالعجر وحفظ القرآن على يد جد لأمه الهادي باقشير وقرأ بالتجويد وحفظ الجزرية وغيرها من فن القرآت والتجويد وحفظ الإرشاد والألفية والقطر وغيرها وجل محفوظاته على مشايخه ولازم جده المذكور وأخذ عنه التصوف ورباه فأحسن تربيته وأخذ عن جماعة بحضرموت ثم رحل إلى المستفاض وأقام عند ضريح العارف بالله تعالى الشيخ الجوهري مدة لتعليم القرآن وتدريس العلم النافع وانتفع به كثير من أهل تلك الجهة ثم ارتحل إلى مكة المكرمة وحج وأقام بها وتبوأ صحن مسجدها الشريف

---

(١) المحاضرات في اللغة والأدب الحسن اليوسي ص/٥٥

فلقي مكة سادات أعلام كالشيخ عبد الله باقشير أخذ عنه علم التوحيد القرآت وقرأ عليه للسبع بعد أن حفظ الشاطبية وحلها عليه وقرأ عليه شرحها وأخذ الفقه عن الشيخ عبد العزيز الزمزمي وعن الشيخ علي الجمال الفقه والفرائض والحساب ولازمه في هذين الفنين وأخذ الفرائض والحساب وأيضا عن الشيخ أحمد بن تاج الدين رئيس." (١)

"والله لا كلمتها ولو انها ... كالشمس أو كالبدر أو كالمكتفي)

كان وسيما جميلا بديع الحسن وردى اللون معتدل الطول أسود الشعر قال الصفدي في شرح اللامية ومن أين للمكتفي صفة الحسن والذي دلت عليه التواريخ أنه كان أسمر أعين قصيرا وليست هذه من صفات الحسن قلت المثبت مقدم على النافي سيما وأكثر التواريخ فيها وصفه بالحسن كما هنا وكان إلى حب علي بن أبي طالب امتدحه شاعر بقصيدة يذكر فيها فضل أولاد العباس على أولاد علي فقطع المكتفي عليه إنشاده وقال كأنهم ليسوا ابني عم وإن لم يكونوا خلفاء ما أحب أن يخاطب أهلنا بشيء من ذلك ولم يسمع القصيدة ولا أجازه عليها وذكر عبد الغفار في تاريخ نيسابور عن أبي المديني وكان معلما للمكتفي قبل أن يلي الخلافة فلما أفضت إليه كتب إليه بهذين البيتين من // (الخفيف) //

(عند أهل التقى وأهل المروة ... حق الاستاذ فوق حق الأبوة)

(وأحق الأنام أن يحفظوا ذاك ... ويرعوه أهل بيت النبوه)

ومن أعظم الحوادث في أيام المكتفي ظهور القرامطة الملحدين بل الكفرة أعداء الدين فأول من خرج منهم يحيى بن بهرويه القرمطي وكانت دار ملكهم هجر وهم طائفة إباحية يدعون أن الإمام الحق بعد النبي

محمد بن الحنفية ويسندون إليه أقاويل باطلة لا أصل لها فجهز عليه المكتفي جيوشا فقتله فقام بعده أخوه الحسين وظهر شأنه وظهر ابن عمه عيسى ابن مهرويه ويلقب بالمدثر وزعم أنه المراد بالسورة الشريفة يا أيها المدثر ولقب غلاما مظلما بالمطوق بالنور وزعم أنه المهدي ودعا لنفسه على المنابر وأفسد بالشام وعاث فحارب المكتفي الثلاثة وقتلهم وطيف برءوسهم في البلاد في سنة إحدى وتسعين ومائتين ولم يطل زمان المكتفي توفي ليلة الأحد لاثنتي عشرة خلت من ذي القعدة سنة خمس وتسعين ومائتين ومدة خلافته ست سنين وسبعة أشهر وعمره إحدى وثلاثون سنة وثمانية أشهر وثلاثة عشر يوما." (٢)

"وما إليها من الفجاج وأسعفه بقضاء كل ما يحتاج فعزم وقد ثلجت الصدور وانتظمت الأمور

وفيها خرج على الإمام السيد محمد بن علي الحيداني المعروف بالفوطي وقال أنا إمام وإسماعيل إمام فقالت له الأقدار صمى صمام لا خلف ولا إمام فخرج من بيته إلى برط ثم نزل منه إلى الجوف ثم إلى بلاد خولان ثم تجاوز إلى بلاد المصعبين بلاد قايفه روى عنه أنه أظهر في سفره هذا أنه المهدي المنتظر وتكفير جميع المسلمين إلا من اتصف بمذهب أبي الجارود وعند ذلك قاتله أهل المصعبين حتى عاد إلى مسكنه بخفى حنين بعد أن نهبت كتبه وثيابه وانقطعت فيما يروم أسبابه وكان صفي

---

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر المحبي ٢٥١/١

(٢) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي العصامي ٤٨٢/٣

الإسلام أحمد ابن الإمام قد تقدم بجنده إلى الجهات الرداعية لتسكين قلوب الرعية وتحذيرا لهم من الإغترار والميل إلى ضوء هذه النار فانحسم ضرره قبل أن يصل إليه شرره ٥٧ واستقر بعد ذلك في البؤس وقتلت في صحائف دعوته نفوس فلا قوة إلا بالله العلي العظيم وكان مما جرأه على ذلك أنه ذكر له." (١)

"فزرعت الذرة والبر والشعير والجلجلان ولم تنبت الفواكه والبن بعد تكرير الغرس إنما كان ينبت الشجر ولا ينبث له ثمر وفي أول جمادى الأولى ظهر نجم في المشرق له ذنب طويل ونور مستطيل في مقدار سبعة أذرع ثم انتقل إلى وسط السماء واعوج كالقوس ثم عاد إلى الإستقامة وإبتدأ ظهوره في برج الثور وقت السحر ثم انتقل إلى المغرب ثم عاد إلى المشرق وقبل الفجر ثم بعد نحو شهرين إضمحل وهو من النيازك وقد جاء في الحديث النبوي ما يقضي أن ظهورها معلم لإرتفاع الأسعار وقد جرت بذلك العادات في غالب الأوقات وفيه وقع ببلاد برط وقت العصر صعقات لنجوم خرت من السماء فوقعت ببلد هناك تسمى العنان وسمعت أصواتها في بلاد سفيان وفي تاسع وعشرين من جمادي الآخرة كسفت الشمس وقت صلاة الضحى من يوم الجمعة في برج الجدي بعقدة الذنب

وفيها وصل السلطان بدر بن عبد الله الكثيري إلى الإمام من طريق الجوف وكان قد أعد للإمام هدية فانتهبتها بدو المعضة عليه أهل المشرق واستأذن السلطان بدر الإمام في الحج ومعه ولد أخيه فسار ومات بطريق الحج فرجح رأي الإمام أن يوجه للشحر نائبا فسير إليها الفقيه أمير الدين القرشي وقرريد ولد السلطان على ولاية حضرموت وما إليها وهو السلطان محمد ابن بدر

وفي رجب ظهر في جبل جبع من مساقط بلاد حفاش رجل ينادي ويعظ الناس ولا يعرف له محل مخصوص دخل هيجة لاحمة وتوارى بها أياما وسمى نفسه عبد الله وادعى تارة أنه واعظ شريف وتارة أنه المهدي وليس هذا زمان." (٢)

"(لو لم [٤/ ٥٤] يبق من الدنيا إلا يوم لطوله الله حتى يملك رجل من أهل بيتي) يحتمل أنه المهدي ويحتمل أنه غيره والأول أظهر. (يملك جبل الديلم) مضبوط فيما قوبل على خط المصنف بالمثناه التحتية أي عالم الديلم بفتح المهملة واللام. (والقسطنطينية) بضم القاف وسكون السين وفتح الطاء وسكون النون وكسر الطاء الثانية: أعظم مدن الروم وكأنه خصها لأنها أعظم المدن فما يملكها إلا وقد ملك ما دونها. (هـ (١) عن أبي هريرة) رمز المصنف لحسنه.

٧٤٧٤ - "لو مرت الصدقة على يدي مائة لكان لهم من الأجر مثل أجر المبتدئ من غير أن ينقص من أجره شيئا. (خط) عن أبي هريرة".

(لو مرت الصدقة) النفل أو الفرض (على يدي) بالتثنية (مائة) من الساعين فيها. (لكان لهم) أي لكل واحد منهم (من الأجر مثل أجر المبتدئ) أي المخرج لها من ماله. (من غير أن ينقص من أجره شيئا) فيه الحث على المشاركة في الصدقة والسعي فيها.

---

(١) تاريخ اليمن خلال القرن الحادي عشر = تاريخ طبق الحلوى وصحاف المن والسلوى الوَزِير الصنعاني ص/١٢٦

(٢) تاريخ اليمن خلال القرن الحادي عشر = تاريخ طبق الحلوى وصحاف المن والسلوى الوَزِير الصنعاني ص/١٩٥

إن قلت: المبتدئ أخرج جزءا من ماله فكيف يماثله أجر من لم يخرج من ماله شيئا.

قلت: المثلية لا تستلزم المساواة من كل وجه وله نظائر مثل "من عزى مصابا كان له مثل أجره".

(خط (٢) عن أبي هريرة)، سكت المصنف عليه وفيه عبد الله بن سعيد المقبري، قال في الضعفاء للذهبي (٣): تركوه.

٧٤٧٥ - "لو نجا أحد من ضمة القبر لنجا سعد بن معاذ، ولقد ضمه ضمة

---

(١) أخرجه ابن ماجة (٢٧٧٩)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٤٨٤٦)، والضعيفة (٤٣٦١).

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٧/ ١٣١)، وأورده الألباني في ضعيف الجامع (٤٨٤٧)، والضعيفة (١٦٠٣) وقال: ضعيف جدا.

(٣) انظر المغني في الضعفاء (١/ ٣٤٠)، وتقريب التهذيب (١/ ٣٠٦).." (١)

"الدنيا بحذافيرها من كل ناحية لزم داره واحتجب عن اصحابه الذين كان يلم بهم قبل ذلك إلا في النادر لغرض من الاغراض وترك الدروس والأقراء واعتكف بداخل الحريم وأغلق الباب ورد الهدايا التي تأتيه من أكابر المصريين ظاهره وأرسل إليه مرة أيوب بك الدفتردار مع نجله خمسين أربا من البر وإحمالا من الأرز والسمن والعسل والزيت وخمسمائة ريال نقود وبقج كساوى أقمشة هندية وجوخا وغير ذلك فردها وكان ذلك في رمضان وكذلك مصطفى بك الأسكندراني وغيرهما وحضر إليه فاحتجب عنهما ولم يخرج إليهما ورجعا من غير أن يواجهاه ولما حضر حسن باشاالصور التي حضر فيها إلى مصر لم يذهب إليه بل حضر هو لزيارته وخلع عليه فروة تليق به وقدم له حصانا معدودا مرختا بسرج وعباءة قيمته ألف دينار أعده وهياه قبل ذلك وكانت شفاعته عنده لا ترد وأن أرسل إليه إرسالية في شيء تلقاها بالقبول والاجلال وقبل الورقة قبل أن يقرأها ووضعها على رأسه ونفذ ما فيها في الحال وأرسل مرة إلى أحمد باشا الجزار مكتوبا وذكر له في أنه المهدي المنتظر وسيكون له شأن عظيم فوقع عنده بموقع الصدق لميل النفوس إلى الأماني ووضع ذلك المكتوب في حجابه المقلد به مع الإحراز والتمائم فكان يسر بذلك إلى بعض من يرد عليه ممن يدعى المعارف في الجفور والزايرجات ويعتقد صحته بلا شك ومن قدم عليه من جهة مصر واجمع سأله عن المترجم فإن أخبره وعرفه أنه اجتمع به وأخذ عنه وذكره بالمدح والثناء احبه وأكرمه وأجزل صلته وأن وقع منه خلاف ذلك قطب منه وأقصاه عنه وابعده ومنع عنه بره ولو كان من أهل الفضائل واشتهر ذلك عنه عند من عرف منه ذلك بالفراسة ولم يزل على حسن اعتقاده في المترجم حتى انقضى نحبهما واتفق أن مولاي محمدا سلطان المغرب رحمه الله وصله بصلات قبل انجماعه الأخير وتزهده وهو يقبلها ويقابلها بالحمد والثناء والدعاء فأرسل له في سنة احدى ومائتين صلة لها قدر فردها وتورع عن قبولها وضاعت." (٢)

---

(١) التنوير شرح الجامع الصغير الصنعاني ١٧٨/٩

(٢) تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار الجبرتي ١١٠/٢

"ثم قرأ فقه الحنفية وتولى القضاء للأروام بصنعاء وكان يقضى بمذهبهم ويفتيهم بلسانهم ويفتي أهل فارس باللغة الفارسية والعرب باللغة العربية مع تبحر في علم المعقول وشيخه في فقه مذهبة السيد المفتى الزيدي ثم أنه اختلط بآخره لدقة فكره واشتغال ذهنه وكان يذكر أنه المهدي المنتظر وتارة يقول هو الدابة التى تكلم الناس وله أشعار فائقة ثم دخل مكة وتوفى بها في أفراد الخمسين بعد الألف

٢٤٩ – عبد القادر بن محمد الطبري المكي الشافعي

ولد سنة ٩٧٢ اثنتين وسبعين وتسعمائة وبرع في جميع الفنون وفاق وله مصنفات منها شرح الدريدية المسمى بالآيات المقصورة على الابيات المقصورة وحسن السريرة فى حسن السيرة وله بديعية وشرحها وسماها علي الحجة بتأخير أبى بكر ابن حجة وله نشاءات السلافة بمنشآت الخلافة وشرح قطعة من ديوان المتنبي وله عدة رسائل وكان شريف مكة حسن ابن أبي نمي يكرمه إكراما عظيما ولهذا كان أكثر مصنفاته باسمه ومن لطيف ما وقع له أنه لما صنف شرح الدريدية المتقدم ذكره باسم الشريف المذكور ووصل به اليه كان ذكر له أنه أنشأ بيتين فيهما تاريخ تمام تأليفه على لسان الكتاب وهما

(أرخني مؤلفي ... ببيت شعر ما ذهب)

(أحمد جود ماجد ... أجازني ألف ذهب)

فتبسم الشريف ووضع الكتاب في حجره ووضع يده على رأسه وقال على الرأس والعين والله إن ذلك نزر يسير في مقابلته وإني أحمد الله الذي أوجد مثلك في زمني واتفقت له محنة كانت سبب موته وذلك أنه." (١)

"وأمرهم أن يخرجوا العشر من جميع الثمار وأباح لهم أن يتزوج الرجل من النساء ما شاء ولا يتزوج من بنات عمه ويطلقون ويراجعون ألف مرة في اليوم فلا تحرم عليهم المرأة بشيء من ذلك وأمرهم بقتل السارق حيث وجد وزعم أنه لا يطهره من ذنبه إلا السيف وأن الدية تكون من البقر وحرم عليهم رأس كل حيوان والدجاجة مكروه أكلها وقدوتهم في الأوقات الديكة وحرم عليهم ذبحها وأكلها ومن ذبح ديكا أو أكله أعتق رقبة وأمرهم أن يلحسوا بصاق ولاتهم على سبيل التبرك فكان يبصق في أكفهم فيلحسونه ويحملونه إلى مرضاهم يستشفون به ووضع لهم قرآنا يقرؤونه في صلواتهم ويتلونه في مساجدهم وزعم أنه نزل عليه وأنه وحي من الله تعالى إليه ومن شك في ذلك فهو كافر والقرآن الذي شرع لهم ثمانون سورة سماها لهم بأسماء النبيين وغيرهم منها سورة آدم وسورة نوح وسورة فرعون وسورة موسى وسورة هارون وسورة بني إسرائيل وسورة الأسباط وسورة أيوب وسورة يونس وسورة الجمل وسورة الديك وسورة الحجل وسورة الجراد وسورة هاروت وماروت وسورة إبليس وسورة الحشر وسورة غرائب الدنيا وفيها العلم العظيم بزعمهم حرم فيها وحلل وشرع وفصل وتسمى فيهم بصالح المؤمنين وقال أنا صالح المؤمنين الذي ذكره الله في كتابه الذي أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم كما حكاه البكري عن زمور بن صالح الوافد منهم على الحكم المستنصر الخليفة بقرطبة من قبل ملكهم يومئذ أبي منصور عيسى بن أبي الأنصار سنة ثنتين وخمسين وثلاثمائة وكان يترجم عنه بجميع خبره داود بن عمر المسطاسي قال وكان ظهور صالح هذا في خلافة هشام بن عبد الملك سنة سبع وعشرين ومائة

---

(١) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع الشوكاني ٣٧١/١

وقد قيل إن ظهوره كان لأول الهجرة وأنه انتحل ذلك عنادا ومحاكاة لما بلغه من شأن النبي صلى الله عليه وسلم والأول أصح ثم زعم أنه المهدي الأكبر الذي يخرج." (١)

"وقال ابن الخطيب في رقم الحلل كانت وقعة البحيرة بأحواز مراكش قد استأصلت معظم أصحاب المهدي وكادت تأتي عليهم ومع ذلك فلم تضع منه ولا وهنت صبره وكان يقول مثل هذا الأمر كالفجر يتقدمه الفجر الكاذب وبعده ينبلج الصبح ويستعلي الضوء ويأمرهم باتخاذ مرابط الخيل التي ينالون من فيء عدوهم بعدها وإنه يعطي الرجل على قدر ما أعد من الرباط إلى غير ذلك

فهذا خبر المهدي مختصرا من ابن خلدون ممزوجا بما نقله ابن خلكان من ذلك وقد ساق ابن أبي زرع في القرطاس خبر المهدي هذا وفيه بعض مخالفة لما تقدم فلنأت به وإن أدى إلى بعض التكرار زيادة في الإمتاع وتحلية للأسماع فنقول

قال ابن أبي زرع ما ملخصه إن المهدي رحل إلى المشرق في طلب العلم ولقي مشايخ وسمع منهم وأخذ عنهم علما كثيرا وحفظ جملة من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ونبغ في علم الأصول والاعتقادات

وكان في جملة من لقي من العلماء الشيخ أحمد الغزالي رضي الله عنه لازمه ثلاث سنين وكان الشيخ أبو حامد كثيرا ما يشير إلى المهدي ويقول إنه لا بد أن يكون له شأن ونمى الخبر بذلك إلى المهدي فلم يزل يتقرب إلى الشيخ بأنواع الخدمة حتى أطلعه على ما عنده من العلم في ذلك فلما تحققت عنده الحال استخار الله وعزم على الترحال فخرج قاصدا بلاد المغرب غرة ربيع الأول سنة عشر وخمسمائة ولازم في طريقه درس العلم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى أن اجتمع به عبد المؤمن بن علي فبايعه على مؤازرته في الشدة والرخاء والعسر واليسر ثم قدم بلاد المغرب واستقر بمراكش وكانت له فصاحة وعليه مهابة فأخذ يطعن على المرابطين وينسبهم إلى الكفر والتجسيم ويشيع عند من يثق به ويسكن إليه أنه المهدي المنتظر الذي يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا وجرى منه." (٢)

"وبعث إليه من يأتيه برأسه فسمع بذلك بعض بطانته فمر مسرعا حتى إذا قرب من الخيمة قرأ قوله تعالى ﴿يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك﴾ فسمعها المهدي وفطن لها فانسل من حينه وخرج حتى أتى تينملل فأقام بها وذلك في شوال سنة أربع عشرة وخمسمائة ثم لحق به أصحابه العشرة السابقون إلى دعوته والمصدقون بإمامته وهم عبد المؤمن بن علي الكومي وأبو محمد البشير الوانشريسي وأبو حفص عمر بن يحيي الهنتاتي وأبو يحيي بن يكيت الهنتاتي وأبو حفص عمر بن علي آصناك وإبراهيم بن إسماعيل الخزرجي وأبو محمد عبد الواحد الحضرمي وأبو عمران موسى بن تمار وسليمان بن خلوف وعاشر فأقاموا بتينملل إلى رمضان من سنة خمس عشرة وخمسمائة فعظم صيته بجبل درن وكثرت أتباعه فلما رأى ذلك أظهر دعوته ودعا الناس إلى بيعته فبايعه العشرة البيعة الخاصة عقب صلاة الجمعة خامس عشر رمضان من السنة

ولما كان الغد وهو يوم السبت خرج المهدي في أصحابه العشرة متقلدين السيوف وتقدم إلى الجامع فصعد المنبر وخطب الناس وأعلمهم أنه المهدي المنتظر ودعاهم إلى بيعته فبايعوه البيعة العامة ثم بث دعاته في بلاد المصامدة يدعون الناس إلى

---

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى أحمد بن خالد الناصري ١٧١/١

(٢) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى أحمد بن خالد الناصري ٩٠/٢

بيعته ويزرعون محبته في قلوبهم بالثناء عليه ووصفه بالزهد وتحري الحق وإظهار الكرامات فانثال الناس عليه من كل جهة وسمى أتباعه الموحدين ولقنهم عقائد التوحيد باللسان البربري وجعل لهم فيه الأعشار والأحزاب والسور وقال من لم يحفظ هذا التوحيد فليس بموحد لا تجوز إمامته ولا تؤكل ذبيحته فاستولت محبته على قلوبهم وعظموه ظاهرا وباطنا حتى كانوا يستغيثون به في شدائدهم وينوهون باسمه على منابرهم ولم تزل الوفود تترادف عليه حتى اجتمع عليه جم غفير فلما علم أن ناموسه قد رسخ وسلطانه قد تمكن قام فيهم خطيبا وندبهم إلى جهاد المرابطين وأباح لهم دماءهم وأموالهم فانتدب الناس." (١)

"كان يتولى عليهم فأغضى السلطان عن ذلك وبالغ في الأنة القول له في كتابه ووعده بأنه إذا وصل إلى مراكش يشكيه من أخيه وفي أثناء ذلك وقبل وصول كتاب السلطان إليه أغرى إخوانه بالخروج عن طاعة السلطان والاشتغال بما يسخط الله ويرضي الشيطان فانبثت خيولهم في الطرقات ومخروها مخرا وانتسفوها نسفا وعمدوا إلى قوادهم الذين ولاهم المولى المأمون عليهم فقبضوا عليهم وأودعوهم السجن وانتهبوا دورهم ووصل المسافرون والتجارإلى باب السلطان مجردين عراة يشكون ما دهمهم من أمر الشراردة وتكاثر عليه شذاذهم فحينئذ استأنف السلطان جده وأرهف حده وكتب إلى أخيه المولى المأمون باستنفار قبائل الحوز وجمعها عليه حتى يقدم عليه وسار السلطان في جيش العبيد والودايا وآيت أدراسن وزمور وعرب بني حسن وبني مالك وسفيان وكتب إلى الشاوية ودكالة أن تكون خيلهم معدة حين يمر بهم وكان المهدي قد عظم ناموسه وتمكن من جهلة قومه وكاد يتجاوزهم إلى غيرهم حتى صار يعرض أو يصرح بأنه المهدي المنتظر وكان السبب الأقوى في طغيانه وطغيان قومه ما اتفق له في هزيمة السلطان المولى سليمان رحمه الله فظن المهدي وشراردته أن لا غالب لهم من الله ولما برز السلطان رحمه الله من رباط الفتح لقيه ركب الحجاج الذين انتهبهم هشتوكة والشياظمة الذين بأحواز آزمور وكانت العادة يومئذ بالمغرب أن ركاب الحاج تأتي من آفاق المغرب فتجتمع بفاس ومنها يخرج الركب على الهيئة المعهودة في ذلك الزمان فلما وصل هؤلاء الحجاج من أهل السوس وغيرهم إلى الشياظمة وهشتوكة انتهبوهم وجردوهم من المخيط والمحيط فسمع السلطان رحمه الله شكواهم وامتعض لانتهاك حرمتهم وزحف إلى هؤلاء المفسدين فأوقع بهم وقعة شنعاء بالموضع المعروف بفرقالة من أعمال آزمور حتى كانوا يلقون أنفسهم في البحر طلبا للنجاة بعد أن أثروا في المحلة أول النهار ثم كانت الكرة عليهم وحكم السلطان السيف في رقابهم وامتلأت أيدي العسكر من أثاثهم وماشيتهم وكانت هذه الوقعة طليعة الفتح ومقدمة الظفر ثم عبر إلى آزمور ومنها إلى الجديدة ثم سار مع الساحل." (٢)

"صحبته إذ عادته كانت الطمأنينة ولما توفي رحمه الله بقيت نحوا من ثلاث سنين عاطلا ثم تحلى النحر بدرر لطائفه الموعود بها فله الحمد على ما أسدى وله الشكر فيما أولى ثم ذكر بقية أشياخه كالشيخ أبي العباس المنجور والشيخ أبي العباس السوداني والشيخ سالم السنهوري وغيرهم ممن يطول ذكرهم قال ثم كملت الفائدة بعد المقفل من الحج فرجعت إلى الديار المغربية ونزلت بوادي الساورة ثم تحولت بجميع عيالي إلى الوادي المذكور هذا ملخص أوليته منقولا من كتابه المذكور

---

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى أحمد بن خالد الناصري ٩٢/٢

(٢) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى أحمد بن خالد الناصري ١٨/٣

وقال الشيخ أبو العباس أحمد التواتي رحمه الله تعالى في رسالته التي سماها مقامة التحلي والتخلي من صحبة الشيخ أبي محلي وهي رسالة طويلة مسجعة قال كان الفقيه أبو محلي في أول أمره فقيها صرفا ثم انتحل طريقة التصوف مدة حتى وقع على بعض الأحوال الربانية ولاحت له مخايل الولاية فانحشر الناس لزيارته أفواجا وقصدوه فرادى وأزواجا وبعد صيته وكثرت أتباعه قال فلما سمعت بذلك ذهبت إليه وجلست عنده إلى أن وجدته يشير إلى نفسه بأنه المهدي المعلوم المبشر به في صحيح الأحاديث فتركته وراء ونبذته بالعراء اه

وقال الشيخ اليوسي في محاضراته وقد تكلم على الدعوى الفاطمية ما نصه وممن ابتلي بها قريبا أحمد بن عبد الله بن أبي محلي التستاوتي خاض في الطريق حتى حصل له نصيب من الذوق وألف فيها كتابا يدل على ذلك ثم نزغت به هذه النزغة فحدثونا أنه كان في أول أمره معاشرا لمحمد بن أبي بكر الدلائي وكان البلد إذ ذاك قد كثرت فيه المناكر وشاعت فقال ابن أبي محلي لابن أبي بكر ذات ليلة هل لك في أن نخرج غدا إلى الناس فنأمر بالمعروف وننهى عن المنكر فلم يساعفه لما رأى من تعذر ذلك لفساد الوقت وتفاقم الشر فلما أصبحا خرجا فأما ابن أبي بكر فانطلق إلى ناحية النهر فغسل ثيابه وازال شعثه بالحلق وأقام صلاته وأوراده في أوقاتها." (١)

"وأما ابن أبي محلي فتقدم لما هم به من الحسبة فوقع في شر وخصام أداه إلى فوات الصلاة عن الوقت ولم يحصل على طائل فلما اجتمعا بالليل قال له ابن أبي بكر أما أنا فقد قضيت مآربي وحفظت ديني وانقلبت في سلامة وصفاء ومن أتى منكرا فالله حسيبه أو نحو هذا من الكلام وأما أنت فانظر ما الذي وقعت فيه ثم لم ينته إلى أن ذهب إلى بلاد القبلة ودعا لنفسه وادعى أنه المهدي المنتظر وأنه بصدد الجهاد فاستخف قلوب العوام واتبعوه اه

وصار ابن أبي محلي يكاتب رؤساء القبائل وعظماء البلدان يأمرهم بالمعروف ويحضهم على الاستمساك بالسنة ويشيع أنه الفاطمي المنتظر وأن من تبعه فهو الفائز ومن تخلف عنه فموبق وربما كان يقول لأصحابه محرضا لهم على نصرته أنتم أفضل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لأنكم قمتم بنصر الحق في زمن الباطل وهم قاموا به في زمن الحق ونحو هذا من زخارف كلامه وإلى ذلك أشار الفقيه أبو زكرياء يحي بن عبد المنعم الحاحي في بعض قصائده معرضا بأبي محلي المذكور فقال

(يا أمة المصطفى الهادي أليس لكم ... فيمن مضى أسوة من سائر العلما)

(نسيتم دين خير الخلق وافترقت ... آراؤكم فغدا الإسلام منقسما)

(أتحسبون بأن الله تارككم ... سدى وخلقكم قد تعلمون لما)

(ناشدتكم بالذي في العرض يجمعنا ... أما فطنتم ومالاه كمن فهما)

(بأن مغربكم قد عمه سخط ... من المهيمن يا لله معتصما)

(إن قيل للناس إن الهرج يوبقكم ... قالوا الفقيه فلان قبلنا اعتزما)

(لو لم يكن جاز ما أفتى الإمام به ... ولا أتاه ألا تبنوا الذي انهدما)

---

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى أحمد بن خالد الناصري ٢٨/٦

(ومن يقل قال خير الخلق قيل له ... ها صاحب الوقت يكفينا الذي علما)

(ونحن أفضل من صحب الرسول لنا ... أجر يضاعف في أجفارنا نظما)

(وزخرفوا ترهات القول فانفعلت ... لهم نفوس عوام رشدها عدما)." (١)

"الأمجد السيد أحمد البريلوي رضي الله تعالى عنه أنه المهدي الموعود المبشر به في الأحاديث وأنه لم يستشهد في معركة الغزو بل إنه اختفى عن أعين الناس وهو حي موجود في هذا العالم إلى الآن حتى أفرط بعضهم فقال إنا لقيناه في مكة المعظمة حول المطاف ثم غاب بعد ذلك ويزعمون أنه سيعود وسيخرج بعد مرور الزمان فيملأ الأرض عدلا وقسطا كما ملئت جورا وظلما وهذا غلط وباطل والحق الصحيح أن السيد الإمام استشهد ونال منازل الشهداء ولم يختف عن أعين الناس قط والحكايات المروية في ذلك كلها مكذوبة مخترعة وما صح منها فهو محمول على محمل حسن وقد طال النزاع قي أمر السيد الشهيد من حياته واختفائه حتى جعلوه جزء العقيدة ويجادلون من ينكره وإلى الله المشتكى من صنيع هؤلاء ونعوذ بالله من هذه العقيدة المنكرة الواهية والله أعلم

قال المنذري بعد إخراج حديث الجابر ذكر البخاري أن أبا خالد سعيدا والد إسماعيل سمع أبا هريرة وسمع منه ابنه إسماعيل وقوله كلهم من قريش مسند سمرة بن جنادة وقيل سمرة بن عمرو السوائي والد جابر بن سمرة عن رسول الله وأخرجه الترمذي وفيه فسألت الذي يليني فقال كل من قريش وليس فيه قلت لأبي وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح وذكر أبو عمر النمري سمرة هذا وقال روى عنه ابنه حديثا واحدا ليس له غيره عن النبي يكون بعدي اثني عشر خليفة كلهم من قريش لم يرو عنه غيره وابنه جابر بن سمرة صاحب له رواية انتهى

[٤٢٨٠] (عزيزا) وفي رواية لمسلم عزيزا منيعا قال القارىء أي قويا شديدا أو مستقيما سديدا (وضجوا) أي صاحوا والضج الصياح عند المكروه والمشقة والجزع (ثم قال) أي رسول الله (كلمة خفيفة) وفي بعض النسخ خفية وهو الظاهر وفي رواية لمسلم بكلمة خفيت علي (قلت لأبي) أي سمرة رضي الله عنه (يا أبت) بكسر التاء وكان في الأصل يا أبي فأبدلت الياء بالتاء (ما قال) أي رسول الله (قال) أي أبي (كلهم) أي كل الخلفاء قال المنذري وأخرجه مسلم." (٢)

"فعل ما أوجب توجيه المضرة إليه، فلا بد من إعدامه، ليتأدب غيره عن التكلم بمثل كلامه، فقال أمير المؤمنين نعم ولكن لا بد من مرافعتكم معه في مجلس شيخ الإسلام، لئلا يقول الناس قتل ظلما فنقع بين العموم في الملام، فحينما أحس شيخ الإسلام، دخل على الملك خفية عن الوكلاء العظام، ولم يزل يتعطف للسلطان، ويسترحمه بالعفو عن هذا الإنسان، ويقول له إن قتلناه قيل بالعبارات الصريحة، إن السلطان قد قتله لبذله النصيحة، ولكن نفيه أولى، ورأي أمير المؤمنين أعظم وأعلى. فأمر السلطان بنفيه في الحال، فأرسل إلى عكا من غير امهال.

---

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى أحمد بن خالد الناصري ٢٩/٦

(٢) عون المعبود وحاشية ابن القيم العظيم آبادي، شرف الحق ٢٤٨/١١

مطلب قصة محمد بهاء الله رئيس البابية

وكان ممن نفي من بلاد العجم قبله إلى عكا محمد بهاء الله رئيس البابية. والناس قد اختلفوا فيه على أنواع، فمنهم من يقول يدعي بأنه المهدي، ومنهم من يقول أنه يدعي النبوة، ومنهم من يقول يدعي الألوهية، فألف المترجم رسالة في عقيدتهم غير وافية بالمقصود، غير أني أحببت ذكرها بعد تعريبها لأنه ألفها باللغة التركية وهي: كان مبدأ ظهور البابية في تاريخ سنة ألف ومائتين وخمس وستين وهو أنه ظهر رجل في شيراز سنة خمس وعشرين ومائتين وألف، واسمه علي بن محمد بن رضا الحسيني وهو رجل تاجر، فذهب إلى مكة لمصداق الأحاديث من أن المهدي يظهر من مكة، ووقف عند مقام إبراهيم يوم الجمعة والخطيب على المنبر وصاح بأعلى صوته أنه هو المهدي وأنه قد ظهر، فأخذه رفقاءه في الحال لمنزلهم ثم ساروا به إلى شيراز، وأخذ هناك يدعو الناس إليه سرا وجهرا، ويقول لهم أنه المهدي المنتظر، فما زال يتفاقم أمره، ويعظم ذكره، وتكثر جماعته، وتزداد دعوته إلى أن سجن في السجن، وكان قبل ذلك." (١)

"قد سجن مرارا وشاه العجم يطلقه، ولكنه في هذه المرة، قد تجسمت منه المضرة، وطغت عليه نفسه، فصار من اللازم إهانته وحبسه، وفي السنة السابعة من ظهوره، الكاسفة لبهاء وجوده ونوره، قتل بالرصاص وهو مصلوب، وعاملته الأيام بعكس المرغوب.

وفي هذه المدة التي مضت عليه في الحبس قد حرر ستة وتسعين مصحفا، وتمكن بعد مشقة عظيمة من إرسالها إلى خارج السجن، ووصولها إلى اخوته وجماعته، ومن بعد قتله، وصل إلى أخويه بعض من كتبه فباشرا الدعوة بالنيابة عنه، إلا أن كل واحد منهما يدعيها لنفسه ويكذب الآخر، ثم تجاذفا في دعواهما فصار كل منهما يدعي النبوة عوضا عن المهدية، وأخذا في تحرير الرسائل وإرسالها بدعوى النبوة العظمى، وطلب إلى الناس تصديقهما، وجالا في البلاد لدعوى العباد، فلما وصلا إلى مدينة ادرنة اشتد بينهما الخصام، وصار كل منهما حريصا على قتل أخيه وإلقائه في حيز الإعدام، وكان فسادهما قد سرى على بعض الناس من غير مرا، فقبضت الحكومة عليهما، وحكمت بتوجيه النفي إليهما، فنفي أحدهما إلى قبرس، والثاني إلى عكا مؤبدين. وسبب دعوى هذين النبوة إنما كان من علي بن محمد بن رضا المومى إليه أعلاه الشيعي المذهب، فإنه لما كان في السجن ادعى سنة في ابتداء أمره أنه المهدي، ثم ادعى أربع سنين أنه نبي، ثم ادعى الألوهية وصورة دعواه على المنوال الآتي: وهو أنه في قديم الزمان كل نبي عصر لما تتم مدته تنتقل أمته الموجودون إلى النبي الآخر وهكذا إلى حضرة محمد صلى الله عليه وسلم الذي تختم مدته سنة ألف ومائتين وخمس عشرين فأخذ أمته وذهب إلى المحشر، وبعد ذلك جميع ملل الأرض تخصني حيث صرت نبيا لها، وبعد سنة ألف ومائتين وخمس وثلاثين يظهر نبي أفضل مني وبه تتم مدتي، وكلما جاء نبي يكون أكمل وأعظم ممن قبله، وهذا الحكم سار من الأول الذي لا أول له إلى الآخر الذي لا آخر له.." (٢)

"وإن كتبه التي رأيناها يفهم من بعضها أنه المهدي ومن بعضها أنه نبي ومن بعضها أنه إله؛ وذلك مبني على الأصول والقواعد الشيعية، فانهم ليس لهم ثبات على حال واحد، بل هم متقلبون ويتلونون على أنواع شتى، وقواعد البابيين كذلك

---

(١) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر عبد الرزاق البيطار ص/٧٠٢

(٢) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر عبد الرزاق البيطار ص/٧٠٣

فليس لهم ثبات على حال واحد، وإن القرآن الذي يدعون أنه نزل عليهم عبارة عن مواعظ وأحكام قليلة متضاربة، غير أنها توصي كثيرا بتخريب الكعبة حيث قد جعلوا مكانها مسجده الذي في شيراز، فعندهم قد بطلت الكعبة الحجازية بالكعبة الشيرازية، ويوصي بأنه يلزم اشتراء البيوت التي حول مسجد شيراز وإدخالها في المسجد للتوسعة، ويقتضى بأن يجعل له خمسة وتسعون بابا، وأخبر في كتبه بوقوع أمور شتى إلى الآن لم يظهر منها شيء، وكذلك أخبر بانتشار أمته شرقا وغربا، وجعل السنة تسعة عشر شهرا كل شهر تسعة عشر يوما، وتأمر كتبه بالصلاة في يوم وقت الظهر فقط، وأن التوجه يكون إلى مسجده الشيرازي وهذا كله بعد موته، وأما حال حياته فإنه اتخذ لنفسه قبلة خاصة به، وكان يأمر بالصلاة تارة ركعتين وتارة تسع عشرة ركعة، وكان يحكم بأن الهواء والتراب النقي الطاهر كل منهما مطهر من النجاسة من غير ضرورة، ولهذا لا يلزم الغسل من الجنابة ولا غسل الثوب والبدن من النجاسة لتطهير الهواء لهم، وإذا استعملوا الماء إنما يستعملونه بين المنكرين تقية، ويجوز عندهم نكاح الأخت وصوم رمضان تسعة عشر يوما. وقد غير لهم نظام التركات، وإذا صلى أحدهم يقول بدل السلام الله أكبر. وبدل التحيات، وإذا أراد أحدهم السلام إن كان رجل قال الله أعظم وإن كان امرأة تقول الله أجل، وذلك كله مع أشياء أخر يطول استقصاؤها إنما هي مأخوذة عن أخيها الأول واتبعوه بعد موته على ذلك وداوموا عليه وأشاعوه في بغداد وأدرنة، إلى أن بدا." (١)

"والإنكليز مع ذلك كله يقولون ليس مرادنا الاستيلاء على مصر وإنما مرادنا الاصطلاحات والتأييد لمحمد توفيق وإذا استقامت الأمور وانتظمت أحوال مصر نخرج منها وتخرج عساكرنا.

وفي سنة سبع وتسعين ظهر رجل بالسودان يسمى محمد أحمد يقال أنه المهدي أو قائم طالب لإظهار الحق ولم يدع أنه المهدي، ويقال أنه شريف حسني، وكان قبل ظهوره مشهورا بالصلاح ومن مشايخ الطرائق، قيل إنه على طريق الشيخ السمان، وأول ظهوره أنه لما كثرت أتباعه ومريدوه وقع اختلاف بينه وبين العساكر المصرية المتملكين للسودان عمالا لصاحب مصر محمد توفيق باشا، ثم اتسع الأمر بينهم وبينه إلى القتال، وقاتلوه وقاتلهم مرارا، وكانت الغلبة لمحمد أحمد عليهم حتى استولى على كثير من بلاد السودان وأخرجهم منها، فلما دخل الإنكليز مصر صار الإنكليز هو الذي يجهز عليه العساكر ويقاتله بعساكر الإنكليز ومعهم عساكر مصر، ووقع بينهم وبينه وقائع كثيرة يطول الكلام بذكرها، والغلبة في تلك الوقائع كلها له عليهم، فتملك كردفان وكسلة والخرطوم وبربرة ودنقلة وغير ذلك، وقتل منهم خلقا كثيرا لا يحصى عددهم، وكان أمره معهم عجيبا يأتون إليه بالعساكر الكثيرة، والمدافع والآلات الشهيرة التي لا يطيق أحد مقابلتها، فيقابلهم بجيوشه السودانيين وليس معهم إلا السيف والرمح والسكاكين، فيهجمون على تلك العساكر في موضعهم ومحط جيشهم ولا يبالون بمدافعهم وآلاتهم حتى يخالطوهم ويقتلوا أكثرهم من قرب طعنا بالرماح وضربا بالسيوف والسكاكين، ويشتتون شملهم، ومنهم جماعة في براري سواكن قد ولى محمد أحمد عليهم رجلا يسمى عثمان ذقنه، فجاء بمن معه من السودان

---

(١) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر عبد الرزاق البيطار ص/٧٠٤

لمحاصرة سواكن وإخراج الإنكليز والعساكر المصرية منها فخرجوا إليه بجيوشهم الكثيرة، وآلاتهم ومدافعهم الشهيرة، فهزمهم عثمان ذقنة ومن معه من السودان هزيمة بعد هزيمة، وقتل الكثير منهم حتى أنهم جاؤوه في." (١)

"سنة ثنتين وثلاثمائة بنحو من سبعين مركبا مشحونة بالعساكر الكثيرة، والآلات والاستعدادات الوفيرة، وخرجوا لقتاله في البر قريبا من سواكن، فهزمهم وقتل أكثرهم وشتت شملهم وغنم أكثر أموالهم ودوابهم وذخائرهم وأسبابهم، وإلى هذا الوقت وهو شهر ذي الحجة من سنة ثنتين وثلاثمائة وعثمان ذقنه ومن معه من السودان في نواحي سواكن محاصرون لها، وفيها عساكر للإنكليز وصاحب مصر قيل أن جيوش محمد أحمد تبلغ ثلاثمائة ألف أو يزيدون. وأما دعوى أنه المهدي فمختلف فيها فمن الناس من يقول أنه يدعي أنه المهدي، ومنهم من يقول لم يدع أنه المهدي بل يقول أنه قائم لإظهار الحق وإقامة الشريعة وإخراج الإنكليز من مصر، والأكثر من الناس يقولون أ، ه رجل صالح على غاية من الاستقامة، ومنهم من يقدح فيه وينسب إليه خلاف ذلك، ويقول إن جيوشه يقع منهم فساد كثير، وليس لهم غرض إلا القتل والنهب، وإنهم في استيلائهم على كردفان والخرطوم وغيرهما قتلوا خلقا كثيرا من المسلمين، فيهم العلماء والصلحاء والنساء والأطفال، وقيل إن وقوع ذلك كان من بعض المفسدين منهم ولم يرض بذلك محمد أحمد ولم يأمر به، والله أعلم بحقيقة الحال. وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بأن انتصار آخر هذه الأمة في آخر الزمان يكون بالسودان فيحتمل أنهم هؤلاء ويحتمل أن يكونوا غيرهم، وانتصار المسلمين بهم في آخر الزمان مأخوذ مما ذكره الخازن في تفسيره عند تفسير قوله تعالى " ثلة من الأولين وثلة من الآخرين " من سورة الواقعة فإنه قال ما نصه: ثلة من الأولين يعني من المؤمنين الذين قبل هذه الأمة، وثلة من الآخرين يعني من مؤمنين هذه الأمة، ويدل عليه ما رواه البغوي بإسناد الثعلبي عن عروة بن رويم، وقال لما أنزل الله عز وجل قوله تعالى: " ثلة من الأولين وقليل من الآخرين " بكى عمر بن الخطاب رضي الله عنه." (٢)

"كل مسلم والذي يقاتلهم يكون باغيا خارجا عليهم، فالواجب على كل مسلم السعي في تشييد دولتهم وتثبيت قواعدها، وإهانتهم في إظهار الشريعة وإحياء السنن وإماتة البدع، والدعاء لهم بالتوفيق، فنسأل الله تعالى أن يوفقهم لكل خير وأن يلهمهم كمال الرشد والصلاح، وكذا سائر وزرائهم وقضاتهم وعمالهم.

ثم إن هذا القائم بالسودان وهو المسمى محمد أحمد إما أن يكون باغيا خارجا على السلطان فيجب قتاله وإن لم يدع أنه المهدي، ويمكن أن الله أقامه لإخراج الإنكليز من مصر إعانة للدولة العثمانية ولا يريد الخروج على السلطان وإنما يريد أن يكون من جملة رعايا الدولة العثمانية ثم يكون لإعانة المهدي؛ ويؤيد ذلك ما ذكره الجلال السيوطي في رسالته التي ألفها في علامات المهدي، فإنه ذكر فيها حديثا أخرجه نعيم بن حماد عن أبي قبيل قال: يكون أمير بإفريقية اثنتي عشرة سنة ويكون بعده فتنة، فيملك رجل يملؤها عدلا، ثم يسير إلى المهدي فيؤدي إليه الطاعة ويقاتل عنه، فيمكن أنه هو هذا الرجل المسمى محمد أحمد ويمكن أنه غيره والله أعلم بأسرار غيبه. وقيل إن الذين يشيعون أنه هو المهدي إنما هم بعض أتباعه ليرغبوا عامة الناس في اتباعه والدخول في طاعته، وأما هو فإنه لم يدع أنه المهدي، بل قال بعض من اجتمع به أنه سمع منه

---

(١) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر عبد الرزاق البيطار ص/٨٠١

(٢) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر عبد الرزاق البيطار ص/٨٠٢

بلا واسطة أنه يقول: إني لست أنا المهدي المنتظر وإنما أنا قائم لإظهار الحق وإقامة الشريعة، وأما أن ثبت أنه يدعي أنه هو المهدي المنتظر فالأمر مشكل، لأن المهدي المنتظر لا يدعي أنه المهدي ولا يطلب البيعة لنفسه ولا يقاتل الناس لتحصيلها ولا يبايع إلا وهو مكروه، بل لا يبايع الناس حتى يتهددوه بالقتل وذلك أن الله يطلع بعض من اختصه من صالحي عباده وعلى علاماته، فيدلون الناس عليه فيطلبونه فيفر منهم مرارا، ثم يمسكونه ويكرهونه على البيعة ويتهددونه بالقتل،." (١)

"ولا يكون ظهوره والبيعة له إلا والناس بلا خليفة، أخذا من حديث: يحصل اختلاف عند موت خليفة وهو أصح حديث روي في هذا الباب، وأما الآن فالناس لله الحمد لهم خليفة وهو أمير المؤمنين مولانا السلطان عبد الحميد بن المرحوم مولانا السلطان عبد المجيد، وبيعته في أعناق المسلمين، وسلسلة سلطنته من أحسن الدول الإسلامية مقيمين للشريعة السنية، محبين للصحابة وأهل البيت، ناصرين أهل السنة المحمدية قامعين أهل البدعة الردية، فلا يجوز خلع بيعته ولا الخروج عن طاعته، ثبت الله دولته وأبد سلطنته، فمن خلع بيعته أو ترك طاعته أو خرج عليه فهو با غ معتد. وأيضا من علامات المهدي المنتظر أن يكون من ولد فاطمة رضي الله عنها، وأن يكون ظهوره والبيعة له بمكة بين الركنين، ولا يصح أن يكون ظهوره والبيعة له بغير مكة، قال الجلال السيوطي في آخر العرف الوردي في علامات المهدي: وأما قول القرطبي أن ظهور المهدي يكون من المغرب فهو باطل، وقد تبع السيوطي على ذلك العلامة العلقمي والعلامة الصبان في رسالته التي ألفها في علامات المهدي، فكل منهما قال كما قال السيوطي، أن قول القرطبي أن ظهور المهدي يكون بالمغرب باطل، وقال بعضهم يمكن حمل كلام القرطبي على غير المهدي المنتظر، فإن كثيرا ممن ادعى نفسه أنه المهدي وكان ظهورهم بالمغرب، كمحمد بن تومرت وعبيد الله العبيدي جد ملوك إفريقية ومصر، وخلق كثير غير هذين ادعى كل واحد منهم أنه المهدي بالمغرب وغيره، وذلك لأن المهديين متعددون والمهدي المنتظر واحد، وهو الذي يكون من ولد فاطمة ويكون ظهوره بمكة، والناس بلا خليفة، ويبايع مكرها ولا يطلب البيعة لنفسه ولا يقاتل الناس لتحصيلها، ويكون في زمنه خروج المسيح الدجال ونزول عيسى عليه السلام، ويجتمع به. ومما يدل على أن المهديين متعددون والمهدي المنتظر واحد، ما ذكره العلامة ابن حجر." (٢)

"في الصواعق المحرقة لأهل الضلال والزندقة، حيث قال حاكيا لقول من قال أن المهدي من ولد العباس، وهو والد هارون الرشيد واسمه محمد المهدي بن عبد الله المنصور بناء على الأحاديث المذكور فيها أن المهدي من ولد العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم، وقال: أنه من أحسن خلفاء بني العباس، وهو فيهم كعمر بن عبد العزيز في بني أمية، ثم قال ابن حجر موجها لقول هذا القائل: ويمكن أنه مهدي من ولد العباس وهو غير المهدي المنتظر فإن المهدي المنتظر من ولد فاطمة رضي الله عنها، ويكون في زمنه خروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام ويجتمع به، فهذه العبارة صريحة في تعدد المهديين، وجمع بعضهم بين الأحاديث التي فيها أنه من ولد فاطمة، والأحاديث التي فيها أنه من ولد العباس بطريق آخر

---

(١) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر عبد الرزاق البيطار ص/٨٠٥

(٢) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر عبد الرزاق البيطار ص/٨٠٦

فقال: أن المهدي المنتظر من ولد فاطمة من جهة أبيه، ومن ولد العباس من جهة أمه، بأن تكون أمه أو أم بعض آبائه من ولد العباس، وكلام ابن حجر في رسالته التي في علامات المهدي يقتضي أيضا تعدد المهديين وأن المهدي المنتظر واحد فإنه قال فيها: أم بعض آبائه من ولد العباس، وكلام ابن حجر في رسالته التي في علامات المهدي يقتضي أيضا تعدد المهديين وأن المهدي المنتظر واحد فإنه قال فيها: والذي يتعين اعتقاده ما دلت عليه الأحاديث الصحيحة من وجود المهدي المنتظر، وهو الذي يخرج الدجال وعيسى عليه السلام في زمنه، وهو المراد حيث أطلق المهدي، وأما من قبله فليس واحد منهم هو المهدي المنتظر، ويكون قبل المهدي أمراء صالحون لكنهم ليسوا مثله، فهو الأخير في الحقيقة، وكذلك غير ابن حجر ممن ألفوا رسائل في علامات المهدي كلهم يقتضي كلامهم تعدد المهديين وأن المهدي المنتظر واحد، وإنما قالوا بذلك التعدد لأنه قيل في محمد بن الحنفية أنه المهدي، وقيل في عمر بن عبد العزيز أنه المهدي، وقيل في محمد النفس الزكية ابن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط أنه المهدي، فهؤلاء أطلق على واحد منهم أنه المهدي، فيثبت بذلك تعدد المهديين قطعا." (١)

"فما قيل في مقدار عمره وقت ظهوره أنه ابن أربعين، وقيل أنه ابن عشرين، وقيل أنه ابن ثمانية عشر، وقيل غير ذلك. وقيل في مدة مكثه بعد ظهوره أنها سبع سنين أو تسع سنين وقيل أنها أربعون وقيل عشرون وقيل غير ذلك. وقيل في اسمه أنه محمد وقيل أحمد، وهل هو من ولد الحسن أو الحسين أو العباس؟ وجمع بعضهم بأنه من ولد أحد الحسنين من جهة أبيه ومن ولد الآخر من جهة أمه، وفي بعض أمهاته من هي من ولد العباس. والأحاديث التي جاء فيها ذكر ظهور المهدي كثيرة متواترة، فيها ما هو صحيح وفيها ما هو حسن وفيها ما هو ضعيف وهو الأكثر، لكنها لكثرتها وكثرة رواتها وكثرة مخرجيها يقوي بعضها بعضا، حتى صارت تفيد القطع، لكن المقطوع به أنه لا بد من ظهوره، وأنه من ولد فاطمة، وأنه يملأ الأرض عدلا نبه على ذلك العلامة السيد محمد بن رسول البرزنجي في آخر الإشاعة. وأما تحديد ظهوره بسنة معينة فلا يصح لأن ذلك غيب لا يعلمه إلا الله، ولم يرد نص من الشارع بالتحديد، وقد ذكر كثير من المتقدمين من العلماء تحديد ظهوره في سنين عينوها بالظن والتخمين، فلم يخرج فيها فأخطأوا في ظنهم وتحديدهم، ويؤخذ من قوله صلى الله عليه وسلم في المهدي أنه يصلحه الله في ليلته أن المهدي لا يعلم بنفسه أنه المهدي المنتظر قبل وقت إرادة الله إظهاره، ويؤيد ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم وهو أشرف المخلوقات لم يعلم برسالته إلا وقت ظهور جبريل له بغار حراء حين قال له: " اقرأ باسم ربك الذي خلق " وأما قبل ذلك فكان يرى منامات كثيرة تأسيسا لرسالته وتقوية لقلبه، لكنه لم يعلم أن المراد منها تأسيس الرسالة، حتى أنه كان كلما رأى مناما من تلك المنامات يخبر زوجته خديجة رضي الله عنه ويشكو إليها حاله." (٢)

"فكانت ثبته وتقول له كلاما يقوى به قلبه كما هو موضح في كتب الحديث، فإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم لم يعلم بأنه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بعد ظهور جبريل عليه السلام له، وقوله: " اقرأ باسم ربك " فبالأولى أن

---

(١) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر عبد الرزاق البيطار ص/٨٠٧

(٢) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر عبد الرزاق البيطار ص/٨٠٩

المهدي المنتظر لا يعلم بأنه المهدي المنتظر إلا بعد إرادة الله إظهاره، ولذلك يمتنع من البيعة حتى يتهدد بالقتل ويبايع مكرها، فهذا هو سر قوله صلى الله عليه وسلم يصلحه الله في ليلته ليعلم من ذلك أنه لم يعلم أنه المهدي إلا وقت إرادة الله إظهاره، فكل من يدعي أنه هو المهدي المنتظر ويطلب البيعة لنفسه أو يقاتل الناس لتحصيلها فهو مخالف لما صرحت به أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم.

وقد ادعى هذه الدعوى كثيرون فيما تقدم من الأزمان ولم تثبت دعواهم، وكان لهم مع الخلفاء وقائع وحروب مذكورة في التواريخ، وقد جمعت أسماؤهم ووقائعهم باختصار في رسالة مستقلة، ليعلم من وقف عليها أن كل من ادعى هذه الدعوى لا تتم له إلا إذا جاءت على طبق ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم، لأنه الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى. وقد ذكر العلامة ابن خلدون في تاريخه كلاما فيه فوائد تعلق بهذا البحث، فلنذكر ملخص ذلك تتميما للفائدة، وحاصل ذلك أن الذين يدعون هذه الدعوى إما أن يكونوا موسوسين أو مجانين فلا علاج لهم إلا التنكيل بالقتل والضرب إن أحدثوا فتنة، وإلا يسخر بهم وتذاع السخرية بهم، والصفع في الطرق أو الأسواق، وإما أن يكونوا من طالبي الرياسة والملك فيجعلون هذه الدعوى وسيلة لذلك ويغفلون عما ينالهم من الهلكة وإسراع الهلاك والقتل من الملوك والسلاطين عند إحداثهم فتنة بهذه الدعوى، وقد يكون بعض من ادعى هذه الدعوى من الصالحين ويريد إظهار الحق ويتخيل له أنه هو المهدي، فيخطئ ظنه ولا يعرف ما يلزمه وما يحتاج إليه في إقامة الحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،." (١)

"فإن الله لم يكتب عليه في ذلك إثارة فتنة وإنما أمره الله تعالى به حيث تكون القدرة عليه، قال صلى الله عليه وسلم: " من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه ". وأحوال الملوك والدول قوية راسخة لا يزحزحها ولا يزلزلها ويهدم بناءها إلا المطالبة القوة التي من ورائها العصبية بالقبائل والعشائر، وهكذا كان حال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في دعوتهم إلى الله تعالى بالعشائر والعصائب، وهم المؤيدون من الله تعالى بالكون كله لو شاء، لكنه سبحانه وتعالى إنما أجرى الأمور على مستقر العادة وإنه حكيم عليم. فإذا ذهب أحد من الناس هذا المذهب وكان محقا قصر به الانفراد عن العصبية فطاح في هوة الهلاك، وأما إن كان من المتلبسين بذلك في طلب الرياسة فأجدر أن تعوقه العوائق وتنقطع به المهالك، لأن أمر الله لا يتم إلا برضاه وإعانته والإخلاص له والنصيحة للمسلمين، ولا يشك في ذلك مسلم ولا يرتاب فيه ذو بصيرة، وكل أمر يجتمع عليه كافة الخلق لا بد له من العصبية، وفي الحديث الصحيح: " ما بعث الله نبيا إلا في منعة من قومه " وإذا كان هذا في الأنبياء وهم أولى الناس بخرق العوائد فما ظنك بغيرهم أن لا تخرق لهم العوائد في الغلبة بغير عصبية، والغفلة عن هذا هي أكثر أحوال الثوار القائمين بتغيير المنكر من العامة والفقهاء، فإن كثيرا من المنتحلين للعبادة وسلوك طريق الدين يذهبون إلى القيام على أهل الجور من الأمراء داعين إلى تغيير المنكر والنهي عنه والأمر بالمعروف رجاء الثواب عليه من الله تعالى، فليكثر اتباعهم والمتشبثون بهم من الغوغا والدهما، ويعرضون أنفسهم في

---

(١) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر عبد الرزاق البيطار ص/٨١٠

ذلك للمهالك وأكثرهم يهلكون في تلك السبيل مأزورين غير مأجورين، وكثير منهم يدعي أنه المهدي المنتظر ولم تصح دعواهم، ويتبعهم كثير من العامة والأغمار ممن لا يرجعون إلى عقل يهديهم ولا علم يقيدهم." (١)

"ولما حضر حسن باشا على الصورة التي حضر فيها إلى مصر، لم يذهب إليه بل حضر هو لزيارته وخلع عليه فروة تليق به، وقدم له حصانا معدودا مرختا بسرج، وعباءة قيمتها ألف دينار، أعد ذلك وهيأه قبل زيارته له، وكانت شفاعته عنده لا ترد، وإن أرسل إليه إرسالية في شيء تلقاها بالقبول والإجلال، وقبل الورقة قبل أن يقرأها ووضعها على رأسه ونفذ ما فيها في الحال.

وأرسل مرة إلى أحمد بك الجزار مكتوبا وذكر له فيه أنه المهدي المنتظر! وسيكون له شأن عظيم، فوقع عنده بموقع الصدق لميل النفوس إلى الأماني، ووضع ذلك المكتوب في حجابه المقلد به مع الإحراز والتمائم، فكان يسر بذلك إلى بعض من يرد عليه ممن يدعي المعارف في الجفور والزايرجات، ويعتقد صحته بلا شك، ومن قدم عليه من جهة مصر وسأله عن المترجم فإن أخبره وعرفه أنه اجتمع به وأخذ عنه وذكره بالمدح والثناء أحبه وأكرمه وأجزل صلته، وإن وقع منه خلاف ذلك قطب منه وأقصاه عنه وأبعده ومنع عنه بره، ولو كان من أهل الفضائل! واشتهر ذلك عنه عند من عرف ذلك منه بالفراسة، ولم يزل على حسن اعتقاده في المترجم حتى انقضى نحبهما.

واتفق أن مولاي محمدا سلطان المغرب رحمه الله تعالى وصله بصلات قبل انجماعه الأخير وتزهده وهو يقبلها ويقابلها بالحمد والثناء والدعاء، فأرسل له في سنة إحدى ومائتين صلة لها قدر، فردها، وتورع عن قبولها وضاعت، ولم ترجع إلى السلطان، وعلم السلطان من جوابه فأرسل إليه مكتوبا قرأته، وكان عندي ثم ضاع في الأوراق، ومضمونه العتاب والتوبيخ في رد الصلة، ويقول له إنك رددت الصلة التي أرسلناها إليك من بيت مال المسلمين، وليتك حيث تورعت عنها كنت فرقتها على الفقراء والمحتاجين، فيكون لنا ولك أجر ذلك، إلا أنك رددتها وضاعت، ويلومه أيضا على." (٢)

"١٠٠ - (باب ما جاء في نكاح المتعة)

يعني تزويج المرأة إلى أجل فإذا انقضى وقعت الفرقة

[١١٢١] قوله (عن عبد الله والحسن ابني محمد بن علي) بن أبي طالب رضي الله عنه ومحمد هذا هو الذي يعرف بابن الحنفية وابنه عبد الله كنيته أبو هاشم

وذكر البخاري في التاريخ ولأحمد عن سفيان وكان الحسن أرضاهما إلى أنفسنا وكان عبد الله يتبع السبئية انتهى

والسبئية ينسبون إلى عبد الله بن سبأ وهو من رؤساء الروافض

وكان المختار بن أبي عبيد على رأيه ولما غلب على الكوفة وتتبع قتلة الحسين فقتلهم أحبته الشيعة ثم فارقه أكثرهم لما ظهر منه من الأكاذيب

وكان من رأي السبئية موالاة محمد بن علي بن أبي طالب وكانوا يزعمون أنه المهدي وأنه لا يموت حتى يخرج في آخر الزمان

---

(١) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر عبد الرزاق البيطار ص/٨١١

(٢) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر عبد الرزاق البيطار ص/١٥٠٤

ومنهم من أقر بموته وزعم أن الأمر بعده صار إلى ابنه أبي هاشم هذا

ومات أبو هاشم في آخر ولاية سليمان بن عبد الملك سنة ثمان أو تسع وتسعين (نهى عن متعة النساء وعن لحوم الحمر الأهلية زمن خيبر) الظرف متعلق بكلا الأمرين ففي رواية للبخاري نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر عن متعة النساء وعن لحوم الحمر الأهلية

وهكذا في رواية لمسلم

قوله (وفي الباب عن سبرة الجهني) بفتح السين المهملة وسكون الموحدة أخرجه أحمد ومسلم أنه غزا مع النبي صلى الله عليه وسلم في فتح مكة

قال فأقمنا بها خمسة عشر فأذن لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في متعة النساء

وذكر الحديث إلى أن قال فلم أخرج حتى حرمها رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية أنه كان مع النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا أيها الناس إني كنت أذنت لكم في الاستمتاع عن النساء وإن الله قد حرم ذلك إلى يوم القيامة فمن كان عنده منهن شيء فليخل سبيله ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئا

كذا في المنتقى (وأبي هريرة) أخرجه الدارقطني مرفوعا بلفظ هدم المتعة الطلاق والعدة والميراث

قال الحافظ في التلخيص إسناده حسن قوله (حديث حسن صحيح) وأخرجه البخاري ومسلم قوله (وأمر أكثر أهل العلم على." (١)

"محمد) كذا عند الترمذي ولأحمد عن سفيان وكان الحسن أرضاهما إلى أنفسنا وكان عبد الله يتبع السبئية انتهى

والسبئية بمهملة ثم موحدة ينسبون إلى عبد الله بن سبأ وهو من رؤساء الروافض

وكان المختار بن أبي عبيد على رأيه ولما غالب على الكوفة وتتبع قتلة الحسين فقتلهم أحبته الشيعة ثم فارق أكثرهم لما ظهر منه من الأكاذيب

وكان من رأي السبئية موالاة محمد بن علي بن أبي طالب وكانوا يزعمون أنه المهدي وأنه لا يموت حتى يخرج في آخر الزمان

ومنهم من أقر بموته وزعم أن الأمر بعده صار إلى ابنه أبي هاشم هذا ومات أبو هاشم في آخر ولاية سليمان بن عبد الملك سنة ثمان أو تسع وتسعين قاله الحافظ

[١٧٩٥] قوله (حدثنا حسين بن علي) بن الوليد الجعفي مولاهم الكوفي المقرئ ثقة عابد سنة ثلاث أو أربع ومائتين وله أربع أو خمس وثمانون سنة قال موسى بن داود

كنت عند بن عيينة فجاء حسين الجعفي فقام سفيان فقبل يده

وكان زائدة يختلف إليه إلى منزله يحدثه فكان أروى الناس عنه وكان الثوري إذا رآه عانقه وقال (هذا واهب الجعفي عن زائدة) هو بن قدامة

قوله (حرم يوم خيبر كل ذي ناب من السباع) قال في شرح السنة أراد بكل ذي ناب ما يعدو بنابه على الناس وأموالهم

---

(١) تحفة الأحوذي عبد الرحمن المباركفوري ٢٢٥/٤

كالذئب والأسد والكلب ونحوها (والمجثمة) قال الجزري في النهاية هي كل حيوان ينصب ويرمى ليقتل إلا أنها تكثر في الطير والأرانب وأشباه ذلك مما يجثم في الأرض أي يلزمها ويلتصق بها وجثم الطائر جثوما وهو بمنزلة البروك للإبل انتهى

(والحمار الإنسي) بكسر الهمزة وسكون النون منسوب إلى الإنس ويقال فيه الأنسي بفتحتين وقد صرح الجوهري أن الأنس بفتحتين ضد الوحشة والمراد بالحمار الإنسي الحمار الأهلي

قوله (وفي الباب عن علي وجابر والبراء وبن أبي أوفى وأنس والعرباض بن سارية وأبي ثعلبة وبن عمر وأبي سعيد) أما حديث علي فأشار إلى غير حديثه الذي أخرجه في هذا الباب ولم أقف عليه فلينظر من أخرجه

وأما حديث جابر فقد تقدم تخريجه في الباب المتقدم

وأما حديث البراء فأخرجه الشيخان

وأما حديث بن أبي أوفى أخرجه أيضا الشيخان

وأما حديث أنس." (١)

"من بقاء الذكر بالعظمة والرياسة وكثرة الولد والعصبية، فلم يعد أحد منهم يذكر بخير، ولا ينسب له عقب.

فأنت ترى أن هذه السورة على إيجازها في منتهى الفصاحة والبلاغة، قد جمعت من المعاني الكثيرة الصحيحة، ومن أنباء الغيب التي فسرها الزمان ما تعد به معجزة بينة الإعجاز، وفيها من المعاني واللطائف غير ما ذكرنا، فيراجع تفسيرها (في مفاتيح الغيب) وغيره من المطولات.

أنبياء العجم الكاذبون:

هذا وأنه قد ظهر في القرنين الماضي والحاضر دجالون من إيران، فالهند، ادعى بعضهم أنه المهدي، وبعضهم أنه نبي يوحى إليه، وشارع جديد فإله معبود، وبعضهم أنه المسيح المنتظر، وقد ألف كل منهم رسائل وكتبا عربية ادعى أنها وحي من الله وأنها معجزة للأنام، على اعترافهم بنبوة محمد - صلى الله عليه وسلم -، وأن القرآن كتاب الله - عز وجل -، وقد ضل بكل منهم أناس من الأعاجم الذين لا يفهمون العربية فهما صحيحا، ثم تألفت لهم أحزاب وعصبيات بمساعدة الأجانب المستعمرين الطامعين في القضاء على الإسلام والمسلمين، وصار لهم ثروة يستميلون بها الناس، وقد رددنا عليهم في " المنار "، ورد عليهم غيرنا من العلماء بما ظهر به جهلهم وكذبهم، وسخافتهم فيما اغتروا به من وحي الشياطين لهم.

وقد كان لأعرضهم دعوى كتاب سماه (الكتاب الأقدس) حاول فيه محاكاة القرآن في فواصل آياته وفي أنباء الغيب، ولكن أتباعه الأذكياء لم يجدوا بدا من إخفاء هذا الكتاب وجمع ما كان تفرق من نسخه المطبوعة في الأقطار، وما يدري إلا الله ماذا يفعلون فيه بعد أن يثقوا بأنهم استردوا سائر نسخه من تصحيح وتنقيح، وإبرازه في يوم من الأيام في ثوب جديد. وهذا العمل يؤكد

انفراد القرآن بالإعجاز، وكونه هو حجة الله الباقية إلى آخر الزمان.

---

(١) تحفة الأحوذي عبد الرحمن المباركفوري ٤١٦/٥

(وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابها ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون)." (١)

"الصلب والفداء الوثنية، وكيف يمكن الجمع بين التوحيد والتثليث، وبين عقيدة نجاة الإنسان وسعادته بعلمه وعمله، وعقيدة نجاته بإيمانه بلعن ربه لنفسه، وتعذيبه إياها عن عبيده، وإن لم يتم لربه مراده من ذلك.

إلا أن القرآن هو الجامع المؤلف، ولكن ترك دعوته المنتمون إليه، فكيف يستجيب له المخالف؟ فدين التوحيد والتأليف لا يقوم بدعوته أحد، ولا يحمي دعاته أحد، ولا يبذل له المال لهداية الناس أحد، ودين التعديد والفداء تبذل له القناطير المقنطرة من الدنانير، ويستأجر لدعوته الألوف من المجادلين والعاملين، وتحميهم الدول القوية بالمدافع والأساطيل. على أننا لا نيأس من روح الله، فكما وفق

لتأليف جماعة الدعوة والإرشاد، فهو الذي يوفق لمساعدتها من أراد، والله خلقنا من ضعف، ثم جعل من بعد ضعف قوة، وما هي إلا أن يستيقظ المسلمون من رقدتهم، ويتنبهوا من غفلتهم، ويعرفوا الغرض من حرص الإفرنج على تنصيرهم، وأن أول بلايا دعوتهم، وما ينشرون من صحفهم وكتبهم، وينشئون من مدارسهم ومستشفياتهم، هو إبطال ثقة المسلمين بدينهم، وحل الرابطة التي تجمع بين أفرادهم وشعوبهم حتى يكونوا طعمة للطامعين، بل عبيدا للطامعين، فإذا انتبهوا وفقهوا عرفوا كيف يحفظون أنفسهم ودنياهم بحفظ دينهم، وتوثيق رابطته بينهم والاستغناء عن الجمعيات والمستشفيات التي تنشئها جمعيات التغرير بالتبشير لهدم الإسلام، بإنشاء خير منها لإعلاء منار الإسلام الذي هو دين العقل والعرفان، والعدل والعمران، الذي أكمل الله به دين الأنبياء عليهم السلام، ويجذبون إليه من في بلاد أمريكة وأوربة من المستقلين الأحرار حتى تكون كلمة الله هي العليا في كل مكان لا إله إلا الله محمد رسول الله، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(بهاء الله البابي ومسيح الهند القادياني) يعلم الخاص والعام أنه ورد في علامات الساعة من الأخبار أنه يخرج رجل من آل بيت النبي – صلى الله عليه وسلم – يقال له المهدي يملأ الأرض عدلا بعد أن تكون قد ملئت جورا، وينزل في آخر مدته عيسى ابن مريم من السماء، فيرفع الجزية ويكسر الصليب ويقتل المسيخ الدجال، وليس هذا مقام تحرير هذه المسألة، وإنما اقتضت الحال أن نذكر من ضررها أنها – لانتظار المسلمين لها، ويأسهم من إعادة عدل الإسلام ومجده بدونها – قد كانت مثار فتن عظيمة. فقد ظهر في بلاد مختلفة وأزمنة مختلفة أناس يدعي كل واحد منهم أنه المهدي المنتظر يخرج على أهل السلطان ويستجيب له كثير من الأغرار، فتجري الدماء بينهم وبين جنود الحكام كالأنهار، ثم يكون النصر والغلب للأقوياء بالجند والمال، على المستنصرين بتوهم." (٢)

"واتصل القتال نحو الأربعة أشهر وضاق الخناق ثم تدارك الله سبحانه وتعالى أهالي المملكة بهلاك هذا الملك بالطاعون وعرضوا على أبي عبد الله المنتصر الصلح فصالحهم بما غرموه في حركتهم وكانم بلغا جسيما على يد القاضي ابن زيتون المذكور وانعقد بإنشائه وخرج الفرنسيس من قرطاجنة لبلاده وهنأ هذا الأمير بهذا النصر الذي لم يكن في الحساب.

---

(١) تفسير المنار محمد رشيد رضا ١٩١/١

(٢) تفسير المنار محمد رشيد رضا ٤٧/٦

قلت: وفي هذا العهد بقرطاجنة كنيسة ضخمة تعرف بسان لويس بها جماعة من الرهبان وبها دير مملوء بالآثار العتيقة العجيبة والتحف المستظرفة الغريبة التي هي في الحقيقة كنز من الكنوز المدخرة، ولم يزل هذا الأمير على حاله من علو الكتب وبعد الصيت واتساع السلطان واتخاذ المصانع الباقية آثارها إلى هذا العهد وتوفي عالي الكتب آمن السرب سنة ٦٧٥ هـ كان يقول ما يسألني الله عن أمور الأمة بعد أن قدمت عليهم للقضاء أبا عبد الله محمد الخباز. وقد أفرد ولي الدين بن خلدون فصلا في أخباره يكتب بماء العيون ولا يتعلق بأذياله الطامعون وبويع لابنه يحيى ولقب بالواثق، فرفع المظالم وأفاض العطايا ثم فسدت بطانته من استبداد وزيره ابن الغافقي وسوء سيرته وبلغ ذلك عمه أبا إسحاق فسار من الأندلس وأخذ بجاية وبايعه الموحدون ووقع خلع الواثق ثم قتل سنة ٦٧٩ هـ وكان دخول أبي إسحاق لتونس في ربيع الثاني سنة ٦٧٨ هـ وتمت له البيعة ثم قام عليه أحمد بن مرزوق المسيلي البجائي وزعم أنه المهدي واستولى على طرابلس وغالب بلاد إفريقية وأخيرا استولى على تونس ثم قصد بجاية وغيرها وظفر في وجهته هاته بأبي إسحاق، وقتله في أخبار طوال وذلك سنة ٦٨٢ هـ ولما ساءت سيرة هذا الدعي بايع العرب أخاه أبا حفص عمر وهو إذ ذاك بقلعة سنان ولما بلغ ذلك الدعي خرج لقتاله واتصلت بينهما الحرب ثم لما انحلت عصبيته اختفى وكان كذابا سفاكا للدماء ظلوما لم يأت يحسنه إلا أحداث جامع الخطبة خارج باب بحر من تونس. ولما اختفى دخل أبو حفص تونس وطهر سرير ملكه من هذا الدعي الخبيث ثم وقع العثور عليه ومثل به وطيف بشلوه سنة ٦٨٣ هـ وحصل الاطمئنان واستقام أمر السلطان وبادر الناس بطاعته من طرابلس إلى تلمسان ولقب بالمنتصر بالله ثم خرج عليه أبو زكرياء بن أبي إسحاق المذكور وانضمت إليه الأعراب وأطاعته بجاية والجزائر وبسكرة والثغور الغربية وانقسمت الدولة لدولتين وفي أيامه استولى صاحب صقلية على جربة وعهد بالولاية لأبي عصيدة محمد بن الواثق بإشارة من معتقده الولي الصالح أبي محمد المرجاني وتوفي في ذي الحجة سنة ٦٩٤هـ وكان ملكا عاقلا كريما فاضلا لم تحدث منه عقوبة لأحد يعظم العلماء والصلحاء ويبرهم وكانت أيامه أيام عدل وهناء وأمن وسرور.." (١)

"الممالك النائية. فانسلخت عنهم أكثر الجهات. وكانوا يصبون الى مراكش. فتمسكت بها مرين. وبقيت عاصمتهم بتونس على أنهم غلبوا عليها أحيانا.

وأول من غلبهم عليها الدعي. وهو أحمد بن مرزوق بن أبي عمارة المسيلي. ولد بها سنة ٦٤٢ ونشأ ببجاية وسيما خياطا معنيا بالتنجيم. يخط الرمل. فيحدثه خطه بالملك. ثم لحق بعرب المعقل من صحراء سجلماسة. وادعى نقل المعادن الى الذهب وأنه المهدي المنتظر. ففضحه العجز. وانتقل الى عرب طرابلس. وادعى أنه الفضل بن الواثق. وكان الفضل قد قتله السلطان أبو اسحق. ولكن أكثر العرب اذا وجدوا سبيلا للثورة خانتهم أحلامهم. فصدقوه. وبايعوه سنة ٨١ ونزع اليه مرضى القلوب من كبار الدولة. فدخل تونس لاشهر من بيعته. وفر السلطان ابو أسحق إلى بجاية. وحاول حربه. فلم ينجح.

وكان الدعي سفاكا للدماء. قتل كثيرا من شيوخ العرب وجند زناتة والنصارى. وبسط العذاب على آخرين. فسئمته الرعية.

---

(١) شجرة النور الزكية في طبقات المالكية مخلوف، محمد بن محمد ١٦٥/٢

وتطلب العرب أميرا حفصيا. وكان ابو حفص أخو السلطان ابي اسحق بقلعة سنان. فقصدوه. وبايعوه. ودخلوا به تونس سنة ٨٣ واختفى منه الدعي حتى أخذ وقتل. وكانت بيعته كما قال لسان الدين ابن الخطيب.
غريبة من لعب الليالي ... ما خطرت لعاقل ببال

٢ – الحكومة الحفصية
الدولة الحفصية مستقلة استقلالا تاما وحكومتها بيد كبار الموحديق وعظماء الجاليات الاندلسية وكلا الفريقين متدرب على قلب الحكومات تخلصا من منافس وطلبا للتمكن في الرئاسة. فشا فيهم." (١)
"أحمد القادياني.. وإلغاء فريضة الجهاد

أخمد الإنجليز الثورة التي اشتعلت ضدهم في الهند (سنة ١٢٧٤هـ = ١٨٥٧م) ، وكانت ثورة عارمة كادت تعصف بالوجود البريطاني كله هناك، وكان المسلمون في الهند وراء إشعال لهيب الثورة، التي يغذيها روح الجهاد وحب الاستشهاد وفتاوى العلماء بأن الهند دار حرب وبعد أن أحكم الإنجليز سيطرتهم، وقضوا على الحكم الإسلامي في الهند، عكفت حكومة الاحتلال على دراسة الأوضاع في شبه القارة الهندية، وإرسال البعثات لجمع المعلومات وتقصي الحقائق؛ بحثا عن الأسباب التي أدت إلى اشتعال الثورة بهذه القوة والضراوة، ووضع الوسائل والآليات التي تمنع حدوثها.
أرسلت الحكومة البريطانية وفدا يضم مفكرين وزعماء مسيحيين في سنة (١٢٨٦هـ = ١٨٦٩م) ، فمكث في الهند فترة يدرس الأوضاع، ويحلل الأسباب وقدم تقريرا إلى الحكومة خلص فيه إلى أن أكثر المسلمين في الهند يتبعون زعماءهم الدينيين اتباع الأعمى، وقالوا: لو وجدنا شخصا يدعي أنه نبي لاجتمع حوله كثير من الناس، ولكن ترغيب شخص كهذا أمر في غاية الصعوبة، فإن حلت هذه المسألة، فمن الممكن أن ترعى نبوة هذا الشخص بأحسن وجه تحت إشراف الحكومة، والآن– ونحن مسيطرون على سائر الهند– نحتاج إلى مثل هذا العمل لإثارة الفتن بين الشعب الهندي وجمهور المسلمين.
وقد درست السلطات البريطانية ما جاء في التقرير وحددت المواصفات لمن يقوم بهذا الدور، وفضلت أن يكون من بين الأسر التي توالي الإنجليز، وأن يكون مسلما تتوافر فيه مقومات الزعامة، خطيبا لبقا، يجيد الجدل والمناظرة، ووجد الإنجليز ضالتهم في "أحمد القادياني

المولد والنشأة
ولد "أحمد مرتضى بن عطاء" سنة (١٢٢٥هـ = ١٨٣٩م) في قرية قاديان، إحدى قرى منطقة البنجاب التابعة الآن لباكستان، وإلى هذه القرية نسب أحمد واشتهر باسم "أحمد القادياني".
نشأ في أسرة تدين بالولاء للإنجليز وترتبط بصداقات مع طائفة السيخ، ألد أعداء الإسلام والمسلمين في الهند، وتعلم تعليما

---

(١) تاريخ الجزائر في القديم والحديث مبارك الميلي ٣٨٣/٢

دينيا، فحفظ شيئا من القرآن، وتعلم اللغتين الفارسية والعربية، ودرس المنطق والحكمة، والأدب، والطب القديم، ولما بلغ أشده عمل موظفا في محكمة ابتدائية إنجليزية في مدينة "سيالكوت" القريبة من لاهور، ثم استقال منها بعد أربعة أعوام لمعاونة أبيه في إدارة شؤونه الخاصة، وطوال هذه الفترة لم يتوقف عن القراءة والمطالعة.

ثم خاض أحمد القادياني غمار الجدل والمناظرات الدينية التي تحتدم في إقليم البنجاب، الذي كان يموج بالإرساليات التبشيرية التي تعمل على تنصير المسلمين وتهاجم الإسلام ونبيه، فضلا عن المناظرات بين أصحاب الأديان المختلفة، وكان المسلمون ينظرون إلى من ينهض للدفاع عن دينهم، ويجيد آليات الجدل ومقارعة الخصوم- نظرة إجلال وتقدير، وكان هذا هو المدخل الذي نفذ من خلاله أحمد القادياني، ويبدو أن هذا كان بتدبير الإنجليز الذين كانوا يبحثون عن الشخص الذي يجعل ما جاء في تقرير لجنتهم موضع التنفيذ.

دعوة القادياني

نجح أحمد القادياني في جذب الأتباع والأنصار إليه باعتباره واحدا من المدافعين عن الإسلام، فالتفوا حوله، وأنزلوه في نفوسهم منزلة رفيعة، ولما رأى شهرته تتسع وأتباعه يتزايدون، أضفى على عمله صفة القداسة، وزعم أنه مأمور من الله تعالى بالدفاع عن الإسلام، وحماية عقيدته، مستغلا ضعف الثقافة الدينية لدى أتباعه، وبراعته في الجدل والإقناع، ثم أتبع ذلك بالدعاية لنفسه بأنه قادر على كشف الغيب، والتنبؤ بأحداث المستقبل، وأنه مستجاب الدعوة.

غير أن هذه الدعاوى لم تصادف قبولا تاما، وأغضبت علماء المسلمين وأثارتهم ضده، وهو الذي يزعم أنه يعمل لصالح الإسلام، فخشي غضبة العلماء وثورة الجماهير فعدل عن ذلك، وتراجع عن ادعاءاته، حتى تحين الفرصة المناسبة، ونسب لنفسه صفة المجدد، مستغلا الحديث المعروف بأن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة عام من يجدد لها دينها.

وفي هذه الفترة ألف كتابين يخدم بهما فكرته، ويهيئ الأذهان للخطوة التالية التي سيقدم عليها؛ حيث جمع في أحدهما آراءه ومناظراته مع خصوم الإسلام، وحشد في الآخر الأدلة الدامغة على ثبوت المعجزات، وإمكانية وقوعها، وليس للعقل البشري المحدود أن ينكر وجودها.

أنا عيسى ابن مريم!!

كان حديثه عن إمكانية حدوث المعجزة التي هي من خصائص الأنبياء التمهيد للخطوة الأخرى، والتوطئة للدعوة إلى نفسه بأنه المسيح الموعود لهذه الأمة الذي بشرت به الأحاديث النبوية، فزعم أن له شبها بالسيد المسيح، وأضفى على نفسه صفات المسيح التي جاءت في المرويات، فأعلن في سنة (١٣٠٩هـ=١٨٩١م) في بلدة "لودهيانة" أنه المسيح الموعود الذي بعثه الله من جديد لتخليص العالم من آلامه وشروره، وأنه الأمل الذي طال انتظاره، وقد واجه علماء المسلمين في لودهيانة ادعاءات القادياني بالرفض والتفنيد، وقاد هذه الحملة الصادقة "مولوي محمد حسين" صاحب جريدة "إشاعة السنة"، ودعا إلى مناظرة القادياني حتى يتبين للناس كذب ما ادعاه، لكن والي المدينة حال دون وقوعها، فقد كان من أتباع القادياني، وأجبر العلماء على مغادرة لودهيانة.

ثم انتقل القادياني إلى "دلهي" العاصمة الهندية يدعو لنفسه، ويبشر بمذهبه، فأنكر عليه العلماء دعواه، وطلبوه للمناظرة،

فلم يستجب لهم، واستمر في دعوته، محميا بالإنجليز الذين أحاطوه برعايتهم، وأسس في سنة (١٣١٦هـ = ١٨٩٨م) مدرسة بقاديان لتعليم أبناء شيعته مبادئ نحلته، ووضع قانونا لأتباعه يدعوهم فيه ألا يزوجوا بناتهم إلا من كان على شاكلتهم ويدين بمذهبهم.

ادعاؤه النبوة

انتقل القادياني إلى المرحلة الثالثة بعد ادعائه الولاية والصلاح، وأنه المسيح الموعود، فأعلن في سنة (١٣١٨ هـ = ١٩٠٠م) النبوة المستقلة، قاطعا شوطا كبيرا، إلى الهدف الذي رسمه الإنجليز في صنع رجل يخدم مصالحهم في الهند، وكان لهذه الدعوى دوي كبير، لم يخفف منه ادعاؤه بأنه نبي يدور في فلك النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) وتابع له، فانصرف عنه كثير من المخدوعين به، وبقي معه أصحاب المنافع والأهواء.

ولم يمض عام على هذه الدعوى حتى أعلن أنه نبي مستقل، مثله مثل سائر الأنبياء والمرسلين، قائلا: إنني صادق كموسى وعيسى وداود ومحمد (صلى الله عليه وسلم) ، وقد أنزل الله لتصديقي آيات سماوية تربو على عشرة آلاف، وقد شهد لي القرآن، وشهد لي الرسول، وقد عين الأنبياء زمن بعثتي، وذلك هو عصرنا هذا.

إلغاؤه فريضة الجهاد

استهدف القادياني من إعلانه النبوة تحقيق أمل الإنجليز في حياة مستقرة بالهند، دون ثورات وقلاقل، كان يقف وراءها المسلمون، ولم يكن هناك ما يحقق هذا الغرض سوى الإعلان بأن الجهاد قد ألغي ونسخ، ولما كان القادياني قد أعلن نفسه نبيا، فإنه أصبح في المنزلة التي تسمح له أن يكون صاحب تشريع يلزم به أتباعه.

أعلن القادياني إلغاء الجهاد للحفاظ على الإنجليز في الهند، فيقول لأتباعه: "اليوم نسخ الجهاد بالسيف بإذن الله، فمن حمل السيف على كافر بعد اليوم وسمى نفسه غازيا فقد عصى رسول الله، الذي قال قبل ألف وثلاثمائة سنة: إن الجهاد بالسيف ينتهي بعد مجيء المسيح الموعود.. فلا جهاد الآن بعد ظهوري".

ويكتب إلى الحكومة الإنجليزية سنة (١٣٢٠هـ = ١٩٠٢م) هذه هي الفرقة القاديانية التي تسعى ليل نهار لإزالة عادة الجهاد المعربدة من أفكار المسلمين.

ويؤلف الكتب والرسائل التي تحارب الجهاد، وخاصة إذا كان ضد الإنجليز، ويقول هو عن ذلك: "لقد ألفت عشرات من الكتب، فيها أنه لا يحل الجهاد أصلا ضد الحكومة الإنجليزية التي أحسنت إلينا".

ومن العجيب أن القادياني الذي نسخ الجهاد وحرمه أوجبه بالاشتراك مع الإنجليز ضد المسلمين، وكأن جهوده كلها كانت مصروفة لصد المسلمين عن محاربة الإنجليز؛ ولذا كان القادياني يجعل طاعة الإنجليز وموالاتهم شرطا لمن يدخل في دعوته، بل وجعل طاعتهم من طاعة الله، فيقول: إن خروجنا ضد الحكم الإنجليزي خروج على طاعة الله ورسوله.

ومنذ عام (١٣٢٠هـ = ١٩٠٢م) بدأ القادياني يميز أتباعه بإحصاء عددهم، وتقييد أسمائهم في سجلات خاصة بهم، والتمييز بينهم وبين المسلمين، وأنشأ في قاديان مسجدا، جعله قبلة للحج لأتباعه بدلا من الحج إلى مكة، وأقام مدرسة لتخريج الدعاة إلى مذهبه، وأصدر مجلة لنشر أفكاره، أطلق عليها "الأديان"، وطاف بمدن الهند للدعوة إلى مذهبه ونحلته، وكان علماء المسلمين يتصدون له في كل مكان ينزل به، ويفندون أفكاره، ويحذرون الناس من دعوته، إلى أن استقر في لاهور سنة (١٣٢٦هـ = ١٩٠٨م) ، وهناك كان علماء المسلمين يجتمعون بعد صلاة العصر في مكان قريب من بيته، يلقون الخطب والمحاضرات يحذرون الناس من الاغترار بمزاعمه، وبقي القادياني في لاهور إلى أن توفي في (٢٣ من ربيع الآخر ١٣٢٦هـ = ٢٦ من مايو ١٩٠٨م) ، وتم نقل جثته إلى قاديان، حيث دفن بها.

وبعد موته تولى ابنه "بشير الدين محمود أحمد" أمور فرقة القاديانية وتنظيم شؤونها، ويجدر بالذكر أن مجلس الأمة الباكستاني أصدر قرارا باعتبار القاديانية أقلية غير مسلمة.

لم ينكر أحد أن الفرق الضالة هي بمثابة مرض سرطاني خبيث في جسد الأمة الإسلامية، وخاصة تلك الفرق التي ارتمت في أحضان الاستعمار، ونشأت وعملت تحت رعايته ومباركته ودعمه، وهي لا تزيد عن كونها (طابور خامس) في الأمة، وشر مستطير على العقيدة والدين وحاضر الأمة ومستقبلها.

ومن هذه الفرق (الطائفة القاديانية) التي تقبع في باكستان، وينتشر أفرادها في العديد من دول العالم، وخاصة بريطانيا، وتعلن عن نفسها بين الحين والآخر، محاولة القيام بعمليات تخريبية في العالم الإسلامي، ونشر أفكارها ومعتقداتها الضالة، وأذكر أننا قد سمعنا منذ عامين عن تلك المحاولات التي جرت قبل موسم الحج، وتمثلت في سعي ١٧٠٠ من حملة الفكر القادياني لدخول المملكة العربية السعودية كحجاج؛ لنشر أفكارهم ومعتقداتهم بين جموع الحجيج، وهي المؤامرة التي دبرها قادة الفكر القادياني في باكستان بمساعدة من الحكومة الباكستانية.

والمؤامرة كانت تقضي بإلغاء الحكومة الباكستانية قبيل موسم الحج تحديد هوية مذاهب مواطنيها بجوازات السفر؛ لكي يتمكن القاديانيون من دخول الأراضي المقدسة، ولكنها باءت بالفشل بعد أن كشفت عنها الصحف الباكستانية ذاتها؛ حيث إن جموع الشعب الباكستاني المسلم يرفضون الفكر القادياني، وسبق أن أصدر البرلمان الباكستاني قرارا في سبعينيات القرن العشرين باعتبار القاديانية فرقة خارجة عن الدين.

ومن المعروف أن الحكومة السعودية قد منعت – منعا باتا – دخول القاديانيين إلى أراضيها؛ بسبب فكرهم المنحرف وكفرهم البائن، فقد أفتى المجمع الفقهي التابع لـ (رابطة العالم الإسلامي) بكفرهم؛ لفساد عقيدتهم، وإن تشابهت أسماؤهم مع أسماء المسلمين.

معتقدات فاسدة

والقاديانية: حركة دينية نشأت عام ١٩٠٠م بإقليم (البنجاب) بالهند – باكستان حاليا – وأطلق عليها (الأحمدية) أيضا، نسبة إلى مؤسسها (ميرزا غلام أحمد) ، وتسميتها بـ (القاديانية) نسبة إلى (قاديان) ، وهي قرية تقع بإقليم (البنجاب) ، وتبعد بنحو ستين ميلا عن (لاهور) ، وهي التي ولد فيها مؤسس هذه الحركة عام ١٨٣٩م.

وقد ظهرت هذه الحركة بتخطيط من الاستعمار الإنجليزي في القارة الهندية، بهدف إبعاد المسلمين عن دينهم، وعن فريضة الجهاد بصورة خاصة، حتى لا يواجهوا الاستعمار باسم الإسلام، وكان لسان حال هذه الحركة هو "مجلة الأديان" التي تصدر باللغة الإنجليزية.

واعتبر (مرزا غلام أحمد القادياني) أداة التنفيذ الأساسية لإيجاد القاديانية، وهو ينتمي إلى أسرة اشتهرت بخيانة الدين والوطن، ولذلك نشأ وفيا للاستعمار، مطيعا له في كل حال، فاختير لدور المتنبئ؛ حتى يلتف حوله المسلمون، وينشغلوا به عن جهاد الاستعمار الإنجليزي، وكان للحكومة البريطانية إحسانات كثيرة عليهم، فأظهروا الولاء لها، وكان (غلام أحمد) معروفا عند أتباعه باختلال المزاج، وكثرة الأمراض، وإدمان المخدرات!

مؤامرة على الإسلام

وهذه الفرقة في حقيقتها مؤامرة دينية وسياسية على الإسلام، احتضنها الإنجليز عندما استعمروا الهند، وتغلغلت بين صفوف المسلمين، وبدأت توجه دعوتها إلى البلاد العربية؛ فظهرت في سوريا والعراق وأندونيسيا، وكانت تتمنى بإلحاح وجود من يصغي لها في الجزيرة العربية والخليج، ولم تستطع في ذلك الوقت، وبرزت القاديانية كعميل قوي للإنجليز باسم الإسلام.

لقد حققت بريطانيا بهذا المذهب فتنا عظيمة بين المسلمين، لا يزال المسلمون يعانونها؛ حيث فرقت كلمتهم، وأوجدت عملاء في كل بلد إسلامي من أبناء ذلك البلد.

لقد وجدت بريطانيا أن القاديانيين خير من يحقق مآربهم، ويخون أمته الإسلامية التي ينتسب إليها.

وسارت القاديانية على خطا مرسومة لها من قبل الإنجليز، فها هو (القادياني) يقول: "لقد قضيت عمري في تأييد الحكومة الإنجليزية ونصرتها، وقد ألفت في منع الجهاد ووجوب الطاعة لأولي الأمر الإنجليز من الكتب والإعلانات والنشرات ما لو جمع بعضها على بعض لملأ خمسين خزانة!! وقد نشرت جميع هذه الكتب في البلاد العربية ومصر والشام وتركيا، وكان هدفي – دائما – أن يصبح المسلمون مخلصين لهذه الحكومة، وأن تمحى من قلوبهم عاطفة الجهاد التي تفسد قلوب الحمقى"!!

وقال – أيضا –: "لقد ظللت منذ حداثة سني – وقد ناهزت اليوم الستين – أجاهد بقلمي ولساني لأصرف قلوب المسلمين إلى الإخلاص للحكومة الإنجليزية، ولألغي فكرة الجهاد التي يدين بها بعض جهالهم، التي تمنعهم من الإخلاص لهذه الحكومة، وأرى أن كتاباتي قد أثرت في قلوب المسلمين، وأحدثت تحولا في مئات الآلاف منهم".

وكان (القادياني) شديد المقت لأهل السنة والجماعة؛ فقد رأى أن الثورات التي يقومون بها ضد المستعمرين من فعل العقول الجامدة والحماقة، وكان يثبطهم بكل ما لديه من قوة وحيلة لمنعهم من جهاد الغزاة، ويصيح فيهم: "إن الجهاد حرام، ويجب

تركه والتسليم للحكومة التي أمر الله بطاعتها".

وقال – أيضا –: "ووالله إنا رأينا تحت ظلها أمنا لا يرجى من حكومة الإسلام في هذه الأيام، ولذلك لا يجوز عندنا أن يرفع عليهم السيف بالجهاد، وحرام على جميع المسلمين أن يحاربوهم؛ ذلك بأنهم أحسنوا إلينا بأنواع الامتنان".

ثم يهاجمون من يقول عنهم إنهم يلغون فكرة الجهاد، فيقولون: إن (القادياني) والقاديانيين لا يلغون فكرة الجهاد، وإن الجهاد الذي يزعمون إلغائه ليس هو جهاد الكفار، إنما ذلك الجهاد الذي يوحي أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – كان جبارا يقتل الناس؛ لأن الإسلام يلغي اعتناق الدين خوفا وطمعا؛ بل إن الإسلام هو أول دين يقر حرية العقيدة".

ثم يقررون أن الحروب الدينية لا تجوز إلا مع من يمنع المسلمين من قول ربنا الله، وأن مثل هذه الحروب لا تهدف لهدم المعابد والكنائس؛ بل ترمي للدفاع عن سائر الملل والأديان، والحفاظ على معابدها، وأن الجهاد لمحاربة من يرغم المسلمين على الارتداد عن الإسلام، فمحاربة أحد على غير هذه الجرائم لا يجوز مطلقا

إله (القادياني) إنجليزي!!

وإذا نظرنا إلى أفكار القاديانية ومعتقداتها الضالة، نجد أن (غلام أحمد) بدأ نشاطه كداعية إسلامي؛ حتى يلتف حوله الأنصار، ثم ادعى أنه مجدد وملهم من عند الله، ثم تدرج خطوة أخرى؛ فادعى أنه المهدي المنتظر والمسيح الموعود، ثم ادعى النبوة، وزعم أن نبوته أعلى وأرقى من نبوة سيدنا – محمد صلى الله عليه وسلم!!

ويعتقد القاديانيون أن الله يصوم ويصلي، وينام ويصحو، ويكتب ويخطئ ويجامع!!! – تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا – كما يعتقد القادياني أن إلهه إنجليزي؛ لأنه يخاطبه بالإنجليزية، وأن النبوة لم تختم بمحمد – صلى الله عليه وسلم – بل هي جارية، والله يرسل الرسول حسب الضرورة، وأن (غلام أحمد) هو أفضل الأنبياء جميعا!!

ويعتقدون أن جبريل كان ينزل على (غلام أحمد) ، وأنه كان يوحي إليه، وأن إلهاماته كالقرآن، ويقولون: لا قرآن إلا الذي قدمه المسيح الموعود (الغلام) ، ولا حديث إلا ما يكون في ضوء تعاليمه، ولا نبي إلا تحت سيادة (غلام أحمد) .

ويعتقدون أن كتابهم منزل، واسمه (الكتاب المبين) ، وهو غير القرآن الكريم، وأنهم أصحاب دين جديد مستقل وشريعة مستقلة، وأن رفاق (الغلام) كالصحابة، وأن (قاديان) كالمدينة المنورة ومكة المكرمة؛ بل وأفضل منهما!! وأرضها حرم، وهي قبلتهم وإليها حجهم، ونادوا بإلغاء عقيدة الجهاد، كما طالبوا بالطاعة العمياء للحكومة الإنجليزية؛ لأنها – حسب زعمهم – ولي الأمر بنص القرآن!! وكل مسلم عندهم كافر حتى يدخل في القاديانية، كما أن من زوج أو تزوج من غير القاديانيين فهو كافر، ويبيحون الخمر والأفيون والمخدرات والمسكرات!!!

وممن تصدى له ولدعوته الخبيثة: الشيخ (أبوالوفا ثناء الأمرتسري) أمير (جمعية أهل الحديث) في عموم الهند؛ حيث ناظره وأفحم حجته، وكشف خبث طويته، وكفر وانحراف نحلته، ولما لم يرجع غلام أحمد إلى رشده؛ باهله الشيخ (أبوالوفا) على أن يموت الكاذب منهما في حياة الصادق، ولم تمر سوى أيام قلائل حتى هلك (المرزا غلام أحمد القادياني) في عام ١٩٠٨م؛ مخلفا أكثر من خمسين كتاب ونشرة ومقال، ومن أهم كتبه: "إزالة الأوهام"، "إعجاز أحمدي"، "براهين أحمدية"، "أنوار الإسلام"، "إعجاز المسيح"، "التبليغ"، "تجليات إلهية".

وبعد موت (ميرزا غلام أحمد) في ١٩٠٨؛ خلفه في رئاسة الحركة (الحكيم نور الدين) ، وهو الخليفة الأول للقاديانية؛ حيث وضع الإنجليز تاج الخلافة على رأسه؛ فتبعه المريدون، وقد قدم ترجمة محرفة للقرآن الكريم إلى الإنجليزية، ومن مؤلفاته "حقيقة الاختلاف"، "النبوة في الإسلام"، و"الدين الإسلامي" و"فصل الخطاب"، وبعده انقسمت الحركة إلى شعبتين:

الأولى: تزعمها "بشير الدين محمود بن غلام أحمد"، وهى شعبة (قاديان) ، وقد حافظ المنتسبون إلى هذه الشعبة على أفكار (ميرزا غلام أحمد) وتشددوا في تنفيذها حرفيا.

الثانية: تزعمها "محمد علي اللاهوري" وهي شعبة (لاهور) ، وتعرف بـ (الأحمدية) ، ومن معتقداتهم:
١- عدم إنكار إلهامات (ميرزا غلام أحمد) ، إلا أنهم أنكروا ادعاءه النبوة، وفسروا ما ورد عنه من نصوص في هذا الصدد بأنها (تعبيرات مجازية) .
٢- تحاشوا تسمية المسلمين الذين لم يؤمنوا بدعوتهم كفارا، ولكنهم أطلقوا عليهم اسم (الفاسقين) .
ويطلق على هاتين الشعبتين (شعبة قاديان، شعبة لاهور) الحركة الأحمدية، ولهما نشاط واسع في كثير من أقطار الأرض، يتمثل في بناء المساجد، وإنشاء المراكز الثقافية.

ومن زعماء هذا المذهب الضال - أيضا -:
- محمد صادق: مفتي القاديانية، من مؤلفاته "خاتم النبيين".
- بشير أحمد بن الغلام: من مؤلفاته "سيرة المهدي"، "كلمة الفصل".
- محمود أحمد بن الغلام: ومن مؤلفاته "أنوار الخلافة"، و"تحفة الملوك"، "حقيقة النبوة".
وكان لتعيين (ظفر الله خان القادياني) كأول وزير للخارجية الباكستانية أثر كبير في دعم هذه الفرقة الضالة؛ حيث خصص لها بقعة كبيرة في إقليم (بنجاب) ؛ لتكون مركزا عالميا لهذه الطائفة، وسموها (ربوة) ؛ استعارة من نص الآية القرآنية: ﴿وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين﴾ [المؤمنون: ٥٠] .

محاربة الفكر القادياني
والفرقة القاديانية فرقة ضالة بإجماع علماء المسلمين، وقد صدرت بذلك فتاوى متعددة من عدد من المجامع والهيئات الشرعية في العالم الإسلامي، ومنها: المجمع الفقهي التابع لـ (رابطة العالم الإسلامي) ، و (مجمع الفقه الإسلامي) التابع لـ (منظمة المؤتمر الإسلامي) ، و (هيئة كبار العلماء) بالمملكة العربية السعودية، هذا عدا ما صدر من فتاوى علماء مصر والشام والمغرب والهند وغيرها.
وقد تصدى المسلمون في باكستان لمحاربة الفكر القادياني وفضحه، ففي عام ١٩٥٣م قامت ثورة شعبية في باكستان، طالبت بإقالة (ظفر الله خان) وزير الخارجية حينئذ، واعتبار الطائفة القاديانية أقلية غير مسلمة، وقد استشهد فيها زهاء

العشرة آلاف من المسلمين، ونجحوا في إقالة الوزير القادياني.
وفي شهر ربيع الأول عام ١٣٩٤هـ، الموافق أبريل ١٩٧٤م، انعقد مؤتمر كبير بـ (رابطة العالم الإسلامي) في مكة المكرمة، وحضره ممثلون للمنظمات الإسلامية العالمية من جميع أنحاء العالم، وأعلن المؤتمر كفر هذه الطائفة وخروجها عن الإسلام، وطالب المسلمين بمقاومة خطرها، وعدم التعامل مع القاديانيين، وعدم دفن موتاهم في قبور المسلمين.

وقد جاء في قرارات (مجمع الفقه الإسلامي) ما يلي: "بعد أن نظر في الاستفتاء المعروض من (مجلس الفقه الإسلامي) في (كيب تاون) بجنوب أفريقيا، بشأن الحكم في كل من (القاديانية) والفئة المتفرعة عنها التي تدعى (اللاهورية) ، من حيث اعتبارهما في عداد المسلمين أو عدمه، وفي ضوء ما قدم لأعضاء المجمع من أبحاث ومستندات في هذا الموضوع عن (ميرزا غلام أحمد القادياني) ، الذي ظهر في الهند في القرن الماضي، وإليه تنسب نحلة القاديانية واللاهورية، وبعد التأمل فيما ذكر من معلومات عن هاتين النحلتين، وبعد التأكد من أن (ميرزا غلام أحمد) قد ادعى النبوة بأنه نبي مرسل يوحى إليه، وثبت عنه هذا في مؤلفاته التي ادعى أن بعضها وحي أنزل عليه، وظل طيلة حياته ينشر هذه الدعوة، ويطلب إلى الناس في كتبه وأقواله الاعتقاد بنبوته ورسالته، كما ثبت عنه إنكار كثير مما علم من الدين بالضرورة كالجهاد.

وقرر المجمع: أن ما ادعاه (ميرزا غلام أحمد) من النبوة والرسالة ونزول الوحي عليه إنكار صريح لما ثبت من الدين بالضرورة، ثبوتا قطعيا يقينيا من ختم الرسالة والنبوة بسيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – وأنه لا ينزل وحي على أحد بعده، وهذه الدعوى من (ميرزا غلام أحمد) تجعله وسائر من يوافقونه عليها مرتدين خارجين عن الإسلام، وأما اللاهورية فإنهم كالقاديانية في الحكم عليهم بالردة، وما وصفهم (ميرزا غلام أحمد) بأنه ظل وبروز لنبينا محمد – صلى الله عليه وسلم".
وقام مجلس الأمة في باكستان (البرلمان المركزي) بمناقشة زعيم الطائفة (مرزا ناصر أحمد) ، والرد عليه من قبل الشيخ (مفتي محمود) – رحمه الله – وقد استمرت هذه المناقشة قرابة الثلاثين ساعة، عجز فيها (ناصر أحمد) عن الإجابة، وانكشف النقاب عن كفر هذا الطائفة؛ فأصدر المجلس قرارا باعتبار القاديانية أقلية غير مسلمة.

ومن موجبات كفر الميرزا غلام أحمد ما يلي:
١ – ادعاؤه النبوة.
٢– نسخه فريضة الجهاد خدمة للاستعمار.
٣– إلغاؤه الحج إلى مكة، وتحويله إياه إلى قاديان.
٤– تشبيهه الله – تعالى – بالبشر.
٥– إيمانه بعقيدة التناسخ والحلول.
٦– نسبته الولد إلى الله – تعالى – وادعاؤه أنه ابن الإله.
٧– إنكاره ختم النبوة بمحمد – صلى الله عليه وسلم – وفتح بابها لكل من هب ودب!!

موقف الأزهر الشريف

وكون الأزهر الشريف لجنة برئاسة الشيخ (عبد المجيد اللبان) – أول عميد لكلية أصول الدين في ثلاثينيات القرن العشرين – قامت ببحث حالة طالبين ينتسبان إلى هذه الجماعة، كانا يروجان لمذهبهما في مصر، وكان القرار الذي أصدرته هذه اللجنة ينص على أن القاديانيين كافرون، كما قضت بفصل الطالبين من الأزهر.

وقد بني الحكم بكفر من يعتنق أفكار هذه الطائفة على أساس ما ادعاه مؤسسها (ميرزا غلام أحمد) من أن المسيح لم يرفع ببدنه إلى السماء؛ بل بروحه، أما بدنه فمدفون في الهند، وكان هذا أول رأى خالف فيه جمهور المسلمين، ثم ادعى أن روح المسيح قد حلت فيه، فعودة المسيح التي يؤمن بها المسلمون قد تحققت بحلول روح المسيح في جسده، كما ادعى أنه المهدي المنتظر، فهو مرسل ليجدد أمر الدين الإسلامى؛ فما يقوله هو الحق، وليس لأحد أن ينكره؛ إذ هو يتكلم عن الله – تعالى. ولم يكتف بهذا؛ بل ادعى أن (اللاهوت) قد حل في جسده، وأن المعجزات قد ظهرت على يديه؛ فهو رسول من عند الله، ورسالته لا تتنافى مع كون محمد – صلى الله عليه وسلم – خاتم النبيين؛ فهو يفسر خاتم النبيين في قوله – تعالى –: ﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾ [الأحزاب: ٤٠] ، بأن كل رسول يجيء من بعده يكون بخاتمه وإقراره، ويحيي شرعه ويجدده.

ومن آرائه المخالفة لتعاليم الإسلام:

١– ألغى فريضة الجهاد، معللا ذلك بأنه قد استنفد أغراضه؛ فلا داعي إليه بعد أن زالت الفتنة في الدين.

٢– عدم جواز صلاة الأحمدي خلف إمام غير الأحمدي.

٣– الحكم على من لم يؤمن بدعوته بالكفر.

٤– عدم جواز زواج الأحمدية بغير أحمدي.

القاديانية وإسرائيل

وللقاديانية علاقات وطيدة مع إسرائيل، وقد فتحت لهم إسرائيل المراكز والمدارس، ومكنتهم من إصدار مجلة تنطق باسمهم، وطبع الكتب والنشرات لتوزيعها في العالم، كما تأثرت القاديانية بالمسيحية واليهودية والحركات الباطنية في عقائدهم وسلوكهم، على الرغم من ادعائهم الإسلام ظاهريا.

ومعظم القاديانيين يعيشون الآن في الهند وباكستان، وقليل منهم في إسرائيل والعالم العربي، ويسعون بمساعدة الاستعمار للحصول على المراكز الحساسة في كل بلد يستقرون فيه، وللقاديانيين نشاط كبير في أفريقيا وبعض الدول الغربية، ولهم في أفريقيا وحدها ما يزيد عن خمسة آلاف مرشد وداعية، متفرغين لدعوة الناس إلى القاديانية، ونشاطهم الواسع يؤكد دعم الجهات الاستعمارية لهم.

وتحتضن الحكومة الإنجليزية هذا المذهب، وتسهل لأتباعه التوظف بالدوائر الحكومية العالمية في إدارات الشركات

والمفوضيات، وتتخذ منهم ضباطا من رتب عالية في مخابراتها السرية، وينشط القاديانيون في الدعوة إلى مذهبهم بكافة الوسائل، وخصوصا الثقافية منها؛ حيث إنهم مثقفون، ولديهم كثير من العلماء والمهندسين والأطباء، ويوجد في بريطانيا قناة فضائية باسم التلفزيون الإسلامي يديرها القاديانيون.." (١)

"القاديانية (الأحمدية)

التعريف:

القاديانية: حركة نشأت سنة ١٩٠٠ م بتخطيط من الاستعمار الإنجليزي في القارة الهندية، بهدف إبعاد المسلمين عن دينهم وعن فريضة الجهاد بشكل خاص، حتى لا يواجهوا المستعمر باسم الإسلام، وكان لسان حال هذه الحركة هو مجلة الأديان التي تصدر باللغة الإنجليزية.، ابتدعها الميرزا غلام أحمد القادياني (١٢٤٨ . ١٣١٩ هـ-١٨٣٩-١٩٠٨م) ، وسميت بالقاديانية نسبة إلى مدينة قاديان في البنجاب الهندية حيث ولد الميرزا أحمد الذي ادعى أنه المسيح المعهود، والمهدي الموعود في وقت واحد، وتأثر بالغرب غاية التأثر، وغلف دعوته بشعارات التجديد للإسلام والإصلاح والتقدم.

عوامل الظهور:

. لما استقرت أقدام الإنجليز في الهند وجدوا فيها خمسين مليونا من المسلمين يتحركون بتعاليم الدين ورؤى القرآن الذي يتلى عليهم ويحرضهم على الجهاد والمقاومة ضد الكافرين، فأخذ المستعمرون الإنجليز يبحثون عن سبل إزالة هذا الدين من ارض الهند أو محاولة إضعافه فوجدوا افضل وسيلة لتحقيق ذلك هي اختيار رجل ذي منصب ديني ومن المسلمين أنفسهم وهكذا كان (ميرزا غلام أحمد القادياني) هو الرجل الذي ينهض بهذا الدور الخطير ويحقق للمستعمر الإنجليزي غاياته وأغراضه وقد كان مضطرب الأفكار والعقائد وكان طموحا بتأسيس ديانة جديدة تترك بصماتها على قلب التأريخ.

. لقد أقلقت بريطانيا حركة الإمام الشهيد «أحمد بن عرفان» (١٨٤٢ م) الذي استطاع حمل مشعل الجهاد والمقاومة وبث روح النخوة الإسلامية، والحماس الديني في صدور المسلمين في الربع الأول من القرن التاسع عشر الميلادي في بلاد الهند، وقد عانت منهم الحكومة الإنجليزية مصاعب جمة، وكانوا موضع اهتمامها، كما رأت الحكومة الإنجليزية أن دعوة السيد جمال الدين الحسيني الشهير بالأفغاني أخذت بالانتشار في العالم الإسلامي بشكل مذهل، فكان لابد من مواجهة ذلك الشخص بشخص من داخل المسلمين أنفسهم يستطيع التأثير فيهم، وتشويش عقائدهم وقد أجاد هذا الدور الميرزا غلام أحمد القادياني بأداء رائع خدم الاستعمار الإنجليزي كثيرا.

مولد ونشأة القادياني (مؤسس القاديانية) :

هو: المرزا غلام أحمد بن مرتضى القادياني:

---

(١) حياة محمد ورسالته محمد علي اللاهوري القادياني ص/

ينتمي إلى السلالة المغولية تنسب إلى قبيلة (برلاس) عم السلطان تيمور الغازي وظهر انه من النسل الفارسي، كانت عائلة المزار تسكن مدينة سمرقند، وهاجر من مدينة سمرقند إلى البنجاب (الهند) واستوطن فيها، وعين قاضيا او حاكما لسبعين قرية، ولد عام ١٨٤٠ في قاديان (الهند) وتعلم الفارسية والعربية إلى جانب الأوردية وتلقى دروسا في المنطق والحكمة والعلوم الدينية والطب القديم، والمطالعة

عائلة القادياني:

عائلته دخلت في معارك كثيرة على السلطة المحلية والنفوذ والظروف التي عاشها المرزا غلام قد أثرت في شخصيته وسقوط إمارتهم على يد حكومة (السكة) قد أحدثت جرما عميقا في نفسيته وأن مجيئ الإنكليز إلى مقاطعة البنجاب أدى إلى تعاون بينه وبين الإنكليز كان بداية الاتفاق وانضم والده والمرزا غلام إلى القوات الإنكليزية وكان مسؤولا عن قمع الثوار المسلمين في الانتفاضة التحررية الكبرى ١٨٧٥ وكان موقف المرزا غلام مرتضى والد مؤسس القاديانية انه قدم فرقة مؤلفة من خمسين فارسا لمساعد الحكومة الإنكليزية ومن الأعمال التي قام بها المرزاغلام مرتضى في هذا الجيش انه قتل لمساندة الجنرال لنكولن الشباب المسلمين من الثوار من فرقة المشاة ٤٦ بعد أن نكل بهم وقام بتعذيبهم كما أن المرزاغلام أحمد أقر بولائه الصادق للإنكليز ويتفاخر المرزا أحمد بخدمات عائلته للإنكليز، لقد أقرت الحكومة الإنكليزية بأن أسرة غلام أحمد كانت من كبار المخلصين والصادقين للإنكليز وفي بيت المرزا غلام أحمد كان يرى أباه، يجهز بقوة وينضم بها إلى صفوف الإنكليز وكانت مسرحا لاجتماع القادة العسكريين الإنكليز وهم يرسمون الخطط والوسائل للقضاء على الثورة الإسلامية وقتل رجالها وكانت مقاطعة القاديان تعج بالمشاكل والفتن والثورات وقد وجد المرزا أحمد محيطا مناسبا لفكرته ودعوته وطموحه ووجد في البيئة التي نشأ فيها والظروف والأوضاع التي عاصرته ورافقته كل مساعد ومشجع ووجد من الحكومة التي كانت في أشد الحاجة إلى زعيم روحي يؤيد سياستها.

وكانت ظروف شبه القارة الهندية وفي أفغانستان وإيران وما بعدها من الدول الإسلامية مشبعة بروح الجهاد والنزعة لمجابهة الاستعمار ومقاومته، فدبرت الحكومة الإنكليزية بعث المرزاغلام أحمد المتنبئ للمسلمين لكي يميتوا بهذه الوسيلة روح الجهاد في قلوب المسلمين في بنجاب، فقامت باختيار المرزا غلام أحمد ليتولى زعامة حركة دينية تعمل تحت إمرتهم وتسير وفق توجيهاتهم وأوامرهم بالتنسيق والتعاون بينه وبين الإنكليز

ومن الأسباب التي كانت وراء اختيار المرزا غلام أحمد لهذه المهمة:

استعداد المرزا غلام للعمالة: لأنه ولد في عائلة عميلة للاستعمار وكان الإنكليز يقدمون الدعم المادي والمعنوي التي هي من غرس الإنكليز وصنائعهم وقد ألف العديد من الكتب والإعلانات والنشرات ونشرت في جميع هذه الكتب في البلاد العربية وتركيا وكان هدفه دائما أن يصبح المسلمين مخلصين لهذه الحكومة

انقسام القاديانية:

انشقت القاديانية ـ بعد نشأتها بقليل ـ إلى شقين أبرزهما ما يعرف باسم «الأحمدية» و «جماعة لاهور» وزعيما هذا الفرع

هما: «نور الدين» و «مولاي محمد علي» ولهذا الفرع نشاط كبير في خارج الهند، في آسيا وأوربا.

نهاية القادياني

كان علماء المسلمين يتصدون له في كل مكان ينزل به، ويفندون أفكاره، ويحذرون الناس من دعوته، إلى أن استقر في لاهور سنة (١٣١٩هـ = ١٩٠٨م) ، وهناك كان علماء المسلمين يجتمعون بعد صلاة العصر في مكان قريب من بيته، يلقون الخطب والمحاضرات يحذرون الناس من الاغترار بمزاعمه، وممن تصدى لدعوته الخبيثة، الشيخ أبو الوفاء ثناء الله الأمر تسري أمير جمعية أهل الحديث في عموم الهند، حيث ناظره وأفحم حجته، وكشف خبث طويته، وكفر وانحراف نحلته. ولما لم يرجع غلام أحمد إلى رشده باهله الشيخ أبو الوفاء على أن يموت الكاذب منهما في حياة الصادق، ولم تمر سوى أشهر قلائل حتى هلك المرزا غلام أحمد القادياني في لاهور في (٢٣ من ربيع الآخر ١٣١٩هـ = ٢٦ من مايو ١٩٠٨م) ، وتم نقل جثته إلى قاديان، ودفن في (مقبرة الجنة) .

وبعد موته تولى ابنه "بشير الدين محمود أحمد" أمور فرقة القاديانية وتنظيم شؤونها، ويجدر بالذكر أن مجلس الأمة الباكستاني أصدر قرارا باعتبار القاديانية أقلية غير مسلمة.

مؤلفات القادياني:

وقد خلف أكثر من خمسين كتابا ونشرة ومقالا، ومن أهم كتبه:

(إزالة الأوهام) ، و (إعجاز أحمدي) ، و (براهين أحمدية) ، و (أنوار الإسلام) ، و (إعجاز المسيح) ، و (التبليغ) ، و (تجليات إلهية) ؟، وغيرها.

أهم العقائد:

١ بدأ غلام أحمد نشاطه كداعية إسلامي حتى يلتف حوله الأنصار (من سنة١٨٨٠إلى١٨٨٨م) ثم ادعى أنه مجدد وملهم من الله (سنة١٨٨٨م) ثم تدرج خطوة أخرى فادعى أنه المهدي المنتظر والمسيح الموعود (سنة١٨٩١م) ثم ادعى النبوة وزعم أن نبوته أعلى وأرقى من نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (سنة١٩٠٠م) .

٢ يعتقد القاديانيون أن الله يصوم ويصلي وينام ويصحو ويكتب ويخطئ ويجامع – تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا –.

٣ يعتقد القادياني بأن إلهه إنجليزي لأنه يخاطبه بالإنجليزية!! .

٤ تعتقد القاديانية بأن النبوة لم تختم بمحمد صلى الله عليه وسلم بل هي جارية، والله يرسل الرسول حسب الضرورة، وأن غلام أحمد هو أفضل الأنبياء جميعا

٥ يعتقدون أن جبريل عليه السلام كان ينزل على غلام أحمد وأنه كان يوحى إليه، وأن إلهاماته كالقرآن.

٦ يقولون لا قرآن إلا الذي قدمه المسيح الموعود (الغلام) ، ولا حديث إلا ما يكون في ضوء تعليماته، ولا نبي إلا تحت سيادة غلام أحمد.

٧ يعتقدون أن كتابهم منزل واسمه الكتاب المبين وهو غير القرآن الكريم.
٨ يعتقدون أنهم أصحاب دين جديد مستقل وشريعة مستقلة وأن رفاق الغلام كالصحابة.
٩ يعتقدون أن قاديان كالمدينة المنورة ومكة المكرمة بل وأفضل منهما وأرضها حرم وهي قبلتهم وإليها حجهم.
١٠ نادوا بإلغاء عقيدة الجهاد كما طالبوا بالطاعة العمياء للحكومة الإنجليزية لأن حسب زعمهم ولي الأمر بنص القرآن!!!
١١ كل مسلم عندهم كافر حتى يدخل القاديانية: كما أن من تزوج أو زوج من غير القاديانيين فهو كافر.
١٢ يبيحون الخمر والأفيون والمخدرات.

أماكن الانتشار:
يبلغ عدد نفوس هذه الطائفة ما يقارب النصف مليون شخص، ويقيم أغلب أفرادها في الهند، والآخرون يتوزعون بين الباكستان وبنغلادش وفلسطين.
انتشرت تعاليم «ميرزا غلام أحمد القادياني» في بلدان إسلامية مختلفة كإيران وأفغانستان والجزيرة العربية ومصر.

موقف علماء المسلمين من القاديانية:
وفي شهر ربيع الأول ١٣٩٤هـ الموافق إبريل ١٩٧٤م انعقد مؤتمر كبير برابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة وحضره ممثلون للمنظمات الإسلامية العالمية من جميع أنحاء العالم، وأعلن المؤتمر كفر هذه الطائفة وخروجها عن الإسلام، وطالب المسلمون بمقاومة خطرها وعدم التعامل مع القاديانيين وعدم دفن موتاهم في قبور المسلمين.
قام مجلس الأمة في باكستان (البرلمان المركزي) بمناقشة زعيم الطائفة مرزا ناصر أحمد والرد عليه من قبل الشيخ مفتي محمود رحمه الله. وقد استمرت هذه المناقشة قرابة الثلاثين ساعة عجز فيها ناصر أحمد عن الأجوبة وانكشف النقاب عن كفر هذه الطائفة، فأصدر المجلس قرارا باعتبار القاديانية أقلية غير مسلمة.

من موجبات كفر الميرزا غلام أحمد الآتي:
- ادعاؤه النبوة.
- نسخه فريضة الجهاد خدمة للاستعمار.
- إلغاؤه الحج إلى مكة وتحويله إلى قاديان.
- تشبيهه الله تعالى بالبشر.
- إيمانه بعقيدة التناسخ والحلول.
- نسبته الولد إلى الله تعالى وادعاؤه أنه ابن الإله.
- إنكاره ختم النبوة بمحمد صلى الله عليه وسلم وفتح بابها لكل من هب ودب.
للقاديانية علاقات وطيدة مع إسرائيل وقد فتحت لهم إسرائيل المراكز والمدارس ومكنتهم من إصدار مجلة تنطق باسمهم

وطبع الكتب والنشرات لتوزيعها في العالم.

تأثرهم بالمسيحية واليهودية والحركات الباطنية واضح في عقائدهم وسلوكهم رغم ادعائهم الإسلام ظاهريا.." (١)

"فاضل، من أهل بوسنة، ولد في بلدة (سراي) وتعلم في (أسكدار) ودرس في الآستانة وبروسة وتوفي بهذه شابا. له رسالتان بالعربية إحداهما في (وصف القلم) والثانية في (وصف السيف) (١) .

ابن الوزير

(٩٢١ - ٩٨٥ هـ = ١٥١٥ - ١٥٧٧ م)

أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إبراهيم الوزير: مؤرخ يمني، سكن أواخر أيامه بمدينة صعدة.

صنف في أخبار أسرته (تاريخ السادات العلماء الكمل الفضلاء بني الوزير - خ) منه عدة نسخ: في مكتبة الجامع الكبير بصنعاء (١٠٦ ورقات) وفي رضا رامبور (بالهند) وفي الأمبروزيانا.

وله (شفاء الصدور - خ) في مكتبة الجامع بصنعاء (١٥٤ ورقة) شرح أرجوزة في نسب المتوكل على الله يحيي بن شرف الدين، و (السلسلة الذهبية في ضبط السلالة المفضلية - خ) منظومة في نسب آل الوزير، بمكتبة الأمبروزيانا (الرقم ١٦٣) . (٢)

ابن محلي

(٩٦٧ - ١٠٢٢ هـ = ١٥٦٠ - ١٦١٣ م)

أحمد بن عبد الله السلجماسي العباسي الفلالي أبو العباس، المعروف بابن محلى: ثائر متصوف، من العلماء، ادعى أنه المهدي المنتظر. ولد بسجلماسة، وخرج لطلب العلم بفاس في حدود سنة ٩٨٠هـ فأقام مدة طويلة وحج وتصوف، وكثر أتباعه. وذهب إلى جنوب المغرب، فكاتب رؤساء القبائل وعظماء البلدان يحضهم على الاستمساك بالسنة ويشيع أنه المهدي الفاطمي (المنتظر) ويقول أنه من سلالة العباس بن

---

(١) الجوهر الأسنى ٢٩ وهدية العارفين ١: ١٤٨ وعرفه بشق القمر.

(٢) ملحق البدر الطالع ٣٦ ومراجع تاريخ اليمن ٧٨، ١٧٩، ١٩٥.." (٢)

"٩٥٩ سفيرا بين سلطان آل عثمان والأمير أبي عبد الله الشريف للمهادنة بينهما. وتوفي بالجزائر. له مؤلفات منها كتاب في (التفسير) (الحكم الكبرى -خ) و (شرح كتاب عين بـ النفس ومداواتها -خ) (١)

---

(١) حياة محمد ورسالته محمد علي اللاهوري القادياني ص/

(٢) الأعلام للزركلي خير الدين الزركلي ١٦١/١

ابن الحنفية

(٢١ - ٨١ هـ = ٦٤٢ - ٧٠٠ م)

محمد بن علي بن أبي طالب، الهاشمي القرشي، أبو القاسم المعروف بابن الحنفية: أحد الأبطال الأشداء في صدر الإسلام. وهو أخو الحسن والحسين، غير أن أمهما فاطمة الزهراء، وأمه خولة بنت جعفر الحنفية، ينسب إليها تمييزا له عنهما. وكان يقول: الحسن والحسين أفضل مني، وأنا أعلم منهما. كان واسع العلم، ورعا، أسود اللون. وأخبار قوته وشجاعته كثيرة. وكان المختار الثقفي يدعو الناس إلى إمامته، ويزعم أنه المهدي. وكانت الكيسانية (من فرق الإسلام) تزعم أنه لم يمت وأنه مقيم برضوى. مولده ووفاته في المدينة. وقيل: خرج إلى الطائف هاربا من ابن الزبير، فمات هناك. للخطيب علي بن الحسين الهاشمي النجفي كتاب (محمد ابن الحنفية - ط) في سيرته (٢) .

الباقر

(٥٧ - ١١٤ هـ = ٦٧٦ - ٧٣٢ م)

محمد بن علي زين العابدين بن الحسين الطالبي الهاشمي القرشي، أبو جعفر الباقر: خامس الأئمة الاثني عشر عند الإمامية. كان ناسكا عابدا، له

---

(١) شجرة النور ١٨٤ وهو فيه (الطرابلسي) وفي Brock S ٢: ٢٠١ (السفاقسي)

(٢) طبقات ابن سعد ٥: ٦٦ ووفيات الأعيان ١: ٤٤٩ وصفة الصفوة ٢: ٤٢ وحلية الأولياء ٣: ١٧٤ والبدء والتاريخ ٥: ٧٥ وفيه: وفاته بالطائف زمن الحجاج. وتهذيب الأسماء واللغات: القسم الأول من الجزء الأول ٨٨ ونزهة الجليس ٢: ٢٥٤ ومحمد ابن الحنفية للهاشمي، وفيه ترجيح ولادته سنة ١٥.." (١)

"وشغلت البعوث والصوائف كلها أعواما متوالية، بمحاربة الخوارج والثوار في مختلف الأنحاء. ولم يقم النصارى من جانبهم بغزوات ذات شأن في الأراضي الإسلامية. وشغل ألفونسو الثالث ملك ليون (جليقية) الذي خلف أباه أردونيو على العرش في سنة ٨٦٦ م بتنظيم مملكته وتوطيد حدودها، منتهزا فرصة الاضطراب الذي ساد المملكة الإسلامية. وكان من أعظم أعماله استيلاؤه على مدينة سمورة وهي من أمنع مدن الحدود الشمالية الغربية، وذلك في سنة ٢٨٠ هـ (٨٩٣ م) (١). وحصن ألفونسو سمورة وأسكنها النصارى، واتخذها قاعدة للإغارة على الأراضي الإسلامية المجاورة ومعظم سكانها من البربر (٢). ولما اشتدت الفتنة وعمت سائر النواحي، ظهر في أحواز طليطلة وطلبيرة، أحمد بن معاوية المعروف بابن القط، وهو من ولد هشام بن عبد الرحمن، ودعا لنفسه بين البربر في تلك الأنحاء، وزعم أنه المهدي، وكان عالما ومشعوذا وافر الذكاء والعزم، فالتفت حوله جموع غفيرة من البربر، وأعلن الجهاد وقصد إلى سمورة لافتتاحها، وكتب إلى ألفونسو رسالة عنيفة يدعوه فيها إلى الإسلام وينذره بالويل إذا أبى. وكان ألفونسو يومئذ في قواته على مقربة من سمورة، فسار إلى لقاء

---

(١) الأعلام للزركلي خير الدين الزركلي ٦/٢٧٠

المهدي وقواته، ودارت الموقعة في مخائض نهر دويرة أمام سمورة، فهزم النصارى أولا وارتدوا، وحاصر المهدي سمورة. ولكن حدث عندئذ أن انسحب زعماء البربر في قواتهم خشية من تفوقه عليهم وغدره بهم. وصمد ابن القط فيمن بقى معه، ثم نشبت بينه وبين النصارى موقعة ثانية قاتل فيها ببسالة حتى قتل ومزقت قواته، واحتز رأسه وسمر فوق أحد أبواب سمورة. وكان ذلك في شهر رجب سنة ٢٨٨ هـ (يوليه سنة ٩٠١ م) وبذا انهارت حركته ووطد ألفونسو سيادته في تلك الأنحاء (٣).

وكان ألفونسو الثالث يعمل على انتهاز كل فرصة لإذكاء الفتنة والاضطراب في المملكة الإسلامية، وكان يقصده الثوار وفي مقدمتهم عميدهم ابن حفصون، للتحالف معه ضد حكومة قرطبة؛ واستدعاه أهل طليطلة في أواخر عهد الأمير

---

(١) البيان المغرب ج ٢ ص ١٢٧.

(٢) المقتبس ص ١٠٩.

(٣) راجع تفاصيل حركة ابن القط وموقعة سمورة، في المقتبس ص ١٣٣ – ١٣٩، وكذلك في ابن الأبار، الحلة السيراء ص ٩١ – ٩٢؛ والبيان المغرب ج ٢ ص ١٤٤، ودوزي: Hist.; V.II.p. ١٣٢-١٣٤.." (١)

"بها نحو شهرين حتى استراح جنده. ثم قصد إلى بلاد بني يفرن وهاجم قاعدتهم تادلا واقتحمها، وقتل من بها من بني يفرن، وظفر بلقوط المغراوي فقتله، وكانت زوجه زينب بنت إسحاق النفزاوية قد اشتهرت بحسنها ونبلها، فتزوجها الأمير أبو بكر اللمتوني. وبعد أن نظم عبد الله بن ياسين شئون هذه المنطقة سار إلى تامسنا لمقاتلة قبائل برغواطة.

وكانت هذه القبائل تدين بمذهب تنافي تعاليمه الإباحية أحكام الإسلام، أسسه رجل يهودي الأصل يدعى صالح بن طريف البرناطي نسبة إلى برناط، وهو حصن من أعمال شذونة بالأندلس، ووفد على منطقة تامسنا منذ أوائل القرن الثاني من الهجرة ونشر مذهبه بين أهلها، وهم قوم تسودهم البداوة والجهالة المطلقة، فادعى النبوة وأنه قد نزل عليه قرآن جديد، كان يتلو بعض سوره وزعم أنه المهدي الذي يخرج في آخر الزمان، وجعل الصلوات خمسا في النهار وخمسا في الليل، والصوم في شهر رجب، وأباح لهم الزواج بأي عدد من النساء إلى غير ذلك. وكثر عدد أنصاره بمضي الزمن حتى أصبحوا أمة كبيرة يطلق عليها برغواطة. وفي بعض الروايات أن برغواطة تنتمي إلى قبيلة زناتة الشهيرة.

ويقول ابن خلدون إنهم من المصامدة من حيث الوطن والجوار، وهم قبائل شتى لا يجمعهم أصل واحد، وإنما هم أخلاط من البربر اجتمعوا إلى مذهب صالح بن طريف (١). وأقام هذا الدعي صالح بن طريف لنفسه رياسة وملكا في تلك المنطقة، منطقة تامسنا، وشاطىء المحيط الممتد من شمالي أزمور جنوبا حتى آسفي، وتوارث أعقابه وقرابته الملك من بعده. واشتهر منهم في أواخر القرن الثالث أبو غفير محمد بن معاذ بن اليسع بن صالح، واشتدت شوكته وعظم أمره، وكانت له في البربر وقائع مشهورة. وحارب ملوك العدوتين المغرب والأندلس، من الأدارسة وبني أمية والشيعة، قبائل برغواطة، وحاربهم بلكين

---

(١) دولة الإسلام في الأندلس محمد عبد الله عنان ٣٤٥/١

بن زيري زعيم صنهاجة، حينما غزا المغرب سنة ٣٦٨ هـ، ولقيه أميرهم أبو منصور عيسى بن أبي الأنصاري في قومه، فهزم وقتل، وأمعن بلكين فيهم تقتيلا. ثم حاربهم المنصور بن أبي عامر، وبعث لقتالهم الفتى واضح،

---

(١) ابن خلدون ج ٦ ص ٢٠٩ و ٢١٠، والاستقصاء ج ١ ص ١٠٣.." (١)

"خلال جبال المصامدة، ومن لقيه خلال رحلته من الصحب والأتباع. ورحل ابن تومرت وصحبه بعد ذلك إلى قرية إيجليز أوجبل إيجليز من بلاد هرغة، بلده وموطن قومه وعشيرته، ونزل في مكان منيع لا يصل إليه أحد إلا من طريق لا يسلكها إلا الراكب بعد الراكب، وتدافع عنها أقل عصبة من الناس (١)، وهنالك انهال إليه المصامدة من كل فج، وكثر صحبه وأتباعه، وهو يدعوهم إلى التوحيد، وإلى قتال المجسمين المرابطين، وعكف على تدريس العلم. وكان يعني بالأخص بأن يشرح لأنصاره وتلاميذه نظرية المهدي المنتظر والإمام المعصوم، وما ورد فيها من الأحاديث والأقوال المأثورة، ويبث الخاصة من دعاته بين رؤساء القبائل يمهدون لتلك الدعوة ويبشرون بها. ولما شعر ابن تومرت بأن دعايته قد أتت ثمرتها، وأضحى الميدان ممهدا للعمل، اعتزم أن يعلن إمامته (٢). وفي اليوم الخامس عشر من رمضان سنة ٥١٥ هـ (ديسمبر سنة ١١٢١ م) قام ابن تومرت خطيبا في أصحابه وأعلن إليهم أنه المهدي المنتظر (٣) في خطبة قصيرة ينقل إلينا نصها ابن القطان في " نظم الجمان " فيما يلي:

" الحمد لله الفعال لما يريد، القاضي بما يشاء، لا راد لأمره، ولا معقب لحكمه، وصلى الله على سيدنا رسول الله، المبشر بالإمام المهدي، الذي يملأ الأرض قسطا وعدلا، كما ملئت جورا وظلما، يبعثه الله إذا نسخ الحق بالباطل وأزيل العدل بالجور. مكانه المغرب الأقصى منبته وزمانه آخر الزمان، واسمه اسم النبي عليه الصلاة والسلام، ونسبه نسب النبي صلى الله تعالى وملائكته الكرام المقربون عليه وسلم، وقد ظهر جور الأمراء، وامتلأت الأرض بالفساد، وهذا آخر الزمان، والإسم الاسم والنسب النسب، والفعل الفعل ". (٤)

وعلى أثر ذلك، وفي ظل شجرة خروب وارفة، هرع إلى المهدي عشرة من

أصحابه الملازمين له، وبايعوه على أنه المهدي المنتظر والإمام المعصوم، وهؤلاء العشرة الأوائل من أصحاب المهدي هم: تلميذه وألصق الناس به عبد المؤمن بن علي،

---

(١) ابن القطان في نظم الجمان (المخطوط السابق ذكره لوحة ٣٣ أ).

(٢) المراكشي في المعجب ص ١٠٣.

(٣) هذه رواية روض القرطاس (ص ١١٣)، ويؤيدها ابن خلدون، (ج ٦ ص ٢٢٨)، والحلل الموشية ص ٧٨، والزركشي

---

(١) دولة الإسلام في الأندلس محمد عبد الله عنان ٢/٣٠٦

ص ٤، ويقول ابن عذارى إنها كانت في سنة ٥١٨ هـ (الأوراق المخطوطة السالفة الذكر – هسبيرس ص ٨٢).

(٤) نظم الجمان (المخطوط السابق ذكره لوحة ٢٣ أ). الحلل الموشية ص ٧٨.." (١)

"وعاتبهم على نقض عهودهم، ثم أمر بإعدامهم حسبما تقدم (١). بيد أنه يبدو من المرجح أن المأمون، قد عمد أولا إلى التخلص من خصومه من أشياخ الموحدين، ثم أقدم على تنفيذ خطته في إزالة رسوم المهدي وتعاليمه.

ولا ريب أن عمل المأمون كان أعظم انقلاب ثورى حدث في أصول العقيدة الموحدية على يد بني عبد المؤمن، وقد أصاب الصميم من أسس هذه العقيدة وتعاليمها، وقضى بصورة رسمية قاطعة، ببطلان أحداث الأسطورة التي مثلت في جبل إيجليز قبل ذلك بمائة واثنتى عشرة عاما، وأعلن فيها محمد بن تومرت أنه المهدي المنتظر، والإمام المعصوم.

ونحن نعرف أن الخليفة يعقوب المنصور، كانت تساوره نحو المهدي مثل هذه الأفكار، وأنه لم يكن من الغلاة في تصوير إمامته ومهديته، ولم يكن بالأخص من المؤمنين بعصمته، فكان عمل المأمون في الواقع، وحسبما يشير إليه كتابه، تنفيذا لما كان يجيش به والده المنصور، ولم يكن يجرأ في وقته على المجاهرة به، أو الإقدام على تنفيذه.

والظاهر أن عمل المأمون في إزالة رسوم المهدي وتعاليمه، لم يكن له كبير صدى، ولم يترتب عليه أية معارضة أو بوادر انتقاض، وبالعكس فقد أشاد الشعراء بتصرفه، وأزجوا إليه مدائحهم في قصائد عديدة، يورد لنا ابن عذارى بعضها (٢).

وأذن المأمون في نفس الوقت لحلفائه النصارى القادمين معه، في بناء الكنيسة بمراكش، وهي التي اشترط ملك قشتالة إنشاءها، وأخذت النواقيس منذ إتمامها، تدق لأول مرة في العاصمة الموحدية (٣).

– ١ –

وكان من أعظم الحوادث الحاسمة في عصر المأمون، إلى جانب محو أصول العقيدة الموحدية، انفصال إفريقية عن الدولة الموحدية، وقيامها دولة مستقلة تحت سلطان بني حفص. ونحن نعرف أنه لما تفاقم أمر يحيى بن إسحاق بن غانية

---

(١) روض القرطاس ص ١٦٧ و ١٦٨.

(٢) البيان المغرب – القسم الثالث ص ٢٦٨ و ٢٦٩.

(٣) ابن خلدون ج ٦ ص ٢٥٣.،،،،،،." (٢)

"ترك الدجال حصار المدينة وتوجهه نحو الشام وهلاكه فيها

(خ م جة حم ك) ، عن جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: (" يأتي الدجال المدينة، فيغلب على خارجها ، ويمنع داخلها (١) ثم يأتي إيلياء (٢)) (٣) (فيفر المسلمون إلى جبل الدخان بالشام، فيأتيهم فيحاصرهم، فيشتد حصارهم، ويجهدهم جهدا شديدا) (٤) (فيقول لهم الذين عليهم (٥)) (٦) (من السحر (٧):) (٨) (يا أيها الناس ، ما يمنعكم أن تخرجوا إلى الكذاب الخبيث؟) (٩) (ما تنتظرون بهذا الطاغية أن تقاتلوه

---

(١) دولة الإسلام في الأندلس محمد عبد الله عنان ١٧٣/٣

(٢) دولة الإسلام في الأندلس محمد عبد الله عنان ٣٧٢/٤

حتى تلحقوا بالله (١٠) أو يفتح لكم) (١١) (فيقولون: هذا رجل جني ") (١٢) (فقالت أم شريك بنت أبي العكر - رضي الله عنها -: يا رسول الله ، فأين العرب يومئذ؟ ، قال: " هم يومئذ قليل، وجلهم ببيت المقدس ، وإمامهم رجل صالح) (١٣) (فيأتمرون أن يقاتلوه إذا أصبحوا) (١٤) (فبينما إمامهم قد تقدم يصلي بهم الصبح ، إذ نزل عليهم عيسى ابن مريم - عليه السلام -) (١٥) (عند المنارة البيضاء (١٦) شرقي دمشق ، بين مهرودتين (١٧) واضعا كفيه على أجنحة ملكين ، إذا طأطأ رأسه قطر ، وإذا رفعه تحدر منه جمان (١٨) كاللؤلؤ ، فيمسح عن وجوههم، ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة) (١٩) (فيقول أميرهم (٢٠)) (٢١) (تقدم يا روح الله) (٢٢) (صل لنا ، فيقول: لا، ليتقدم إمامكم فليصل بكم، إن بعضكم على بعض أمراء، تكرمة الله هذه الأمة) (٢٣) (فيصلي بهم إمامهم، فإذا انصرف قال عيسى: افتحوا الباب ، فيفتح ووراءه الدجال ، معه سبعون ألف يهودي، كلهم ذو سيف محلى وساج، فإذا نظر إليه الدجال ، ذاب كما يذوب الملح في الماء، وينطلق هاربا) (٢٤) (فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه (٢٥) إلا مات ، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه (٢٦) فيطلبه حتى يدركه) (٢٧) (بفلسطين) (٢٨) (عند باب اللد الشرقي (٢٩) فيقتله، ويهزم الله اليهود، فلا يبقى شيء مما خلق الله يتوارى به يهودي ، إلا أنطق الله ذلك الشيء، لا حجر ولا شجر ، ولا حائط ، ولا دابة إلا قال) (٣٠) (يا مسلم ، يا عبد الله ، هذا يهودي) (٣١) (يختبئ ورائي ، فتعال فاقتله) (٣٢) (إلا الغرقد (٣٣)) (٣٤) (لا تنطق) (٣٥) (فإنها من شجر اليهود) (٣٦) (فلا يترك ممن كان يتبعه أحدا إلا قتله") (٣٧)

---

(١) أي: يمنع من دخولها والسيطرة عليها.

(٢) أي: بيت المقدس.

(٣) (ك) ٨٦١٢ ، انظر قصة الدجال ص١٠٤

(٤) (حم) ١٤٩٩٧ ، وقال الشيخ شعيب الأرناءوط: إسناده صحيح.

(٥) أي: أميرهم.

(٦) (ك) ٨٦١٢

(٧) السحر: الثلث الأخير من الليل.

(٨) (حم) ١٤٩٩٧

(٩) (حم) ١٤٩٩٧

(١٠) أي: تستشهدوا.

(١١) (ك) ٨٦١٢

(١٢) (حم) ١٤٩٩٧

(١٣) (جة) ٤٠٧٧ ، انظر صحيح الجامع: ٧٨٧٥ ، قصة الدجال ص٤٣

(١٤) (ك) ٨٦١٢

(١٥) (جة) ٤٠٧٧

(١٦) هذه المنارة موجودة اليوم شرقي دمشق. (النووي - ج ٩ / ص ٣٢٧)

(١٧) (المهرودتان): ثوبان مصبوغان بورس ، ثم بزعفران.

(١٨) الجمان: حبات من الفضة ، تصنع على هيئة اللؤلؤ الكبار، والمراد: يتحدر منه الماء على هيئة اللؤلؤ في صفائه، فسمي الماء جمانا لشبهه به في الصفاء. شرح النووي على مسلم - (ج ٩ / ص ٣٢٧)

(١٩) (م) ٢٩٣٧

(٢٠) قال الألباني في الصحيحة: ٢٢٣٦: فالأمير في هذه الرواية هو المهدي كما في حديث الترجمة ، وهو مفسر لها ، واعلم أيها الأخ المؤمن أن كثيرا من الناس تطيش قلوبهم عن حدوث بعض الفتن، ولا بصيرة عندهم تجاهها، بحيث إنها توضح لهم السبيل الوسط الذي يجب عليهم أن يسلكوه إبانها، فيضلون عنه ضلالا بعيدا، فمنهم مثلا من يتبع من ادعى أنه المهدي أو عيسى، كالقاديانيين الذين اتبعوا ميرزا غلام أحمد القادياني ، الذي ادعى المهدوية أولا، ثم العيسوية ثم النبوة، ومثل جماعة (جهيمان) السعودي الذي قام بفتنة الحرم المكي على رأس سنة (١٤٠٠) هجرية، وزعم أن معه المهدي المنتظر، وطلب من الحاضرين في الحرم أن يبايعوه، وكان قد اتبعه بعض البسطاء والمغفلين والأشرار من أتباعه، ثم قضى الله على فتنتهم بعد أن سفكوا كثيرا من دماء المسلمين، وأراح الله تعالى العباد من شرهم ، ومنهم من يشاركنا في النقمة على هؤلاء المدعين للمهدوية، ولكنه يبادر إلى إنكار الأحاديث الصحيحة الواردة في خروج المهدي في آخر الزمان، ويدعي بكل جرأة أنها موضوعة وخرافة!! ويسفه أحلام العلماء الذين قالوا بصحتها، يزعم أنه بذلك يقطع دابر أولئك المدعين الأشرار! ، وما علم هذا وأمثاله أن هذا الأسلوب قد يؤدي بهم إلى إنكار أحاديث نزول عيسى - عليه السلام - أيضا مع كونها متواترة! ، وهذا ما وقع لبعضهم، فهل يؤدي ذلك بهم إلى إنكار ألوهية الرب سبحانه وتعالى ، لأن بعض البشر ادعوها كما هو معلوم؟! ، نسأل الله السلامة من فتن أولئك المدعين، وهؤلاء المنكرين للأحاديث الصحيحة الثابتة عن سيد المرسلين - صلى الله عليه وسلم -. أ. هـ

(٢١) (م) ١٥٦

(٢٢) (حم) ١٤٩٩٧ ، وقال الشيخ شعيب الأرناءوط: إسناده صحيح.

(٢٣) (م) ١٥٦ ، انظر الصحيحة: ١٩٦٠ ، ٢٢٣٦

(٢٤) (جة) ٤٠٧٧

(٢٥) أي: ريح نفس عيسى - عليه السلام -.

(٢٦) أي: بصره.

(٢٧) (م) ٢٩٣٧

(٢٨) (حم) ٢٤٥١١ ، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن.

(٢٩) اللد: بلدة قريبة من بيت المقدس. شرح النووي (ج ٩ / ص ٣٢٧)

(٣٠) (جة) ٤٠٧٧ ، (م) ٢٩٣٧

(٣١) (م) ٢٩٢٢ ، (خ) ٢٧٦٧

(٣٢) (حم) ١٠٨٦٩ ، (م) ٢٩٢١

(٣٣) (العوسج) من شجر الشوك ، له ثمر مدور ، فإذا عظم فهو الغرقد. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير

(٣٤) (م) ٢٩٢٢

(٣٥) (جة) ٤٠٧٧

(٣٦) (م) ٢٩٢٢

(٣٧) (حم) ١٤٩٩٧." (١)

"لقد أنكر كل شيء وادعى أن المتقولين هم الذين رسموا صورته وزيفوا عليه أقواله، فأمر السلطان محمد الرابع –الذي كان يسمع الحوار– بعرض الإسلام على "سباتاي زئيفي" كما تقضي قواعد الشرع الحنيف، فرأى "سباتاي" أو المسيح المزيف أنه أصبح بين خطر الموت أو الإسلام، فآثر بدهاء اليهودي وحرصه على الحياة أن يفتدي إمبراطوريته الوهمية بدخوله في الإسلام ظاهرا، ويتسمى باسم محمد عزيز أفندي وينجو بجلده من الموت، وبهذا كان "سباتاي زئيفي" هو أول شخص في تاريخ الإمبراطورية العثمانية وفي العالم من الدونمة، وهو مؤسس هذه الطائفة.

وقد جاء في كتاب (التاريخ السياسي للدولة العلية) في فصل دور السلطان محمد الرابع تحت عنوان: يهودي يدعي أنه المسيح: أنه في سنة ١٦٦٦ للميلاد قام حاخام يهودي يدعى "سباتاي زئيفي" يزعم أنه هو المسيح، وكان لبياناته وهو في زيارة القدس أثر في اضطراب وقلق اليهود المقيمين في أوربا، ووردت أخبار بعض الحاخامين في تأييده وبعضهم في معارضته، فجيء به إلى دار السعادة استانبول وأودع السجن ثم سيق إلى سجن القلعة السلطانية، ثم إن رجلا آخر يهوديا ادعى بمثل ما ادعى به سابقه، وأتى إلى قصر القائم بأعمال رئيس الوزراء وذكر زيف ادعاء "سباتاي زئيفي"، فجيء به –أي بـ "سباتاي"– واستخدم في أعمال البستنة في القصر بعد أن أعلن إسلامه، وخلال عشر سنوات من الزمان دخل كثير من أتباعه دين الإسلام، ثم إنه حدث أن أعلن أحد أبناء شيوخ الأكراد أنه المهدي المنتظر، فجيء به فرجع عما كان ادعاه من قبل، وأجاب جوابا صحيحا لكل سؤال وجه إليه فعين رئيسا داخليا للخزينة الهميونية.." (٢)

"١٤– خطبة ابن تومرت مؤسس دولة الموحدين:

"المتوفى سنة ٥٣٤هـ"

استدعى محمد بن عبد الله بن تومرت١ مؤسس دولة الموحدين أصحابه، قبل موته بأيام يسيرة، وقد أراد أن يستخلف عليهم عبد المؤمن بن علي، فلما حضروا بين يديه قام:

---

١ هو محمد بن عبد الله بن تومرت من جبل السوس في أقصى بلاد المغرب، ولد سنة ٤٨٥هـ، ورحل إلى المشرق سنة ٥٠١ في طلب العلم، وانتهى إلى بغداد، وقيل إنه لقي أبا حامد الغزالي، ثم رجع إلى المغرب، وقامت دعوته في أول الأمر

---

(١) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد صهيب عبد الجبار ٢/٤٨٩

(٢) اتجاهات فكرية معاصرة – جامعة المدينة جامعة المدينة العالمية ص/٣٧٢

في صورة آمر بالمعروف، ناه عن المنكر، فاتبعه بعض القوم، وخرج هو وأصحابه إلى السوس، وشرع في التدريس والدعاء إلى الخير: وما زال يستميل القلوب حتى كثرت شيعته، ثم جعل يذكر المهدي ويشوق إليه، وجمع الأحاديث التي جاءت فيه، فلما قرر في نفوسهم فضيلة المهدي، ادعى ذلك لنفسه، وتسمى بالمهدي، ورفع نسبه إلى النبي –صلى الله عليه وسلم– وادعى أنه من نسل الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وصرح بدعوى العصمة لنفسه وأنه المهدي المعصوم، وروي في ذلك أحاديث كثيرة حتى استقر عندهم أنه المهدي، فبايعوه على ذلك، ولما كانت سنة ٥١٧هـ جهز جيشا عظيما – وكانت مراكش تحت إمرة المرابطين– فقال: "اقصدوا هؤلاء المارقين المبدلين الذين تسموا بالمرابطين، فادعوهم إلى إماتة المنكر، وإحياء المعروف، وإزالة البدع، والإقرار بالإمام المهدي المعصوم، فإن أجابوكم فهم إخوانكم، لهم ما لكم وعليهم ما عليكم، وإن لم يفعلوا فقاتلوهم فقد أباحت لكم السنة قتالهم، وأمر على الجيش عبد المؤمن بن علي، فخرجوا إلى مراكش فلقيهم المرابطون قريبا منها بجيش ضخم أميرهم الزبير بن علي بن يوسف بن تاشفين، فدعوهم إلى ما أمرهم به بن تومرت فردوا عليهم أسوأ رد، ثم التقت الفئتان، فانهزم أصحاب ابن تومرت وقتل منهم خلق كثير، فلما رجع القوم إلى ابن تومرت جعل يهون عليهم أمر الهزيمة، ويقرر في نفوسهم أن قتلاهم شهداء، لأنهم ذابون عن دين الله، فزادهم ذلك بصيرة في أمرهم، وحرصا على لقاء عدوهم، وجعلوا يشنون الغارات على نواحي مراكش ويقتلون ويسبون ولا يبقون على أحد ممن قدروا عليه، وكثر الداخلون في طاعتهم، ولم يزل أصحابه ظاهرين، وأحوال المرابطين تختل، وانتقاض دولتهم يتزايد، إلى أن توفي ابن تومرت سنة ٥٣٤هـ بعد أن أسس الأمور، وأحكم التدبير، وقام بأمر الموحدين من بعده عبد المؤمن بن علي، وقد استوثق له الأمر بموت علي بن يوسف بن تاشفين ملك المرابطين سنة٥٣٧هـ.." (١)

"الدعوة هناك، وقد أسس ابن باديس جمعيته على أساس من المبادئ السلفية، فدعا إلى إصلاح عقيدة المسلمين في الجزائر من أنواع البدع والخرافات، كما دعا إلى الاجتهاد ومحاربة التقليد الأعمى والجمود الفكري وذلك بالتعمق في دراسة القرآن الكريم والسنة النبوية، ولقد كان لجمعيته دور كبير في محاربة الاستعمار الفرنسي في الجزائر حتى نال استقلاله عام ١٣٨٢ هـ (١٩٦٢ م) (١) .

[رابعا في السودان]

رابعا: في السودان: وهو ما كان يسمى (السودان الشرقي) ويشغل دولة السودان المعروفة الآن، وقد ظهرت فيها حركة إصلاحية سميت بـ (المهدية) نسبة إلى زعيمها (محمد عبد الله أحمد) ١٨٤٥ م – ١٨٨٥ م والذي زعم أنه المهدي المنتظر، وقام بنشر دعوته هناك وتلقب بـ (المهدي) (٢) .

وقد ظهرت دعوة المهدي تلك في أوقات اجتاحت العالم الإسلامي كثير من الدعوات والحركات الصحيحة والباطلة، ومنها دعوات المهديين الذين زعموا أنهم مبعوثون على موعد لتخليص الناس مما لحق بهم من ظلم وجور وفساد – فظهر منهم من ظهر في فارس والهند – وظهر غيرهم في وادي النيل.

---

(١) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة أحمد زكي صفوت ٣/١٨٠

وقد اختلفت آراء المؤرخين في حقيقة حركات المهديين من حيث الصحة والبطلان ، وهل كانت حركات دينية بحتة أم سياسية خالصة أم للأمرين معا؟ ولكن أكثر المؤرخين يرون أن المهديين – بحركاتهم الإصلاحية – هم قوم مخادعون يتعمدون الكذب في دعوتهم، ويسرون غير ما يعلنون من طلب الإصلاح أو العناية بشؤون الدين (٣) .

أما من ناحية مهدي السودان (محمد أحمد) فقد نشأ في بلاد السودان الشرقي (٤)

---

(١) الزركلي: الأعلام ٤ ٦٠، وعبد الحليم عويس، أثر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الفكر الإسلامي الإصلاحي في الجزائر، مجلة كلية العلوم الاجتماعية بالرياض، العدد الخامس (١٤٠١ هـ) ص ٢٢٥-٢٥٦.

(٢) عباس العقاد، المرجع السابق ص ١٦١ – ١٦٤.

(٣) المرجع السابق ص ١٥٣.

(٤) لوثروب ستودارد: المرجع السابق ج١ ص ٨٩ – ٩٠ (تعليق شكيب أرسلان) .." [١]

"نشأة صوفية فمال إلى التنسك والعبادة وحفظ القرآن الكريم ودرس الفقه والتصوف.

وكان قيامه بدعوته في وقت كانت فكرة ظهور (المهدي المنتظر) متوافرة في السودان ومنتشرة بين سكانها، ويرجع ذلك إلى معاناة أهل البلاد من الإدارة المصرية الخاضعة للنفوذ الإنجليزي الأجنبي.

فانحلت الحالة الدينية بانتشار الفساد والبدع، كما تدهورت الحالة الاقتصادية بين أبناء الشعب، فكان الناس متلهفين إلى حركة إصلاحية (١) وقد استغل " محمد أحمد " ذلك فأعلن في سنة ١٨٨١ م أنه المهدي المنتظر، وضمن دعوته تلك كثيرا من مبادئ التصوف، وكان مما دعا إليه القضاء على الفساد والبدع والعودة بالإسلام إلى أصوله الأولى.

كما أعلن الجهاد لتحرير البلاد من الحكم الأجنبي ونفوذه الواسع، وكان انتصار " المهدي " هذا على جنود الحكومة في الحملة المعروفة بحملة " هكس " عام ١٨٨٣م سببا لعلو أمره وانتشار دعوته في أرجاء مختلفة من السودان، كما كانت الهزيمة ذريعة لإكراه الإنجليز الحكومة المصرية على إخلاء السودان والانسحاب منها، وذلك تمهيدا لاستعمارهم السودان باسم جديد (٢) .

وهو ما حصل فعلا في ختام القرن التاسع عشر الميلادي (١٨٩٩ م) .

وأيا كان الأمر فإن حركة المهدي في السودان تعتبر حركة دينية وسياسية معا أو هي في الحقيقة حركة اتخذت من الدين قوة تشد أزرها وتجمع حولها الأنصار، هذا إضافة إلى أن دعوتها الدينية الظاهرة التي تدعو إليها الناس لم تكن واضحة المعالم (٣) .

والسؤال الآن: هل كان لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية في الجزيرة العربية تأثير على هذه الحركة؟ .

. . والحقيقة أن تأثير الدعوة السلفية على هذه الدعوة أو الحركة في السودان كان تأثيرا طفيفا –إذا نسبنا ذلك إلى تأثيرها على الحركات الإصلاحية الأخرى في العالم

---

(١) دعوة الشيخ محمد عبد الوهاب وأثرها في العالم الإسلامي محمد السلمان ص/٩٠

(١) أحمد عبد الرحيم مصطفى ص ٤٢ - ٤٤.

(٢) عباس محمود العقاد: المرجع السابق ص ١٦٢-١٦٣، ولوثروب ستودارد ج١ ص ٩.

(٣) عبد الكريم الخطيب: ص ١٣٩ - ١٤٠.." [1]

"ثم في الحسن ثم في الحسين ثم في محمد ابن الحنفية، ومعنى ذلك أن روح الله صارت في النبي - صلى الله عليه وسلم - ، وروح النبي - صلى الله عليه وسلم - صارت في علي، وروح الحسين صارت في محمد ابن الحنفية، وروح ابن الحنفية صارت في ابنه أبي هاشم (١). ويعتقدون في ابن الحنفية اعتقادا فوق حده ودرجته، من إحاطته بالعلوم كلها، واقتباسه من (السيدين) الأسرار بجملتها من علم التأويل والباطن، وعلم الآفاق والأنفس (٢). والحق أن ابن الحنفية لم يقر الغلو الذي قيل فيه، ولم يعترف بأنه المهدي المنتظر، وروى ابن سعد حديثا رفعه إلى أبي العريان المجاشعي قال: فبلغ محمدا أنهم يقولون إن عندهم شيئا -أي من العلم- قال: فقام فينا وقال: إنا -والله- ما ورثنا من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلا ما بين هذين اللوحين. ثم قال: اللهم خلا وهذه الصحيفة في ذؤابة سيفي. فسألت: وما كان في الصحيفة؟ قال: من أحدث حدثا أو آوى محدثا (٣).

وقال محمد للرجل الذي قابله وسأله عن أشياء سرية نميت إلى الرجل عن محمد: أما بعد، فإياكم وهذه الأحاديث فإنها عيب عليكم، وعليكم بكتاب الله، فإنه به هدي أولكم وبه يهدى آخركم (٤) .. ويظهر أن المختار هو الذي روج فكرة مهدية محمد لأسباب سياسية، أي أنه أراد أن يحكم باسمه دون إشراكه بالسلطة الفعلية. وعندما هم ابن الحنفية أن يقدم إلى الكوفة، وبلغ ذلك المختار ثقل عليه قدومه، فقال: إن في المهدي علامة، يقدم بلدكم هذه فيضربه رجل في السوق بالسيف فلا تضره .. فبلغ ذلك ابن الحنفية فأقام (٥).

(١) الملل والنحل (١/ ١٣١).

(٢) نفس المصدر السابق.

(٣) الشيعة العربية والزيدية ص ٢٥٩.

(٤) الطبقات (٥/ ٧٠).

(٥) سير أعلام النبلاء (٤/ ١١٨).." [2]

"ويبعد احتمال حدوث تقارب بين الصليبيين الذين يتطلعون للسيطرة على البحر الأحمر وبين الحبشة التي تدين بالديانة النصرانية، حتى لا يقع بين فكي الكماشة الصليبية على سواحل البحر المتوسط في الشمال، والأحباش على سواحل البحر الأحمر في الجنوب.

(١) دعوة الشيخ محمد عبد الوهاب وأثرها في العالم الإسلامي محمد السلمان ص/٩١

(٢) خلافة أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير رضي الله عنه علي محمد الصلابي ص/١٠٧

ج- كانت اليمن آنذاك تمر بمرحلة عدم استقرار تتنازعها الأهواء السياسية والدينية والمذهبية وبخاصة بين زبيد وصنعاء، كما ظهر دعي زعم أنه المهدي المنتظر هو عبد النبي بن مهدي وتغلب على اليمن، وخطب لنفسه بعد أن قطع الخطبة للعباسيين، وتسمى بالإمام، وبنى على قبر أبيه قبة عظيمة، وأمر أهل اليمن بالحج إليها ومنعهم من الحج إلى مكة.

د- أراد صلاح الدين وضع حد لهذه التجاوزات والمساويء التي تهدد وحدة المسلمين وبخاصة بعد أن أرسل إليه أهل اليمن يستنجدون به لإنقاذهم (١). ومهما يكن من أمر، فقد: وجه صلاح الدين سرية بقيادة أخيه الأكبر شمس الدولة توران شاه الذي ورد مكة فاعتمر بها وسار منها إلى زبيد، فامتلكها كما سار إلى عدن وامتلكها ومنع الجيش من نهبها وقال: ما جئنا لنخرب البلاد، وإنما جئنا لعمارتها وملكها، ثم سار إلى بقية الحصون والمخالف والمعاقل فملكها، واستوثق له ملك اليمن بحذافيره وخطب للخليفة العباسي (٢). وقتل الدعي المسمى بعبد النبي، وصفت اليمن من أكدارها، وعادت إلى ما سبق من مضمارها (٣)، وكتب شمس الدولة إلى أخيه الملك الناصر صلاح الدين يخبره بما فتح الله عليه وأحسن إليه، فكتب الملك صلاح الدين بذلك إلى نور الدين، فأرسل نور الدين بذلك إلى الخليفة يبشره بفتح اليمن والخطبة بها له (٤).

٣ - فتح بلاد النوبة: وكانت النوبة وقتها مملكة نصرانية عاصمتها مدينة دنقلة تقع في أعالي النيل، وتربطها بمصر روابط متينة بشكل عام منذ الفتح الإسلامي ولما قامت الدولة الأيوبية في مصر أراد صلاح الدين فتح بلاد النوبة لحماية مصر من التعدي عليها من ناحية الجنوب وأرسل أخاه تورانشاه في شهر جمادى الأخرة عام ٥٦٨هـ/شهر كانون الثاني عام ١١٧٣م إلى بلاد النوبة، ففتح إبريم، وسبى وغنم، ثم عاد إلى قوص، ودخل الإسلام إلى أماكن لم تطرقها سنابك

---

(١) تاريخ الأيوبيين في مصر وبلاد الشام ص ٤٨.

(٢) الطريق إلى بيت المقدس ص ٩٦.

(٣) المصدر نفسه ص ٩٦.

(٤) المصدر نفسه ص ٩٦.." (١)

"قال العلامة ابن القيم في كلامه عن المهدي: "وأما الرافضة الإمامية، فلهم قول رابع، وهو أن المهدي هو محمد بن الحسن العسكري المنتظر، من ولد الحسين بن علي لا من ولد الحسن الحاضر في الأمصار الغائب عن الأبصار، الذي يورث العصا، ويختم الفضا، دخل سرداب سامراء طفلا صغيرا من أكثر من خمسمائة سنة، فلم تره بعد ذلك عين، ولم يحس فيه بخبر ولا أثر، وهم ينتظرونه كل يوم ويقفون بالخيل على باب السرداب ويصيحون به أن يخرج إليهم: اخرج يامولانا! اخرج يامولانا! ثم يرجعون بالخيبة والحرمان، فهذا دأبهم ودأبه، ولقد احسن من قال:

ما آن للسرداب أن تلد الذي

كلمتموه بجهلكم ما آنا؟

---

(١) صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس علي محمد الصلابي ص/٢١٤

فعلى عقولكم العفاء فإنكم

ثلثتم العنقاء والغيلانا

ولقد أصبح هؤلاء عارا على بني آدام، وضحكة يسخر منهم كل عاقل ...) (١).

وبذلك يتضح لطالب الحق حقيقة المهدي المنتظر ويعرف الميزان الصحيح لكل من يدعى المهدية.

إن ابن تومرت في دعواه بأنه المهدي المنتظرانحرف عن المنهج الإسلامي الصحيح.

لقد جعل ابن تومرت من المهدية عقيدة الزم بها اتباعه واضاف إلى هذا المعتقد الذي ادعاه لنفسه امر العصمة حيث قال عن نفسه: بأنه المهدي

---

(١) انظر: المنار المنيف ص (١٥٢ - ١٥٣)." [1]

"المعصوم، ثم أشاع ذلك بين اتباعه حتى أصبحوا يطلقون عليه لفظ المعصوم، دون حرج أو تردد، وقد أكد هذا الأمر في مؤلفاته التي انتشرت بينهم إذ جاء فيها: "ويجب أن يكون الإمام معصوما من الباطل ليهدم الباطل، كما يجب أن يكون معصوما من الضلال .. ولابد أن يكون الامام معصوما من هذه الفتن وأن يكون معصوما من الجور لأن الجائر لايهدم الجور بل يثبته ... وأن يكون معصوما من الكذب لأن الكذب لايهدم الكذب بل يثبته، وأن يكون معصوما من الباطل .. ولايصح الاتفاق إلا باستناد الأمور إلى أولي الأمر وهو الإمام المعصوم من الباطل والظلم" (١).

كما قال بعصمة الامام من الزلل والفساد حيث قال: "لايقوم بحقوق الله إلا العدل الرضا المعصوم من الفساد" (٢) وهكذا نرى كيف أن القول بالعصمة للأئمة أصبحت اتجاها قويا من اتجاهات دعوة ابن تومرت الفكرية، وقد تمكن من تأصيل هذا الأمر عند اتباعه حتى اطلقوا عليه لقب المعصوم، وأصبح هذا اللقب من أشهر القاب ابن تومرت لدرجة أنهم كانوا يطلقونه عليه دون ذكر لاسمه بسبب اشتهاره به (٣).

وقد حاول ابن تومرت أن يتدرج في اظهار هذا الأمر في بادئ أمره، فبدأ أولا بالتلميح لهم، ثم صرح بدعوى العصمة لنفسه، وأنه المهدي المعصوم، وروي في ذلك أحاديث كثيرة ولم يتورع عن الكذب في دعواه انها تتمثل فيه، لقد سلك مع اتباعه مسلك التدرج فأقنعهم بنسبه العربي الهاشمي ثم بالمهدية ثم

---

(١) انظر: اعز ما يطلب ص (٢٤٥ - ٢٤٦)

(٢) اعز ما يطلب ص (٢٤٦)

(٣) انظر: مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود العدد السادس." [2]

---

[1] دولة الموحدين علي محمد الصلابي ص/٤٥

[2] دولة الموحدين علي محمد الصلابي ص/٤٦

"على المغرب منذ قيام الدولة الموحدية بسبب موافقته التقرير العقدي لابن تومرت في أغلبه للمذهب الأشعري، وقد قامت رسائله المبسطة الموجزة في العقيدة وخاصة رسالة المرشدة بالدور الكبير في ذلك حيث أصبحت مقررا للحفظ والدراسة في كثير من مناطق المغرب على مر الأيام" (١).

لقد استعمل الموحدون القوة في فرض عقائدهم المختلطة على الشمال الافريقي واقتدوا بالمعتزلة في زمن المأمون العباسي في فرضهم على الناس عقائدهم تحت شعار الامر بالمعروف والنهي عن المنكر.

لقد سئل ابن تيمية عن المرشده كيف كان اصلها و تأليفها؟ وهل تجوز قراءتها أم لا؟

فقال: (الحمد لله رب العالمين. أصل هذه: انه وضعها ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت: الذي لقب بالمهدي، وكان قد ظهر في المغرب في اوائل المائة الخامسة من نحو مائتي سنة، وكان قد دخل إلى بلاد العراق، وتعلم طرفا من العلم. وكان فيه طرف من الزهد والعبادة.

ولما رجع الى المغرب صعد الى جبال المغرب، إلى قوم من البربر وغيرهم: جهالا لايعرفون من دين الاسلام إلا ماشاء فعلمهم الصلاة والزكاة والصيام وغير ذلك من شرائع الإسلام واستجاز ان يظهر لهم أنواعا من المخاريف، ليدعوهم بها الى الدين، فصار يجئ الى المقابر يدفن بها أقواما ويواطئهم على ان يكلموه اذا دعاهم، ويشهدوا له بما طلبه منهم، مثل ان يشهدوا له بأنه المهدي، الذي بشر به رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يواطئ اسمه اسمه، واسم ابيه وانه يملأ الأرض قسطا وعدلا، كما ملئت جورا

---

(١) تجربة الاصلاح عند بن تومرت ص (١٣٨)." (١)

"ويبدو أن الذي دفع ابن تومرت للقيام بعمليات التمييز هو تراجع عدد كبير من الداخلين في دعوته عنها، وذلك بسبب ماتحمله من غلو وشطط، فقام بهذه العملية للتخلص من الذين يشك في اخلاصهم خشية أن يقوى رد الفعل المضاد لدعوته (١) ولما حل ابن تومرت تينمل، أواه أهلها وأعلنوا طاعتهم له، لكنهم كانوا كثيري العدد وافري العدة، وفي منعة بسبب حصانة مدينتهم، فأمرهم ابن تومرت بأن يحضروا إلى المسجد بغير سلاح فلما فعلوا ذلك عدة مرات أمر بعض أتباعه المقربين أن يقتلوهم ففعلوا، ثم دخلوا المدينة وقتلوا منها عددا كبيرا من الرجال حتى بلغ عدد الذين قتلوا بهذه الحادثة خمسة عشر ألف رجل (٢) ولكي لاتحدث هذه الأعمال رد فعل عند اتباعه، أو تلقى معارضة عند الناس، فإنه كان يظهر بشيء من الخوارق والمعجزات حتى يؤصل في نفوس الناس شرعية مايقوم، ويدعو إليه، فقد ذكر المؤرخون انه كان يتواطأ مع بعض أصحابه على أن يدفنهم في المقابر وهم أحياء حيث يترك لهم مكانا للتنفس، ويأمرهم بأن يكلموه إذا دعاهم، وليشهدوا له بما يطلبه منهم كأن يشهدوا بأنه المهدي الذي بشر به رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأنه هو الذي يملأ الأرض قسطا وعدلا، كما ملئت جورا وظلما، وأن من اتبعه أفلح، ومن خالفه خسر، وحينما يسمع أتباعه أن الموتى يكلمونه، ويشهدون له بصحة مايدعوا إليه ويعظم اعتقادهم فيه، وتتأكد طاعتهم له، أما أولئك المقبورون فانه بعد أن ينهوا

---

(١) دولة الموحدين علي محمد الصلابي ص/٥١

المهمة التي من أجلها قبوروا يستبيح دمائهم حيث يهدم عليهم قبورهم حتى يموتوا لكي لايفشوا سره بعد ذلك (٣).

---

(١) انظر: الدعوة الموحدية لعبد الله علام ص (١٩٢،١٩١)

(٢) انظر: الكامل في التاريخ لابن الاثير (٦/ ٥٦٣)

(٣) انظر: الفتاوى (١١/ ٤٧٧)." (١)

"العصابة المعنيون بقوله عليه الصلاة والسلام: لاتزال طائفة بالمغرب ظاهرين على الحق لايضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله، وأنتم الذين يفتح الله بكم فارس والروم، ويقتل الدجال، ومنكم الأمير الذي يصلي بعيسى ابن مريم، ولايزال الأمير فيكم إلى قيام الساعة ...) (١).

وحرص بن تومرت على رد كل ما يوقع في نفوس أصحابه من الوهن من طعون المرابطين الموجهة إلى هذه الدعوة التي اصبحوا من أنصارها، فكان لايكل ولا يمل في تفنيد كل ماوجهه المرابطون من حملة مضادة ضد دعوته البدعية وقاد بن تومرت حملة دعائية مضادة، ومن ذلك ماخاطب به أصحابه قائلا: "واعلموا وفقكم الله أن المجسمين والمكارين وكل من نسب إلى العلم أشد في الصد عن سبيل الله من إبليس اللعين، فلا تلتفتوا إلى مايقولونه، فإنه كذب وبهتان وافتراء على الله ورسوله، ومانسبوكم إليه من الخلاف لله والرسول فذلك خب وغش للمسلمين وخيانة لله ورسوله ... فانتبهوا وفقكم الله لهذه الحيل التي يحتالون بها على عيشهم ودنياهم حتى حملهم ذلك على الافتراء على الله ورسوله حتى عكسوا الحقائق وقلبوها وحرفوا الكلام عن مواضعه. ونسبوا من دعا إلى التوبة والتوحيد واتباع السنة إلى الخلاف وسموه مخالفا ببغيهم .. " (٢).

لقد استطاع بن تومرت أن يقنع اتباعه وانصاره بأنهم الطائفة المنصورة والتي تقيم أمر الله وتجاهد في سبيله وشحن بذلك النفوس، واقنع العقول، وأخذ خطوة أخرى لتعزيز مكانته وبسط هيمنته على اتباعه وزعم بأنه المهدي المنتظر والإمام المعصوم.

---

(١) المعجب للمراكشي ص (٢٥٦، ٢٥٧)

(٢) رسالة إلى الاتباع ص (٤) وأيضا الرسالة المنظمة ص (١٠٨)." (٢)

"ب- الثقة بالإمام:

وسلك مسالك متعددة من أجل اقناع اصحابه واتباعه بأنه المهدي المعصوم، فحرص على الظهور بمظهر الاستقامة والتدين والإخلاص، فزهد في متاع الدنيا من مأكلا وملبسا ومسكنا، ثم جعل ثقة انصاره به ذات اتجاه عقدي بحيث تمنع نفوس الاتباع من الضعف والتراجع امام أوامره وتوجيهاته، فأقنعهم بأنه الإمام المنتظر والمهدي المعصوم وبأن نسبه يرجع ضارب في اعماقه في آل البيت المطهر، وبذلك استطاع بهذه التعاليم المتعالقة بالإمامة أن يرشح ثقة اتباعه به، وأن يضمن ولائهم

---

(١) دولة الموحدين علي محمد الصلابي ص/٦٩

(٢) دولة الموحدين علي محمد الصلابي ص/٧٩

الدائم، وطاعتهم المطلقة (١)، ولم ينسى أن يحرك نفوس المصامدة للتطلع إلى انشاء دولة لهم، فهم معظم سكان المغرب الأقصى، وهم قبائل ضخمة ذات قوة وعدد، تمتد من شمال المغرب الأقصى الى جنوبه، ولاينقصها الا توحيد الصفوف والقيادة السليمة. واقنعهم بأنه القيادة المثلى لهذه القبائل (٢).

٤ – المنهج العسكري:

وبعد أن نظم صفوفه واحكم تنظيمه، اصد انذاره وتهديده إلى المرابطين: "قد أمرناكم بما نأمر به أنفسنا من تقوى الله العظيم ولزوم طاعته، وأن الدنيا مخلوقة للفناء، والجنة لمن اتقى، والعذاب لمن عصى، وقد وجبت لنا عليكم حقوق بوجوب السنة، فإن أديتموها كنتم في عافية، وإلا فاستعين بالله على قتلكم ...) (٣). وكانت هذه الخطوة تمهيدا منه نحو قتال المرابطين، وحرص

---

(١) تجربة الإصلاح في حركة بن تومرت ص (١٢٧)

(٢) انظر: معالم في تاريخ المغرب د. حسين مؤنس ص (١٧٧)

(٣) الحلل لابن الخطيب ص (٨١)." (١)

"أرضه على عدم مواجهة أعداد كبيرة من جيوش المرابطين دفعة واحدة. كما أن الجيوش المهاجمة عادة تحتاج إلى وقت للتأقلم على ساحة المعركة الجديدة، بينما كان بن تومرت واتباعه يقاتلون على أرض خبروها وعرفوا مسالكها، وهذا عامل مهم من عوامل نصر الجيوش، والأهم من ذلك أن اتباع ابن تومرت كانوا يقاتلون بمعنويات عالية بعد أن بايعوا ابن تومرت على أنه المهدي في الوقت الذي كانت فيه معنويات الجند المرابطي منهارة، فكانوا ينهزمون دون قتال لغلبة التردد عليهم وعدم وضوح الهدف فالجندي المرابطي كان في حيرة فهو يقاتل مسلمين من أبناء جلدته، وهو يسمع كل يوم بأن القبائل تتوافد على ابن تومرت وتبايعه، بعد ماشاعت الأخبار عما يتمتع به من علم وزهد وتقشف وانه هو المهدي. كل هذه الأمور كانت تجعل من الجندي المرابطي مضطرب النفس مترددا في إقدامه على قتال ابن تومرت ولذلك كان يفضل الفرار على الصدام (١).

وازدادت ثقة بن تومرت بنفسه بعد تحقيقه تلك الانتصارات، فبادر بإرسال رسالة إلى المرابطين يعرض عليهم الدخول في طاعته واما القتال مهددا ومتوعدا من عدم الانقياد له، ومما جاء فيها: "الى القوم الذين استزلهم الشيطان، وغضب عليهم الرحمن، الفئة الباغية، والشرذمة الطاغية اللمتونية أما بعد: فقد أمرناكم بما نأمر به أنفسنا من تقوى الله العظيم ولزوم طاعته، وأن الدنيا مخلوقة للفناء، والجنة لمن اتقى، والعذاب لمن عصى، وقد وجبت لنا عليكم حقوق بوجوب السنة فان اديتموها كنتم في عافية وإلا فنستعين بالله عليكم على قتالكم حتى نمحو آثاركم ونهدم دياركم، وحتى يرجع العامر خاليا

---

(١) دولة الموحدين علي محمد الصلابي ص/٨٠

(١) انظر: دولة المرابطين ص (١١٤)." (١)

"بأتباعه من هزيمة نكراء في موقعة البحيرة، ولكنه قد نجح في ترسيخ دعوته في قلوب أتباعه حتى صدقوه وآمنوا بمهديته، وأطاعوه ولو في قتل ابنائهم، وهذا ما حصل فعلا في عملية التمييز التي تقشعر لهولها الأبدان حيث قتلت كل قبيلة بعض فلذات أكبادها دون تردد أو حيرة.

لقد كان بن تومرت شخصية فريدة في التاريخ لما امتاز به من صفات المكر والدهاء واستغلاله كل الفرص، واستخدامه كل الأساليب من أجل تحقيق حلمه بإقامة دولة يكون هو زعيما ومرشدا روحيا لها، وليدفع بقبيلته مصمودة الى مركز الصدارة بعد أن سلبتها لمتونة ذلك الشرف.

واجتمعت في شخصية ابن تومرت صفات قلما تجتمع في شخصية قيادة في ذلك الوقت. فقد كان على قسط وافر من العلم، وقد ساعده ذلك على الاستفادة من كل الأفكار المطروحة في العالم الإسلامي لينتقي منها ما يلائم دعوته الجديدة ويساعد على تقوية مركزه بين أتباعه. كما مكنه تكوينه العلمي من أن يرد على أي انتقاد او اتهام يوجه ضده من قبل الخصوم، فيساعده في ذلك فصاحة لسان وسحر بيان وضعف حجج الخصوم، لقد استطاع أن يجمع القلوب حوله وأملى عليها مايريد فانقادت له مبهورة.

لقد ساعد ابن تومرت في تحقيق اهدافه سذاجة المجتمع وجهله وما عشعشت في ذهنه من الأساطير والخرافات حتى عاد غريبا عن منهل الإسلام الصافي، فعلى الرغم من الجهود الكبيرة للمرابطين لإفهام هؤلاء أمور دينهم فقد بقي قطاع كبير منهم متمسكا بعلائق الجاهلية مما أوقعه فريسة سهلة لمخططات ابن تومرت فأملى عليهم تعاليمه البعيدة كل البعد عن منهج أهل السنة والجماعة فتقبلوها دون نقد أو تمحيص، وقدموا أرواحهم دفاعا عنها بعد أن أوهمهم أنه المهدي المنتظر الذي يملأ الأرض عدلا بعد ما ملئت جورا.." (٢)

"أ – التضييق على أنصار الفاطميين وبخاصة أن والي اليمن عبد النبي بن مهدي كان شيعيا رافضيا.

ب– استطاع صلاح الدين تأمين حدود مصر الجنوبي، لأن ضم اليمن، الذي يعد مفتاح البحر الأحمر من ناحية الجنوب، يؤمن له السيطرة العسكرية والتجارية على الأقاليم الجنوبية ويبعد احتمال حدوث تقارب بين الصليبيين الذين يتطلعون للسيطرة على البحر الأحمر وبين الحبشة التي تدين بالديانة النصرانية، حتى لا يقع بين فكي الكماشة الصليبية على سواحل البحر المتوسط في الشمال، والأحباش على سواحل البحر الأحمر في الجنوب.

ت– كانت اليمن آنذاك تمر بمرحلة عدم استقرار تتنازعها الأهواء السياسية والدينية والمذهبية وبخاصة بين زبيد وصنعاء، كما ظهر دعي زعم أنه المهدي المنتظر هو عبد النبي بن مهدي وتغلب على اليمن، وخطب لنفسه بعد أن قطع الخطبة

(١) دولة الموحدين علي محمد الصلابي ص/٨٤

(٢) دولة الموحدين علي محمد الصلابي ص/٩٢

للعباسيين، وتسمى بالإمام، وبنى على قبر أبيه قبة عظيمة، وأمر أهل اليمن بالحج إليها ومنعهم من الحج إلى مكة.
ث- أراد صلاح الدين وضع حد لهذه التجاوزات والمساوئ التي تهدد وحدة المسلمين وبخاصة بعد أن أرسل إليه أهل اليمن يستنجدون به لإنقاذهم (١). ومهما يكن من أمر، فقد: وجه صلاح الدين سرية بقيادة أخيه الأكبر شمس الدولة توران شاه الذي ورد مكة فاعتمر بها وسار منها إلى زبيد، فامتلكها كما سار إلى عدن وامتلكها ومنع الجيش من نهبها وقال: ما جئنا لنخرب البلاد، وإنما جئنا لعمارتها وملكها، ثم سار إلى بقية الحصون والمخالف والمعاقل فملكها، واستوثق له ملك اليمن بحذافيره وخطب للخليفة العباسي (٢). وقتل الدعي المسمى بعبد النبي، وصفت اليمن من أكدارها، وعادت إلى ما سبق من مضمارها (٣)، وكتب شمس الدولة إلى أخيه الملك الناصر صلاح يخبره بما فتح الله عليه وأحسن إليه، فكتب الملك صلاح الدين بذلك إلى نور الدين، فأرسل نور الدين بذلك إلى الخليفة يبشره بفتح اليمن والخطبة بها له (٤).

٤ - فتح بلاد النوبة: وكانت وقتها مملكة نصرانية عاصمتها مدينة دنقلة تقع في أعالي النيل، وتربطها بمصر روابط متينة بشكل عام منذ الفتح الإسلامي ولما قامت الدولة الأيوبية في مصر أراد صلاح الدين فتح بلاد النوبة لحماية مصر من التعدي عليها من ناحية الجنوب وأرسل أخاه تورانشاه في شهر جمادي الاخرة عام ٥٦٨هـ/ شهر كانون الثاني عام ١١٧٣م إلى بلاد النوبة، ففتح إبريم، وسبى وغنم، ثم عاد إلى قوص، ودخل الإسلام إلى

(١) تاريخ الأيوبيين في مصر وبلادالشام ص ٤٨.
(٢) الطريق إلى بيت المقدس ص ٩٦.
(٣) المصدر نفسه ص ٩٦.
(٤) المصدر نفسه ص ٩٦.." (١)

"ثم أشركه خاله معه في التجارة وانتقلا معا إلى ميناء أبي شهب وهو إذ ذاك في السابعة عشرة من عمره وما لبث أن اظهر براعة في التجارة فاستقل عن خاله وكسب شهرة تجارية وكان إلى جانب اشتغاله بالتجارة ينفق وقتا طويلا في دراسة العلوم الدينية والرياضيات، ثم اشتغل بالروحانيات وأخذ يعمل على إذلال نفسه فكان يسهر الليل وفي النهار يقف تحت أشعة الشمس المحرقة فاعتراه بسبب ذلك وجوم وذهول وتأثرت قواه العقلية من الخلوة وما فيها من العزلة، ومن فرط السهر وإدمان الوقوف في مواجهة قرص الشمس وتحمل حرارتها التي تبلغ في مدينة أبي شهب اثنين وأربعين درجة، ولاحظ عليه خاله شذوذا في تفكيره وداخله الشك فيما يصدر منه من أقواله وأفعاله فنصحه مرة بعد أخرى إشفاقا عليه من أن تتطور الحال إلى نتيجة لا تحمد عقباها.
أشار عليه الأطباء بالسفر إلى كربلاء والنجف به حيث الهواء النقي وعسى أن ينقطع عن التفكير فيما كان بصدده فرحل وعمره عشرين سنة كانت الأفكار الباطنية منتشرة بين فريق النازلين بتلك المدينة فأخذ بعد وصوله يدرس آراء بعض علمائها

(١) عصر الدولة الزنكية علي محمد الصلابي ٥٨٩/١

ومن أشهرهم أحمد الإحسائي وتلميذه كاظم الرشدي وظل يتردد على دروس كاظم الرشدي مؤسس المنطقة الكشفية انقطع فجأة وتغيب ردحا من الزمن بعد أن اتفق مع بعض أصحابه على السفر إلى الكوفة والإقامة في مسجد الإمام علي منقطعين للرياضة مدة أربعين يوما.

بعد انقضاء المدة غادر المسجد وهو في حالة غير طبيعية وعاد لمجلس الرشدي وهو شارد الذهن وفي حالة ذهول وأخذ يتكلم بألفاظ عدها تلامذة الرشدي خارجة عن منهج الشريعة ومخالفة لقواعد السنة النبوية فلاطفوه وجاملوه أولا وجفوه وهجروه ثانيا فإذا به يدعو الناس إلى نفسه ويوصي بالزهد والتقشف مع ما أمال إليه كثيرا من بسطاء القول وضعفاء الأحلام كان يخاطب المقربين إليه بأقوال غامضة مثل فادخلوا البيوت من أبوابها، ومثل أنا مدينة العلم وعلي بابها يعني أن الطريق إلى الله مسدود إلا عن طريق الرسالة والنبوة والولاية إلا بواسطة إلا بواسطة، وأنا تلك الواسطة.

وكما أنه لا يجوز دخول البيت إلا من الباب فأنا ذلك الباب فعندئذ سمى نفسه الباب وما كان بعد ذلك يشير لنفسه ألا بلقب الباب وترك اسمه الأصلي وهذا هو سر تسميته بالباب وأتباعه بالبابية، بدء دعوته، بدأ دعوته عام ألف ومائتين وستين جهر الباب بدعوته في ليلة الخامس من جمادى الأولى عام ألف ومائتين وستين أول المؤمنين به كان أول المؤمنين به هو الملا حسين المشهوري الذي لبى دعوته في الليلة الخامسة من جمادى الأولى واعتبروا هذا العام عيدا سموه عيد المبعث إذ أظهر فيه الباب دعوته ورفع به الصوت جهارا وكان عمره إذ ذاك خمس وعشرين سنة وأربعة أشهر وأربعة أيام.

وما زال البابيون يحترمون ذلك اليوم ويقدسونه ويحرمون فيه تعاطي الأشغال.

حروف حي: استطاع الباب علي أن يجمع حوله ثمانية عشر شخصا سماهم حروف حي فحرف الحاء يعادل رقم ثمانية في الحروف الأبجدية والياء يساوي عشرة ومجموع الحرفين ثمانية عشرة، ثم ألقى على هؤلاء مبادئه وتعاليم دعوته والمشهوري أول من آمن بالباب نسبة إلى مدينة مشهورية من أعمال خراسان التفت إليه الباب وقال يا من هو أول من أمن بي حقا إنني أنا باب الله وأنت باب الباب ولا بد أن يؤمن بي ثمانية عشر نفسا بكامل رغبتهم دون ضغط، أو إكراه ويعترفون برسالتي وسينشدني كل منهم على انفراد.

ولما لم تكن هذه الحركة تناسب والمركز الديني لعلماء إيران إذ إن تعاليم الباب مخالفة لأصول الدين عندهم قامت قيامة العلماء علماء إيران في وجه هذه الدعوة فنشرت الرسائل وألفت الكتب وألقيت الخطب ونتج عن هذه المقاومة أن مال إليه الجهلة من العوام فلما رأى الباب ذلك أعلن أنه المهدي المنتظر بعد أن كان دعوته أنه واسطة، أو باب للوصول إلى الإمام المنتظر.

وقال: إن جسم المهدي اللطيف قد حل في جسمه المادي، وأنه يظهر الآن ليملأ الأرض قسطا وعدلا وهذا ما دعا الباب أن يظهر بمظهر أرقى من الدعوة السابقة، فيدعي أنه أفضل من محمد صاحب الدعوة الإسلامية الأمة صلى الله عليه وسلم وأن تعاليمه التي جمعها في بيانه أفضل من تعاليم نبي المسلمين في قرآنه، وأن محمدا إذا كان قد تحدى الناس في الإتيان بسورة من سور الفرقان المبين فإن الباب يتحدى الجميع بالإتيان بباب من أبواب الأرض.

مقتله: دعي الباب لمناظرة علماء إيران وانتهت المناظرة بغير نتيجة، ثم ازدادت الاضطربات في جميع أنحاء إيران وانتشرت الفتنة وساعدت الدسائس الأجنبية على امتدادها فقرر الشاه ناصر الدين ضرورة القضاء على هذه الفتن فأصدر أمره

بإعدام الباب ونفذ فيه حكم الإعدام في سنة ألف ومائتين وخمس وستين هجرية، وقد تبرأ منه كاتب وحيه حسين التبريزي وهال على الباب بالشتائم والسباب وأطلق سراحه وأتى الحراس بوتدين من الحديد ودقوهما في جدارين متقابلين وربطوا فيهما الباب وصاحبه محمد على الذنروزي وأطلقوا عليهما الرصاص.." (١)

(١) شرح الطحاوية للراجحي عبد العزيز الراجحي ص/٤١٦